تاريخ الخلفاء الراشدين (٤)

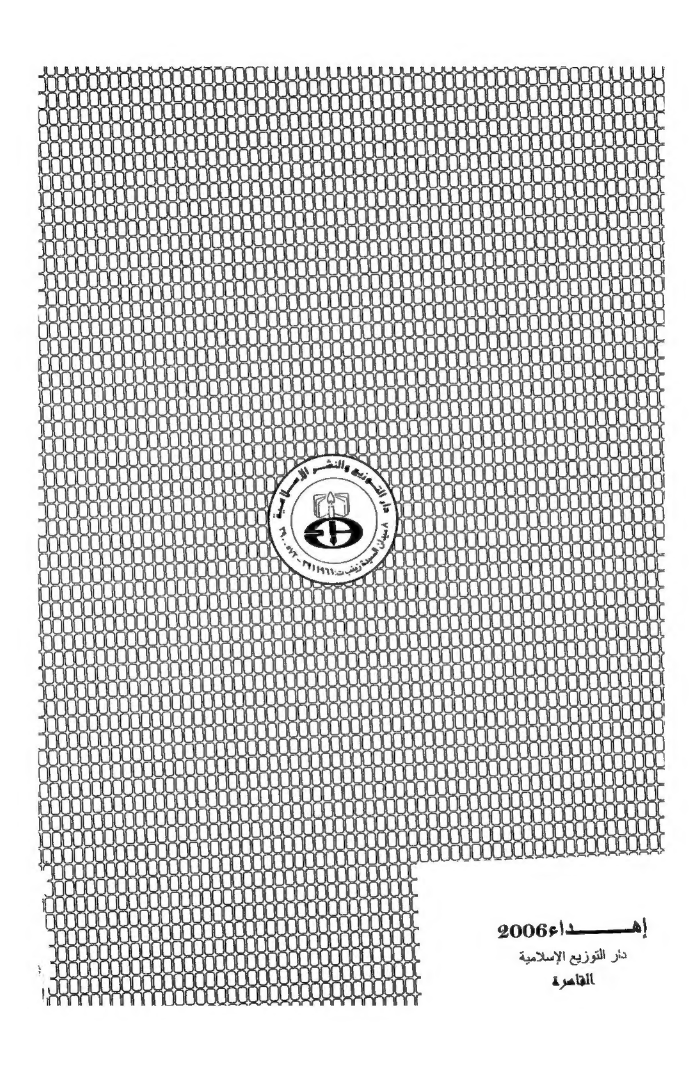
أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

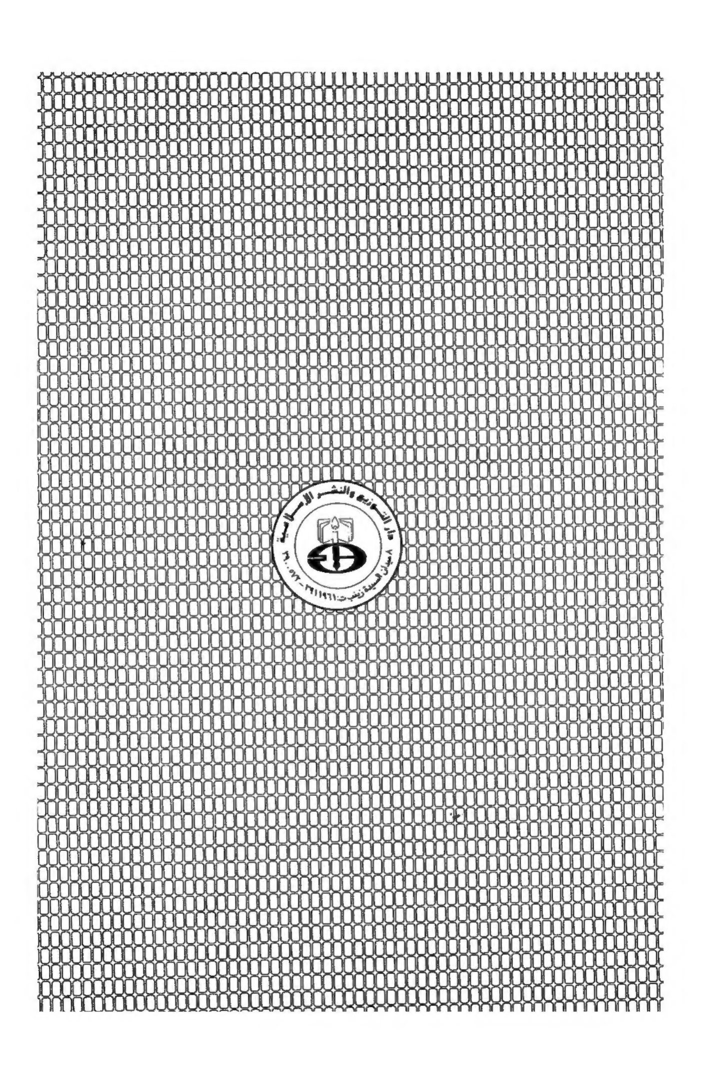
شخصيته وعصره



تأليف
الدكتور علي محمد محمد الصلابي



إهـــــداء2006
دار التوزيع الإسلامية
القاهرة


دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

تاريخ عصر الخلفاء الراشدين (٤)

أسمى المطالب

فى سيرة أمير المؤمنين

على بن أبى طالب

رضى الله عنه

دراسة شاملة

شخصيته وعصره

تأليف

د. على محمد الصَّلَّابِّى

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيـــداع: ٢٠٠٣/١٩١٥٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977 - 265 - 481 - 4




دار التـــوزيع والنشـر الإسـلا مـيـة

مصــــــر-القاهـــــرة -السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورســـعـيـــد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فــاكس: ٢٩٢١٤٧٥

مكتبـة السـيـدة: ٨ مـيـدان السـيـدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى أهدى هذا الكتاب، سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون خالصًا لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠]

المؤلف في سطور

علي محمد محمد الصلابي

* ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م

* حصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز وكان الأول على دفعته عام ١٤١٣ / ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٢ / ١٩٩٣م.

* نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن عام ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

* نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بمؤلفة «فقه التمكين في القرآن الكريم» من جامعة ام درمان الإسلامية.

* **صدرت له عدة كتب:**

١ - من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين (دار البيارق).

٢- الوسطية في القرآن الكريم (دار البيارق - دار النفائس).

سلسلة (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي).

٣ - صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الافريقي (دار البيارق).

٤ - عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج (دار البيارق).

٥ - الدولة العبيدية (الفاطمية) الرافضية (دار البيارق).

٦ - فقه التمكين عند دولة المرابطين (دار التوزيع والنشر الإسلامية - دار البيارق).

٧ - دولة الموحدين (دار التوزيع والنشر الإسلامية - دار البيارق).

٨ - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

٩ - الحركة السنوسية في ليبيا (دار البيارق).

(أ) الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس.

(ب) محمد المهدي السنوسي، وأحمد الشريف.

(ج) إدريس السنوسي، وعمر المختار.

١٠ - فقه التمكين في القرآن الكريم (دار الوفاء، دار البيارق).

١١- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٢- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٣- فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

١٤- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيتَ، ولك الحمد بعد الرضا، أما بعد..

هذا الكتاب الرابع فى دراسة عهد الخلافة الراشدة، فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذى النورين، وقد سميت هذا الكتاب: أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبى طالب، شخصيته وعصره، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين عليٍّ من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته، وإسلامه، وأهم أعماله فى مكة، وعن هجرته، ومعايشته للقرآن الكريم وأثرها عليه فى حياته، وعن تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عنده، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التى سار عليها أمير المؤمنين عليٌّ فى استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وعن تفسير أمير المؤمنين عليٍّ لبعض الآيات الكريمة، وعن ملازمته لرسول الله ﷺ منذ طفولته، ومعرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه، فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصًا على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله ﷺ فى أقواله وأعماله وتقريراته. فبين وجوب طاعة النبى ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها، وأوضح

دلائل نبوة الرسول ﷺ وفضله وبعض حقوقه على أمته ﷺ . ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين عليٍّ للسنة النبوية المطهرة، ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين عليٍّ من الصحابة والتابعين وأهل بيته.

وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبي ﷺ فيتكلم عن زواج أمير المؤمنين عليٍّ من السيدة فاطمة رضي الله عنها، وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد، وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة، وترجمت للحسن والحسين رضي الله عنهما ترجمة مختصرة، وبينت فضلهما وما ورد فيهما من أحاديث عن رسول الله ﷺ، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام، كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول الله ﷺ، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلاة عليهم مع النبي ﷺ، ووجوب محبتهم واحترامهم ومودتهم، وبينت مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبي ﷺ لعليٍّ على المدينة في غزوة تبوك ٨هـ وحج أبي بكر بالناس، ودور عليٍّ رضي الله عنه الإعلامي، ووفد نصارى نجران وآية المباهلة، وإرسال النبي ﷺ عليًا داعيًا وقاضيًا لليمن، واقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، ومواقف عليٍّ في حجة الوداع، وقصة الكتاب الذي هم النبي ﷺ بكتابته في مرض موته، وعن العلاقة بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، واقتدائه به في الصلوات وقبول الهدايا منه، وأشرت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبي ﷺ، ورددت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث ونسفت حججهم وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت الستار عن رواياتهم الضعيفة والموضوعة، وأثبت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية اولادهم عليه، وتحدثت عن مساهمات عليٍّ في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية، واستخلاف عمر لعليٍّ على المدينة مراراً، ومشاورته له في أمور الجهاد وشئون الدولة، وعن العلاقة الحميمة المتينة بين الفاروق

وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك، وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تنسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعًا صفصفًا، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة الكرام ، كما جاءت فى القرآن الكريم، ووضحت بيعة علىٍّ لعثمان رضى الله عنه ورددت على الأكاذيب التى ألصقت بها، وتحدثت عن جهوده فى دعم دولة ذى النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء، ومواقفه فى فتنة مقتله فى بدايتها، وأثناء الحصار، وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرة بين آل علىٍّ وآل عثمان، وأتيت بأقوال علىٍّ فى الخلفاء الراشدين الذين سبقوه، والتى تدل على محبتهم واحترامهم ومودتهم والبراءة ممن يسبهم ويشتمهم وإقامة حد المفترى على من يسب الشيخين، ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل فى أقوال أمير المؤمنين فى الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآنى الفريد وساداته الكرام.

قال الشاعر:

ومن عجب أنى أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معى

وتطلبهم عينى وهم فى سوادها ... ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وقال الشاعر:

إنى أحب أبا حفص وشيعته ... كما أحب عتيقًا صاحب الغار

وقد رضيت عليًا قدوة وعلمًا ... وما رضيت بقتل الشيخ[1] فى الدار

كل الصحابة سادتى ومعتقدى ... فهل علىٌّ بهذا القول من عار

هذا وقد تحدثت عن بيعة علىٍّ بالخلافة وكيف تمت، وعن أحقيته بها، وإجماع الصحابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعًا بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشروط أمير المؤمنين فى بيعته، وأول خطبة له، وأهل الحل والعقد فى دولته، وشى من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه، وتوسعت فى الحديث عن صفاته، فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياءه، وشدة عبوديته وصبره، وإخلاصه، وشكره لله، ودعاءه الخاشع، وعن المرجعية العليا

(١) الشيخ هو: عثمان رضى الله عنه.

لدولته، وسيرها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن حق الأمة فى الرقابة على الحكام، والشورى، والعدل والمساواة، والحريات وعن حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للشرك، وتعريفه الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكره، وحرصه على محو آثار الجاهلية، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحراقه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان فى القلب وتعريفه للتقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم.

ونقلت شيئًا من خطبه ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر، أو يتمثل به فى مناسبات عديدة، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التى سارت مضرب المثل بين الناس، وتكلمت عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبى ﷺ، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التى تصب القلوب، كطول الأمل واتباع الهوى، والرياء، والعجب، وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التى تخالف الشرع فى أوساط الناس، وتحدثت عن المؤسسات التى فى دولته، كالمالية، والقضائية ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية والتشريعية فى عهد الخلفاء الراشدين، والمصادر التى اعتمدها الصحابة فى ذلك العهد، وعن ميزات القضاء فى عهد الراشدين، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين على وعن أسلوبه القضائى، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومجانبة الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية فى العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنايات. وأشرت إلى مسألة حجية قول الصحابى والخلفاء الراشدين، وبينت فى حديثى مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة فى عهده وما وقع فى كل أقليم من أمور جسام، وتكلمت عن منهجه فى تعيين الولاة، ومراقبته لعماله وبعض توجيهاته، والصلاحيات الممنوحة للولاة.. من تعيين وزراء مع كل والٍ فى كل أقليم، وتشكيل مجالس الشورى وإنشاء الجيوش فى كل ولاية، وترسيم السياسة الخارجية فى مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلى وتشكيل الجهاز القضائى فى كل ولاية، والنفقات المالية، والعمال التابعين لكل ولاية ومتابعتهم، ودور العرفاء والنقباء فى تثبيت نظام الولايات، ووضحت بعض المفاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين على رضى الله عنه، كتاكيده على العنصر الإنسانى، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس والمرءوس، ومكافحة الجمود، والرقابة الواعية، والضبط، والمشاركة

في صنع القرار، وحسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومرافقة ذوي الخبرات، ومفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس الروابط الشخصية، ثم انتقلت إلى المشاكل الداخلية في عهد عليّ رضي الله عنه، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدئًا بالأحداث التي سبقتها وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها، ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم، وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين عليّ، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعليّ رضي الله عنه، وعن موقف عليّ رضي الله عنه من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة مكرمة، وأشرت إلى فضائلها وشئ من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة رضي الله عنهما لكونهما من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين عليّ، ودافعت عنهما دفاعًا عن الحق لكونهما ظلما، فبينت فضلهما ومكانتهما في الإسلام، ورددت على الشبهات والأكاذيب التي ألصقت بهما من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهما الرفيعة، وأخلاقهما الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة، والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، والحديث عن ترجمة عائشة، أو طلحة والزبير، أو غيرهم من كبار الصحابة، والتي ساهمت في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزمًا في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، أصولاً وفروعًا.

قال الشاعر أبو محمد القحطانى:

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وبعابد الرحمن

وأبى عبيدة ذى الديانة والتقى ... وامدح جماعة بيعة الرضوان

قل خير قول فى صحابة أحمد ... وامدح جميع الآل والنسوان

دع ما جرى بين الصحابة فى الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما فى الحشر مرحومان

والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوى صدورهم من الأضغان

لا تركنن إلى الروافض إنهم ... شتموا الصحابة دون ما برهان

لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد ... وودادهم فرض على الإنسان

حب الصحابة والقرابة سنة ... ألقى بها ربى إذا أحيانى

وقال أيضًا:

إن الرافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جان

مدحوا النبى وخونوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان

حبوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقصان

فكأنما آل النبى وصحبه ... روح يضم جميعَها جسدان

فئتان عقدُهما شريعة أحمد ... بأبى وأمى ذانك الفئتان

فئتان سالكتان فى سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية رضى الله عنه فى عدم البيعة، والمراسلات التى تمت بينه وبين علىٍّ رضى الله عنه، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدد القتلى وترحم أمير المؤمنين على رضى الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبى موسى الأشعرى وعمرو

بن العاص رضى الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعة التى ألصقت بهما فى حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم فى فض النزاعات بين الدول الإسلامية. وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التى شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب الإمامة والسياسة المنسوب زوراً لابن قتيبة، وكتاب الأغانى للأصفهانى، وتاريخ اليعقوبى، والمسعودى وغيرهم من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين فى تحريف التاريخ الإسلامى وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض، وكيف أسسوا مدرسة معارضة ساهمت فى تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء فى تاريخنا مع المبالغة والتهويل تحت شعارات براقة، كالبحث العلمى النزيه، والواقعية، والموضوعية والحياد، وتبنى تلك الأفكار التدميرية مجموعة من أبناء المسلمين ينتمون للإسلام، لا يحسنون فهمه، ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا فى شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التى صنعها دينها العظيم.

هذا وقد قمت بدراسة موضوعية علمية فى الفصل الأخير عن الخوارج والشيعة الرافضة، فبينت نشأة الخوراج وعرفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التى تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين فى التعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم، ونشوب القتال معهم، وقصة ذى الثدية أو المخدج، وأثر مقتله على جيش علىٍّ رضى الله عنه، ووقفت مع الأحكام الفقهية التى اجتهد فيها أمير المؤمنين علىٌّ فى معاركه فى الجمل وصفين ومع الخوارج، وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوها فى كتبهم بما يعرف بأحكام فقه البغاة، وأشرت إلى أهم صفات الخوارج فى عهد أمير المؤمنين علىٍّ، كالغلو فى الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والطعن والتضليل، وسوء الظن، والشدة على المسلمين، وناقشت بعض الآراء الاعتقادية للخوارج، كتكفير صاحب الكبيرة، ورأيهم فى الإمامة، وطعنهم لبعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلى رضى الله عنهما، وتطرقت لأسباب انحراف الخوارج ونزعاتهم فى العصر الحديث، كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم فى ذم التقليد، وتخلى كثير من العلماء عن القيام بواجبهم، وشيوع الظلم

والتحاكم للقوانين الوضعية، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشرت إلى أهم مظاهر غلوهم، كالتشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين، والتعالم والغرور، والاستبداد بالرأى وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الآخرين، وتكفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فبينت معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض في اللغة والاصطلاح، وسبب تسميتهم بالرافضة، ونشأتهم ودور اليهود في ذلك، والمراحل التي مر بها الشيعة، وأهم عقائد الشيعة الرافضة، وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم، كعقيدة الإمامة وحكم من جحدها، والعصمة ومناقشة أدلتهم على العصمة وبيان بطلانها، وكذلك أدلتهم على النص من القرآن الكريم؛ كآية التطهير، والمباهلة، والولاية، وأدلتهم المزعومة من السنة، كخطبة غدير خم، وحديث: **«أنت منى بمنزلة هارون من موسى»**، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استدلوا بها على الإمامة، كحديث الطائر، وحديث الدار، وأنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، وألحقت بالكتاب فهرسًا للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين من الوقوع في حبائلهم، وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة، وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة، وجعلوا الإمامة أصل قبول الأعمال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلى بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والآخرة للإمام يتصرف فيهما كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثبات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة، وتفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل، وموقفهم من القرآن الكريم واعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم، وموقف الشيعة الرافضة من الصحابة الكرام والسنة النبوية المطهرة، ومفهوم التقية عند القوم، وعقيدة المهدى المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى، وقد بينت موقف أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله تعالى، والتزمت في

مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السب والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد عقائد الناس وابعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أن هناك رغبة صادقة مخلصة لتعريف الجمهور العريض من أهل السنة بحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضة، فالقضية لها وجودها وآثارها بين الشعوب في أفريقيا، وآسيا، وأوروبا والأمريكتين، ودعاة التشيع الرافضي نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيلها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشويه منهجه، وهذا ليس بجديد، وأهل السنة - إلا من رحم الله - في استرخاء عجيب، ونوم عميق وغفلة عما يراد بهم، وبعضهم يقول: إن الصراع السني الشيعي الرافضي قد عفا عليه الزمن، وهذا الكلام عار من الحقيقة، ودليل على الجهل، وفي طياته خداع لجمهور المسلمين العريض، باسم التقريب وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصحيح للتقريب هو أن يقوم علماء أهل السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ونسبتهم إلى سنة الرسول ﷺ التي حث على التمسك بها بقوله ﷺ: **«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليه بالنواجذ»**[1]، وحذر من مخالفتها بقوله: **«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[2]، وقوله: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا مسالك لم يكن عليها الرسول ﷺ، فأهل السنة ظهرت عقيدتهم بظهور بعثته ﷺ - وهي محفوظة بحفظ الله لها في كتابه وسنة رسوله ﷺ - وأهل الأهواء ولدت عقائدهم بعد زمنه ﷺ، ومنها ما كان في آخر عهد الصحابة، ومنها ما كان بعد ذلك، والرسول ﷺ أخبر أن من عاش من أصحابه سيدرك هذا التفرق والاختلاف فقال: **«وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً»**[3]، ثم أرشد إلى سلوك الصراط

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨).

(٢) مسلم في (٢/ ٥٩٢).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨).

المستقيم، وهو اتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين، وحذر من محدثات الأمور، وأخبر بأنها ضلال، وليس من المعقول ولا المقبول أن يُحجب حق وهدى عن الصحابة رضى الله عنهم، ويدخر لأناس يجيئون بعدهم، فإن تلك البدع المحدثة كلها شر، ولو كان فى شيء منها خير لسبق إليه الصحابة، لكن ابتُلى به كثير ممن جاء بعدهم ممن انحرفوا عما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم، وقد قال الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، ولذا فإن أهل السنة ينتسبون إلى السنة وغيرهم ينتسبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسماء أشخاص معينين.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم الإسلام الصحيح من خلال علماء أهل السنة، وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت، كأمير المؤمنين عليٍّ رضى الله عنه وأبنائه وأحفاده، كما أنه ينبغي التنويه، وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها فى نصيحة أقوامها، كالذى قام به السيد حسين الموسوى فى كتابه القيم: «لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار» وكالجهد العلمى الذى قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً فى كتابه «تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفيًا آثارهم الصحيحة وهديهم الجميل فى إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونحثهم على إعمال العقل، وتحريره من أغلاله، وإزاحة الركام الثقيل من الأباطيل التى على الفطرة حتى تأخذ العقول النيرة، والفطر السليمة مجالها فى الوصول للحقيقة التى لها نور ساطع وبريق لامع لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمى الهادىء فى مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم فى الحدود التى لا خلاف فيها، أو نجدتهم فى الملمات وأيام المصاعب، أو نصرهم إذا كانوا فى نزاع مع الكافر أو الظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل فى التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتى من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون فى السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد الأقوال الشاذة فى كل الأحوال، والحد المميز

بين الطائفتين؛ الأولى التى نترفق معها فى الكلام، والثانية التى نغلظ لها الكلام، إنما يكون كامناً فى مدى اعتماد القائل على نص شرعى تتكون منه شبهة، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له، فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ فى إنكار بدعته أوجب.

قال الشاعر:

واحذر مجادلة الرجال فإنها	تدعو إلى الشحناء والشنآن
وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد	بك مهرباً وتلاقت الصفان
فاجعل كتاب الله درعاً سابغاً	والشرع سيفك وابد فى الميدان
والسنة البيضاء دونك جُنة	واركب جواد العزم فى الجولان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى	فالصبر أوثق عدة الإنسان
واطعن برمح الحق كل معاند	لله در الفارس الطعان
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص	متجرداً لله غير جبان

كما ان علماء أهل السنة وأهل الحل والعقد منهم فى المجتمعات الطائفية لهم دور كبير فى قيادة المسلمين نحو الخير. فهم الذين يقدرون المواقف السياسية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الاخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذى تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسدة المندسة فى أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بها، والتى يجتهد دعاتها فى نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التى تؤمن لهم حياة كريمة فى ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم فى نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسلمون على حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعون بها، وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامى محصناً ضد هذه الطائفة.

إن الدارس لحركة التاريخ الإسلامى، كمرحلة الحروب الصليبية فى عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين فى عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، والمرابطين، فى

عصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة منها: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، ووجود القيادة الربانية التي تنظر بنور الله، وقدرتها على التعامل مع سنن الله في تربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومعرفة علل المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومخططات الأعداء، من الصليبيين واليهود والملاحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعي في التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهضوية البعيدة المدى متداخلة متشابكة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وارتبط بالفقه الراشدى المحفوظ عن سلفنا العظيم، فعلم معالمه وخصائصه وأسباب وجوده وعوامل زواله، واستفاد من التاريخ الإسلامى وتجارب النهوض، فأيقن أن هذه الأمة ما فقدت الصدارة قط وهى وفية لربها ونبيها ﷺ، وعلم أن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والثقافة الصحيحة تبنى الإنسان المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، وعبقرية البناء الحضارى الصحيح هى التى أبقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا - بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين، وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، وإنما فى الشعور بتوفيق الله والأمل فى رضاه. إننى فى دراستى لعهد الخلافة الراشدة حاولت أن أنتقى الكلمات وأصف الأسطر والجمل لتجلية عهد الخلافة الراشدة، من خلال الروايات الصحيحة، لكى يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة، العلم الغزير والفقه الدقيق، وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك فى هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ آثارهم وسيقيلون العالم الإسلامى من عثرته وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجردون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة فى نصرته، وتعصبوا له، ودافعوا عنه، ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير. فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبى ﷺ، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩، ١٠] وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا ولكنهم غدا أعلام شامخة فى رُبى الخلد. إن العواصف

العاتية تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا فى ميدان العلم والأدب والسياسة وتريد تشويه تاريخنا فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالاً على تراخى العصور؟ فهل يمكننا أن نستلهم من الدروس والعبر من تاريخنا، ما يخزى أعداء الله ويرد كيدهم فى نحورهم، وما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

إن الإنسانية تترنح فى هذه الآونة الكالحة من التاريخ لبعدها عن منهج الله تعالى، والدواء عند المسلمين وحدهم، فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الآخرين؟

قال الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكى السرائر، وتبنى الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه، وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر أصحابه الكرام رضى الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة موصولة فى دعم رسالة الحبيب ﷺ التى استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التى تعاملت معها، لابد الاعتراف بأن هذا الجهد، لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم، ممن ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أبحر فى هذا البحر العميق، ولذلك أقرر بأننى استفدت من الرسائل العلمية التى طبعت والتى لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثة، والتاريخية وغيرها مع محاولة التطوير والاستفادة من جهود الآخرين فى البناء، وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمرى الذى أشرف وناقش الكثير من هذه الرسائل فى هذا المجال، فقد استفدت من كتبه، كالسيرة النبوية الصحيحة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن الرسائل التى أشرف عليها، كرسالة الدكتور يحيى اليحيى، «الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البارى جمعًا وتوثيقًا»، ورسالة الأستاذ عبد العزيز المقبل فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه من خلال كتب السنة والتاريخ دراسة نقدية للروايات باستثناء حروب الردة، ورسالة الدكتور عبد العزيز بن محمد الفريح فى تحقيق كتاب «محض الصواب فى فضائل أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب » ليوسف بن الحسن بن عبد الهادى الدمشقى الصالحى الحنبلى، ورسالة الدكتور محمد بن عبدالله الغبان فى فتنة مقتل عثمان بن عفان، ورسالة عبد الحميد على ناصر فى خلافة على بن أبى طالب، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التى أشرف عليها أساتذة آخرون، كرسالة د. محمد أمحزون فى تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الطبرى والمحدثين، ورسالة سليمان العودة، عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام، ورسالة الأستاذة أسماء محمد أحمد زيادة، دور المرأة السياسى فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله سبحانه وتعالى ثم لأساتذتى وإخوانى الذين مهدوا لى الطريق، فلهم منى الدعاء فى ظهر الغيب بأن يتقبل الله جهودهم وتكون فى ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما المصادر التى فى هذه الدراسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فقد بدأت:

١- كتب الحديث:

وقد بدأت بالكتب الستة. صحيحى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة، ثم موطأ مالك ومسند أحمد، فبذلت جهداً لاستخراج المادة التاريخية، التى لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف عبد الرزاق وابن أبى شيبة ومستدرك الحاكم والسنن الكبرى للبيهقى وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدى والطيالسى وسنن الترمذى، ومجمع الزوائد وكشف الأستار عن زوائد البزار وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ولم أغفل المعجم الكبير للطبرانى وسنن الدارقطنى واستفدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث فى الحكم على الروايات.

٢- كتب شروح الحديث:

وأهمها فتح البارى لابن حجر، وشرح النووى على صحيح مسلم ففيهما مادة تاريخية لا يستهان بها، كما أن تعليقات ابن حجر والنووى على بعض الأحداث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

٣- كتب التفسير:

وأهم هذه الكتب، تفسير الطبرى، والقرطبى، وابن كثير، وأهتم بتعليقاتهم أكثر من الروايات التى نقلوها حيث إن معظمها ذكر فى كتب الحديث والتاريخ.

٤- كتب العقائد:

وأهم هذه الكتب، منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، وهذا الكتاب استفدت منه فائدة عظيمة، وشرح الطحاوية، والإبانة فى أصول الديانة، والاعتقاد للبيهقى، والشريعة للآجرى وغيرها من كتب العقائد، حيث نقلت منها أقوال السلف فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، ومكانة الصحابة رضى الله عنهم.

٥- كتب الفقه:

وأهمها المغنى لابن قدامة، والمجموع للنووى، وبداية المجتهد لابن رشد وغيرها من كتب الفقه، حيث استفدت منها فى المسائل الفقهية والقضائية التى اجتهد فيها الخلفاء الراشدون.

٦- كتب الأدب:

حيث استخرجت منها بعض الأبيات المنسوبة للخلفاء الراشدين أو تمثلوا بها، أو استمعوا إليها ولكون كتب الأدب ليس لها أسانيد وفيها الغث والسمين، لذلك كان اختيارى للأبيات الشعرية التى تنسجم مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأخلاق ذلك الجيل الفريد، ومن أهم هذه الكتب، عيون الأخبار لابن قتيبة، والأدب الإسلامى فى عهد النبوة، نايف معروف.

٧- كتب الزهد والرقائق:

واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين فى هذا العلم ومن أهم هذه الكتب، عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ومدارج السالكين لابن القيم ومختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسى، وغيرها من الكتب.

٨- كتب الفرق والمذاهب:

وأهم هذه الكتب، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لأبى محمد بن حزم الظاهرى، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، د. ناصر القفارى.

٩- كتب فى أنظمة الحكم:

وأهم هذه الكتب، نظام الحكومة الإسلامية للكتانى: المسمى التراتيب الإدارية، ونظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، لظافر القاسمى.

١٠- كتب فى التراجم:

وأهم هذه الكتب، سير أعلام النبلاء للذهبى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لعبد الحى الحنبلى، أسد الغابة، لابن الأثير، سير السلف لأبى القاسم الأصفهانى.

١١- كتب فى الجرح والتعديل:

وأهم هذه الكتب، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للحافظ المزى، والجرح والتعديل، لابن أبى حاتم، الثقات لابن حبان، الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى.

١٢- كتب التاريخ:

وأهمها تاريخ الطبرى، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة بأسانيدها، وفيما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية والأحداث التى تتعلق بالصحابة، لابد من خضوع الروايات للجرح والتعديل وبيان الروايات الشيعية الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استفدت فى هذا الشأن من كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى، لخالد الغيث، ومرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، للدكتور يحيى إبراهيم اليحيى، وأثر التشيع على الروايات التاريخية د. عبد العزيز نور ولى، ومن أهم هذه الكتب، البداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية.

هذه أهم المصادر التى رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثة المتنوعة.

هذا وقد تشددت فى تصحيح الروايات أو الحكم عليها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة رضى الله عنهم، وفى هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين فى هذا العلم، فالفضل لله ثم لهم، واجتهدت فى تصوير الحدث التاريخى من الروايات الصحيحة فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروايات الضعيفة، فقد أفدت منها فى إكمال الصورة التى لا تسدها الروايات الصحيحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن فيما لا يتعلق بعقيدة أو شريعة، ودخلت فى مناقشات لشبهات وافتراءات الرافضة والمستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدى والرد على الشبهات، خصوصاً فى عهد عثمان وعلى رضى الله عنهما، وقد جدّت أفكار كثيرة من بعض الإخوة الأعزاء حول دراسة

عهد الخلافة الراشدة، والعزم ماض بإذن الله على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الزاهر ونسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت خامس الخلفاء الراشدين، الحسن بن على بن أبى طالب بدراسة خاصة نظراً لأهمية اجتهاداته فى فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه، وما تعرض له أثناء اتخاذه الخطوات التنفيذية لتلك الرؤية من عوائق ومصائب، وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحى وعزم على التنفيذ كان سبباً فى توحيد الأمة وتحقيق نبوءة النبى ﷺ فى قوله: **«ابنى هذا سيدٌ ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**[1] وبتنازل الحسن بن على عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهى بذلك فترة خلافة النبوة وهى ثلاثون سنة والحجة فى ذلك قول رسول الله ﷺ : **«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك، أو ملكه من يشاء»**[2]، وقوله ﷺ : **«الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»**[3]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً.[4] وبذلك يكون الحسن بن على رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين، وبإذن الله تعالى سوف يكون مع كتاب الحسن بن على خلاصات مهمة فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدة من معالمها وخصائصها، وأسباب زوالها، ونظام حكمها وصفات جيلها، وقادتها ودستورها، وإدارة الأزمات فيها، واستنباط قوانين وسنن للنهوض، ومكانة المرأة فى العهد الراشدى، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

هذا وقد حرصت على تناول شخصية أمير المؤمنين علىٍّ من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة فى تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وأقوالهم

---

(١) البخارى رقم ٣٧٤٦.

(٢) صحيح سنن أبى داود (٣/ ٨٧٩) للألبانى.

(٣) سنن الترمذى مع شرح الأحوذى (٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧) قال الترمذى: هذا حديث حسن.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

وأفعالهم فى هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه فى التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع القرآن الكريم ونهتدى بهديه ونقتدى برسول الله ﷺ، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده فى نجاح العبد فى الدارين، وأثر هذه المعانى فى حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضارى المنشود، فلذلك اجتهدت فى دراسة شخصيته وعصره حسب وسعى وطاقتى، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول فى المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملى لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبنى على كل حرف كتبته ويجعله فى ميزان حسناتى، وأن يثيب إخوانى الذين أعانونى بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

على محمد الصَّلاَّبِى

الإخوة القراء الكرام يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر، ويطلب من إخوانه الدعاء فى ظهر الغيب بالإخلاص والصواب ومواصلة المسيرة فى خدمة تاريخ أمتنا.

الفصل الأول
على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة

المبحث الأول
اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته

أولا: اسمه وكنيته ولقبه:

١- اسمه ونسبه: هو على بن أبى طالب (عبد مناف)[١] بن عبد المطلب، يقال له شيبة الحمد[٢] بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣]، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبى ﷺ، وكان اسم علىّ عند مولده أسد، سمته بذلك أمه رضى الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة[٤] كليث غابات كريه المنظرة[٥]

وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًا[٦].

٢- كنيته: أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويكنى أيضًا بأبى تراب، كنية كناه بها النبى ﷺ وكان يفرح إذا نودى بها، وسبب ذلك أن الرسول ﷺ جاء بيت فاطمة رضى الله عنها فلم يجد عليًا فى البيت، فقال: أين ابن عمك؟

---

(١) أبو طالب اسمه عبد مناف.

(٢) عبد المطلب اسمه شيبة الحمد، الاستيعاب (٣/ ١٠٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ١٩)، صفة الصفوة (١/ ٣٠٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٣)، الإصابة (١/ ٥٠٧)، الاستيعاب (١/ ١٠٨٩)، المنتظم (٥/ ٦٦)، المعجم الكبير للطبرانى (١/ ٥٠).

(٤) حيدرة: من أسماء الأسد.

(٥) الرياض النضرة فى مناقب العشرة: ص (٦١٧).

(٦) غريب الحديث للخطابى (٢/ ١٧٠)، خلافة علىّ بن أبى طالب، عبد الحميد بن على ناصر فقيهى ص (١٨).

قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل[1] عندي، فقال ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداءه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: **قم أبا تراب**[2]، ومن رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي[3]، ومن كناه: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمي[4]، وأبو السبطين[5].

٣- **لقبه**: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[6].

ثانيًا: مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة [7]، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين[8]، ورجح ابن حجر قوله[9]، وذكر الباقر محمد بن علي قولين: الأول: كالذي ذكره ابن اسحاق، ورجحه ابن حجر، وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين[10]، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين[11]، وقد ملت إلى قول ابن حجر وابن إسحاق فيكون مولده على التحقيق قبل البعثة بعشر سنين[12]، وذكر الفاكهي[13]، أن عليًا أول من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت أن عليًا ولد في جوف الكعبة[14].

---

(١) من قال يقيل فالقيلولة: الظهيرة وتكون بمعنى النوم في الظهيرة، اللسان (١١/ ٥٧٧).

(٢) مسلم في صحيحه رقم ٢٤٠٩.

(٣) البخاري في صحيحه رقم (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣).

(٥) أسد الغابة (٤/ ١٦)، والسبطان: الحسن والحسين.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي: ص (٣٧٦)، البداية والنهاية (٧/٢٢٣)، خلاصة تهذيب الكمال (١٢ ٢٥٠).

(٧) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٤) رقم ١٦٣ بسند مرسل.

(٨) السيرة النبوية (١/ ٢٦٢) دون إسناد.

(٩) الإصابة (٢/ ٥٠١) ترجمة عليّ.

(١٠) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٣) رقم ١٦٥ إسناده حسن.

(١١) المصدر السابق (١/ ٥٣) رقم ١٦٦ إسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسلها.

(١٢) فتح الباري (٧/ ١٧٤)، والإصابة (٢/ ٥٠٧).

(١٣) صاحب أخبار مكة، حقق الكتاب عبد الملك بن دهيش.

(١٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٣) دون إسناد.

ثالثاً: الأسرة وأثرها في الأعقاب:

لقد دل علم التشريح وهو دراسة التركيب الجسدى، وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات فى أخلاق الأجيال وصلاحيتها ومواهبها، وطاقاتها، إلى حد معين، فى أكثر الأحوال، وذلك عن ثلاث طرق:

(أ) القيم والمثل التى مازال آباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنون بها أشد الإيمان ويحافظون عليها، أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة؛ ويتنبلون لها ويمجدون، ويعتبرون من جار عليها من أبناء الأسرة، أو خالفها وحاد عنها شارداً غريباً، ويرون فى ذلك غضاضة، وسقوط همة وقلة مروءة، وعقوقاً للآباء وإساءة إليهم لا تغتفر فى قوانين هذه الأسرة العرفية المتوارثة.

(ب) حكايات الآباء وعظماء الأسرة فى البطولة والفتوة والفروسية، والشهامة، والأنفة والإباء، والجود والسخاء، وحماية المظلومين والضعفاء، تتناقلها الأجيال وتتباهى بها، وذلك من سن مبكرة، ومن أيام الصبا إلى سن الشباب والكهولة، فتؤثر فى تكوين عقليتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظة والرجولة، والبر بالآباء، وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

(جـ) تأثير الدم الموروث فى أعضاء الأسرة كابراً عن كابر، فى أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، وذلك ما أيده علم السلالات[1]، وهذا ليس على إطلاقه، وقاعدة مطردة، لا تقبل استثناء، ولا شذوذاً كالسنن الإلهية التى قال الله عنها ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣]، وإلى ذلك أشار النبى ﷺ فى قوله: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا**»[2]، وقوله ﷺ: «**من بطؤ به عمله لم يسرع به نسبه**»[3]، وليس فى ذلك من تقديس الدم الموروث الدائم، وتركيز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية فى أسرة

---

(١) المرتضى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لأبى الحسن الندوى ص١٩ - ٢٠.

(٢) مسند أحمد (٢ / ٥٣٩) إسناده صحيح.

(٣) مسلم - ك الذكر والدعاء والتوبة.

معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينيًا وروحيًا وعلميًا بشكل دائم، وهو الذى عانى منه العالم القديم – قبل الإسلام – فسادًا اجتماعيًا وخلقيًا جارفًا، واستبدادًا فظيعًا، واستغلالاً ماديًا شنيعًا، تزخر به كتب التاريخ وشهادات المؤرخين للإمبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقى والهندى[1]، وغيرها من الجاهليات، ولذلك يحسن بنا أن نشير إلى وضع الأسرة والسلالة – اللتين ولد ونشأ فيهما أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه – العرقى والاجتماعى، وما كانتا تمتازان به من خصائص وأعراف، وتقاليد وتراث خلقى ونفسى، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرون لهما بالفضل، ونبدأ فى ذلك بقريش، ثم ببنى هاشم[2].

١- **قبيلة قريش**: أقر العرب كلهم بعلو نسب قريش، وسيادتها، وفصاحة لغتها، ونصاعة بيانها، وكرم أخلاقها وشجاعتها وفتوتها، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشًا ولا جدالاً[3]، وكانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهم أدب، وكانوا يحبون أولادهم، ويحجون البيت ويقيمون المناسك، ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتبرءون من الهرابذة[4]، ويتباعدون فى المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت، غيرة وبعدًا من المجوسية، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثًا[5]، وما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أى قبيلة شاءوا، ولا شرط عليهم فى ذلك، ولا يزوجون أحدًا حتى يشترطوا عليه، أن يكون متحمسًا[6] على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم، حتى يدان إليهم وينقاد[7].

---

(١) المرتضى للندوى: ص (٢٠).

(٢) فيما يتعلق بخصائص ومزايا العرب ينظر إلى السيرة النبوية للندوى.

(٣) السيرة النبوية للندوى: ص (٧٤).

(٤) الهرابذة: قوام بيت النار، فارسى معرب وقيل: عظماء الهند او علماؤهم.

(٥) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣) للالوسى.

(٦) متحمسًا: التحمس التشدد فى الدين.

(٧) المرتضى للندوى: ص (٢٢)، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣).

٢- بنو هاشم:

أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد فى قريش، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم – وهو قليل من كثير جداً – استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال فى كل شئ، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق، وعلو الهمة، والعطف على الضيف والمظلوم، والسخاء، والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفروسية) عند العرب من معان كريمة وخلال حميدة، والسيرة التى تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ، تتفق ويتفق مع ما كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا فى زمن الفترة، وسايروا أبناء قومهم فى عقائد الجاهلية، وعباداتها[١] ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة فى مجتمعهم إلا بالتضحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

٣- عبد المطلب بن هاشم:

جد الرسول ﷺ وعليّ بن أبى طالب رضى الله عنه: ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة[٢]، بعد عمه المطلب، فأقامهما للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف فى قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم[٣].

ولم يكن عبد المطلب أغنى رجل فى قريش، ولم يكن سيد، مكة الوحيد المطاع، كما كان قُصى؛ إذ كان فى مكة رجال كانوا أكثر منه مالا وسلطانًا، إنما كان وجيه قومه، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، وبئر زمزم؛ فهي وجاهة ذات صلة بالبيت[٤]، ويتجلى إيمان عبد المطلب بأن لهذا البيت مكانة عند الله، وأنه حاميه ومانعه، وتتجلى نفسية سيد قريش السامية، وشخصيته القوية الشامخة فى حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضى على مكانته، وقد أصاب لعبد المطلب مائتى بعير، فاستأذن له عليه، وقد أعظمه أبرهة ونزل له عن سريره فأجلسه معه، وسأله عن حاجته، فقال: حاجتى أن يرد عليَّ الملك مائتى بعير أصابها لى. فلما قال له ذلك زهد فيه الملك وتفادته عينه، وقال: أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، وتترك

(١) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب للألوسى (١ / ٢٤٣).

(٢) الرفادة إطعام الحجاج فى أيام الموسم حتى يتفرقوا.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ١٤٢).

(٤) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على (٤ / ٧٨) المرتضى: ص (٢٢).

بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟! قال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه، قال: ما كان يمتنع مني، قال: أنت وذاك[١]، وقد كان ما قاله عبد المطلب، فحمى رب البيت بيته، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ٣ - ٥].

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور[٢]، ومات عبد المطلب بعد أن جاوز الثمانين، وعمر الرسول ثماني سنين، ومعنى ذلك أنه توفي حوالي سنة ٥٧٨ للميلاد[٣]، وذكر أنه لم تقم بمكة سوق أيامًا كثيرة لوفاة عبد المطلب[٤].

٤- أبو طالب والد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

أبو طالب لا مال له، كان يحب ابن أخيه حبًا شديدًا، فإذا خرج خرج معه، فقد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده، فكان إليه ومعه[٥]، وعندما أعلن رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله وصدع بها وقف أبو طالب بجانب رسول الله ﷺ وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا، وإن المرء ليسمع عجبًا ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ﷺ، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم، وبني المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، دفاعًا لرسول الله ﷺ، مسلمهم ومشركهم على السواء[٦]، وأجاز ابن أخيه محمدًا ﷺ إجازة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام، ولما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره[٧] فقال:

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩) المرتضى: ص (٢٣).

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ٣٢٤).

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ٧٨).

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٧٨).

(٥) المرتضى: ص (٢٤)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧٩).

(٦) فقه السيرة النبوية للغضبان: ص (١٨٤).

(٧) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلّابيّ (١/ ١٥٨).

إذا اجتمعت يومًا قريش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يومًا فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديمًا لا نقر ظلامة	إذا ما ثنوا صُعْر الخدود نقيمها

ولما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم فى ذلك من شعره، أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشئ أبداً حتى يهلك دونه فقال:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قومًا علينا أظنة	يعضون غيظًا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة	وأبيض غضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى	وأمسكت من أثوابه بالوصائل

وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التى فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمداً ولو سالت الدماء أنهاراً، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كذبتم وبيت الله نُبْزى[1] محمداً	ولما نطاعن دونه ونناضل
ونُسلمه[2] حتى نصرع حوله	ونذهل عن أبنائنا والحلائل[3]
وينهض قوم فى الحديد إليكم	نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل[4]

---

(١) نُبْزى: أى نسلمه ونغلب.

(٢) أى كذبتم أن نسلمه قبل أن نصرع حوله.

(٣) الحلائل: الزوجات

(٤) الصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.

واستمر أبو طالب فى مناصرة ابن أخيه واستطاع أن يغزو المجتمع القرشى بقصائده الضخمة التى هزت كيانه هزًا، ولما تغلغل الإسلام فى قلوب أبناء بعض القبائل، اجتمعت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة، وتواثقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه[1]، وذلك فى محرم سنة سبع من النبوة ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شئ إلا سرًا، ثم كان ماكان من أكل الأرضة للصحيفة، وإخبار النبى ﷺ أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها[2]، ومات أبو طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم أبو طالب[3]، وهو العام الذى ماتت فيه خديجة زوج النبى ﷺ، وتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وسمى هذا العام بعام الحزن[4].

٥- أم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه:

هى الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى الهاشمية[5]، وهى أول هاشمية ولدت هاشميًا[6]، وقد حظيت برعاية النبى ﷺ حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكان له أما بعد أمه تقوم على شئونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته فى كنفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذت المكانة العليا فى ساحة الفضيلة، وكانت رضى الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة فى معاملة الزهراء رضى الله عنها، إذ كانت تقوم بمساعدتها برًا بها وبوالدها ﷺ، وروى عن أمير المؤمنين على رضى الله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٧٣ - ٣٧٧)، المرتضى: ص (٢٦)، وقد فصلت ذلك فى كتابى السيرة النبوية.

(٣) بلوغ الأرب (١/ ٣٢٤).

(٤) السيرة لابن هشام (١/ ٤٥، ٤٦) المرتضى: ص (٢٦).

(٥) نسب قريش: ص (٤٠) فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).

(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).

عنه أنه قال: قلت لأمي: أكفي فاطمة بنت رسول الله سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك هي الطحن والعجن[1]، كما أن صلتها بالنبي ﷺ أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبي ﷺ مجموعة من الأحاديث وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله، ويخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة: أن عليًا رضي الله عنه قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ حلة إستبرق فقال: **اجعلها خُمُرًا بين الفواطم**[2] فشققتها أربعة أخمرة، خماراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخماراً لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وخماراً لفاطمة بنت حمزة رضي الله عنها، ولم يذكر الرابعة[3].

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركًا في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى ﷺ[4]، وأما ما روى عن أنس في دفنها فهو واهٍ ضعيف شُديد الضعف ولا يتقوى من طرقه الآخرى التي جاءت لأنها كلها ضعيفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم عليّ رضي الله عنها دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: **رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمين، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: **الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بن أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي. فإنك أرحم الراحمين** وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[5].

---

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦) رجال السند رجال الصحيح.

(٢) سنن ابن ماجة، ك اللباس رقم ٣٥٩٦.

(٣) الإصابة (٨/ ٢٧) رقم ١١٥٣.

(٤) أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أحمد السيد: ص (٢٤).

(٥) السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٣٢) رقم ٢٣.

وقد احتج من احتج[1] بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات، وقد قام الأستاذ أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسى فى رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث وبين ضعفها وبطلانها[2]، ووضح أن الحديث قد روى من خمسة طرق، ثلاثة موصولة، ومرسلان، فلم تخل واحدة منها من عدة علل فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا فى طريقة واحدة، وهى طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض ولا يزيدها إلا وهنًا وضعفًا، وأما من ناحية المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

– إن فى هذا الحديث مبالغة وإطراء وتجاوزاً للمألوف فى ذلك العهد النبوى.

– هذا الحديث يخالف هديه وسنته فى غسل جنازة المرأة، وذلك فى أمور منها:

– سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا فى هذه القصة، وأما الذى ورد فى غسل بنته زينب أنه أمرهن بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخارى ومسلم عن محمد بن سيرين عن أم عطية قالت: دخل علينا النبى ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن فى الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فاذننى**، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوة فقال: **أشعرنها إياه**»، ولم يزد على ذلك[3].

– إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا فى هذا الحديث الضعيف، مخالفًا هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء.

– ثم لفظ الدعاء الذى بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن أسلوبه المعهود فى الدعوات المأثورات «اللهم أنت....» ولم نر فى غير هذا الدعاء «الله الذى....».

– ومما يدل على ضعفه أن الراوى اعترف بأن النبى ﷺ لم يفعل هذه الأفعال إلا فى هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيهات[4].

---

(١) السمهودى فى وفاء الوفاء (٤/١٣٧٣)، الكوثرى فى محق التقول: ص (٣٧٩ – ٣٩١) والبوطى فى السلفية مرحلة، ١٥٥ العلوى فى مفاهيم: ص (٦٥)، نقلاً عن الدعاء ومنزلته من العقيدة، جيلان بن خضر.

(٢) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: ص (٧٩٤ – ٧٩٨).

(٣) المصدر نفسه: ص (٧٩٩).

(٤) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: ص (٧٩٤ – ٧٩٨).

٦- إخوة عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان لأبي طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكنّى به، وعقيل، وجعفر، وعلي، وبنتان هما أم هانئ، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلي، فكان جعفر أكبر من علي بعشر سنوات(١)، وهذه نبذة مختصرة عن إخوة علي رضي الله عنه.

(أ) طالب بن أبي طالب: هلك طالب مشركًا بعد غزوة بدر، وقيل إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محبًا لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح، وكان خرج إلى بدر كرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يا بني هاشم لقد عرفنا - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعرًا وقصيدة ثناء على النبي ﷺ وبكى فيها أصحاب قليب بدر(٢).

(ب) عقيل بن أبي طالب: فكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر ففداه عمه العباس، وقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحُنين، لأنه كان مريضًا، أشار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسن بن علي أن عقيلا كان ممن ثبت يوم حنين ومات في خلافة معاوية، وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة(٣)، وعمره ست وتسعون سنة(٤).

(جـ) جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمونه، يحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية.. عرض وقائع وتحليل أحداث - واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر(٥).

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، المرتضى: ص (٢٦).

(٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضى للندوي: ص (٢٣).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).

(٤) المرتضى للندوي: ص (٢٤).

(٥) المرتضى: ص (٢٥).

(د) **أم هانىء بنت أبى طالب**: ابنة عم النبى ﷺ، قيل اسمها فاختة، وقيل اسمها فاطمة وقيل هند، والأول أشهر، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومى، وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى، وفى فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بنى مخزوم، وقال لها رسول الله: أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وروت أم هانئ عن النبى ﷺ فى الكتب الستة وغيرها(١)، قال الترمذى وغيره: عاشت بعد على رضى الله عنه(٢).

(هـ) **جُمانة بنت أبى طالب**: هى أم عبد بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ذكرها ابن سعد فى ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها فى باب بنات عم النبى ﷺ، وقال: ولدت لأبى سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبى سفيان، وأطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقا(٣).

٧- أزواجه وأولاده:

وُلد له من فاطمة(٤) بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين (وسيأتى الحديث عنهما مفصلاً).. وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وولد له من خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة، محمد الأكبر (محمد الحنفية)، وولد له من ليلى بنت مسعود بن خالد من بنى تميم، عبيد الله وأبو بكر، وولد له من أم البنين بنت حزام(٥) بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبد الله، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون(٦)، وولد له من الصهباء(٧)، عمر الأكبر ورقية، وولد له من أمامة(٨) بنت العاص بن الربيع، محمد الأوسط، وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى، أم الحسن، ورملة الكبرى، وولد له من أمهات أولاد، محمد الأصغر، وأم هانئ، ميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة، وولد له من محياة

---

(١) المرتضى: ص (٢٧).

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة (٩/ ٣١٧، ٣١٨).

(٣) الإصابة (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠)، المرتضى: ص (٢٧).

(٤) هى أول زوجة تزوجها على بن أبى طالب ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

(٥)، (٦) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٢).

(٧) وهى أم حبيب بنت ربيعة بن بجير، من سبى عين التمر فى عهد الصديق.

(٨) وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ.

بنت امرئ القيس، ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد على رضى الله عنه غير هؤلاء[1]، وجميع ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة، وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية[2]، وسيأتى الحديث عن السيدة فاطمة وذريتها، الحسن والحسين، وأم كلثوم فى ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

٨- صفاته الخلقية:

يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت فى صفة على رضى الله عنه أنه كان ربعة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفين (عَتَدا)[3] أغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مُشاش كمشاش السبع الضارى، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت دمجًا، إذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرْوَل، ثبت الجنان، قويّ شجاع[4].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠).

(٢) الطبقات (٣/١٩، ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ - ٣٣٣) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، سليمان العيد: ص (٢٩، ٣٠، ٣١).

(٣) العتد : الشديد التام الخلق.

(٤) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٣/ ١١٢٣).

المبحث الثانى

إسلامه وأهم أعماله فى مكة قبل الهجرة

أولاً: إسلامه:

كان من نعمة الله عز وجل على عليّ بن أبى طالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه – وكان من أيسر بنى هاشم –: **يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله، آخذ من بيته واحداً وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه**، فقال العباس: نعم.. فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً رضى الله عنه فضمه إليه، فلم يزل على بن أبى طالب رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه عليّ، فاقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه(١).

ونلاحظ أن رسول الله ﷺ أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبى طالب الذى كفله بعد وفاة جده عبد المطلب، فكان هذا من أكبر نعم الله عز وجل على عليٌ رضى الله عنه، إذ رباه وأدبه الذى أدبه الله عز وجل، وحفظه وعصمه ورعاه، والذى كان خلقه القرآن، فانعكس هذا الخلق القرآنى على عليٌ رضى الله عنه، وكفى بتربية النبى ﷺ تربية لعليٌ رضى الله عنه، فقد نشأ فى بيت الإسلام وتعرف إلى أسراره فى مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى الدعوة حدود البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدون أزرها وينطلقون بها فى دنيا الناس، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، وقد اختلف العلماء فيمن آمن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبو بكر الصديق؟ أو على رضى الله عنهما؟ والذى أميل إليه من بين أقوال العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان على، ومن النساء خديجة، وهى أول من

---

(١) السيرة النبوية (١/ ٢٤٦) لابن هشام.

آمن على الإطلاق، ومن الموالي حارثة بن زيد رضوان الله عليهم[١]، وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلامًا.

ثانيًا: كيف أسلم علي؟

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: **«دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى»**، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: **«يا علي إذا لم تسلم فاكتم»**، فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم أن الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ، حتى جاءه فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسو ل الله ﷺ: **تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد**، ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث عليٌّ يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم على إسلامه ولم يظهر به[٢].

ثالثًا: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم أن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي تدين به، قال: **«أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم»**، أو كما قال ﷺ: **«بعثني رسولاً إلى العباد وأنت - أي عم - أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه»**، أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك[٣] بشئ تكرهه ما بقيت، ذكروا أنه قال

---

(١) البداية والنهاية (٣/٢٦-٢٨)، الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة، رضوان جامع ص (٢٣).

(٢) البداية والنهاية (٣/٤).

(٣) لا يخلص إليك: لا يصل إليك.

لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه(١).

رابعاً: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟

عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: (**اجلس**) **وصعد على منكبي**، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفاً، فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ قال: **اصعد على منكبي**، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليَّ إني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ «**اقذف به**»، فقذفت به فانكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس(٢)، وهذا الحديث إسناده ضعيف، وبالتالي لا يمكن أن يبنى عليه حكم كما زعم بعض الناس، ويبقى الأصل الثابت في الفترة المكية، في منع النبي ﷺ للصحابة لاستخدام القوة مع الخصوم أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله ﷺ بتطهير مكة في عام الفتح من الأوثان وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهدم وتطهير الجزيرة العربية، من مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

خامساً: هل دفن علي رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله؟

عن عليٍّ رضي الله عنه: أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات، فقال له النبي ﷺ: اذهب فواره، فقال: إنه مات مشركاً. فقال: اذهب فواره، قال: فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ، فقال لي: **اغتسل**(٣). وجاء في رواية: **اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئاً**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٤٦)، المرتضى: ص (٣٥).

(٢) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم ٦٤٤ إسناده ضعيف، وصحح الحاكم إسناده واستدرك عليه الذهبي فقال: إسناده ضعيف ومتنه منكر، وقد قام أحمد ميرين البلوشي في رسالته التي حقق فيها خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالحكم على رجال السند وحكم عليه بالضعف، خصائص علي بن أبي طالب: ص (١٣٥، ١٣٦)، وقدصحح الحديث أحمد شاكر (٢/ ٥٨).

(٣) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٧٥٩ إسناده ضعيف وفي الموسوعة تفصيل مفيد في الحكم على رجال السند.

حتى تأتيني قال: فاغتسلت ثم أتيته قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها، قال الراوى عبد الرحيم السلمي: وكان عليٌ رضى الله عنه إذا غسل ميتًا اغتسل(١).

سادسًا: الحس الأمني عند عليٍ رضى الله عنه ودوره في إيصال أبي ذر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ:

إن من معالم المرحلة المكية، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وقد قام على رضى الله عنه بدور عظيم في أخذ أبي ذر إلى مقر رسول الله ﷺ، فقد كان رضى الله عنه منكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف، ولما سمع بالنبي ﷺ قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه عليٌ رضى الله، فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شئ، ثم غادر صباحًا إلى المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى فرآه عليٌ فاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة، ثم سأله عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول ﷺ، فقال له عليٌ: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعه وقابل الرسول ﷺ، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبي ﷺ: **«ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري»**، فقال: والذى نفسى بيده لأصرخن بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول لله، فثار القوم حتى أضجعوه فأتى العباس بن عبد المطلب،فحذرهم من انتقام غفار والتعرض لتجارتهم، التي تمر بديارهم إلى الشام، فانقذه منهم(٢)، وكان أبو ذر قبل مجيئه قد أرسل أخاه، ليعلم له علم النبي ﷺ ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني(٣)، مما أردت، وعزم على

---

(١) الصحيح المسند في فضائل الصحابة: ص (١٨٨)، وقال مصطفى العدوى: حسن بمجموع طرقه، وجاء بشواهد للحديث.

(٢) صحيح البخارى (فتح البارى) (٧/ ١٧٣).

(٣) ما شفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضي وأزلت عني همي.

الذهاب بنفسه لرسول الله ﷺ، فقال أخوه له: كن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهموا[1].

ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:

١- التأني والتريث في الحصول على المعلومة، حيث يعرف أبو ذر رضي الله عنه كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول ﷺ، وهذا التأني تصرف أمني، تقتضيه حساسية الموقف، فلو سأله عنه لعلمت به قريش، وبالتالي قد يتعرض للأذى والطرد ويخسر الوصول إلى هدفه الذي من أجله ترك مضارب قومه وتحمل في سبيله مصاعب ومشاق السفر.

٢- الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة: حين سأل على رضى الله عنه أبا در رضى الله عنه عن أمره وسبب مجيئه إلى مكة، لم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام إمعانا في الحذر، فاشترط عليه قبل أن يخبره أن يكتم عنه، وفي الوقت ذاته يرشده، فهذا غاية في الاحتياط وتم ما أراده.

٣- التغطية الأمنية للتحرك: الاتفاق بين على وأبي ذر رضى الله عنهما على إشارة، أو حركة معينة، كأنه يصلح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى على رضى الله عنه من يترصدهما أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهم تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسير على مسافة من على فيعد هذا الموقف احتياطًا، وتحسبًا لكل طارئ قد يحدث أثناء الحركة.

٤- هذه الإشارات الأمنية العابرة تدل على تفوق الصحابة رضى الله عنهم في الجوانب الأمنية، وعلى مدى توافر الحس الأمني لديهم، وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومدروسة، فما أحوجنا لمثل هذا الحس الذى كان عند الصحابة، *بعد أن أصبح للأمن* في عصرنا أهمية بالغة في زوال واستمرار الدول والحضارات، وضعف وقوة الأمم والشعوب، والجماعات والمؤسسات والمنظمات، وأصبحت له مدارسه الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطورة، وأجهزته المستقلة، وميزانياته ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٢٣) رقمه ٢٤٧٣، صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي: ص (٨٣)، السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (١/ ١٤٥) شنفوا: أى أبغضوه.

المعلومات عامة، والمعلومات الأمنية تباع بأغلى الأثمان، ويضحى في سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالنواحي الأمنية حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا في متناول أيديهم[1].

سابعًا: علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة عليها وحضوره المفاوضات مع بني شيبان:

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس: حدثني علي بن أبي طالب، قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدمًا في كل خير، وكان رجلاً نسابة... إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غُرَر الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لسانًا وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبَتَيْه، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تُغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا مرة أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال مفروق، إلام تدعونا يا أخا قريش. فقال رسول الله ﷺ: **«أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»**، فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [الأنعام: ١٥١].

---

(١) دروس في الكتمان، محمود شيت خطاب: ص (٩)، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي (١/ ١٧١).

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له ولا آخر لذل في الرأى، وقلة نظر في العاقبة. إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى - وأسلم بعد ذلك -: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن، أحدهما اليمامة، والآخر السَّمامة، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما هذان الصريان»**، قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوى محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذى تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أسأتم في الرد، إذا أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه»**، فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك[1]، وهذا الحديث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها على بن أبى طالب رضى الله عنه منها:

١- تعلم على رضى الله عنه، أن النبى ﷺ رفض أن يعطى القوى المستعدة لتقديم نصرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هى دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه هما الغاية التى يسعى إليها من النصرة والتضحية وليس طمعًا في نفوذ أو رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التى يضعها الإنسان للشيء هى التى تكيف نشاط الإنسان في السعى إليه، فلابد إذن، من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أى مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أى انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥)، البيهقى دلائل النبوة، إسناده حسن ونقل عنه ابن كثير.

التضحيات في سبيلها[1]، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله ألا يشترط عليها منصبًا، أو عرضًا من أعراض الدنيا لأن هذه الدعوة لله والأمر لله يضعه حيث يشاء، والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتغاء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبها[2]، لذلك قال يحيى بن معاذ الرازي: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة[3].

٢- وتعلم على رضى الله عنه من رسول الله ﷺ أن صفة النصرة التي كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل أن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها وتهديدًا لمصالحها[4]، إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى، لو أراد القبض على رسول الله ﷺ وتسليمه، ولن يخوضوا حربًا ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله ﷺ واتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[5].

٣- إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، كان هذا الرد من النبي ﷺ على المثنى بن حارثة، حين عرض على النبي ﷺ حمايته على مياه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة ير بُعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامي[6].

٤- لمس على رضى الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا، وكيف تحملت قبيلة بني شيبان عبء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة - فيما بعد - من

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

(٢) وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلالي: ص (٧٢).

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٩٤).

(٤) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

(٥) التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان: ص (٥٣).

(٦) المصدر نفسه: ص (٦٤).

قادة فتح العراق في عهد الصديق رضي الله عنه، فقد أكسبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس.

هذه بعض المفاهيم والدروس والعبر التي استفادها علي رضي الله عنه من رسول الله عند مفاوضاته لزعماء بني شيبان.

ثامناً: تقديمه نفسه فداء للنبي ﷺ:

عندما اجتمعت قبيلة قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ والتخلص منه، أعلم الله نبيه ﷺ بذلك، وكان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله ﷺ والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يفرقون بينه وبين رسول الله ﷺ في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله[1] - تعالى - وقد أمره النبي ﷺ أن يقيم بمكة أياماً حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[2]، وقد جاء في رواية: أن رسول الله قال له: نم في فراشي، وتَسَجَّ ببردي هذا الخضري، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم[3]، وقال ابن حجر، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله يواري عنه، وباتت قريش تختلف، وتأتمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلي، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فر[4]، وعن ابن عباس: إن علياً قد شرى نفسه تلك الليلة حين لبس ثوب النبي، ثم نام مكانه[5]، وفي علي وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون رضوان الله والدار الآخرة نزل قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾** [البقرة: ٢٠٧]

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله للقحطاني: ص (٢٣٥).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص (١٦٦).

(٣) السيرة لابن هشام (٢/ ٩١)، فتح الباري (٧/ ٢٣٦).

(٤) فتح الباري (٧/ ٢٣٦).

(٥) فضائل الصحابة رقم ١١٦٨ إسناده حسن.

وفى هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:

١- إن خطة الهجرة كما رسمها رسول الله ﷺ كانت تتطلب أن يأخذ مكانه فى البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركى قريش، وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج رسول الله ﷺ، حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزوا منطقة الخطر(١).

٢- فى تلبية على رضى الله عنه لأمر النبى ﷺ مثال للجندى الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففى سلامة القائد سلامة الدعوة، وفى هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله على رضى الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ يعتبر تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس على رضى الله عنه، ولكن عليًا رضى الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبى الأمة، وقائد الدعوة(٢).

٣- فى إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذى كانوا واقعين فيه، ففى الوقت الذى كانوا يكذبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقًا، فكانوا لا يضعون حوائجهم، ولا أموالهم التى يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم فى صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذى جاء به، وخوفًا على زعامتهم وطغيانهم(٣)، وصدق الله العظيم: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٣].

٤- وفى أمر الرسول ﷺ لعلى - رضى الله عنه - بتأدية هذه الأمانات لأصحابها فى مكة، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التى كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان فى

---

(١) خلفاء الرسول: ص (٣٦)، العشرة المبشرون بالجنة محمد صالح.

(٢) السيرة النبوية للسباعى: ص (٣٤٥).

(٣) فقه السيرة للبوطى: ص (١٥٣).

أصعب الظروف التي تنسى الإنسان نفسه فضلاً عن غيره[1]، فقد أبى أن يخون من ائتمنه ولو كان عدوا يحرض عليه، ويؤذيه لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزه عنها المؤمنون[2].

٥- هذا الحديث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة على رضى الله عنه، فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم، فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبتوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج فى الصباح من غير أن يتبينوا من هو، والقوم يتربصون به طول الليل يترقبون هذه اللحظة وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ، فاصبحوا غير قادرين على التأكد من شخصية الخارج من الدار، أهو محمد ﷺ أم هو رجل آخر؟ لابد أن ذلك كله قد دار فى عقل على لكنه بادر وسعد بالتنفيذ فهو أولاً: يحب الله ورسوله حبًا ملك عليه قلبه فجعل سلامة رسول الله ﷺ هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته، ثانيًا: هى عملية لابد منها لكى يخرج الرسول سالمًا من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسلام فى كل مكان، فالأمر إذن يتعلق بمصلحة الإسلام أولاً وثانيًا، وقد نام على رضى الله عنه فى فراش رسول الله ﷺ مع كل هذه التوقعات وهذا دليل على عمق إيمانه بقضاء الله وقدره، فهو بحق مؤمن بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. وإننا لنلمح فى اختيار رسول الله لعلى ليقوم بهذا الدور الخطير - ثقة تامة لا تعدلها ثقة، واطمئنانا إلى قدرات خاصة امتاز بها على قد لا تتوافر فى غيره، فإنه لا يتردد حين دعاه الرسول لينام على فراشه، وهو يعلم أنه ليس وراء ذلك إلا الموت الذى أعد له المشركون أشجع فتيان قريش ولم يسمح لنفسه أن يفكر فى العاقبة لأنه يعلم أنه حين يكون فداء لرسول الله ينال بذلك شرفًا لا يناله بغير هذا الطريق[3].

تاسعاً: هجرته:

لما أصبح علي، رضي الله عنه، قام عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله ﷺ فقالوا لعلي: أين صاحبك؟ قال: لا أدرى، أو رقيبًا كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج

(١) الهجرة في القرآن الكريم: ص (٣٦٤).

(٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٤٢٣).

(٣) المصدر السابق نفسه: ص (٤٢٦).

فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليا وضربوه، وأخذوه إلى المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه[1]، وتحمل على ما نزل به في سبيل الله وكان فرحه بنجاة رسول الله أعظمْ عنده من كل أذى نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله ﷺ، وانطلق على في مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله من أجلها وردها إلى أصحابها، وظل يرد هذه الأمانات حتى برئت منها ذمة رسول الله ﷺ وهناك تاهب للخروج ليلحق برسول الله ﷺ بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة[2].

وكان علي في أثناء هجرته يكمن بالنهار فإذا جن عليه الليل سار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه[3]، وهكذا يكون على رضى الله عنه، قد لاقى في هجرته من الشدة، فلم تكن له راحلة يمتطيها، ولم يستطع السير في النهار لشدة حرارة الشمس وفي مشى الليل ما فيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة، ولو أضفنا إلى ذلك أنه – رضى الله عنه – قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه، لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر ابتغاء مرضاة الله عز وجل – وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله، ويستمتع بجواره آمنًا مطمئنًا في المدينة، ولم يكد عليّ يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله ﷺ[4]، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب – رضى الله عنه – تضحية وفداء وتحملاً وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا على مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئًا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه رضى الله عنه وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاستربت بشانه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا

---

(1) تاريخ الطبرى (٢/ ٣٧٤).

(2) المصدر السابق نفسه (٢/ ٣٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٥)، جولة تاريخية: ص (٤٢٤).

(3) الكامل (٢/ ١٠٦).

(4) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٢٩)، ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، جولة تاريخية: ص (٤٢٥).

أدرى ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، قد عرف إني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها فقال: احتطبي بهذا، فكان علي رضي الله يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق(١)، ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التي لابد للمسلم أن يتحلى بها ولا يكون غافلاً عما يدور حوله.

(١) محمد رسول الله، صادق عرجون (٢/ ٤٢١).

المبحث الثالث

معايشة أمير المؤمنين على للقرآن الكريم وأثرها عليه فى حياته

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوى الذى تربى عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه هو نفسه الذى خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربى سيد الخلق أجمعين محمداً ﷺ، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقى وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحى إليه المولى عز وجل من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولقد كانت للآيات الكريمة التى سمعها على من رسول الله مباشرة أثرها فى صياغة شخصيته الإسلامية، فقد طهرت قلبه، وزكت نفسه، ونورت عقله، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته[1].

فقد عرف على رضى الله عنه من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية الراشدة من هو الإله الذى يجب أن يعبده، وكان النبى ﷺ يغرس فى نفسه معانى تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربى أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة على رضى الله عنه إلى الله والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدى النبى ﷺ.

فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص موصوف بالكلمات التى لا تتناهى، فهو «واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً».

وأنه سبحانه خالق كل شئ ومالكه ومدبره: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأعراف: ٥٤].

---

(١) السيرة النبوية للصلأبى (١/١٤٥).

وأنه تعالى مصدر كل نعمة في هذا الوجود، دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

وأن علمه محيط بكل شئ، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا السماء، ولا ما يخفي الإنسان وما يعلن، وأنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في كتاب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

وأنه سبحانه يبتلي عباده بأمور تخالف ما يحبون وما يهوون ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهراً وباطنًا، فيكون جديراً بالخلافة والإمامة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوي شيئًا، ولا يُسند إليه شئ ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

وأنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وأنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئًا ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦].

وأنه وحده المستحق للعبادة وهذا حق الله على العباد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم[1].

وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩ – ١٢].

---

(١) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية: ص (١٠ – ١٦).

وأما هذه الحياة ـ مهما طالت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦، ٤٧]، فعرف الله تعالى الإنسان المسلم حقيقة الحياة، وأنها ليست دار كرامة، وأن الآخرة خير وأبقى، وهي تهدى من تمكن حب الله ورسوله من قلبه على أن يقدم رضا الله ورسوله على ما سواه، ولو كان الثمن الدنيا وما فيها. وقد عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين على عندما قال: «يا دنيا غُرّى غيرى إلىَّ تعرضت أم إلىّ تشوقت، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق(١)».

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها فأصبح حاله ممن قال الله فيهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له فى حياته عن أى انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة أمير المؤمنين على رضى الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، وسيتضح كثير من هذه المعالم فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر فى قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شئ ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، وأن الله قد كتب كل شئ كائن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، وأن الله خالق كل شئ ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ فى قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت فى حياته وسنراها بإذن الله تعالى فى هذا الكتاب، وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبنى الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة[١]، فقال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ - ٩]، وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما فى السماء والأرض، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه بإرسال الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل سبحانه للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضائه ويكون ذلك باتباع النبى ﷺ الذى دعا الناس إلى الإسلام لكى يحيوا حياة طيبة فى الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم فى الآخرة قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وعرف أمير المؤمنين على رضى الله حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العدو يأتى للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس منتصراً عليه فى حياته، كما سنرى فى سيرته، وتعلم من قصة آدم مع الشيطان فى القرآن الكريم، أن آدم هو أصل البشر، وأن جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع فى الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار فى حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر وتقديم مرضاة الله سبحانه وتعالى على كل ما سواه، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع إخوانه من الصحابة، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ

(١) أصول التربية للنحلاوى: ص (٣١).

الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]. وسار على منهج رسول الله فى تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

ثانيا: مكانة القرآن الكريم عنده:

عاش أمير المؤمنين على رضى الله عنه حياته مع القرآن تلاوة وحفظًا وفهمًا وعملاً، وكان يقول: «من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً[١]»، وكان يقول: «طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ[٢]»، وكان يقول: «ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الآواخر من سورة البقرة[٣]»، أى أهل القرآن، وقال يصف القرآن الكريم ويبين عظيم قدره: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم»[٤].

ولشدة اهتمام أمير المؤمنين على بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روى عنه أنه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربى وهب لى قلبًا عقولاً ولسانًا صادقًا ناطقًا[٥]»، وقد قال رضى الله عنه: «سلونى عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، فى سهل أم فى جبل[٦]»، ويرى ابن عبد البر أن عليًا رضى الله عنه كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله وهو حى[٧]، وقد قال فى آخر عهده: «سلونى قبل أن تفقدونى[٨]»،

---

(١) المستطرف (١/ ٢٩)، فرائد الكلام: ص (٣٧٥).

(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن: ص١٤٦، فرائد الكلام: ص (٣٩٠).

(٣) التبيان فى آداب حملة القرآن: ص(٢٦٦)، فرائد الكلام: ص (٣٨٧).

(٤) فضائل القرآن: لابن كثير: ص(١٥) موقوف على أمير المؤمنين علىّ.

(٥) الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٣٨)، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص(١٥٢).

(٦) الصواعق المحرقة (٢/٣٧٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨).

(٧) الاستيعاب (٣/ ١١٣٠)، وجمع القرآن الكريم أى حفظه عن ظهر قلب.

(٨) منهاج السنة (٨/ ٥٧، ٥٨).

وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان رضى الله عنه بالعراق، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف فى قوم كثر فيهم الجهل ولا يعرفون الكثير من أحكام الدين، فكان رضى الله عنه يحرص على تعليمهم وإرشادهم للحق، فقد كان أعلم أهل زمانه، وهذا نموذج للعالم الربانى الذى يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

ثالثًا: ما نزل فيه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت فى المجتمع النبوى الكريم، فيثنى على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من آخرين، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التى خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

١- منها قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ١٩، ٢٣]. روى البخارى بسنده عن على بن أبى طالب أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة»، وقال قيس بن عبادة فيهم نزلت: **﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾** قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلى وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(١).

٢- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وذلك فى وفد نجران حينما جادلهم النبى ﷺ فى عيسى بن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة، فأجابته، وكذبهم فى أنه الله وابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد بن أبى

---

(١) البخارى رقم ٣٩٦٥.

وقاص، قال: ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا رضى الله عنهم فقال: اللهم هؤلاء أهلى(١).

٣- موافقة القرآن له فى كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام:

ففى الصحيح، أن رجلاً قال: لا أبالى ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال على بن طالب: «الجهاد فى سبيل الله أفضل من هذا كله»، فقال عمر بن الخطاب «لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك، فسأله»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢]. فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج(٢).

٤- شفقته على أمة محمد ﷺ: عن على رضى الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]. قال النبى ﷺ لعلى مرهم أن يتصدقوا قال: يا رسول الله، بكم؟ قال: بدينار، قال: لا يطيقونه .قال: بنصف دينار. قال: لا يطيقونه، قال: فبكم؟ قال: بشعيرة(٣)، قال: فقال النبى ﷺ لعلى: إنك لزهيد، قال: فأنزل الله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة: ١٢]. قال: فكان على يقول: فبى خفف الله عن هذه الأمة(٤).

رابعًا: تبليغه تفسير رسول الله لبعض آيات القرآن الكريم:

استفاد على رضى الله عنه من تفسير رسول الله ﷺ وبلغ ما تعلم من رسول الله للناس وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

---

(١) مسلم (٤/ ١٨٧١) ٤٢٥، (١/ ١٧١).

(٢) الفتاوى (٨/ ١٦٦).

(٣) بشعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

(٤) رواه الترمذى رقم ٣٢٩٧ وقال: حسن غريب وضعفه الألبانى فى ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: ص (١٢٧، ١٢٨).

أ- قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. قال: شكركم أنكم تكذبون مطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا[١].

(ب) فكل ميسر لما خلق له:

عن علي - رضي الله عنه - قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد، من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، ألا وقد كتبت شقية أو سعيدة**»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: «**اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة**» ثم قرأ: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾** [الليل: ٥ - ١٠][٢]، وفي رواية: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة سيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة.[٣].

وفي رواية في الصحيحين عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: **ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**. فقالوا يا رسول الله، فلم نعمل، أولا نتكل؟ قال: **لا! اعملوا، فكل ميسر لما خلق له** ثم قرأ: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾**[٤] [الليل: ٥ - ١٠]. فقد أخبر النبي ﷺ في هذه الأحاديث وغيرها بما دل عليه القرآن الكريم من الله - سبحانه وتعالى - تقدم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم[٥]، ،قد بين النبي ﷺ أن ذلك

---

(١) مسند الموسوعة الحديثية رقم ٨٤ حسن لغيره.

(٢) البخاري رقم ١٣٦٢.

(٣) البخاري رقم ٦٦٠٥.

(٤) المصدر نفسه رقم ٦٦٠٥، الفتاوى (٨/ ١٦٥).

(٥) الفتاوى (٨/ ١٦٦).

لا ينافي وجود الأعمال التى بها تكون السعادة أو الشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذى يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذى أمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذى أجاب به النبى ﷺ وتعلمه على بن أبى طالب رضى الله عنه وأصحاب النبى فى غاية السداد والاستقامة(١).

خامساً: الأصول والأسس التى سار عليها أمير المؤمنين على فى استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن الكريم يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية إما صراحة أو ضمناً، فكان يقول بصدد ذلك: «إن الله لم يك نسياً»(٢)، ولذلك كان كثيراً ما يحتج بالقرآن ويتلو الآية التى يستند إليها لبيان الحكم الشرعى وكانت طريقته فى الاستنباط كالآتى:

١- الالتزام بظاهر القرآن الكريم:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يلتزم أحياناً بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضى صرفه عن ظاهره، فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ....﴾(٣) [المائدة: ٦]، لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة. وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر بعد لزمه الصوم لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] (٤)، ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير

(١، ٢) مصنف عبد الرزاق ١٧٤٤.

(٣) تفسير القرطبى (٢/ ٨٠).

(٤) فقه الإمام على (١/ ٤٥).

لأنه ليس ضمن حولي الرضاعة استناداً إلى ظاهرة آية الرضاعة، حيث روى عنه أنه قال: في قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، الرضاعة سنتان فما كان من رضاع في الحولين حرم، وما كان بعد الحولين فلا يحرم(١)، وحمل ظاهر القرآن الكريم على ظاهره في مكان آخر حيث حكم ببراءة امرأة اتهمت بالزنا لأنها ولدت بعد ستة أشهر من زواجها، فجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]. فقال: الحمل ستة أشهر والفصال أربعة وعشرون شهراً(٢)، أي أنه طرح مدة الرضاعة وهي السنتان من مجموع مدة الرضاعة والحمل وهي ثلاثون شهراً فبقيت ستة أشهر، فجمع بين ظاهر كلتا الآيتين وحكم بهما(٣).

٢- حمل المجمل على المفسر:

المجمل هو ما خفي مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يرجى(٤)، والمفسر: هو ما ظهر المراد منه دون الحاجة إلى بيان(٥)، وقد حمل على مجمل القرآن في قوله تعالى: ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥] على مفسره في مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأل رجل عليا عن الهدى مما هو؟ فقال: من الثمانية أزواج، فكان الرجل شك، فقال له علي: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾ [المائدة: ١]. قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ قال ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، قال: فسمعت الله يقول: ﴿ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤]. قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ هَدْيًا بَالِغَ

---

(١) المجموع النووي (٨/ ٢١٣).

(٢) مصنف عبد الرزاق ١٢٤٤٣، فقه الإمام علي (١/ ٤١).

(٣) فقه الإمام علي (١/ ٤٦).

(٤) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول: ص (١٩٧).

(٥) المصدر نفسه: ص (١٩١).

﴿الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. فقال الرجل: نعم، قال: فقتلت ظبيًا فماذا عليّ؟ قال: هديا بالغ الكعبة(١).

٣- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم:

المطلق، هو ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد هو ما قيد لفظًا بأى قيد(٢)، ولقد حمل أمير المؤمنين على مطلق القرآن على مقيده في استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الامر بالقطع في آية السرقة على مقيده في آية المحاربة بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرة قطعت يده اليمنى، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى عند على، فإن زاد وسرق مرة ثالثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعرره بدل القطع لانه حمل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. على آية المحاربة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ [المائدة: ٣٣]. وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذا بالسجن(٣). فعن الشعبي قال: كان على لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وإنه كان يقول: إني لأستحى من الله أن لا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي(٤).

٤- العلم بالناسخ والمنسوخ:

النسخ، هو رفع الحكم الشرعي بخطاب متأخر عنه(٥)، ويقول الزركشي: قال الائمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ(٦)، وعلى هذا المعنى يؤكد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه، وذلك عندما عاتب قاصًا بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت(٧).

٥- النظر في لغة العرب:

ومن منهج أمير المؤمنين علي في فهم القرآن الكريم النظر في لغة العرب، كما فهم من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن المراد

---

(١) الدر المنثور (٣/ ١٣).
(٢) جمع الجوامع بشرح المحلى (٢/ ٧٩)، فقه الإمام على (١/ ٤٧).
(٣) فقه الإمام على (١/ ٤٧)، مصنف عبد الرزاق ٢١٨٧٤.
(٤) مصنف عبد الرزاق ١٨٧٦٤، فقه الإمام على (٢/ ٨١٨).
(٥) فقه الإمام على (١/ ٤٨).
(٦) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩).
(٧) أبو خيثمة، ك العلم ص (٣١) تحقيق الألباني وقال: إسناده صحيح.

بالأقراء الحيض، فلا تنقضى العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة[١]، لذا قال على رضى الله عنه عن المطلقة: لا تحل لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة[٢]، والقروء في كلام العرب جمع قرء، وهو الحيض، والقرء أيضا الطهر، وأقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: اطهرت[٣].

ومن ذلك فهمه رضى الله عنه من قوله تعالى: ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء: ٤٣]، اللمس هو الجماع فقد قال: اللمس هو الجماع، ولكن الله كنى عنه[٤]، وحمل المس فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [البقرة :٢٣٧] على الخلوة، فقال: المراد بالمس هنا الخلوة[٥]، فأوجب الصداق كله بالخلوة[٦]، وقد قال: إذا أرخى ستراً على امرأته وأغلق بابا وجب الصداق والعدة[٧].

٦- فهم النص بنص آخر:

ومن ذلك ما فهمه أمير المؤمنين على رضى الله عنه من قوله: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٤١] أن ذلك يكون يوم القيامة، اعتماداً على قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [النساء: ١٤١]. وذلك لما جاءه رجل يسأله كيف هذه الآية ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ فقال على رضى الله عنه: ادنه، ادنه، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً »[٨]، ومنه ما فهمه من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ [الطور: ٥]، بأنه السماء لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثير عن على « والسقف المرفوع » يعنى السماء. قال سفيان: ثم تلا... ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

ومن ذلك أيضًا ما فهمه من قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة :٢٣٨]، أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، معتمداً فى

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٢٧١).
(٢) الدر المنثور (١ / ٢٣٤).
(٣) الصحاح للجوهرى (١ / ٦٤) مادة (قرأ).
(٤) فقه الإمام على (١ / ٤٨)، الفصول فى الأصول للجصاص (١ / ٢٠٣).
(٥) الفصول فى الأصول (١ / ٢٠٢).
(٦) فقه الإمام على (١ / ٤٨) أى خلوة الرجل بزوجته.
(٧) مصنف بن أبى شيبة (٤ / ٢٣٤)، فقه الإمام على (٢ / ٥٣١).
(٨) تفسير ابن جرير، إسناده صحيح، (٩ / ٣٢٧).

ذلك على نص من حديث رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم، وقبورهم نارًا**»[1]، ومن هذا الباب أيضًا ما ورد في فهمه لقوله تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء: ٣١]. فعن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد - مسجد الكوفة - وعلى رضى الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس، الكبائر سبع، فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب[2] بعد الهجرة[3]. وهذا الفهم مبني على حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[4]. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[5]، وهذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين على في تفسير القرآن الكريم بالسنة.

٧- السؤال عن مشكلة:

ومن منهج أمير المؤمنين على رضى الله عنه في فهم القرآن الكريم سؤاله عما أشكل عليه فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر في قوله تعالى: ﴿**وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ...**﴾ [التوبة: ٣]. فقد قال: سألت النبي ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: يوم النحر[6]، وبين أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إنا نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ونهى، فما تأمرنا؟ قال: **شاوروا الفقهاء والعابدين، ولا تمضوا فيه خاصة**[7].

---

(١) مسلم (١/٤٣٧).

(٢) أن يهاجر الرجل، حتى إذا وقع سهمه في الفيء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابيًا كما كان.

(٣) تفسير الطبرى (٥/٢٥).

(٤) الموبقات جمع موبقة وهي المهلكة.

(٥) البخارى، كتاب الوصايا رقم ٢٧٦٦.

(٦) سنن الترمذى رقم ٩٧٠ وصححه الألبانى (١/٢٨٢).

(٧) تاريخ خليفة بن خياط: ص (٦٦)، منهج على بن أبي طالب في الدعوة إلى الله: ص (٧٨).

٨- العلم بمناسبة الآيات:

إن العلم بالمناسبة التي نزلت فيها الآيات، والسبب الداعي لذلك، يفيد في إدراك معنى الآية، واستنباط الحكم منها، لأن بيان النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[١]، ولقد بلغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مبلغًا في العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حاثًا على سؤاله عن كتاب الله: «سلوني، سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار[٢]»، وفي رواية: «والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت[٣]».

٩- تخصيص العام:

العام، هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر[٤]، وقاعدة العموم، كل لفظ عام باق على عمومه حتى يرد التخصيص[٥]، وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده وهذا هو تخصيص العام[٦].

وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يفيد قوله بتخصيص العموم، فقد سئل رضي الله عنه عن رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما ثم أراد أن يطأ الأخرى قال: لا .. حتى يخرجهما من ملكه[٧]، وعن ابن الكوا سأل عليًا عن الجمع بين الأختين فقال: حرمتهما آية وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي.[٨] وقصد أمير المؤمنين علي بالآية التي حرمتهما هي قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾ [النساء:٢٣] وبالتي أحلتهما هي قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون:٦] فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص، إذ خصص عموم التمتع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين[٩].

---

(١) منهج علي بن أبي طالب: ص (٧٩).
(٢) الإصابة (٢/٥٠).
(٣) الطبقات (٢/٣٣٨).
(٤) تيسير علم أصول الفقه، عبد الله الجُديع: ص (٢٦٢).
(٥، ٦) المصدر نفسه: ص (٢٦٩).
(٧) فقه الإمام علي (١/٥٦٠) نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة.
(٨) المصدر نفسه (٢/٥٦٠).
(٩) الأحكام للآمدي (٢/٤٤٥)، روضة الناظر (٢/١٢٩).

ومنها أنه حكم في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عدتها أبعد الأجلين[1]، أي أنه خص عموم الآيتين ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]. و﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤]، فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل الأربعة الأشهر والعشرة الأيام فإنها تكمل المدة ولا تعمل بعموم الآية الثانية لأن الأولى تخصصها، وإن أكملت المدة فلا تنقضي عدتها إلا بوضع الحمل لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكل من الآيتين عام في وجه، وخاص في وجه آخر تخصص إحداهما الأخرى عند علي، ولعله عمل بالاحتياط جمعًا بين الآيتين[2]، ولكن الراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل، فقال: لها مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بنكاح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي[3].

ولعل عليًا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف عليٌّ الصحيح الثابت عن النبي ﷺ[4].

١٠- معرفة عادات العرب ومن حولهم:

ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، وعلى رضي الله عنه عاش في ذلك الزمان، وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن، أو تلك التي أقرها، ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن أبي حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مائة من الإبل، فخرج عليٌّ

---

(١) الفصول في الأصول للجصاص (١٠٦/٦).

(٢) فقه الإمام علي (٥٠/١).

(٣) مسلم رقم ١٤٨٤.

(٤) فقه الإمام علي (٦١٧/٢).

على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي: «يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أهل بها لغير الله»، فعلي رضي الله عنه عرف من عادات العرب في وقته أن مثل هذه المنافرة ليست لله وإنما هي للشيطان، فلذلك نهى عنها مستدلاً بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1] [المائدة:٣].

١١- قوة الفهم وسعة الإدراك:

وقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التي امتاز واشتهر بها علي رضي الله عنه، والأمثلة التي تدل على هذا كثيرة جداً نذكر منها ما رواه ابن جرير قال: نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠][2].

هذه بعض الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وهي ترشد محبيه وأبناء المسلمين المخلصين في كيفية التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

سادساً: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة:

١- الذاريات:

عن الثوري عن حبيب بن أبي صابت عن أبي الطفيل. قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن الذاريات ذروا قال: الرياح، وعن الحاملات وقراً، قال: السحاب، وعن الجاريات يسراً، قال: السفن، وعن المدبرات أمرا قال: الملائكة[3]، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل. وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي[4]، وأخرجه عبد الرزاق من وجه آخر عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً وهو

---

(١) تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فهد بن عبد العزيز الفاضل رسالة علمية جامعية لم تنشر (٣٠/١).

(٢) تفسير الطبري (٥٩/٢١).

(٣) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى: ص (٤٨٦).

(٤) الدر المنثور (٦١٤/٧)، المستدرك (٤٦٧/٢)، تفسير الطبري (١٨٥/٢٦-١٨٨).

يخطب وهو يقول: سلوني ... وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. فقال ابن الكواء - وأنا بينه وبين علي وهو خلفي - فقال: ما الذاريات ذرواً؟ فذكر مثله وقال فيه: ويلك سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً وفيه سؤال عن أشياء غير هذا(١).

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥]:

روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن علي قال: هن الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى(٢).

٣- بكاء الأرض على العبد الصالح:

قال علي رضي الله عنه: إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض، ثم قرأ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:٢].

٤- الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم:

سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢]، قال: الخشوع في القلب، وأن تُلين كنفك للمرء المسلم ولا تلتفت في صلاتك(٣).

٥- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران:

سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يارب! إنَّ خليلي فلاناً كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمـ ـني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني

---

(١) الخلافة الراشدة اليحيى: ص (٤٨٦).

(٢) الخلافة الراشدة، اليحيى: ص (٤٨٧)، الفتح (٥٦٣/٨).

(٣) الزهد لابن المبارك: ص (٤٠٣) رقم ١١٤٨.

ملاقيك، فلا تُضلَّه بعدى واهده كما هدانى، وأكرمه كما أكرمنى، فإذا مات جمع بينهما فى الجنة، ويقال لهما: ليُثْنِ كل واحد منهما على صاحبه فيقول: اللهمّ كان يأمرنى بالخير وينهانى عن الشر، فيأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك، ويُخبرني أنى ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيبشر بالنار، فيذكر خليله، فيقول: اللهمّ خليلى فلان كان يأمرنى بالشر، وينهانى عن الخير، ويأمرنى بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أنى غير ملاقيك، اللهمّ فأضله كما أضلّنى، فإذا مات جمع بينهما فى النار، فيقال ليُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه قال فيقول: اللهمّ كان يأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويأمرنى بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرنى أنى غير ملاقيك، فبئس الأخ والخليل والصاحب(١).

٦- الزهد بين كلمتين من القرآن:

قال رضى الله عنه: الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد:٢٣]. ومن لم ييأس على الماضى، ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه(٢).

٧- أمير المؤمنين على رضى الله عنه وتدبره فى الصلاة:

بين أمير المؤمنين رضى الله عنه استحباب المصلى إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى منها، وإذا مرة بآية عذاب أن يستعيذ بالله تعالى، فعن عبد خير الهمدانى قال: سمعت على بن أبى طالب قرأ فى صلاة ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ فقال سبحان ربى الأعلى(٣)، وعن حجر بن قيس المدرى قال: بت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فسمعته وهو يصلى من الليل يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ قال: بل أنت يارب ثلاثًا، ثم قرأ ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ قال: بل أنت يارب ثلاثًا. ثم قرأ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ

---

(١) الزهد لابن المبارك رقم ٣٦٨.

(٢) رسالة المسترشدين: ص (٢٢٤)، فرائد الكلام: ص (٣٧٦).

(٣) المحلى (٤/١١٨)، السنن الصغرى (١/١٤٦).

أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ قال: بل أنت يارب ثلاثًا ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾، قال بل أنت يارب ثلاثًا(١).

٨- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]

قال علي رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام(٢).

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٢٢، ٢٣).

(٢) تفسير أمير المؤمنين علي، لفهد بن عبد العزيز الفاضل (٢/ ٦٦١) رسالة جامعية لم تنشر.

المبحث الرابع

ملازمته لرسول الله ﷺ

كان على رضى الله عنه واحداً من المكيين الذين قرءوا وكتبوا فى مجتمعهم الأمى، وهذا دليل على حبه للعلم وشغفه به منذ صغره، وقد وفقه الله تعالى أن يعيش منذ طفولته فى بيت رسول الله تعالى فتربى على يديه وزادت عناية رسول الله به بعد إسلامه، فكان رسول الله ﷺ الرافد القوى الذى أثر فى شخصيته وصقل مواهبه وفجر طاقته، وهذب نفسه، وطهر قلبه ونوّر عقله، وأحيا روحه، فقد لازم رسول الله ﷺ فى مكة والمدينة، وقد كان حريصاً على التتلمذ على يدى رسول الله ﷺ، الذى كان يربى أصحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذى استمد منه على رضى الله عنه علمه وتربيته وثقافته، وقد كان النبى ﷺ تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث، وكان يقرؤها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعمقوا فى فهمها، وتاثروا بمبادئها، وكان له أعمق الأثر فى نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، كما كان على رضى الله عنه واحداً من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدى رسول الله ﷺ وتشرّب تعاليمه وتوجيهاته النبوية، وقد اهتم على رضى الله عنه منذ أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملازماً للرسول ﷺ يتلقى عنه ما أنزل عليه حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل على رضى الله عنه ببركة صحبته لرسول الله ﷺ وتربيته على يديه خيراً كثيراً، وأصبح من الخلفاء الراشدين فيما بعد،/فقد حرص على التبحر فى الهدى النبوى الكريم فى غزواته وسلمه، وأصبح لعلى رضى الله عنه علم واسع ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علماً وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين على حب شديد، والحب عمل هام فى تهيئة مناخ علمى ممتاز بين المعلم وتلميذه، يأتى بخير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متجدد، وعلى رضى الله عنه قد أحب رسول الله حبًا جمًا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية فى سبيل نشر دعوته.

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين – الإنس والجن – الذين أدركتهم رسالة النبى ﷺ، أن يؤمنوا بالنبى ﷺ وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز، كما

أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنًا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[١]، وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبى ﷺ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم[٢].

وقد أعطى أمير المؤمنين على رضى الله عنه مقام النبوة حقه وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله ﷺ في أقواله وأعماله وتقريراته، ومن أقواله في هذا المعنى: واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[٣].

١- وجوب طاعة النبى ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها:

تربى أمير المؤمنين عليٌّ على وجوب طاعة رسول الله ﷺ فهو ممن قرأ وحفظ وفهم قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئًا واحدًا، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا في الأمر بطاعته سبحانه، وفى ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ والآيات الواردة بهذا المعنى كثيرة[٤]، وقد تربى أمير المؤمنين على يدى رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم (١/٩٣) كتاب الإيمان.

(٢) حقوق النبى على أمته فى ضوء الكتاب والسنة (١/٧٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/٣١٩).

(٤) حقوق النبى على أمته (١/٧٤).

وعلم منه وجوب طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنته والاقتداء به فى كل ما جاء به عن ربه عز وجل، وأحاديثه ﷺ فى هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ما ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى، وقد امتازت الأحاديث فى هذا الشأن بكثرتها وتنوع عبارتها وتعدد أساليبها واشتمال بعضها على الأمثلة التى ضربها رسول الله ﷺ لأمته فى هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيداً وتوضيحاً وبياناً، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول يؤولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عباراتها وتعدد أساليبها اتحدت جميعها فى مضمون واحد وهو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ، واتباع ما جاء به والترغيب فى ذلك إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معصيته وبيان الوعيد الشديد فى ذلك[1]، فمن هذه الأحاديث قوله ﷺ : «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى**»[2]، وطاعة الرسول ﷺ هى الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئًا فى دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال فى دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[3].

وقد كان أمير المؤمنين على من أحرص الصحابة على طاعة رسول الله ﷺ، فقد قال رضى الله عنه: «ما كنت لادع سنة النبى ﷺ لقول أحد[4]»، وقال أيضًا: «ألا إنى لست بنبى ولا يوحى إلىَّ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة محمد ﷺ ما استطعت.» وهو نموذج فريد بالتمسك بالسنة والالتزام بها والدعوة لها[5]، ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته انطلقت أفعال أمير المؤمنين على رضى الله عنه. وكان رضى الله عنه يعتنى بالسنة ويتحرى ويتثبت فى روايتها وفى أخذها رضى الله عنه، فقد قال رضى الله عنه: «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ، فلئن أخرَّ من السماء أحَبُّ إلىَّ من أن أكذب عليه[6]»، وقال رضى الله عنه: «كنت إذا سمعت من

---

(١) حقوق النبى على أمته (١/٨٦).

(٢) البخارى رقم ٧٢٨٠.

(٣) صحيح ابن حبان (١/١٥٣).

(٤) فتح البارى (٣/٤٢١).

(٥) الشفا للقاضى عياض (٢/٥٥٦).

(٦) فتح البارى (٦/١٥٨).

رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته[1]»، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحارب ما يناقض الاتباع، فقد قال رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه».

٢- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول ﷺ:

بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعضاً من دلائل نبوة النبي ﷺ منها ما يلي:

(أ) بركة دعائه:

مرض علي رضي الله عنه مرة فأتاه النبي ﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني. فقال له رسول الله ﷺ: **ما قلت؟** فأعاد عليه، فقال رسول الله ﷺ: **اللهم اشفه، اللهم عافه**، ثم قال: **قم**. فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[2]، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن دعاء رسول الله له في خيبر.

(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلئن أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيها بيني وبينكم فإن الحرب خدعة[3]»، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة[4]»، وسيأتي شرح هذا الحديث وغيره عند حديثنا عن الخوارج وموقف أمير المؤمنين علي منهم بإذن الله تعالى.

(ج) النصر بالرعب:

ومن دلائل النبوة التي حدثنا بها علي رضي الله عنه ما رواه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: **أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء**، فقلنا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: **نصرت**

---

(١) سنن ابن ماجة رقم ١٣٩٥.

(٢) مسند أحمد (٢/١٥١)، تحقيق أحمد شاكر إسناده صحيح.

(٣) منهج علي في الدعوة إلى الله: ص (١١٧)، فتح الباري (٦/١٥٨).

(٤) البخاري، ك المناقب (١/٢٨١) والقوم المذكورون هم الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب في خلافته، وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.

بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لى طهوراً وجعلت أمتى خير الأمم[1].

(د) خاتم النبوة:

وضح على رضى الله عنه من جملة وصفه لرسول الله ﷺ وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسية على نبوته ﷺ حيث يقول: بين كتفيه خاتم النبوة[2]. وهذه العلامة كان أهل الكتاب يعرفونه له، وهى شىء بارز أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد[3].

(هـ) سلام الجبال على النبى ﷺ:

أخبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن هذه الدلالة حيث قال: كنت مع النبى ﷺ بمكة، فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[4].

٣- الترغيب فى هدى النبى ﷺ:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يرغب المسلمين فى لزوم هدى النبى ﷺ، فقد قال فى خطبة له فى الربذة[5]: «الزموا دينكم واهتدوا بهدى نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[6]»، وبعد رجوع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدى النبى ﷺ والترغيب فيه، حيث يقول: «واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[7]»، ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه والتى حصلت فى عهده، عن دعوة أصحابه إلى كل

---

(١) البخارى، رقم ٣٣٥.
(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١١/٥١٣)، البخارى، كتاب المناقب.
(٣) فتح البارى (٦/٥٦١ - ٥٦٣).
(٤) سنن الترمذى، ك المناقب (٥/ ٩٣)، المستدرك (٢/ ٦٢٠) صحيح الإسناد.
(٥) من قرى المدينة على ثلاث أميال، معجم البلدان (٣/ ٢٤).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦)، تاريخ الطبرى.
(٧) البداية والنهاية (٧/٣١٩).

خير، ونهيهم عن كل شر[1]، وتحذيرهم من البدع، ومن قوله في هذا الشأن: «إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة[2]».

٤- بيان فضله وبعض حقوقه علي أمته ﷺ:

بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى معرض حديثه للمسلمين فضائل النبى ﷺ ومما قاله فى هذا المجال: «فكان مما أكرم الله به عز وجل هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً ﷺ، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته[3]، وإليك بعض حقوقه ﷺ:

(أ) وجوب الصدق عنه والتحذير من الكذب عليه:

حذر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من الكذب على رسول الله، فعن ربعى بن حراش، قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: قال النبى ﷺ: «**لا تكذبوا علىّ فإنه من كذب علىّ فليلج النار**»، وحذر أمير المؤمنين على رضى الله عنه من نقل الكذب - وهو يعلم أنه كذب - فيما يرويه عن النبى ﷺ، قال: «**من حدث عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**[4]».

(ب) البعد عن أسباب تكذيبه:

أرشد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذى يكون سببًا فى تكذيب رسول الله ﷺ، كتحديث الناس بما لا تدركه عقولهم من أقوال رسول الله ﷺ، فقد قال: **حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟**[5]، ومعنى الحديث: بما يعرفون: أى: يفهمون، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغى أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد فى الأحاديث التى

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجة (١/ ١٣) قال الألبانى: صحيح.

(٥) البخارى، ك العلم (١/ ٤٦).

ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب[١].

(ج) إحسان الظن بحديث رسول الله ﷺ :

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ حديثًا فظنوا به هو أهناه وأهداه وأتقاه[٢].

(د) الصلاة عليه:

قال تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ[٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** [الأحزاب: ٥٦].

وهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى بمنزلة عبده ونبيه في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلي جميعًا[٤]، ويؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الحق لرسول الله ﷺ بوصف من لم يصلِّ على رسول الله عند سماع ذكره بالبخل فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: **«البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل عليَّ»**[٥].

(هـ) محبته لرسول الله ﷺ :

قال تعالى: **﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾** [التوبة: ٢٤]. فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله، وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل

---

(١) فتح الباري (١/ ٢٢٥) باب من خص بالعلم قوما دون قوم.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٢١١) أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(٣) صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٨)، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة: ص (١٢٩).

(٥) صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧٧) صحيح.

محبوب،ولا خلاف في ذلك بين الامة[١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. ففى هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبى ﷺ، لان الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبى ﷺ، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبى ﷺ، والإيمان به لابد من تحقق شروطه التى منها محبة النبى ﷺ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده**»[٢] ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه ﷺ كان اتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتالى كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر[٣]، وقد سئل أمير المؤمنين على رضى الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وإمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[٤]، وهذه الخصوصية المطلقة ليس لأحد غير رسول الله.

٥- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية:

لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة الطويلة القريبة، والتتبع الدقيق لما خص الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق وميول واتجاهات، أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها والقدرة على وصفها، والتنويه بجوانب دقيقة فى سيرته وخلقه، يلاحظ ذلك فيما روى عنه من وصف رسول الله وحليته وخلقه وسلوكه[٥].

(أ) بيان خَلْقه:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين[٦] والقدمين، مشرب وجهه حمرة، طويل المسْرُبة[٧]، ضخم

(١) تفسير القرطبى (٨/ ٩٥).
(٢) البخارى رقم ٤ فتح البارى (١/ ٥٨).
(٣) حقوق النبى على امته (١/ ٣١٤).
(٤) الشفا (٢/ ٥٦٨) للقاضى عياض.
(٥) المرتضى: ص (٣٩ - ٤٣).
(٦) اى خشن الكفين غليظهما: الصحاح للجوهرى (٥/ ٢١٤).
(٧) الشعر المستدق الذى ياخذ من الصدر إلى السرة.

الكراديس[١]، إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا، كأنما ينحط من صبب[٢]، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[٣]»، وعن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس، عظيم العينين، هَدِب الأشفار[٤] – قال حسن[٥]: الشفار – مُشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تكفَّأ كأنما يمشي في صعد وإذا التفت التفت جميعًا[٦]، وعند الترمذي عن محمد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان علي (رضي الله عنه) إذا وصف النبي ﷺ قال: «لم يكن بالطويل الممغط[٧]، ولا بالقصير المتردد[٨]، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط[٩]، ولا بالسبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم[١٠] ولا بالمكلثم[١١]، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت[١٢] معًا. » كما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين صفة من صفات جسد النبي ﷺ بعد موته، وأمرًا لم يعرفه غيره – وربما من كان يغسله معه[١٣] – من طهارة بدنه ونقائه بعد موته، حيث يقول: غسلت رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا، وكان طيبًا حيًا وميتًا ﷺ[١٤]، وكان علي رضي الله عنه يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي،ما أطيبك حيًا وميتًا[١٥].

---

(١) الكُردوس: كل عظم تام ضخم فهو كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل، فهو كردوس، وأراد على أنه ﷺ ضخم الأعضاء.

(٢) الصبب هو الموضع المنحدر، وهذه الصفة من المشي تعني أن النبي ﷺ كان قويًا، فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة.

(٣) مسند أحمد ١/٩٦ برقم (٧٤٦) ط/ الرسالة – إسناده صحيح، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٤) هي حروف الأجفان وأصول منابت الشعر في الجفن التي تلتقي عند التغميض.

(٥) حسن بن موسى الراوي عن حماد عبد الله بن محمد بن عقيل بن محمد بن علي.

(٦) مسند أحمد ١/٨٩ برقم (٦٨٤) ط/ الرسالة – إسناده صحيح.

(٧) الممغط: الذاهب طولاً.

(٨) المتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً.

(٩) القطط: الشديد الجعودة.

(١٠) المطهم: البادن الكثير اللحم.

(١١) المكلثم: المدور الوجه.

(١٢) سنن الترمذي، ك المناقب (٥/ ٥٩٩) حسن غريب إسناده غير متصل.

(١٣) كالعباس والفضل وقثم بن عباس يقلبونه.

(١٤) صحيح سنن ابن ماجة للألباني (١/ ٢٤٧)، الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩) واللفظ له صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦٢)

(ب) بيان خُلُقه:

تحدث أمير المؤمنين علي رضى الله عنه عن أخلاق النبي ﷺ، فقال: «كان أجود الناس كفًا، وأشرحهم صدراً وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة[1]، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله[2]»، وأخبرنا عن شجاعة الرسول ﷺ، وقوة بأسه، وأن عليًا ومن كان معه مع شجاعتهم أيضًا وقوة بأسهم التى سطرتها أخبار المغازى، كانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله ﷺ، فيقول علي رضى الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا[3]»، وفي رواية أخرى: كنا إذا أحمر البأس، ولقى القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه[4]، وبين علي رضى الله عنه من أخلاق رسول الله ﷺ من الرحمة والكرم الشجاعة، والتواضع، ما ورد في وصفه لرسول الله ﷺ لليهود الذين طلبوا منه ذلك حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس، لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالكريم الكريم، أشجع الناس، وأبذلهم كفًا، وأصبحهم وجهًا، لباسه العباء وطعامه خبز الشعير، وإدامه اللبن، ووساده الأدم محشو بليف النخل، سريره أم غيلان مرمل بالشريف[5]، كان له عمامتان إحداهما تدعى السحاب[6]، والأخرى العقاب، وكان سيفه ذا الفقار[7]، ورايته الغراء وناقته العضباء [8]، وبغلته دلدل[9]، وحماره يعفور، وفرسه مرتجز[10]، وشاته بركة، ولواؤه الحمد، وكان يعقل البعير ويعلف الناضح[11]، ويرقع الثوب، ويخصف النعل[12].

---

(١) العريكة: الطبيعة، وفلان لين العريكة إذا كان سلسًا انظر منهج علي بن أبي طالب ص ١١٠.

(٢) وهو تتمة للحديث السابق.

(٣) مسند أحمد (٢/ ٦٤) تحقيق أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٤٣) وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٥) قال ابن القيم في زاد المعاد: كان رسول الله ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلي السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود (١/ ١٥٥) زاد المعاد. السرير المرمل أي المنسوج، لسان العرب (١١/ ٢٩٥).

(٦) وهي العمامة التي كساها عليًا (زاد المعاد ١/ ١٣٥).

(٧) للرسول تسعة أسياف منها ذو الفقار تنفله يوم بدر (زاد المعاد ١/ ١٣٠).

(٨) وهي غير القصواء المشهورة والعضباء هي التي كانت لا تسبق.

(٩) بغلة شهباء أهداها له المقوقس وله غيرها (زاد المعاد ١/ ١٣٤).

(١٠) زاد المعاد (١/ ١٣٣) ملك سبعة من الخيل، متفق عليها.

(١١) الناضح: البعير الذى يستقى عليه الماء (لسان العرب ٢/ ٦١٩).

(١٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة (٢/ ١٦٣).

٦- نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة:

كان أمير المؤمنين على شديد الحرص على الاقتداء بالنبى ﷺ، وحياته العلمية خير دليل على ذلك، وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التي كان يتبع فيها النبى ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة.

- دعاء الركاب على الدواب:

عن عبد الرزاق: أخبرنى من شهد عليًا حين ركب، فلما وضع رجله فى الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثًا وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا انت، ظلمت نفسى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال، فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبى ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبى الله؟ قال: **العبد** - أو قال: **عجبت للعبد - إذا قال لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو**(١).

- الشرب قائمًا، وقاعدًا:

عن عطاء بن السائب عن زاذان: أن على بن أبى طالب شرب قائمًا، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون(٢)؟ إن أشرب قائمًا، فقد رأيت النبى ﷺ يشرب قائمًا، وإن أشرب قاعدًا، فقد رأيت النبى ﷺ يشرب قاعدًا(٣).

- تعليم وضوء رسول الله ﷺ:

عن عبد خير: علمنا علىٌّ وضوء رسول الله ﷺ، فصب الغلام على يديه حتى أنقاهما، ثم أدخل يده فى الركوة، فمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثًا ثلاثًا، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثًا ثلاثًا، ثم أدخل يده فى الركوة فغمز أسفلها بيده ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا ثلاثًا، ثم اغترف هُنَية من ماء بكفه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ(٤).

---

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٩٣٠ حسن لغيره.

(٢) فى رواية: ما تنكرون.

(٣) مسند أحمد رقم ١١٢٨ إسناده حسن.

(٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٨٧٦، صحيح لغيره، إسناده حسن.

- نهي رسول الله ﷺ لعلي عن أشياء:

عن عبد الله بن حنين عن أبيه، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: نهاني رسول الله ﷺ: عن تختم الذهب، وعن لُبس القَسِّ والمعصفر، وقراءة القرآن وأنا راكع، وكساني حلة من سيراء فخرجت فيها، فقال: يا علي، إني لم أكسكها لتلبسها، قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها فأخذت بها لتطويها معي، فشققتها بثنتين قال: فقالت: تربت يداك يا ابن أبي طالب، ماذا صنعت؟ قال: فقلت لها: نهاني رسول الله ﷺ عن لبسها، فالبسي واكسي نساءك[1].

- الذنوب والمغفرة:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شئ قد عفا عنه[2].

- إنما الطاعة في المعروف:

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا، وأمر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، فقال: ادخلوها! فأراد ناس أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**. وقال للآخرين قولاً حسنًا، وقال: **لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**[3]، والحديث يبين بأن الطاعة للحكام مقيدة بطاعة الله ورسوله، والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا الله ورسوله ﷺ.

- لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف:

دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري علي عليٍّ بن أبي طالب، فقال له عليٌّ: أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟ إنما قال:

رسول الله ﷺ: **«لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حيٌّ اليوم»**، والله إن رخاء هذه الأمة بعد مائة عام[4].

---

(1) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٧١٠ إسناده حسن.

(2) المصدر نفسه رقم ١٣٦٥ إسناد حسن.

(3) المصدر نفسه رقم ٧٢٤ إسناده صحيح.

(4) مسند أحمد رقم ٧١٤ إسناده قوى.

- دعاء الرسول ﷺ لأهل المدينة بالبركة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحرة بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بوضوء**»، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبر، ثم قال: «**اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين**[1]».

- دعاء الكرب:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين. [2]» والحديث يرشد إلى ضرورة التعلق بالله وحده والاعتماد عليه والالتجاء إليه، فلا يكشف الكرب إلا هو سبحانه، ولا يجيب المضطر إذ دعاه إلا الذى خلقه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ففيه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله فى كل أحواله وشأنه.

- ما أسر إليَّ شيئًا كتمه الناس:

عن أبي الطفيل، قال: قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله ﷺ. فقال: ما أسر إليَّ شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: **لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من امن والديه، ولعن الله من غيَّر تخوم الأرض** – يعني المنار [3]، ففي قوله ﷺ: لعن الله: اللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، قوله: من ذبح لغير الله: يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لـ ـي أو ملك، أو جني أو غيرهم، فلو كانت هذه الأمور هينة في دين الله لما وصلت إلى درجة يستحق فاعلها اللعن من رسول الله ﷺ.

- إن الله رفيق يحب الرفق:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[4].

---

(١) مسند أحمد رقم ٩٣٦ إسناده صحيح.

(٢) المصدر السابق رقم ٧٠١ حديث صحيح.

(٣) المصدر السابق رقم ٨٥٥ إسناده قوى.

(٤) المصدر السابق رقم ٩٠٢ حديث حسن الشواهد.

- **تعجيل الصدقة[1] قبل أن تحل:**

عن علي: أن العباس بن عبد المطلب سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له في ذلك [2].

- **العشر الأواخر من رمضان:**

عن علي رضي الله عنه، قال: كان رسول الله يوقظ أهله في العشر الأواخر، ويرفع المئزر [3].

ثانياً: الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أعلم الصحابة بالسنة في عهده، إذ روى أنه ذكر علي عند عائشة، فقالت: أما أنه أعلم من بقي في السنة [4]، ومع ذلك فقد روى عن النبي ﷺ خمسمائة وستة وثمانين حديثاً [5]، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبي ﷺ لأسباب منها.

١- انشغاله بالقضاء والإمارة والحروب التي جعلته لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس التي كانت سبباً في انتشار علم بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس.

٢- ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه والذين فرطوا به كان سبباً في كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم في معرفة صحة الطرق الموصلة إليه.

٣- كثرة الفتن في زمانه وانشغال بعض الناس بها حال دون ثقته رضي الله عنه بمن يضع فيه علمه إذ رُوى عنه أنه قال: إن هاهنا علما لو أصبت له حملة[6]، وقد لاحظنا في منهج أمير المؤمنين في الرواية وقبول الحديث ما يأتي:

---

(١) تعجيل الصدقة: أي تعجيل الزكاة.

(٢) مسند أحمد رقم ٨٢٢ إسناده حسن.

(٣) مسند أحمد رقم ١١١٥ إسناده حسن (٣/١٩٥).

(٤) الطبقات (٢/٣٣٨)

(٥) تاريخ الخلفاء ١٧١.

(٦) فقه الإمام علي (١/٣) نقلا عن أعلام الموقعين.

١- الحذر من الكذب على النبى ﷺ إذ هو أحد الرواة لقوله ﷺ : **«من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** [1].

٢- الاستيثاق من الرواية فإنه كان يحلف الراوى عليها، فقد روى عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى منه، وكان إذا حدثنى غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته[2].

٣- عدم رواية المنكر والشاذ من الحديث، إذ ورد عنه أنه قال: **حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله** [3]، وقد روى على رضى الله عنه عن أبى بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

وروى عن على خلق كثير من الصحابة والتابعين وأهل بيته، فمن أشهر من روى عنه من الصحابة هم:

١- أبو إمامة إياس بن ثعلبة الأنصارى من بنى حارثة، وهو ابن اخت أبى بردة، له عن النبى ﷺ ثلاثة أحاديث، وهو الذى أمره الرسول ﷺ أن يقيم على أمه يوم بدر[4].

٢- أبو رافع القبطى مولى رسول الله ﷺ يقال اسمه إبراهيم وقيل: سنان وقيل: يسار قال ابن عبد البر: أشهر ما قيل فى اسمه أسلم، مات فى عهد على بن أبى طالب سنة ٤٠ هـ[5].

٣- أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصارى، خرج مع رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة توفى سنة ٧٤ هـ[6].

٤- جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصارى السلمى، شهد صفين مع على وتوفى ٧٨ هـ وكان من الحفاظ للسنن.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣) وقال الألبانى: صحيح.
(٢) سنن ابن ماجه رقم ١٣٩٥ إسناده صحيح.
(٣) البخارى، ك العلم (١/ ٤٦).
(٤) الاستيعاب (١/ ١٦٠١) أى يقيم على خدمة أمه.
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦).
(٦) الاستيعاب (٤/ ١٦٧١).

٥- جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامرى السوائى حليف بنى زهرة، وأمه خالدة بنت أبى وقاص، يكنى: أبا عبد الله، قال: صليت مع رسول الله أكثر من ألفى مرة، نزل الكوفة وتوفى بها سنة ٧٤ هـ [١].

٦- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان، قيل: كنيته أبو عمر، وقيل أبو عامر، مات بالكوفة سنة ٦٦هـ وقيل ٦٨ هـ.

٧- عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابن أخى على، ولد بأرض الحبشة، وهو أول مولود فى الإسلام توفى سنة ٨٠ هـ وهو ابن تسعين سنة [٢].

٨- عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى، أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم توفى فى مكة، سنة ٦٣ هـ وهو ابن أربع وثمانين [٣].

٩- عبد الله بن مسعود بن غافل بن وائل الهذلى من أوائل المسلمين توفى ٣٢هـ [٤].

١٠- عمرو بن حريث بن عثمان القرشى المخزومى يكنى أبا سعيد، رأى النبى ﷺ وسمع منه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قدر وشرف، مات سنة ٨٥هـ [٥].

- من روى عنه من أهل بيته:

روى عنه من أهل بيته كل من:

١- ولده الحسن بن على سبط رسول الله ﷺ.

٢- ولده الحسين بن على سبط رسول الله ﷺ، قتل يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ وهو ابن ٥٦ سنة [٦].

٣- ولده محمد بن على بن أبى طالب أبو القاسم المدنى المعروف بابن الحنفية، نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة، قال العجلى: تابعى ثقة كان رجلاً

---

(١) الاستيعاب (١/ ٢١٩)

(٢) الإصابة (٤/ ٢٧٦).

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٦).

(٤) الاستيعاب (٢/ ٩٨٨).

(٥) المصدر السابق (٣/ ١٦٧٢).

(٦) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٧).

صالحًا يكتنى أبا القاسم، ولد فى ولاية عمر ومات سنة ٧٣، وقيل ٨٠، وقيل ٨١، وقيل ٨٢، وقيل ٩٣ هـ [١].

٤- حفيده محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، ذكره ابن حبان فى الثقات [٢].

٥- حفيده على بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بزين العابدين من سادات التابعين، وأمة سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، أرسل عن جده على بن أبى طالب، قال العجلى: مدنى تابعى ثقة، توفى سنة ٩٤ هـ، وكان عمره ثمان وخمسين سنة [٣].

٦- ابن اخته جعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأمه أم هانىء بنت أبى طالب، ولد على عهد النبى ﷺ وله صحبة، ولى خراسان، وسكن الكوفة، قال العجلى: مدنى تابعى ثقة روى عن على [٤].

٧- سريته أم موسى، قيل اسمها فاختة، وقيل حبيبة، قال الدارقطنى: حديثها مستقيم، وقال العجلى: كوفية تابعية ثقة [٥].

- أشهر من روى عن على من التابعين:

١- أبو الأسود الدؤلى البصرى، القاضى، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال اسمه عمرو بن عثمان، ويقال عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبى ﷺ وقاتل مع على يوم الجمل، وثقه ابن معين والعجلى وغيرهما، وتوفى فى ولاية عبيد الله بن زياد سنة ٦٩ [٦].

٢- أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى الفقيه، واسمه الحارث، وقيل عامر، وثقه ابن سعد والعجلى وابن حبان، وقال العجلى: كان على قضاء الكوفة بعد شريح، روى عن أبيه وعلى وحذيفة وعبد الله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل مات سنة ٨٣ وقيل ١٠٤، وقيل ١٠٧هـ [٧].

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/٣٠٦).

(٢) المصدر السابق (٢/٨٢).

(٣) المصدر السابق (١٢/٤٨١) لسان الميزان (٧/٥٣٣).

(٤) تهذيب التهذيب (١٢/١٠، ١١)

(٥) المصدر السابق (١٢/١٩)

(٦) المصدر السابق (٥/١٨٤)

(٧) طبقات ابن سعد (٦/١٠٣).

٣- أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة، وثقه العجلي والنسائي وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلى وسعد، وخالد بن الوليد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، قيل مات سنة ٧٢ هـ، وقيل ٨٥ وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع على صفين (١).

٤- زر بن حبيش بن حباتة بن أوس الأسدى أبو مريم، ويقال أبو مطرف الكوفي عن ابن معين أنه ثقة، مات سنة ٨١ هـ، وقيل ٨٢ وقيل ٨٣ وهو ابن مائة وعشرين (٢).

٥- زيد بن وهب الجهني من قضاعة، يكنى أبا سليمان، من أجلة التابعين وثقاتهم متفق على الاحتجاج به، وثقه ابن معين وغيره، مات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية الحجاج (٣).

٦- سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر يكنى أبا أمية، رحل إلى رسول الله ﷺ، وقد قبض فلم يره، صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليا، مات سنة ٨١ أو ٨٢ هـ وكان عمره ١٢٨ هـ (٤).

٧- شريح بن هانيء بن يزيد بن نهيك الحارثي المذحجي ابن المقدام الكوفي، أدرك ولم ير، وهو من كبار أصحاب على، قتل مع أبي بكرة بسجستان سنة ٧٨هـ (٥).

٨- عامر بن شرحبيل بن عبد، وقيل عامر بن عبد الله بن شرحبيل الشعبي والحميرى أبو عمرو الكوفي من شعب همدان، روى عنه أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، وعن الحسن، قال: كان والله كثير العلم، عظيم الحلم، قديم السلم من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه. قال ابن عيينة، كانت الناس تقول بعد الصحابة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثورى في زمانه، ولد لست خلت من خلافة عمر ومات سنة ١٠٩هـ.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/١٠٣).

(٣) المصدر السابق (٦/٦٧).

(٣) المصدر السابق (٦/١٢٧)

(٤) تهذيب التهذيب.

(٥) المصدر السابق (٦/١٢٤).

٩ – عبد خير بن يزيد ويقال ابن بجيد بن جوى بن عبد عمرو بن عبد يعرب بن الصائد الهمدانى أبو عمارة الكوفى، أدرك الجاهلية، قال العجلى: كوفى تابعى ثقة أهل بالكوفة، وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين، قيل: عاش مائة وعشرين سنة، وقتل فى صفين (١).

١٠– عبد الرحمن بن أبى ليلى واسمه يسار ويقال بلال، ويقال داود بن بلال بن بليل بن أصحبة بن الجلاح الحريش الأنصارى الأوسى، ولد لست بقين من خلافة عمر، روى عنه أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة، وثقه ابن معين والعجلى قيل أنه أصيب سنة ٧١ هـ وقيل ٨٢ بالجماجم (٢).

١١– عبيدة السلمانى وهو عبيدة بن عمرو، ويقال ابن قيس بن عمرو السلمانى المرادى أبو عمرو الكوفى، أسلم قبل وفاة النبى ﷺ بسنتين ولم يلقه، قال الشعبى: كان شريح أعلمهم بالقضاء وكان عبيدة يوازيه، وقال العجلى: كوفى تابعى ثقة (٣).

١٢– عبد الله بن سلمة المرادى الكوفى، صاحب على، كنيته أبو العالية، قال العجلى: كوفى تابعى ثقة، قال البخارى: لا يتابع فى حديثه، وعن عمرو بن مرة: يعرف وينكر، كان قد كبر، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة(٤).

١٣– عبد الله بن شقيق العقيلى، وكنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو محمد البصرى، تابعى من أهل البصرة، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى، وعن ابن معين أنه ثقة من خيار المسلمين لا يطعن فى حديثه، وروى أنه كان مستجاب الدعوة، مات بعد المائة وقيل سنة ١٠٨هـ (٥).

١٤ – علقمة بن قيس النخعى وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة النخعى الكوفى، ولد فى حياة الرسول ﷺ، وعن أحمد: ثقة من أهل الخير، وعن ابن معين: ثقة، روى أنه قرأ القرآن فى ليلة، مات سنة ٦٢، وقيل ٦١، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

---

(١) تهذيب التهذيب (٦/١٢٤).
(٢) ميزان الاعتدال (٢٠/٥٨٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/٩٠) تهذيب التهذيب (٧/٨٥).
(٤) ميزان الاعتدال (٢/٤٠٩) تهذيب التهذيب (٥/٥٤٢).
(٥) تهذيب التهذيب (٥/٢٥٣).

١٥ – عمير بن سعيد النخعي الصهباني، أبو يحيى الكوفي، عن ابن معين: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، له حديث عن علي في حد شارب الخمر، قال ابن سعد: مات سنة ١١٥، وقيل ١٠٧ هـ[١].

١٦ – هانئ بن هاني الهمداني الكوفي، قال النسائي: ليس به بأس، ذكره ابن حبان في الثقات، وقيل كان يتشيع، قال ابن المديني: مجهول، قال ابن سعد: كان منكر الحديث، وعن الشافعي: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حالة، ذكره ابن سعد في الطبقات الأولى في الكوفة، قال الذهبي: ليس به بأس[٢].

١٧ – يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي، وعن يحيى بن معين: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن سعد: كان ثقة وكان عريف قومه، يقال إنه أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وحذيفة[٣].

هذه إشارات عابرة عن الرواة عن علي رضي الله عنه، ولمن أراد المزيد، فليراجع رسالة الدكتور أحمد محمد طه فقه الإمام علي بن أبي طالب، المقدمة في جامعة بغداد ولم تنشر حتى الآن.

---

(١) تهذيب التهذيب (٨/١٤٦)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٣).

(٢) الكاشف للذهبي (٣/٢١٨).

(٣) المصدر نفسه (٣/٢٨٠).

المبحث الخامس
أهم أعمال على بن أبى طالب رضى الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة فى تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادى والتعليمى والتربوى فى المجتمع الجديد، وكان على رضى الله عنه ملازمًا له فى كل أحواله منفذًا لأوامره، متتلمذًا على هديه.

أولاً: حركة السرايا:

بمجرد الاستقرار الذى حصل للمسلمين بقيادة الرسول ﷺ فى المدينة بدأت حركة السرايا التى استهدفت بسط هيبة الدولة فى الداخل والخارج، وكسب بعض القبائل وتحجيم دورالأعراب، وتربية الصحابة على الإعداد القتالى للغزوات الكبرى، وحركة الفتوحات ميدان لصناعة القادة عمليا، وقد شارك فى هذه السرايا أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى التى حدثت قبل بدر وما بعدها، وأما التى شارك فيها قبل غزوة بدر الكبرى فمنها:

١- غزوة العشيرة [١]:

وفيها غزا ﷺ قريشًا، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة، وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وذلك أن العير التى خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام [٢]، فساحلت على البحر، وبلغ قريشا خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ووقعت غزوة بدر الكبرى[٣]، وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلى رضى الله عنهما فى تلك الغزوة، فعن عمار بن

---

(١) ناحية من نواحى ينبع بين مكة والمدينة.

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٠)

(٣) المصدر نفسه (٢/ ١١).

ياسر قال: كنت أنا وعلى رفيقين فى غزوة ذى العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم فى نخل، فقال لى على: يا أبا اليقظان هل لك أن تاتى هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلى، فاضطجعنا فى صور من النخل، فى دقعاء[1] من التراب فنمنا، فوالله، ما أهبّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلى: يا أبا تراب لما رأى عليه من التراب قال: **ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟** فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: **أحيمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا على على هذه** [يعنى قرنه] **حتى تُبُل منه هذه** [يعنى لحيته[2]]، وقد تكرر نداء رسول الله لعلى بأبى تراب وسيأتى الحديث عنه.

٢- غزوة بدر الأولى:

سببها: أن كرز بن جابر الفهرى، قد أغار على سَرْح[3] المدينة ونهب بعض الإبل والمواشى، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه، حتى بلغ واديا يقال له «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[4]، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لواءه الأبيض[5]، وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالى ضد أعداء الدعوة، ومع حركة السرايا والبعوث والغزوات التى خاضها رسول الله ضد المشركين ظهرت جليا سنة التدافع التى تعامل معها النبى ﷺ وأصحابه ومن بينهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقا وطيداً بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها فى كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وفى قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم**

---

(١) الدقعاء: الأرض التى لا نبات فيها، القاموس (٣/ ٢٢).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٥) رقم ١١٧٢ إسناده حسن.

(٣) السرح: الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١).

(٥) تاريخ الإسلام للذهبى (٢/ ٤٨)، على بن أبى طالب للرفاعى: ص (٨٩).

بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ثانيًا: غزوة بدر:

١- قال النووي- رحمه الله- وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة[١].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم، فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له: **كم القوم**، قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: **كم ينحرون من الجزر**، فقال: عشرا كل يوم. فقال رسول الله ﷺ: **القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها**. ثم إنه أصابنا من الليل طش من مصر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل يقول: **اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**، قال: فلما طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس، من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرض على القتال، ثم قال: **إن جمع قريش تحت هذه الضِّلع الحمراء من الجبل**. فلما دنا القوم منا وصاففناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: **يا علي، ناد حمزة**، وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: **«إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»**، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال،

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٤٥)

ويقول لهم: يا قوم إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، ياقوم أعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جَبُن عُتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم. قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبا. قال عتبة: إياى تُعيِّر يا مُصفِّر إسته؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لانريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بنى عمنا، من بنى عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: **قم يا على، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب**. فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلح، من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق، ما أراه فى القوم. فقال الأنصارى: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم. فقال على: فأسرنا من بنى عبد المطلب: العباس وعقيلا، ونوفل بن الحارث[1]، ومن وصف على رضى الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروسا، وعبرا وفوائد كثيرة يمكن الرجوع إليها فى كتابى السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢- ما قيل من أشعار فى بطولة على ببدر:

كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبى طلحة فقتله على رضى الله عنه فقال الحجاج بن علاط السلمى فى ذلك:

لله أى مــذنــب عن حــربـه	أعنى ابن فاطمة المعم المخولا
جــادت يداك له بعاجل طعنة	تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم	بالحق إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن	لترده حران حتى ينهلا[1].

(١) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم ٩٤٨ اسناده صحيح.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٧٩).

ثالثاً: زواج على من فاطمة رضى الله عنهما:

هى فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[1]، ولدت رضى الله عنها قبل البعثة سنة خمسة وثلاثين من مولد النبى ﷺ[2]، زوجها النبى ﷺ على بن أبى طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتها بعد وفاة النبى ﷺ بستة أشهر فرضى الله عنها وأرضاها[3].

١- مهرها وجهازها:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندى شىء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فوالله مازالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول الله ﷺ: **ما جاء بك؟ ألك حاجة؟** فسكت فقال: **لعلك جئت تخطب فاطمة؟** فقلت: نعم، فقال: **وهل عندك من شىء تستحلها؟** فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: **ما فعلت درع سلحتكها؟** فوالذى نفس على بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم، فقلت: عندى، فقال: **قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها**، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[4]، وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل[5]، وقربة ووسادة أدم[6] حشوها إذخر[7][8]، وقد جاء فى روايات

---

(١) أسد الغابة (٥/٥٢٠). الإصابة (٤/٣٦٥).

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/٢٦).

(٣) حلية الأولياء (٢/٣٩، ٤٣) سير أعلام النبلاء (٢/١١٨، ١٣٤) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان السحيمى: ص (١٣٢).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (٣/١٦٠) إسناده حسن.

(٥) خميل: قطيفة.

(٦) الأدم: الجلد.

(٧) إذخر: نبات

(٨) صحيح السيرة النبوية: ص (٦٦٧)، مسند فاطمة الزهراء، وما ورد فى فضلها للسيوطى تحقيق فؤاد أحمد زمرلى: ص (١٨٩).

الشيعة: فاخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبي بخير[1].

٢- زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى الباب فقال: **يا أم أيمن ادعي لي أخي** فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: **نعم يا أم أيمن**، قالت: فجاء علي فنضح النبي ﷺ عليه من الماء ودعا له ثم قال: **ادع إليَّ فاطمة** قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ: **اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إليَّ**، قالت: ونضح النبي ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يديه، فقال: **من هذا؟** فقلت: أنا، قال: **أسماء؟** قلت نعم، قال: **أسماء بنت عميس؟** قلت: نعم، قال: **جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟** قلت: نعم، قالت: فدعا لي[2].

٣- وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لابد للعرس[3] من وليمة، قال: فقال سعد علي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: يا علي لاتحدث شيئًا حتى تلقاني، فدعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على عليٍّ، فقال: **اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما**[4].

٤- معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما:

كانت معيشة علي وفاطمة، وهما أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن عليا رضي الله عنه

---

(١) كشف الغمة للاربلي (١/ ٣٥٩) بحار الأنوار للمجلس: ص (٣٩) نقلا عن الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٧، ١٣٨).

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٩٥٥) رقم ٣٤٢ إسناده صحيح.

(٣) للعرس: أي للعروس.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١١٥٣، فضائل الصابة (٢/ ٨٥٨) إسناده صحيح.

قال :مكثنا أياما ليس عندنا شيء، ولا عند النبي ﷺ، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أؤامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين[1]، فاشتريت به دقيقا، ثم أتيت به فاطمة فقلت : اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها- ثم خبزت، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال : **كلوه فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل**[2]، وعن الشعبي، قال : قال علي رضي الله عنه : تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، ومالي خادم غيرها[3]. وعن مجاهد قال علي : جعت مرة بالمدينة جوعا شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا، فظننتها تريد بَلّه[4]، فأتيتها فقاطعتها[5] كلَّ ذنوب[6] على تمرة، فمددت ستة عشر ذنوبًا، حتى مجلت يداي[7] ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها[8]، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها [9]، في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المدينة، ونأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد، حيث خرج علي رضي الله عنه وعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدي المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه[10].

---

(١) الضفاطون : الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

(٢) كنز العمال (٧/ ٣٢٨)، المرتضى للندوي: ص (٢١).

(٣) كنز العمال (٧/ ١٣٣)، المرتضى للندوي: ص (٤١).

(٤) المدر: يعني الطين اليابس، تريد بله: يعني الماء.

(٥) فقاطعتها : أي: اتفقت معها على أجرة.

(٦) ذنوب: دلو

(٧) مجلت : تورمت من العمل.

(٨) يعني بسطهما وضمهما

(٩) صفة الصفوة (١/ ٣٢٠)، الموسوعة الحديثية مسند أحمد ١١٣٥، إسناده ضعيف لانقطاعه.

(١٠) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٩/ ٤٩، ٥٠).

٥- زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياتها في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[١]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبي، قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت[٢]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه[٣]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية. قالت: جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله،فأتينا جميعاً. فقال علي: يارسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[٤]، وقد جاء الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: **والله لاأعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى[٥] بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رءوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رءوسهما، فثارا، فقال: **مكانكما**، ثم قال: **ألا أخبركما بخير مما سألتماني**؟ قالا: بلى. فقال: **كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام**، فقال: **تسبحان في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين**[٦]، وفي القصة السالفة بعض القيم المهمة منها:

إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة، وأما حاجة علي وفاطمة للخادم ليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم وكانت وسائل رسول الله ﷺ في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

---

(١) انظر: معين السيرة ص ٢٥٥ للشامي.

(٢) سنوت: استقيت.

(٣) أي اسأليه خادماً.

(٤) السيرة النبوية للصَّلاَّبيّ (٢/ ٩٩)، مسلم رقم ٢٧٢٧ البخاري رقم ٣٧٠٥.

(٥) تطوى: طوى من الجوع فهو طاو: خالي البطن جائع لم يأكل.

(٦) البخاري: رقم ٣٧٠٥، مسلم رقم ٢٧٢٧.

ولقد تأثر علي– رضي الله عنه–بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بالفتى علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ علي وصية رسول الله ﷺ له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين(١).

٦- إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فصلى هويا من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسا، قال: فرجع إلينا فأيقظنا وقال: **قوما فصليا**، قال: فجلست وأنا أعْرك عيني، وأقول: إنا والله ما نصلي إلا ما كتب لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فولى رسول الله ﷺ وهو يقول، ويضرب بيده على فخذه: «**ما نصلي إلا ما كتب لنا، ما نصلي إلا ما كتب لنا** ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٤] وهذا فيه تجرد علي رضي الله عن للحق وحرصه على نشر العلم ولو كان الأمر متعلقًا به رضي الله عنه، وهذه قيمة كبرى يتعلمها المسلمون من أمير المؤمنين علي ولو أراد لكتم الحديث، علما بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

رابعًا: ولداها: الحسن والحسين رضي الله عنهما:

١- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي: سبط رسول الله ﷺ وريحانته في الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه فاطمة الزهراء، ولد للنصف من رمضان سنة ٣ هـ وقيل في شعبان، وقيل في سنة أربعة أو خمس(٢). وقد توفي عام ٥٠ هـ. وقد اخترت في كتابي السيرة النبوية بأنه ولد في العام الرابع للهجرة(٣).

هذا وقد سماه رسول الله ﷺ حسنا، قال علي رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني. ما سميتموه؟ قلت: حربا، قال ﷺ: بل هو حسن(٤). وهكذا غير ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والبهجة

---

(١) مسلم (٤/٢٠٩٢).

(٢) فضائل الصحابة (٢/٩٦٠)، حلية الأولياء (٢/٣٥).

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢/١٩٩)، شذرات الذهب (١/١٠).

(٤) البخاري في الأدب (٢٨٦).

على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبله، وهذا أبو رافع يخبرنا عما فعل رسول الله ﷺ، يقول: رأيت النبي ﷺ أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة[1].

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسنا قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكبشين) قال ﷺ: لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض، وكان الأوفاض ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة ففعلت ذلك[2].

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن علي رضي الله عنهما منها:

أ- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: **اللهم إني أحبه فأحبه**[3].

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال للحسن: «**اللهم إني أحبه، فأحبه واحبب من يحبه**[4]».

جـ- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما[5].

د- عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: **ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**[6]. فإخباره النبي ﷺ بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده ﷺ فأصلح على يديه بين المسلمين وحقن دماءهم، حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين، وكان

---

(١) سنن أبي داود رقم ٥١٠٥ إسناده ضعيف حكم عليه الشيخ عثمان الخميس عن رسالته للماجستير المتعلقة بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين: ص (٨٠).

(٢) الطبقات (١ / ٢٣٣) إسناده ضعيف.

(٣) البخاري رقم ٣٧٤٩.

(٤) مسلم ٢٤٢١.

(٥) البخاري رقم ٣٧٤٧.

(٦) البخاري رقم ٣٧٤٦.

ذلك فى سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته رضى الله عنه ستة أشهر وسمى هذا العام عام الجماعة، وهذا ما أخبر به النبى ﷺ بقوله: **لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين**(١)، قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من إعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن على فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة، بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة(٢)، وسيأتى الحديث بإذن الله عن تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية عند حديثنا عن عهده فى كتاب مستقل.

هـ - وعن سعيد المقبرى(٣)، قال: كنا مع أبى هريرة رضى الله عنه فجاء الحسن بن على بن أبى طالب علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبوهريرة فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا فلحقه وقال: عليك السلام ياسيدى ثم قال: إنه سيد(٤).

و- ومنها مشابهته رضى الله عنه للنبى ﷺ فى الخلق، فقد روى البخارى بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على(٥).

ز- وروى أيضاً بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضى الله عنه وقد حمل الحسن وهو يقول: بأبى شبيه بالنبى ليس شبيهاً بعلى، وعلى يضحك(٦)، فكونه رضى الله عنه شبه جده المصطفى ﷺ فى الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة(٧).

٢- الحسين بن على رضى الله عنه:

هو أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضى الله عنها، كان مولده سنة ٤ هـ، وقيل غير

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) فتح البارى (١٣/ ٦٦).

(٣) هو: كيسان المدنى مولى أم شريك، ثقة ثبت مات سنة ١٠٠، التقريب ٤٦٣.

(٤) المستدرك: ك معرفة الصحابة (٣/ ١٦٩) صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٥) البخارى، ك الفضائل رقم ٣٧٥٢.

(٦) البخارى رقم ٣٧٥٠.

(٧) العقيدة فى أهل البيت، ص (١٤٧).

ذلك، ومات رضى الله عنه قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق فرضى الله عنه وأرضاه[1]، وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

أ- ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامرى رضى الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ يعني إلى طعام دعوا له قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبى يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبى ﷺ يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: **حسين منى وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط**[2]، وفى ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضى الله عنه، إذا حث على محبته وكأنه ﷺ علم بنور الوحى ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة وأكد ذلك بقوله: **أحب الله من أحب حسينا، فإن محبته تؤدى لمحبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله**[3].

ب- ومنها ما رواه البخارى بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أتى عبيد الله بن زياد[4] برأس الحسين عليه السلام فجعل فى طست، فجعل ينكث وقال فى حسنه شيئًا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبًا بالوسمة [5][6].

جـ- وفى رواية أخرى عن أنس أيضًا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان أحسبه قال جميلا فقلت: والله لأسوءنك إنى رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض[7]. فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضى الله عنه وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولاسيما أنه قد تقدم فى فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن على، فيحدث التعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض ابن حجر رحمه الله حيث جمع

(١) البداية والنهاية (٨/١٥٢)، الإصابة (١/٣٣١ - ٣٣٤).

(٢) فضائل الصحابة رقم ١٣٦١، إسناده حسن.

(٣) تحفة الأحوذى (١٠/٢٧٩).

(٤) قتل عبيد الله عام ٧٦ هـ الإعلام (٤/١٩٣).

(٥) الوسمة بكسر السين وقد تسكن نبت، وقيل شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.

(٦) البخارى رقم ٣٧٤٨.

(٧) فضائل الصحابة (٢/٩٨٥) رقم ١٣٩٧ إسناده حسن، مجمع الزوائد (٩/١٩٥)

بينهما فقال: ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع فى رواية الزهرى فى حياة الحسن لأنه يومئذ كان أشد شبها بالنبى ﷺ من أخيه الحسين، وأما ما وقع فى رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه، أو المراد بمن فضل الحسين عليه فى الشبه ما عدا الحسن. ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبهاً فى بعض أعضائه، فقد روى الترمذى وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن على قال: الحسن أشبه النبى ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبى ﷺ ما كان أسفل من ذلك[١]، فهذه بعض الأحاديث الواردة فى الحسين رضى الله عنه وأرضاه.

٣- ما ورد من أحاديث فى مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضى الله عنهما:

أ- ما رواه البخارى بإسناده إلى ابن عمر أنه قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقال رضى الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبى ﷺ: **«هما ريحانتاى من الدنيا»**[٢].

قال ابن حجر: والمعني، أنهما مما أكرمنى الله وحبانى به لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين[٣].

ب- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **من أحبهما فقد أحبنى من أبغضهما فقد أبغضنى**. يعنى حسن وحسين[٤].

جـ- وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال: **اللهم إنى أحبهما فأحبهما**[٥].

د- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**[٦].

هـ- عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبى بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ

---

(١) فضائل الصحابة رقم ١٣٦٦ إسناده صحيح.

(٢) البخارى رقم ٣٧٥٣.

(٣) فتح البارى (١٠/ ٤٢٧).

(٤) صحيح سنن أبى داود (٢/ ٢٩)، فضائل الصحابة رقم ١٣٥٩.

(٥) صحيح سنن الترمذى (٣/ ٢٢٦). سنن الترمذى رقم ٣٧٨٢.

(٦) مجمع الزوائد (٩/ ١٨٤)، وصححه الألبانى فى الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٤٨).

من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: **صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥] **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**[١].

و- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: **أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق**[٢]. وهذا الحديث لايتعارض مع ما وراه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**لاهامة**»[٣] وما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فى قوله: «**لا هام لا هام**»[٤]، وقوله ﷺ: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**»[٥]، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوى بقوله: ففى هذه الأحاديث نفيه الهامة ونفى وجودها، فكيف يجوز أن يعوذهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن الهامة التى عوذهما ﷺ منها هى هوام الأرض التى يخاف غوائلها، والهامة التى نفاها هى خلافهما، وهى ما كانت العرب تقوله فى موتها، فمن ذلك مارثى به لبيد أخاه أربد[٦] بقوله:

فليس الناس بعدك فى نقير ... ولا هُمْ غيرُ أصداء وهامِ

ومن ذلك قول شعر أبى داود الايادىّ:

سُلِّط الموت والمنون عليهم ... فلهم فى صدى المقابر هام

فنفى رسول الله ﷺ ذلك ما فى حديث أبى هريرة الذى رويناه، وأما الهامة التى عوذ منها حسنا وحسينا، فهى موجودة وهى هوام الأرض المخوفة وهى مشددة الميم، والهامة التى نفاها مخففة الميم، فليست منها فى شيء[٧].

---

(١) فضائل الصحابة رقم ١٣٥٨ إسناده صحيح.

(٢) البخارى رقم ٣٣٧١.

(٣) صحيح ابن حبان رقم ٦١٢٧ إسناده قوى، الطبرانى ١١٧٦٤.

(٤) شرح شكل الآثار (٧/٣٢٨) إسناده صحيح.

(٥) مسلم رقم ٢٢٢٠.

(٦) شرح مشكل الآثار (٧/٣٢٩)

(٧) المصدر نفسه (٧/٣٣٠).

خامساً: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:

حديث الكساء روته عائشة رضى الله عنها[1]، قالت: خرج النبى ﷺ غداة وعليه مرط مرحل «وهو الكساء» فأدخل عليا وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2] [الأحزاب: ٣٣].

وهذا يبين لنا من كذب أن الصحابة يكتمون فضائل على، فهذه عائشة التى يدعون أنها تبغض عليا هى التى تروى هذا الفضل لعلى وفاطمة[3].

إن الخطاب فى الآيات الكريمة كله لأزواج النبى ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٣٤]، فالخطاب كله لأزواج النبى ﷺ ومعهن الأمر والنهى والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما فى هذا من المنفعة التى تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبى ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبى ﷺ يتعدى عليا والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما فى حديث زيد بن أرقم، وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل

---

(١) مسلم رقم ٢٤٠٨ ك فضائل الصحابة.

(٢) مسلم رقم ٢١٦٧ ك الزكاة.

(٣) حقبة من التاريخ: ص (١٨٧).

بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس(١)، إذا اتسع مفهوم أهل بيت النبى ﷺ إلى أكثر من ذلك فهم نساؤه بدليل الآية، ويشمل أيضا علياً وفاطمة والحسن والحسين ،كحديث الكساء، وبحديث زيد بن أرقم، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبى طالب، وآل جعفر بن أبى طالب بدليل حديث زيد بن أرقم وآل الحارث بن عبد المطلب(٢)، وسيأتى الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله تعالى.

سادساً: ما يخص آل رسول الله من الأحكام:

١ - تحرم عليهم الزكاة:

لحديث عبد المطلب بن ربيعة أن النبى ﷺ قال: **«إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس»**(٣).

٢- لايرثون رسول الله ﷺ:

لحديث أبى بكر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لانورث، ما تركنا صدقة»**(٤). وقد روى هذا الحديث أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى ﷺ وأبو هريرة كما نص على ذلك ابن تيمية وهى ثابتة عنهم فى الصحاح والمسانيد(٥).

٣- لهم خمس الخمس فى الغنيمة(٦) والفىء(٧):

قال تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الأنفال:٤١].

وقال تعالى: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ** ﴾ [الحشر:٧].

---

(٢) مسلم رقم ١٠٧.

(٢) مسلم ك الزكاة رقم١٦٧.

(٣) مسلم رقم ١٠٧٢.

(٤) البخارى رقم ٣٠٩٣ مسلم ١٧٥٧.

(٥) منهاج السنة (٤/ ١٩٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).

(٦) ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركابة النهاية (٣/ ٣٨٩).

(٧) ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد النهاية (٣/ ٤٨٢).

٤- الصلاة عليهم مع النبى ﷺ :

عن كعب بن عجرة قال : سألنا رسول الله ﷺ فقلنا : يارسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال : قولوا : **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**[١] .

٥- لهم مودة خاصة :

ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم عن النبى ﷺ : «**أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى**»[٢] .

قال القرطبى : وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضى وجوب احترام أهله وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التى لا عذر لأحد فى التخلف عنها[٣]، وقد فهم وصية النبى ﷺ بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فأحبهم وأكرمهم، ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخارى بإسناده إلى أبى بكر رضى الله عنه، أنه قال : ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته[٤] .

فهذا خطاب من الصديق رضى الله عنه ووصية منه للناس فى حفظ حقوق آل بيت النبى ﷺ ، فالمراقبة للشىء المحافظة عليه، ومعنى قول الصديق : احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم[٥]، وقال النووى : ومعنى « ارقبوا » : راعوه واحترموه وأكرموه[٦]، وقد أكد رضى الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلى رضى الله عنه : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى[٧] . ومحبة أهل البيت من أصول أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية : وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبى ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ[٨]، وقال القاضى عياض : إن من علامات محبته ﷺ محبته لمن أحب النبى ﷺ ومن هو

(١) البخارى رقم ٣٣٧٠، مسلم رقم ٤٠٦ .

(٢) مسلم رقم ٢٤٠٨ .

(٣) فتح القدير للمناوى (٣/ ١٤).

(٤) البخارى رقم ٧١٣ .

(٥) انظر : فتح البارى (٧/ ٩٧).

(٦) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط : ص (١٧٥).

(٧) البخارى رقم ٣٧١٢

(٨) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٧).

بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين، فمن أحب شيئًا أحب من يحبه[١]، وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا، وحسبا ونسبا، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلى وأهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين[٢].

سابعًا: على رضى الله عنه فى غزوة أحد:

فى غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين على بين أبى طالب- رضى الله عنه- وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مراراً، فخرج إليه على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال له على: والذى نفسى بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفى إلى النار أو يعجلنى بسيفك إلى الجنة، فضربه على، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمى انشدك الله والرحم! فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله وقال لعلى بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمى ناشدنى الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[٣] وكان رضى الله عنه بعد الالتحام فى ميمنة الجيش وأخذ الراية بعد مقتل مصعب بن عمير رضى الله عنه، وفى هذه المعركة قَتل من المشركين خلقًا كثيرا، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة فى هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه فى الدفاع عن رسول الله ﷺ[٤]، وكان على رضى الله عنه هو الذى أخذ بيد رسول الله ﷺ حينما وقع فى الحفرة يوم أحد[٥]، لقد استشهد فى تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزنًا عميقًا فى نفس الرسول ﷺ، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنهما بمداواة جراحه ، وإيقاف الدم الذى كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام[٦].

---

(١) الشفاء (٢/ ٥٧٣)

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٣).

(٣) السيرة الحلبية (٢/ ٤٩٧، ٤٩٨)

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٤)

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨٩).

(٦) البخارى رقم ٤٠٧٥ .

وظهرت شجاعة على رضى الله عنه فى تلك المعركة، فعندما أشيع أن الرسول ﷺ قتل، وافتقده عليٌ، رأى أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل على القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله ﷺ[1]، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة فى ذلك اليوم[2].

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: **اخرج فى آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**، قال على: فخرجت فى أثرهم ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[3]، فخرج على رضى الله عنه، وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم[3]، وفى هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

- شجاعة النبى ﷺ، حيث كان داخل صفوف المشركين ولم يصل إليه سيدنا على إلا بعد جهد جهيد، فوجد رسول الله ﷺ فى قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعدة جروح.
- يقظة الرسول ﷺ، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته ﷺ على تقدير الأمور. وتحليل تصرفات الخصم وفهم ما يترتب عليها من قرارات.
- ظهور قوته المعنوية العالية، ويظهر ذلك فى استعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة.
- وفيه ثقة النبى ﷺ بعلى رضى الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.
- المروءة ومكارم الأخلاق عند على عندما رجع عن خصمه بعدما انكشفت عورته وإقرار رسول الله ﷺ له، وهذا العمل يعلمنا قيمة التعامل، وكيف تكون الأخلاق حتى مع الخصم وحتى فى ساحة المعركة.
- وجوب التضحية فى سبيل الله وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام فى الحياة وينال الشهيد الجنة، وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار فى هذه المعركة وغيرها.

---

(١) مسلم شرح النووى (١٢/ ١٤٨).

(٢) مسند أبو يعلى (١/ ٤١٥، ٤١٦) إسناده حسن، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد فقيهى؛ (ص٣٩).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٤١).

- وجوب الأخذ بالأسباب وظهر هذا عندما وضع رسول الله ﷺ بعض الصحابة على جبل أحد ، فعصوه ونزلوا وكان هذا من أسباب الهزيمة.

- وفيه شجاعة على رضى الله عنه، لأن هذا الجيش لو أبصره ما تورع فى محاولة قتله(١).

ثامنًا: على رضى الله عنه فى غزوة بنى النضير:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بنى النضير كانت بعد أحد فى ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهرى: أن غزوة بنى النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذى لاشك فيه أنها بعد أُحد، والتى كانت بعد بدر بستة أشهر هى غزوة بنى قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية(٢)، وقال ابن العربى: والصحيح أنها بعد أُحد (٣)، وإلى هذا الرأى ذهب ابن كثير (٤)، ففى هذه الغزوة فقد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه ذات ليلة، فقال النبى ﷺ : **إنه فى بعض شأنكم**، فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ، وقد كمن له حتى خرج فى نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعًا راميًا، فشد عليه على رضى الله عنه فقتله، وفر اليهود(٥).

تاسعًا: على رضى الله فى غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وما إن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالتهيؤ على جناح السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج من الناس إلا من شهد أُحُداً، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان فى مقدمتهم رسول الله ﷺ، ولم يسمح لعبد الله بن أبىٌ بالخروج معه، ولا لأحد لم يشهد أحُداً إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الذى

---

(١) السيرة النبوية للصَّلاَّبىّ (٢/١٤٥)، غزوة أحد لأبى فارس: ص (٩٥، ٩٦).

(٢) زاد المعاد (٣/٢٤٩).

(٣) أحكام القرآن لابن العربى (٤/١٧٦٥).

(٤) حديث القرآن عن الغزوات (١/٢٥٤)

(٥) إمتاع الأسماع للمقريزى (١/١٨٠)

استشهد أبوه في أُحُد، وكان قد منعه من الاشتراك في بدر وأحد ليبقى عند أخواته البنات، وخرج الجيش وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، ويحمل اللواء لواء أحد نفسه عليٌّ بن أبي طالب (١)، ووصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلاً، حيث حطُّوا الرحال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هُزموا لما عملوا على مطاردة قريش (٢)، كما أن في خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، فخرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لاطاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم(٣).

قال ابن سعد: ومضى رسول الله ﷺبأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى بذلك عدوهم(٤)، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة وسجلها المولى عز وجل في كتابه في معرض الثناء على الصحابة: ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٥].

عشراً: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك:

ورد في حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله ﷺ استدعى عليًا وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبي ﷺ،

---

(١) وقد حمل علي رضي الله عنه لواء رسول الله في غزوة الكُدر لبني سليم بعد عودته إلى المدينة بسبع ليال من غزوة بدر.

(٢) علي بن أبي طالب، أحمد السيد الرفاعي ص١- ١٠، تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي ص ٢٢٦.

(٣) غزوة أُحد لأبي فارس: ص (٥١).

(٤) الطبقات لابن سعد (٢/ ٤٩).

واستلبث الوحى، فأما أسامة، فأشار عليه بالذى يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيراً، وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[1]، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: **أى بَرِيَرة هل رأيت من شيء يَرِيبك؟** قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه [2] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتى الداجن[3] فتأكله، فقام رسول الله، فاستعذر[4] **يومئذ من عبد الله بن أُبى ابن سَلول قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلا[5]، ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلى إلا معى**[6]. إن الكلام الذى قاله علىّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبى، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذى قيل.

وكان شديد الغيرة، فرأى على رضى الله عنه فى بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[7]، وقال النووى: رأى على أن ذلك هو المصلحة فى حق النبى ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده فى النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[8]، كما أن عليا رضى الله عنه لم ينل عائشة -رضى الله عنها- بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء[9]، بل كان رأيه خيراً لها، فهو يقول إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية توصلك إليها عن براءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبين براءة عائشة،

---

(١) البخارى رقم ٤٧٥٠.

(٢) أغمصه: أى أعيبها به وأطعن بها عليه.

(٣) الداجن: هى الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم.

(٤) فاستعذر: أى قال: من يقوم بعذرى إن كفاته على سوء صنيعه.

(٥) هو صفوان بن المعطل السلمى.

(٦) البخارى رقم ٤٧٥٠.

(٧) دور المرأة السياسى: ص (٤٦٢).

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى (٥/٦٣٤).

(٩) دور المرأة السياسى، أسماء محمد زيادة: ص (٤٦٢).

وخطورة من يخوض في عرضه ظلماً وزوراً، وقد بدت نصيحة على وأسامة بن زيد معاً إيجابيتين، وفي صالح عائشة رضي الله عنها، فقد ازداد النبي ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله(١).

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة الاعتبار التي تزعم بإساءة علي إلى عائشة في أمر الإفك، والتي بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تغضب من علي رضي الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة عليه الأعداد الهائلة من المسلمين(٢)، ومن أمثال هؤلاء الباحثين، علي إبراهيم حسن في التاريخ الإسلامي العام، وطه حسين في كتابه: علي وبنوه(٣)، وغيرهم، وسوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعلي -بإذن الله- عند حديثنا عن موقعة الجمل، لقد كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(٤)، وقد تحدثت في كتابي «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث» عن الدروس والعبر والأدب والأحكام التي تؤخذ من حادثة الإفك(٥).

---

(١) دور المرأة السياسي: ص (٤٦٣).

(٢) من أراد التوسع في حادثة الإفك فليراجع السيرة النبوية للصلابي (٢/٩٢٦).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد فقيهي: ص (٥٤).

(٤) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (٤٤٠).

(٥) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٢/٢٤٣ - ٢٥٥).

المبحث السادس

أهم أعمال على رضى الله عنه

ما بين الأحزاب إلى وفاة النبى ﷺ

أولاً: على رضى الله عنه فى غزوة (الأحزاب):

كان موقف أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى الأحزاب بطوليًا رائعًا ينم عن مدى رسوخ العقيدة فى قلوب أصحاب النبى ﷺ، والدعوة إليها، والموت فى سبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن اسحاق: وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة فى الخندق حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدو نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليُرَى مكانهُ فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له على بن أبى طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له على: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لى بذلك، قال: فإنى أدعوك إلى النّزال، فقال له: لَمَ يا ابن أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له على: لكنى والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علىٍّ، فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة (١).

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقى فى دلائل النبوة من أشعار قالها عمرو بن ود وعلى رضى الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

ولقد بححْتُ من النداء	لجمعهم هل من مبارز؟
ووقفت إذ جَبُنَ المشجَّع	موقف القرن المناجز
ولذاك إنى لم ألُ	متسرعًا قبل الهَزاهِزْ
إن الشجاعة فى الفتَى	والجود من خير الغرائِزْ

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣٤٨).

فعندما خرج له على رضى الله عنه قال:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتاكَ مُجيبُ صَوتِكَ غير عاجز

في نيةٍ وبصيرةٍ والصدق مَنْجَى كلِّ فائز

إني لأرجُو أن أُقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز[1]

ولما قتل على رضى الله عنه عمرو بن ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعليٌّ تقتحم الفوارس هكذا عنّي وعنهم أخرّوا أصحابي

اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ومُصَمِّمٌ في الرأس ليس بنابي[2]

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فرّ وألقى لنا رمحه لعلّكَ عِكرِمُ لم تفعلِ

ووليت تعدو كعدو الظَّليم ما أن يحورَ عن المَعدلِ

ولم تلوِ ظهرك مستأنسًا كأن قفاك قفا فُرْعَلِ[3]

وبعد مقتل عمرو بن ود بعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدِّية، فلم يقبل منهم شيئًا. وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وماشابهه[4].

ثانيًا: على رضى الله عنه فى غزوة بنى قريظة:

وكان فيها رضى الله عنه حامل راية رسول الله ﷺ فى المقدمة[5] إلى أن حكم فيها سعد بن معاذ، وكان فى بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن عليّ بن أبى

---

(١) نجلاء: واسعة، الهزائز: الحروب والشدائد.

(٢) البداية والنهاية (٤/١٠٦).

(٣) الفرعل: صغار الضباع.

(٤) معين السيرة للشامى: ص (٩٤).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٥٨).

طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لاذوقن ما ذاق حمزة، أو لاقتحمن حصونهم،فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ[1]، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، على لسان ذاك التقى النقى لما آتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتيبته بأحب الأسماء التى ينادى بها الله تعالى عباده ألا وهو نداء الإيمان الذى يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالى[2].

ولما حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال [3]، فكان من الذين يباشرون القتل على بن أبى طالب والزبير رضى الله عنهما[4].

ثالثا: على رضى الله عنه فى صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

فى غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد (الأرقاء) من مكة إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله ﷺ أن يرجعهم وقال: **«يامعشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان**، فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: **هو خاصف النعل**، وكان قد أعطى عليًا يخصفها[5]، ولمَّا تمَّ الصلح بين المسلمين ومشركى قريش، كتب على كتابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلى: **امحه** قال: ما أنا بالذى أمحوه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده، فصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبَّان[6] السلاح[7]، وقد امتنع على رضى الله عنه من محو كلمة

---

(١) البخارى رقم ٤٢١١، السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٦٣).

(٢) الخليفتان عثمان وعلى بين السنة والشيعة، أنور عيسى: ص (٧٨).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٦٣)، البخارى رقم ٤١٢١.

(٤) إمتاع الأسماع للمقريزى (١/٢٤٧).

(٥) مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمى: ص (١٨٣)، والحديث صحيح بمجموع طرقه، خلافة على بن ابى طالب، عبد الحميد على ناصر: ص (٣٠).

(٦) الجلبّان: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المغمور.

(٧) مسلم (٣/١٤٠٩)، خصائص على للنسائى، تحقيق أحمد البلوشى: ص (٢٠٣).

(رسول الله) بدافع محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه[1]، وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم فى الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبى ﷺ فى أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، ولا مطعن فى شيء من هذا فى أصحاب رسول الله ﷺ، لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبيان ذلك، أن الرسول ﷺ كان قد رأى فى المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح، وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله[2]، فجعل عمر- رضى الله عنه- على ما عرف به من القوة فى الحق والشدة فيه يسأل رسول الله ﷺ ويراجعه فى الأمر، ولم تكن أسئلته التى سألها رسول الله لشك فى صدق الرسول ﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفصلا عما كان متقرراً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله ﷺ على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى فى ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين[3].

قال النووى: قال العلماء لم يكن سؤال عمر- رضى الله عنه- وكلامه المذكور شكًا بل طلبا لكشف ما خفي عليه، وحثًا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه -رضى الله عنه- وقوته فى نصر الدين وإذلال المبطلين[4]، فعمر -رضى الله عنه- كان فى هذا مجتهداً حمله على هذا شدته فى الحق، وقوته فى نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأى امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد فى أن يقعد فى المدينة، أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليه فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى عليه السعد ان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على دارارى المشركين،فقال أبو بكر: إنا لم نجيء لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.[5] وفى حوادث كثيرة يطول ذكرها، فقد كان

---

(١) الانتصار للصحب والآل، للرحيلي: ص (٢٦٢ - ٢٧٤).

(٢) البداية والنهاية (٤ / ١٧٠)، تاريخ الطبرى (٢ /٦٣٥).

(٣) الانتصار للصحب والآل، : ص(٢٦٤).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢ / ١٤١).

(٥) تفسير ابن كثير (١ / ٤٢٠) عند تفسير قوله: «وشاورهم فى الأمر».

عمر- رضى الله عنه- يطمع أن يأخذ رسول الله ﷺ برأيه فى مناجزة قريش وقتالهم ولهذا راجعه فى ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله لما يعلم من حسن نيته وصدقه(١).

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ﷺ، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات، قال ابن حجر: قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحى بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم فى اعتقادهم على بلوغ غرضهم ، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لايقتضى الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم(٢)، وجاء فى بعض الروايات أن الرسول ﷺ لما رأي عدم امتثالهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح(٣)، فاشارت عليه كما جاء فى رواية البخارى: ان اخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج لم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا(٤)، قال ابن حجر: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبى ﷺ أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة فى حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذا بالعزيمة فى حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفى عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبى ﷺ صواب ما أشارت به ففعله.. ونظير هذا ما وقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان، فلما استمروا على الامتناع ، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب فشربوا (٥).

وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبى ﷺ، فلما أمرهم النبى ﷺ بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذى حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٦).

(٢)، (٣)، (٤) فتح البارى (٥/٣٤٧).

(٥) البخارى، ك الشروط ٢٧٣٢.

معهم، فكأنهم- رضى الله عنهم- آثروا التاسى به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل فى حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم فى الحج مع النبى ﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المنى، فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلل، قال لهم: **أيها الناس أحلوا فلولا الهدى الذى معى فعلت كما فعلتم**. قال جابر- رضى الله عنه-راوى الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا(١)، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الخير والرغبة فى التاسى برسول الله ﷺ التاسى الكامل(٢).

إن موقف النبى ﷺ فى سكوته على عمر رضى الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطى قيمة كبرى بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر وحسن الاستماع للرأى الآخر، وإعطاء المجال لكل ذى رأى أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة، العامة، لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه. إن النبى ﷺ فى صلح الحديبية بين أن حرية إبداء الرأى مكفولة فى المجتمع الإسلامى، وأن للفرد فى المجتمع المسلم الحرية فى التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأى نقداً لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره فى جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله ﷺ مع عمر، فمعارضة رئيس الدولة – من باب أولى – فى رأى من الآراء، وموقف من المواقف، ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها فى غياهب السجون(٣)، كما أن الهدى النبوي الكريم يعلمنا كيف يربى أصحابه من خلال الأحداث. ولقد نال على رضى الله عنه فى الحديبية مع من حضر من أصحاب رسول الله، رضا الله عز وجل ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح:١٨]، وقال رسول الله ﷺ: **لن يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة**(٤)، وقد نال على رضى الله عنه وإخوانه مثل أبى بكر وعمر وغيرهما من قبل

(١) البخارى، ك الاعتصام رقم ٧٣٦٧.

(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٦٨)، وهذا من أفضل الكتب فى الرد على بعض شبهات الروافض.

(٣) غزوة الحديبية لأبى فارس: ص (١٣٤، ١٣٥).

(٤) البخارى رقم ٤٨٤٠، مسلم ١٨٥٦.

في بدر وسامًا عظيمًا وشرفا عاليا، فقد قال رسول الله في أهل بدر: **وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**[1].

رابعًا: عمرة القضاء ٧هـ وعلى رضى الله عنه، وحضانة ابنة حمزة رضى الله عنه:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيرًا عظيمًا، فعادت البنت- التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فرارا من العار، وزهدا في البنات- حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، ولايرجح بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق[2]، فلما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادى: ياعم، فتناولها على، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضى الله عنها: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها على وزيد وجعفر. قال على: أنا أخذتها وهي بنت عمى، وقال جعفر: هي ابنة عمى وخالتها تحتى، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: **الخالة بمنزلة الأم**، وقال لعلى مني: **أنت وأنا منك**، وقال لجعفر: **أشبهت خلقي وخلقي**، وقال لزيد: **أنت أخونا ومولانا**، وقال على لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج بنت حمزة. قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة[3].

وفى هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

١- الخالة بمنزلة الأم.

٢- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذ لم يوجد الأبوان.

٣- تزكية رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ووصفه له بقوله: **أشبهت خلقي وخلقي**.

٤- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: **أنت أخونا ومولانا** ، لأنه كان أخا لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسول ﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب أن يكون وليا على بنت حمزة رضى الله عنه.

---

(١) البخاري رقم ٣٩٨٣، مسلم ٢٣٩٤.

(٢) السيرة النبوية للندوى: ص (٣٢١).

(٣) البخاري رقم ٤٢٥١.

٥- زواج المرأة لايسقط حقها من الحضانة: لقد حكم النبي ﷺ إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

٦- لابد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها، لأن الزوجة محتسبة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئيًا، فلابد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

٧- إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخا له في الرضاعة، وتصبح بناته كلهن بنات أخيه من الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن[١].

خامسًا: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧ هـ:

ذكر ابن إسحاق [٢]، أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي[٣]، أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٤] إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة[٥]، وقد رجح ابن حجر[٦] قول ابن إسحاق على قول الواقدي[٧]، وفي هذه الغزوة تجلت فيها بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهره جلي رائع[٨]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعا حصينة، وقاعدة حربية لليهود، آخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، صلح الحديبية لأبي فارس: ص (٢٨٦، ٢٨٧)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٤٥٥).

(٣) المغازي (٢/ ٦٣٤).

(٤) الطبقات (٢/ ١٠٦).

(٥) تاريخ دمشق (١/ ٣٣).

(٦) الفتح (١٦/ ٤١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية :ص(٥٠٠).

(٧) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ص (٥٠٠)..

(٨) المرتضى للندوي: ص (٥٢).

المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة بعد سبعين ميلا منها[1]، توجه رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفاً وأربعمائة، ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصناً حصناً، واستعصى حصن الغموص على المسلمين، وكان علي بن أبي طالب رمداً[2]، فقال رسول الله ﷺ : **لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**، فبات الناس يدوكون[3] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **أين عليّ بن أبي طالب؟** فقيل: هو يارسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يارسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: **انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النَّعَم**[4]. فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مُجرب

إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة

أوُ فيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[5]، وفي موقف علي في غزوة خيبر دروس وعبر وفوائد منها:

---

(١) المرتضى للندوي: ص(٥٢).

(٢) المصدر نفسه: ص (٥٣).

(٣) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.

(٤) مسلم رقم ٣٤٠٦.

(٥) مسلم (٣/ ١٤٤١) رقم ١٨٠٧.

١ - فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضى الله عنه :

حيث شهد له النبي ﷺ بالمحبة في قوله : **يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** . وقال ابن حجر في معنى أن عليًا يحب الله ورسوله أراد بذلك وجوب المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة . وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ٣١] . *فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة* محبة الله له[١] .

٢- بركة دعائه ﷺ :

حيث استجاب الله لدعاء رسوله ﷺ ، وقد قال علي رضى الله عنه : ما رَمِدْتُ منذ تفل النبي ﷺ في عيني[٢] ، كما أن عليًا رضى الله عنه مرض مرة، فأتاه النبي ﷺ وهو يقول : اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرًا فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني، فقال له رسول الله ﷺ : **ما قلت؟** فأعاد عليه، فقال رسول الله ﷺ : **اللهم اشفه، اللهم عافه**، ثم قال : **قم**. فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[٣] .

٣- لاعلاقة بين هذا الحديث وإمامة علي رضى الله عنه :

ذهب الروافض إلى أن عليـا رضى الله عنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولاتدل على إمامته،منها هذا الحديث وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محبًا لله ورسوله ومحبوبًا لهما وبين كونه إمامًا بلا فضل أصلاً . على أنه لايلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره، كيف وقد قال الله تعالى في حق أبي بكر ورفقائه : ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤]، وقال في حق أهل بدر : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف : ٤]، ولاشك أن من يحبه الله يحبه رسوله، ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال في شأن أهل مسجد قباء : ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ [التوبة : ١٠٨] . ولما سئل، من أحب الناس إليك؟ قال : **عائشة .**

---

(١) فتح الباري (٧/ ٧٢).

(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٥٨٩ إسناده حسن.

(٣) مسند أحمد (٢/ ١٥١) صححه أحمد شاكر.

قيل: ومن الرجال: قال: **أبوها**[1]. وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق علي مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: **يفتح الله على يديه**[2]. وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد في قوله ﷺ: **إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**. فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له، فصار المقصود منه تخصيص مضمون «**يفتح الله على يديه**» وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم[3].

٤- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علي في فتح خيبر منها:

- فضل الصحابة في انشغالهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح، لأنهم انشغلوا عنها بالتماسهم معرفة من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، والإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى، لأنَّ الصحابة غدوا على رسول الله مبكرين كلهم يرجو أن يُعطاها ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض، ولم يسع لها، ومع ذلك أعطى الراية.

- الأدب في قوله: **على رسلك**. ووجهه أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، والدعوة إلى الإسلام قبل القتال، الدعوة بالحكمة ، تؤخذ من قوله: أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بان تامره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولايكفي أن تامره بالإسلام لانه قد يطبّق هذا الإسلام الذي أمرته به، وقد لايطبقه، بل لابد من تعاهده حتى لايرجع إلى الكفر، المعرفة بحق الله في الإسلام تؤخذ من قوله ﷺ: **وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**.

- ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد، لقوله ﷺ: «**ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» أي: خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر.

- الحلف على الفتيا لقوله ﷺ: **فوالله لأن يهدي الله**... إلخ، فاقسم النبي ﷺ، وهو لم يُستقسم، والفائدة: هي حثه على أن يهدي الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي**

---

(١) البخاري، فتح الباري (٧/ ٢٢).

(٢) مسلم رقم ٣٤٠٦.

(٣) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ص (٧٠).

وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [يونس:٥٣] وفي قوله: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن:٧]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣]. فإذا كان هناك في القَسَم مصلحة ابتداء، أو جوابًا لسؤال جاز وربما يكون مطلوبًا(١).

سادسًا: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين ٨ هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله ﷺ بمساندتها بني بكر على خزاعة حليف المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال. فقال رسول الله: **نصرت ياعمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب** ولما عرض السحاب من السماء قال: **إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب**.(٢) وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأنشد قصيدة بين يدي رسول الله ﷺ جاء فيها:

يارب إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم وُلدا، وكنا والداً	ثُمت أسلمنا فلم ننزع يداً
فانصر هداك الله نصراً أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مدداً
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفا وجهه تربدا

إلى أن قال:

وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجّدا	وقتلونا ركّعا وسجداً

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله ﷺ يعرض حاجته، أعرض عنه النبي ﷺ ولم يجبه فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى يتوسطوا بينه وبين رسول الله ﷺ، فأبوا جميعًا، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد(١)، وكانت لعلي رضي الله عنه في فتح مكة مواقف متعددة منها:

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح (١/١٤١، ١٤٢).

(٢) البداية والنهاية (٤/٢٧٨).

(٣) التاريخ السياسي والعسكري د. علي معطي: ص (٣٦٥).

١- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش:

عن حسن بن محمد بن على بن عبيد الله بن أبى رافع أنه سمع عليًا يقول: بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: **انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ، فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها**. فانطلقنا تَعادى بنا خيْلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجى الكتاب، قالت: ما معى من كتاب. قلنا لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ(١) الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: **ياحاطب ما هذا**؟ قال: لا تعجل علىَّ، إنى كنت امرأً مُلْصَقًا فى قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتى، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن دينى ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله: **إنه قد صدقكم**. فقال عمر: دَعْنى أضرب عُنُق هذا المنافق. فقال: **إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلَعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**(٢).

٢- أجَرْنا من أجرتِ يا أم هانئ:

قالت أم هانى بنت أبى طالب- أخت على رضى الله عنهما - :لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلىَّ رجلان من أحمائى، من بنى مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبى وهب المخزومى، قالت: فدخل علىَّ على بن أبى طالب أخى، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتى، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى، ثم انصرف إلىَّ فقال: مرحبًا وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علىّ، فقال: قد أجرنا من أجرت وأمَّنَّا من أمنت، فلا يقتلهما(٢)، وبناء على ماتقدم، فإنَّ تأمين المسلم للكافر من أهل الحرب يجعله فى أمان، ومن ثمّ، فلا يجوز للمسلمين أن يتعرَّضوا له بشيء.. وحتى يُصان حقُّ التأمين

---

(١) فى رواية: أو لنقلبن.

(٢) إسنادة صحيح، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم ٦٠٠.

(٣) صحيح السيرة: ص (٥٢٧).

هذا من أى ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرَّائه- فقد شرط الفقهاء لصحَّته أن يتجرَّدَ مُعْطى الأمان من التُّهمَة، ويَخْلُو ذلك الأمان الممنوح من أيَّة مفسدة[1]، أو يرفع الأمر إلى ولى الأمر ليرى رأيه فيه.

٣- مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب:

فى هذا الفتح العظيم، كان النبى ﷺ قد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دمَ نفر سمَّاهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب، كان ممن يؤذى النبى ﷺ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[2] بهما الحويرث الجمل الذى هما عليه فسقطتا على الأرض، فلما أهدر دمه وظفر به علىٌّ قتله[3].

٤- على رضى الله عنه فى مهمة إصلاحية:

أرسله الرسول ﷺ إلى جذيمة، ليتلافى خطأ خالد بن الوليد فى قتل بعضهم، وذلك أن الرسول ﷺ بعث خالداً فى السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلى بنى جذيمة يدعوهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، وقالوا: صبانا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر.. فلما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خالد، رفع يديه فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع، مرتين[4]، فبعث الرسول ﷺ عليا إليهم، لينظر فى أمرهم وبعث معه بمال، فقام علىٌّ بمهمته خير قيام، فودى إليهم، لينظر فى أمرهم وبعث معه بمال، فودى لهم وعوضهم عما أصيب فى الدماء والأموال حتى أنه ليدى ميلغة[5] الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سألهم: هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطيًا لرسول الله ﷺ مما لايعلم ولا تعلمون، ففعل، ولما رجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر قال: **أصبت وأحسنت**[6].
وبهذه المهمة الجليلة الموفقة، أزال على- رضى الله عنه- هما وحملاً أثقل

---

(١) الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية (٣/١٠٥١)

(٢) نخس الدابة: هيجها.

(٣) فتح البارى (٨/١١)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/٥٨، ٥٩).

(٤) البخارى رقم ٤٣٣٩.

(٥) ميلغة: اسم آلة، والفعل «يلغ» بمعنى يشرب.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤/٧٢، ٧٣) إسناده ضعيف وله شواهد.

الرسول ﷺ[1]، وبهذا الهدى النبوى الحكيم واسى النبى ﷺ بنى جذيمة، وأزال ما فى نفوسهم من أسى وحزن[2]، وكان قتل خالد لبنى جذيمة تاولا منه واجتهاداً خاطئًا، وذلك بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله[3]، ولم يعزله.

٥- على رضى الله عنه فى غزوة حنين:

من أعماله الجهادية التى تتسم بالشجاعة وتدل على الخبرة فى القتال ما كان فى غزوة حنين فى العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول ﷺ، ومع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان فى جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك على بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل عاملاً مؤثرًا فى حماس هوازن وشدتها، فاتجه على بن أبى طالب - رضى الله عنه- ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا إسقاطه من على جمله وقتله، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[4].

٦- سرية على رضى الله عنه لهدم الصنم الفلس فى بلاط طئ:

بعد أن طهر النبى ﷺ البيت الحرام من الأوثان التى كانت فيه، كان لابد من هدم البيوت التى كانت معالم للجاهلية ردحًا طويلاً من الزمن[5]، فكانت سرايا رسول الله ﷺ تترى لتطهير الجزيرة منها، فكانت من نصيب على رضى الله عنه صنم الفلس فى بلاد طيء، ففى ربيع الآخر خرجت سرية على بن أبى طالب إلى الفلس- صنم لطيء- ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسا، ومع راية سوداء ولواء أبيض ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم- حاتم الطائى الذى ضرب المثل بجوده- مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملئوا أيديهم من السبى والنعم والشاء، وفى السبى أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام[6].

---

(١) خلافة على بن أبى طالب: ص (٤٦).

(٢) السيرة النبوية لأبى شهبة (٣/٤٦٥).

(٣) السيرة النبوية فى ضوء المصادر: ص (٥٧٩).

(٤) مسند أبى يعلى (٣/٣٨٨) حسن الإسناد، الصحيح المسند: ص (١٤١) للعدوى.

(٥) معين السيرة: ص (٢٩٤).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبى: ص (٦٢٤).

سابعًا: استخلاف النبي ﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك ٩ هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام(١)، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عليا، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فاخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا العمل والقول السيء منهم في حقه علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليا رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ أن لايحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»(٢) عند ذلك أدرك علي الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يارسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»**(٣).

ثامنًا: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس ٩ هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عهد النبي ﷺ مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام ٨هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشتركين(٤)، فلما حل موسم الحج أراد ﷺ الحج ولكنه قال: إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج وكان ذلك سنة ٩ هـ فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة(٥)، وساقوا معهم الهدى(٥)، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبي ﷺ عليا رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم

---

(١) المرتضى للندوي: ص (٥٥).

(٢) مسلم رقم ٧٨.

(٣) البخاري رقم ٢٤٠٤.

(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٥٣٦)، دراسات في عهد النبوة: ص (٢٢).

(٥) نظرة النعيم (١/٩٨)، الطبقات الكبرى (٢/١٦٨).

التى كانوا عليها فى الجاهلية، وكان الحج فى هذا العام فى ذى الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا فى شهر ذى القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر».

ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: فى وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات.. إلخ، وعلى يخلفه فى كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادى فى الناس بهذه الأمور الأربعة، لايدخل فى الجنة إلا نفس مؤمنة، ولايطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبى ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[١]، وقد أمر الصديق رهطًا آخر من الصحابة لمساعدة على بن أبى طالب فى إنجاز مهمته[٢].

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم[٣].

قال تعالى: ﴿ **بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة: ١-٣] وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم، قال تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: ٤].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها فى حالة حرب مع المسلمين قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٥٩٤ حديث صحيح.

(٢) السيرة النبوية لابى شهبة (٢/ ٥٣٧).

(٣) نظرة النعيم (١/ ٣٩٩).

وقد كلف النبى ﷺ علياً بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين فى موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم من عقد العهود ونقضها، ألا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، ، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبى ﷺ الأمر وأرسل عليا بذلك، فهذا هو السبب فى تكليف على بتبليغ صدر سورة براءة لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن عليا أحق بالخلافة من أبى بكر، وقد علق الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدرى كيف غفلوا عن قول الصديق: أمير أم مأمور[1]؟ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير[2]، وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهى حجة الوداع، لقد أعلن فى حجة أبى بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذى انتشر بين قبائل العرب فى الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها فى التوحيد[3].

تاسعاً: على رضى الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة ٩ هـ:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران[4] كتابا قال فيه: **وأما بعد، فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام**.[5] فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأى فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدا يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل: ستين راكبا، منهم ثلاثة نفر يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم، وحبرهم وصاحب مدارسهم[6]، ولما جاء وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللا لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام،

---

(١) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٥٤٠)، صحيح السيرة: ص (٦٢٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٠).

(٣) قراءة سياسية للسيرة النبوية: ص (٢٨٣).

(٤) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٤٨).

(٦) المصدر نفسه (٥/ ٤٨)، السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/ ٥٤٧).

وتصدوا لكلامه طويلا، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنهما - وكانا على معرفة لهم، كانا يخرجان العير فى الجاهلية إلى نجران، فيشترى لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما فى ناس من الأنصار فى مجلس، فقالوا: ياعثمان، ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارا طويلا، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأى منكما، أنعود؟

فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم: ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة[1]. وقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبى ﷺ: **«يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدا»**[2]، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبى يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: **أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول**، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب، فإن كنت صادقًا فأر مثله؟ فأنزل الله فى الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه[3]، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[4]، امتثالا لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١] وخرج النبى ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: **«إذا أنا دعوت فأمّنوا»**[5]. فائتمروا فيما بينهم

(١) زاد المعاد (٣/٦٢٩- ٦٣٨)

(٢) المصدر نفسه (٣/٦٣٣).

(٣) المصدر نفسه (٣/٦٣٣).

(٤) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/٥٤٧).

(٥) المصدر نفسه (٢/٥٤٧).

فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقا، وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر[1].

عاشرا: على رضى الله عنه داعيًا وقاضيًا في اليمن ١٠ هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى القبائل التى لم تستجب بعد، فأرسل عليا رضى الله عنه إلى همدان باليمن، وهذا البراء بن عازب – رضى الله عنه- يحدثنا عمّا حدث فى ذهابه مع على رضى الله عنه لليمن فيقول:.. فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى على بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفًا واحداً ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فاسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خر ساجداً، وقال: **السلام على همدان، السلام على همدان**[2]، لقد كان رسول الله ﷺ حريصا على الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن فى الإسلام، وظهر هذا الاهتمام فى النتائج الباهرة التى حققتها الدعوة فى كثرة عدد الوفود التى كانت تنساب من كل أطراف اليمن متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلا وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوى السلمى، حيث بعث خالد بن الوليد ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهما، فقد كان ﷺ يركز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير فى المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم فى حياته[3].

هذا وقد أمر رسول الله ﷺ عليًا بأن يقضى بين الناس في اليمن، وهذا على رضى الله يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت له: يارسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدرى، وقال: **اللهم ثبّت لسانه واهد قلبه، يا على إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء**، قال: فما اختلف على قضاء بعد أو ما أشكل على قضاء بعد[4].

---

(١) السيرة النبوية لأبى شهبة (٢/٥٤٧).

(٢) زاد المعاد (٣/٦٢٢) إسناده صحيح.

(٣) السيرة النبوية للصَّلاَّبِى (٣/٥٩٦)، الفقه السياسى للوثائق: ص (٢٣١).

(٤) فضائل الصحابة (٢/٨٧١) إسناده حسن رقم ١٩٩٥.

لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام فى بلادهم من يفقههم فى أمور دينهم، ويعلمهم ويقضى بينهم بحكم الله عز وجل، فبعث رسول الله ﷺ عدداً من الصحابة إلى أرجاء اليمن منهم معاذ وأبو موسى الأشعرى، وكان من أفضلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التى حكم فيها على رضى الله عنه وهو باليمن منها:

١- قضاؤه فى الأربعة الذين تدافعوا عند زبية[١] للأسد:

عن حنش عن على رضى الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبْيَةً[٢] للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون؛ إذ سقط رجل فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى[٣] صاروا فيه أربعة فَجَرحَهم الأسد، فانتدب له رجل بحَرْبة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم على على تفيئة[٤] ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حىٌّ، إنى أقضى بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض، حتى تأتوا النبى ﷺ فيكون هو الذى يقضى بينكم، فمن عَدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة ، فللأول الربع لأنه أهلك من فوقه، وللثانى ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبى ﷺ وهو عند مقام إبراهيم فقصواً عليه القصة، فقال: أنا أقضى بينكم واحتبى، فقال رجل من القوم: إن عليا قضى فينا فقصواً عليه فأجازه رسول الله ﷺ[٥].

٢- ثلاثة وقعوا على امرأة فى طهر:

عن زيد بن أرقم أنه قال: أُتى على بثلاثة وهو باليمن وقعوا على امرأة فى طهر واحد، فسأل اثنين : أتقران لهذا بالولد؟ قالا: لا حتى سألهم جميعاً، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا ، فاقرع بينهم، فألحق الولد بالذى صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثى

---

(١) الزبية: حفرة تحفر للأسد، ولا تحفر إلا فى مكان عال من الأرض.

(٢) الحفرة فى الأرض : القاموس (٤ / ٣٤٠)، تاج العروس (١٠/ ١٦)

(٣) فضائل الصحابة (٢ / ٩٠٠) رقم ١٢٣٩ إسناده حسن.

(٤) تفيئة ذلك: أى أثره، النهاية (٣/ ٤٨٣).

(٥) فضائل الصحابة رقم ١٢٣٩ إسنادة صحيح.

الدية[1]، قال: فذكر ذلك لنبي الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه[2]، وكان ضحك رسول الله ﷺ فرحا وسروراً بتوفيق الله تعالى عليًا للصواب.

ولذلك أقره على ذلك[3]، ويحتمل أن ما حصل من أولئك النفر إنما كان قبل إسلامهم، لأن فعلهم محرم في دين الله تعالى[4].

الحادي عشر: على رضى الله عنه في حجة الوداع:

أدرك عليّ رضى الله عنه رسول الله في حجة الوداع، ونحر رسول الله ثلاثًا وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذى نحره عدد سنيّ عمره، ثم أمسك، وأمر عليا أن ينحر ما بقى من المائة، ففعل وأكمل العدد، وقد وصف لنا على رضى الله عنه بعض المناسك فى حجته مع رسول الله ﷺ، فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه: أن النبى ﷺ وقف بعرفة وهو مُرْدِف أسامة بن زيد، فقال: «**هذا الموقف وكل عرفة موقف**»، ثم دفع يسير العَنَقَ، وجعل الناس يضربون يمينًا وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: **السكينة أيها الناس، السكينة أيها الناس** حتى جاء المزدلفة، وجمع بين الصلاتين، ثم وقف بالمزدلفة، فوقف على قُزَحَ، وأردف الفضل بن عبّاس، وقال: «**هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف**» ثم دفع وجعل يسير العَنَقَ، والناس يضربون يمينًا وشمالا، وهو يلتفت ويقول: **السَّكينة، السَّكينة، أيّها الناس**» حتى جاء مُحسراً فقرع راحلته فخبّت، حتى خرج، ثم عاد لسَيْره الأول، حتى رمى الجمرة، ثم جاء المَنْحَر فقال: **هذا المَنْحَر، وكلُّ مِنى مَنْحَر**. ثم جاءت امرأة شابة من خَثْعَمَ، فقالت: إن أبى شيخ كبير، وقد أفند، وأدركته فريضة الله فى الحج، ولا يستطيع أداءها، فيُجزئ عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله ﷺ: **نعم**، وجعل يصرف وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل فقال: إنى رميت الجمرة، وأفضت ولبستُ ولم أحلق. قال: **فلا حرج، فاحلق**. ثم أتاه رجل آخر، فقال: إنى رميت وحلقت ولبست ولم انحر. فقال: **لا حرج فانحر**. ثم أفاض رسول الله ﷺ، فدعا بسَجْلٍ من ماء زمزم، فشرب منه وتوضأ، ثم قال: **انزعوا**[5] **يا بنى عبد المطلب، فلولا أن تُغْلَبوا عليها**

---

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله: ص (٨٧).

(٢) نواجذه: جمع ناجذ: آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ، وهناك رواية أخرى فى فضائل الصحابة رقم ١٠٩٥ إسناده حسن لغيره.

(٣) سنن النسائى (٦٦/١٨٢) حاشية السندى.

(٤) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله: ص (٨٨).

(٥) المرتضى للندوى ص ٥٧، وقد جاء فى رواية البخارى أن النبى ﷺ نحر سبع بدن بيده قياماً رقم ١٧١٢، وكلف عليًا بالإشراف على قسمتها وهى مائة رقم ١٧١٨. النزع: استخراج الماء من زمزم لسقى الحجيج.

لنزعت. قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: **إني رأيت غلاما شابا، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان**[1]. وقد كان على رضى الله عنه يعلن على الناس ما أمره به النبى ﷺ، فعن عمرو بن سُليم عن أمه قالت: بينما نحن بمنى إذا على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: **إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد**، واتّبع الناس على جمله يصرخ بذلك[2].

الثانى عشر: تشرفه بغسل النبى ﷺ ودفنه:

لما توفى النبى ﷺ كان على ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة بن زيد[3]، وقال على رضى الله عنه: غسلت رسول الله ﷺ، فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبا حيا وميتًا[4]، وقال: بأبى الطيب، طبت حيا وطبت ميتا[5]، وكان على رضى الله عنه من ضمن من نزل فى قبر رسول الله وباشروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ[6]، لقد كان نبأ وفاة رسول الله على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعوّدوه من العيش فى كنفه، عيش الأبناء فى حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة الهاشمية- وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب- أوفر وأكثر بطبيعة الحال، وبحكم الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوة العاطفة، وشدة الحب ولكن احتملوه بقوة إيمانهم والرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره[7].

الثالث عشر: قصة الكتاب الذى هم النبى ﷺ بكتابته فى مرض موته:

ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس- رضى الله عنهما- أنه قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجال فقال النبى ﷺ: **هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا**

---

(١) مسند أحمد (٢/٩) الموسوعة الحديثية رقم ٥٦٤ إسناده حسن.

(٢) الموسوعة الحديثية رقم ٥٦٧ إسناده صحيح.

(٣) أبو داود (٣/٢١٣) عن الشعبى مرسلا رقم ٣٢٠٩ صححه الألبانى فى أحكام الجنائز: ص (٥١).

(٤) سنن ابن ماجه (١/٣٦٢) رقم ١٤٦٧ صححه الألبانى فى أحكام الجنائز: ص (٥٠).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٤/٣٢١).

(٦) المصدر نفسه (٤/٣٢١).

(٧) المرتضى للندوى: ص (٥٩).

بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: **قوموا.** قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطهم[1]، وفي رواية أخرى عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: **ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا** فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر، استفهموه، فذهبوا يرددون عليه فقال: **دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه،** وأوصاهم بثلاث، قال: **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم،** وسكت عن الثالث، أو قال: فنسيها[2]، وليس فيما ثبت في هذا الحديث ورواياته الصحيحة أي مطعن على أصحاب رسول الله، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فباطلة معلومة الفساد، وقد أجاب العلماء قديمًا عن بعضها ومن هذه الردود:

١– إن اختلاف الصحابة ثابت، وكان سببه اختلافهم في فهم قول الرسول ﷺ ومراده لا عصيانه، قال القرطبي صاحب المفهم: وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول،[3] ثم ذكر أن النبي ﷺ لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال للجميع: **دعوني فالذي أنا فيه خير**[4]. وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ﷺ: **لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**[5]، فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله فما عنف أحد الفريقين[6].

٢– وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبي ﷺ لهم ذلك الكتاب هو الذي حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل لأنه يعني أن

---

(١) البخاري رقم ٤٤٣٢.

(٢) البخاري رقم ٤٤٣١.

(٣) المفهم لما أشكل، تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٥٥٩).

(٤) البخاري رقم ٤٤٣١.

(٥) البخاري رقم ٤١١٩.

(٦) المفهم (٤/ ٥٥٩).

الرسول ﷺ قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة:٦٧] وإذا كان الرسول ﷺ مبرأ من ذلك ومنزهًا بتزكية ربه له في قوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨]، فوصفه بالحرص على أمته، أي على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره[١]، وإذا كان هذا الأمر معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لايشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، وأن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علمًا يقينًا لايشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع الفرقة، والاختلاف فيما بينها، إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله كتابه إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه [٢]، ولا يتصور أن النبي ﷺ يترك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة رآها فما الذي يمنعه من أنه يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام، فقد كانت وفاته- عليه الصلاة والسلام – يوم الاثنين على ما جاء مصرحًا به في رواية أنس في الصحيحين[٣]، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق [٤]، وقد ثبت باتفاق السنة والرافضة، أن رسول الله لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه لما دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة الوداع: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]، قال ابن تيمية: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك ﷺ ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٠٤)

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية: ص (٢٥١)، الانتصار للصحب والآل ص (٢٢٨، ٢٢٩).

(٣) البخاري رقم (٤٤٤٨)، ومسلم رقم (٤١٩).

(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٢٩).

النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع[1]، وقال في موضع آخر: وأما قصة الكتاب الذى كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه، فقد جاء مبينًا كما في الصحيحين عن عائشة – رضى الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: **ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول، قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**[2]، إلى أن قال بعد ذكر روايات الحديث: والنبى ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذى ذكره لعائشة، فما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: **ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**[3]. وأما قوله في الحديث: **لن تضلوا بعدى**، فيقول الدهلوى في توجيهه: فإن قيل: لو لم يكن ما يكتب أمرًا دينيًا فلم قال: لن تضلوا بعدى؟ قلنا: للضلال معان، والمراد به هنا عدم الخطأ في تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين وهو ما فعله أبو بكر والصحابة من بعده[4].

٣– وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[5]، فكما قال ابن تيمية في معناه: يقتضى أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد[6]. ويوضح ذلك أن ابن عباس – رضى الله عنهما – ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية[7]، وابن حجر[8].

٤– وأما ادعاؤهم أن النبى ﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة على – رضى الله عنه – وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تفسير معقول غيره، وهذا الادعاء باطل.

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٣١٦).
(٢) مسلم رقم (٢٣٨٧).
(٣) منهاج السنة (٦/ ٢٣، ٢٥).
(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ص (٢٥١).
(٥) البخارى رقم (٤٤٣٢).
(٦) منهاج السنة (٦/ ٢٥).
(٧) المصدر السابق (٦/ ٣١٦).
(٨) فتح البارى (١/ ٢٠٩).

قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة على فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبى بكر وتقديمه، وأما القائلون بأن عليا كان مستحقًا للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصًا جليًا ظاهرًا معروفًا، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى الكتاب[1].

٥- وأما طعن الروافض على عمر - رضى الله عنه - وزعمهم بأنه قد اتهم رسول الله ﷺ بأنه لا يعى ما يقول، وقال: «إنه يهجر» ولم يمتثل قوله، وقال: «عندكم كتاب الله»، «حسبنا كتاب الله» فجوابه: أن ما ادعاه أولا بأن عمر اتهم رسول الله بالهجر وأنه لا يعى ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر - رضى الله عنه - أصلاً، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة فى الصحيحين قائلها، وإنما الثابت فيها «فقالوا» ما شأنه أهجر»[2]، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويظهر لى ترجيح ثالث الاحتمالات، التى ذكرها القرطبى، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله فى الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع، قد يشتغل به عن تحرير ما يريد[3]، وقال الدهلوى: من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع فى أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع[4].

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء فى بعض الروايات بلفظ (هجر، ويهجر) فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشراح الحديث، منهم القاضى عياض[5]، والقرطبى[6]، والنووى[7]، وابن حجر[8]، فقد نصوا أن الاستفهام جاء على سبيل الإنكار - على من قال: لا تكتبوا[9]، قال القرطبى بعد أن ذكر الأدلة على عصمة النبى ﷺ من الخطأ فى التبليغ

(١) منهاج السنة (٦/٢٥)، الانتصار للصحب والآل: ص (٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) البخارى رقم (٤٤٣١).

(٣) فتح البارى (٨/١٣٣).

(٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية: ص (٢٥٠).

(٥) الشفا (٢/٨٨٦).

(٦) المفهم (٤/٥٥٩).

(٧) شرح صحيح مسلم (١١/٩٣).

(٨) فتح البارى (٨/١٣٣).

(٩) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٢٨).

في كل أحواله، وتقرر ذلك عند الصحابة، وعلى هذا يستحيل أن يكون قولهم (أهجر)، لشك عرض لهم في صحة قوله، زمن مرضه، وإنما كان ذلك من بعضهم على وجه الإنكار على من توقف في إحضار الكتف والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف؟ أتظن أنه قال هذيانا؟ فدع التوقف وقرب الكتف، فإنه يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل عليه[١]، وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على الرسول ﷺ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم، الذي لا يشك فيه المخالف، وبه تبطل دعوى الروافض من أصلها[٢].

٦- أما ادعاؤهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ فيما أراد من كتابة الكتاب، فالرد على هذه الشبهة الواهية، أن عمر - رضي الله عنه - ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم أن أمر الرسول بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض[٣]، والقرطبي[٤]، والنووي[٥] وابن حجر[٦]، ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر - رضي الله عنه - وذلك بترك الرسول ﷺ كتابة الكتاب، ولو كان واجبًا لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عد هذا من موافقات عمر[٧]، كما أن قول عمر - رضي الله عنه -: حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه لا على أمر النبي ﷺ، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع، وهم المخالفون لعمر - رضي الله عنه - في رأيه، كما أن عمر - رضي الله عنه - كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب، بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب - وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها، أقول: منها، شفقته على رسول الله مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: إن رسول الله قد غلبه الوجع، فكره أن

---

(١) المفهم (٤/ ٥٥٩).

(٢) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٨)، وهذا المرجع من أحسن ما اطلعت عليه في الرد على هذه الشبهة.

(٣) الشفا (٢/ ٨٨٧).

(٤) المفهم (٢/ ٥٥٩).

(٥) شرح النووي (١١/ ٩١).

(٦،٧) فتح الباري (١/ ٢٠٩).

يتكلف رسول الله ما يشق ويثقل عليه[1]، مع استحضار قوله تعالى: **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** [الأنعام:٣٨] وقوله تعالى: **﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾** [النحل:٨٩]، قال النووي: وأما كلام عمر - رضي الله عنه - فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله ودقيق نظره[2].

كما أن عمر - رضي الله عنه - كان مجتهداً في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي ﷺ: **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**[3]، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضور رسول الله ﷺ فلم يؤثمه ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب، وبهذا يظهر بطلان طعن الروافض على الصحابة في هذه الحادثة، وينكشف زيف ما قالوه في حقهم[4].

---

(١) الشفا (٢/٨٨٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/٩٠)، الانتصار للصحب والآل: ص (٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢).

(٣) البخاري رقم (٧٣٥٢).

(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٢٩٤، ٢٩٥).

الفصل الثانى

على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول

على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عهد الصديق

أولاً: مبايعة على لأبى بكر بالخلافة رضى الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة فى شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق، وكذا تأخر الزبير بن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا والزبير – رضى الله عنهما – بايعا الصديق فى أول الأمر، فعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: لما توفى رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة[1]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[2]. ومما يدل على أهمية حديث أبى سعيد الخدرى الصحيح أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الجامع الصحيح – الذى هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخارى – ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة – صاحب صحيح ابن خزيمة – فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوى بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوى بدنة[3] فقط، إنه يساوى بدرة مال[4]، وعلق على هذا الحديث ابن كثير – رحمه

---

(١) مجمع الزوائد (٥ / ١٨٣) رجاله رجال الصحيح (البداية والنهاية ٥ / ٢٨١)، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.

(٢) المستدرك (٣ / ٧٦)، السنن الكبرى (٨ / ١٤٣) بإسنادين صحيحين.

(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.

(٤) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار، والمعنى: أنه كنز ثمين.

الله- فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة على بن أبى طالب، إما فى أول يوم، أو فى اليوم الثانى من الوفاة، وهذا حق، فإن على بن أبى طالب لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقات، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلفه[١]، وفى رواية حبيب بن أبى ثابت، حيث قال: كان على بن أبى طالب فى بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج عليّ إلى المسجد فى قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعجِّل، كراهة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبا بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فجاءوه به، فلبسه فوق قميصه[٢]. وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد، رضى الله عنه، فقال له: متى بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا فى جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟

قال سعيد: لا. لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعيد: لا لقد تتابع المهاجرون على بيعته[٣]، وكان مما قال على - رضى الله عنه - لابن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندى من النبى ﷺ عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردى هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجاة، مكث فى مرضه أيامًا وليالى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس، وهو يرى مكانى، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبى بكر فأبى وغضب وقال: **أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصل بالناس** فلما قبض الله نبيه ونظرنا فى أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبى الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهى أعظم الأمور، وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلا، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٣٩).

(٢) الطبرى (٣/ ٢٠٧) والأثر مرسل وفى الإسناد سيف بن عمر متروك، وعبد العزيز بن سياه صدوق يتشيع، التقريب (٣٥٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٠٧) إسناد الخبر ضعيف، انظر خلافة أبى بكر الصديق، عبد العزيز سليمان: ص (٦٦).

على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي[1].

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: «فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا»[2]، وجاءت روايات أشارت إلى مبايعة علي لأبي بكر - رضي الله عنهما - في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم قام أبو بكر فخطب الناس، واعتذر إليهم وقال: «والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا مالي به من طاقة ولابد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم». فقبل المهاجرون منه ما قال: وما اعتذر به. قال علي رضي الله عنه والزبير: «ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وأنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي»[3]. وعن قيس العبدي قال: «شهدت خطبة علي يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ﷺ وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر - رضي الله عنه - فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل، رحمة الله عليه[4]».

إن عليًا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليًا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[5]. ولكن لما

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلافة الراشدة: ص (٣٨٩) إسناده ضعيف خلافة أبي بكر الصديق عبد العزيز سليمان: ص (٦٥).

(٢) أسد الغابة (٤/١٦٦، ١٦٧) خلافة أبي بكر: ص (٦٦).

(٣) البداية والنهاية (٦/٣٤١) إسناده جيد، خلافة أبي بكر: ص (٦٧).

(٤) السنة، عبد الله بن احمد (٢/٥٦٣) رجال الإسناد ثقات.

(٥) البداية والنهاية (٥/٤٩).

وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك والمثبت مقدم على النافي[١]. وهناك كتاب اسمه «الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين الوصية والشورى» لمحمود محمد العلي زعم صاحبه بأنه يبحث وينشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السمّ في العسل، ولذلك وجب التنبيه، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه، وزعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية.

ثانيًا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[٢] نصح له، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شئ آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الأحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[٣]، فعن ابن عمر، رضي الله عنه، قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله، لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً»، فرجع[٤] فلو كان علي رضي الله عنه – أعاذه الله من ذلك – لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغمًا من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك – حاشاه الله – من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحداً يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[٥]، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين،

---

(١) البداية والنهاية (٥/٤٩).

(٢) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.

(٣) المرتضى للندوي: ص (٩٧).

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥)،

(٥) المرتضى للندوي: ص (٩٧).

وقال لأبي بكرلما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[١].

ثالثاً: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:

تواترت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

١- عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٢].

٢- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر[٣].

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٤].

٤- وقال علي رضي الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٥].

٥- قول علي لأبي سفيان رضي الله عنهما: إنا وجدنا لها أهلا. وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان،

---

(١) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري: ص (٤٨)، الرياض النضرة: ص(٦٧٠).

(٢) البخاري.

(٣) مسند أحمد (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧) صحيح أحمد شاكر معظم طرق الأحاديث.

(٤) المستدرك (٣/ ٧٩) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) في سنده ضعف.

فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبي يشبيه النبي ليس شبيها بعلي

قال: وعلي يضحك[١].

(ب) وعن علي رضي الله عنه قال: «من فارق الجماعة شبراً، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه[٢]»، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان رضي الله عنه يكره الاختلاف ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وإن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً، لكن الديانة ترد ذلك – والله الموفق[٣] –. وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبايعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد الصحيح وغيره من الآثار[٤].

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»، وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقاً، وعنه أنه يقول: «لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري»[٥]. وقال أيضاً: ولم يقل قط أني أحق بهذا – أي الخلافة – من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه أن فلاناً أحق بهذا الأمر من أبي بكر، وإنما قال من فيه أثر الجاهلية عربية أو فارسية أن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب في جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا[٦].

---

(١) مسند أحمد (١ / ١٧٠) إسناده صحيح تحقيق أحمد شاكر.

(٢) مصنف بن أبي شيبة (١٥ / ٢٤) من مرسل أبي طاق الأزدي وهو صدوق ورجال الإسناد ثقات، خلافة أبي بكر الصديق: ص (٨٠).

(٣) فتح الباري (٧ / ٤٩٥).

(٤) خلافة أبي بكر الصديق عبد العزيز سليمان: ص (٨١).

(٥) منهاج السنة (٣ / ١٦٢).

(٦) منهاج السنة (٣ / ٢٦)، مرويات أبي مخنف: ص (٣٠٩).

(د) تسمية أبى بكر بالصديق وشهادة على له بالسباق والشجاعة: عن يحيى حكيم بن سعد قال: سمعت عليًا رضى الله عنه يحلف: لله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق[١]، وعن صلة بن زفر العبسى قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند على قال: السبَّاق تذكرون، والذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٢]، وعن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال: خطبنا على فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: ذاك أبو بكر الصديق إنه لما كان فى يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش[٣] فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر، وإنه كان شاهرًا السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف، ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش عند الكعبة فجعلوا يتعتعونه ويترترونه[٤]، ويقول: أنت الذى جعلت الآلهة إلها وحدًا، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر، ولأبى بكر يومئذ ضفيرتان[٥]، فأقبل يجأ[٦] هذا، ويدفع هذا، ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.. وقطعت إحدى ضفيرتى أبى بكر، فقال على لأصحابه: ناشدتكم الله أى الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أم أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال على: والله ليوم من أبى بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله[٧].

رابعًا: اقتداء على بالصديق فى الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن عليا رضي الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له فى معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا رافعًا إليه الشكاوي، مصليًا خلفه، محبًا له، مبغضا من بغضه[٨]، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين، وأصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك مسلكهم، ونهج منهجهم[٩]، فهذا اليعقوبى الشيعى الغالى فى تاريخه يذكر

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى (١/ ٥٥) رجاله ثقات قاله الحافظ فى الفتح.

(٢) الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.

(٣) العريش: ما يستظل به وجمعه عروش وعُرش.

(٤) يترترونه: الترترة: تحريك الشئ.

(٥) ضفرتان: عقيصتان.

(٦) يجأ: الوجأ: اللكز.

(٧) المستدرك (٣/ ٦٧) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٨) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهى ظهير: ص (٦٩).

(٩) الشيعة وأهل البيت: ص (٦٩).

أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقدموا وأخروا فاستشار على بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيباً، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، وفي رواية: سأل الصديق عليا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي ﷺ حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن سرك الله[1]، ويقول اليعقوبي أيضاً: وكان مما يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود[2]، فقدم عليا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم عليا في المشورة[3] والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له: أنه وجد رجلا في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة[4]، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار،فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار[5]. وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة وأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى آمنوا منهم[6].

وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتواد والوئام الكامل كان علي وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول ﷺ يتقبل الهدايا والتحف دأب الإخوة المتساوين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[7]. وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٢، ١٣٣) نقلا عن الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٣٨) نقلا عن الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠).

(٣) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٠).

(٤) الا وهي امة لوط عليه السلام.

(٥) المغني والشرح الكبير (١٢/ ٢٢٠) المختصر من كتاب الموفقة: ص (٥١).

(٦) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤)، الشيعة وأهل البيت: ص (٧١).

(٧) الطبقات (٣/ ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ – ٣٣٣).

حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبى أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية(١)، يقول الإمام الجوينى عن بيعة الصحابة لأبى بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبى بكر - رضى الله عنه - وكان على رضى الله عنه سامعًا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بنى حنيفة(٢).

ووردت روايات عديدة فى قبوله هو وأولاده الهدايا المالية، والخمس، وأموال الفئ من الصديق رضى الله عنهم أجمعين، وكان على هو القاسم والمتولى فى عهده على الخمس والفئ، وكانت هذه الأموال بيد على، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين، ثم الحسن ابن الحسن ثم زيد بن الحسن(٣)، وكان على رضى الله عنه يؤدى الصلوات الخمس فى المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه(٤)، وكان على رضى الله عنه يروى عن أبى بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بن الحكم الفزارى قال: سمعت عليا رضى الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمًا نفعنى الله به، وكان إذا حدثنى عنه غيرى استحلفته فإذا حلف صدقته. وحدثنى أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**(٥). ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه فى البقيع(٦) وقال آخرون: ادفنوه فى موضع الجنائز وقال آخرون: ادفنوه فى مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغى رفع الصوت عند النبى حيًا ولا ميتًا، فقال على رضى الله عنه: «أبو بكر مؤتمن على ما جاء به». قال أبو بكر: «عهد إلىَّ رسول أنه ليس من نبى يموت إلا دفن حيث يُقبض»(٧)، وشهد على رضى الله عنه للصديق عن عظيم أجره فى المصاحف، فعن

(١) الطبقات (٣/ ٢٠).

(٢) الإرشاد للجوينى: ص (٤٢٨) نقلا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية للقفارى (١/ ٨٥).

(٣)، (٤) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٢).

(٥) مسند أحمد رقم ٤٧ وهى داخل المدينة.

(٦) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهى داخل المدينة.

(٧) مسند أحمد (١/ ٨) إسناده ضعيف قاله أحمد شاكر وقال ابن حجر فى الفتح (١/ ٦٣١) إسناده صحيح لكنه موقوف.

عبد خير قال: سمعت علياً يقول: «أعظم الناس أجراً في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين»[1].

خامساً: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ :

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس – رضي الله عنهما – أتيا أبا بكر – رضي الله عنه – يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما يطلبان أرضه من فدك وسهمه. من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال[2]. وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه.... لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[3]. وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حين توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبو بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: **لا نورث ما تركناه صدقة**[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة**[5].

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالا لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به».[6] وقال: «والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يضعه إلا صنعته»[7].

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، قال ابن قتيبة[8]: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنها في ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ

---

(١) المختصر من كتاب الموافقة: ص (٤٤).

(٢) البخاري رقم ٦٧٢٦.

(٣) مسلم رقم ١٧٥٩.

(٤) البخاري رقم ٦٧٣٠، مسلم رقم ١٧٥٨.

(٥) البخاري رقم ٦٧٢٩.

(٦) مسلم ١٧٥٨.

(٧) البخاري رقم ٦٧٢٦.

(٨) شذرات الذهب (٢/ ١٦٩).

وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت[١]، وقد غلا الرافضة فى قصة ميراث النبى ﷺ غلوا مفرطًا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة فى أنه ﷺ لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت – رضى الله عنهم أجمعين – وامتدادًا لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة – رضوان الله عليهم – بإيقاع الظلم والجور على آل البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق – رضى الله عنهما – اللذين غصبا الخلافة من آل البيت كما فى زعمهم، وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التى تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضى الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم، وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة[٢].

والمتتبع لكتب الرافضة فى هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله ﷺ: **نحن معاشر الأنبياء، لا نورث ما تركناه صدقة**[٣] واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله فمن ذلك.

١– زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – وفى ذلك يقول الحلى: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركناه صدقة. وقال أيضًا: والتجأ فى ذلك إلى رواية انفرد بها[٤]. وقال المجلسى بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذا فدكًا: ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»[٥] ويقول الخمينى فى ذلك: نقول إن الحديث المنسوب إلى النبى لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبى[٦]، ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح، إذ هذه الرواية لم ينفرد بها أبو بكر رضى الله عنه بل إن قوله ﷺ: **لا نورث ما تركناه فهو صدقة**، رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة، والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى ﷺ وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم أجمعين[٧] وفى ذلك يقول ابن تيمية:

(١) تأويل مختلف الحديث: ص ١٩ / ١.

(٢) العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط: ص (٤٣٥).

(٣) مسلم ١٧٥٨.

(٤) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (٤ / ١٩٣) نقلا عن العقيدة فى أهل البيت.

(٥) حق اليقين: ص (١٩١) نقلا عن العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٣).

(٦) كشف الأسرار للخمينى: ص (١٣– ١٣٣) نقلا عن العقيدة فى أهل البيت.

(٧) العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٤).

والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد، مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[1]. وقال ابن كثير بعد ذكره لمن روى الحديث: «وأن هذا الزعم من الرافضة باطل، ولو تفرد بروايته الصديق -رضى الله عنه- لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك[2]»، وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب الكتاب القيم «العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط»: ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكلينى والصفار والمفيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر.**[3] وفى رواية: **إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم**[4]. **وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: ما أورث النبيون.**

٢- زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١] وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصا بالأمة دونه ﷺ[5]؟

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبى ﷺ من المخاطبين بها[6]، فهو ﷺ لايقاس بأحد من البشر، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخص بأشياء لم يُخص بها أحد غيره ﷺ، ومما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء عليه السلام كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح فى نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا

---

(١) منهاج السنة (٤/ ١٩٩).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٠).

(٣) الكافى للكلينى (١/ ٣٢- ٣٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٢- ٣٤)، وبصائر الدرجات للصفار: ص (١٠، ١١) والاختصاص للمفيد: ص

(٤) وانظر: علم اليقين للكاشانى (٢/ ٧٤٧، ٧٤٨)] نقلا عن العقيدة لأهل البيت: ص (٤٤٤).

(٥) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/ ١٩٤.

(٦) منهاج السنة (٤/ ١٩٤، ١٩٥) العقيدة فى أهل البيت: ص (٤٤٥).

وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة(١).

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لايشاركونه فيها.. فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون، وليس الأمر كذلك، لكان ما رواه الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر، مبينًا لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه(٢). وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

٣- زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ [النمل:١٦]، ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم:٥، ٦].

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول أن المراد بالآية العلم دون المال(٣).

ويجاب على ذلك بما يلي: أن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم والنبوة، والملك، وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢]، وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠، ١١] وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ وقوله: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ إنما يدل على جنس الإرث، ولا يدل على إرث المال، وذلك أن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال، والآية سيقت في بيان

(١) منهاج السنة: ص (١٩٤، ١٩٥) العقيدة في أهل البيت: ص (٤٤٥).

(٢) البداية والنهاية (٥/٢٥٤)، العقيدة في أهل البيت: ص (٤٤٦).

(٣) منهاج الكرامة: ص (١٠٩) نقلا عن العقيدة في أهل البيت وغيرها من الكتب كالطرائف لابن «اووس» ص (٣٤٧).

مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة وحصر الإرث في المال لا مدح فيه، إذ إن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ليس المراد به إرث المال لأنه لايرث آل يعقوب شيئًا من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا[1].

كما أن قوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾ [مريم: ٥] لايدل على أن الإرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجاراً يأكل من كسب يده كما في صحيح مسلم[2]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدا يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة النبوة، والقيام مقامه[3].

يقول القرطبي في تفسيره للآية: وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الانبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**[4]، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ وعبارة عن قول زكريا ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ وتخصيص للعموم في ذلك، وإن سليمان لم يرث من داود مالا خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض[5].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث، وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ في فاطمة – رضي الله عنها – فزعموا أنه لم يرث النبي ﷺ إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا علي، ولا ورثته إلا فاطمة عليها السلام، وما كان آخذ علي عليه السلام السلاح وغيره

---

(١) منهاج السنة (٤ / ٢٢٢– ٢٢٤).

(٢) مسلم رقم ٢٣٧٩ . .

(٣) منهاج السنة (٤ / ٢٢٥)، البداية والنهاية (٥ / ٢٥٣) العقيدة في أهل البيت: ص (٤٤٨).

(٤) مسلم رقم ١٧٥٨.

(٥) تفسير القرطبي (١١ / ٣٥– ٤٥)

إلا أنه قضى عنه دينه[1]. وروى الكليني والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر أيضًا قوله: وورث علي عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته[2]، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لايرثن العقار، فقد بوب الكليني في كتابه الكافي بابا بعنوان: إن النساء لايرثن من العقار شيئًا، وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق إنه قال: النساء لايرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا[3].

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال: سألته -يقصد الصادق- عن النساء ما لهن في الميراث، فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه[4]، وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة - رضي الله عنها - شيئًا من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث[5]، فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك- على حسب قولهم- وهي عقار لا ريب فيه[6]، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلا عن جهلهم[7].

وأما ما زعموه من كون الصديق -رضي الله عنه- سأل فاطمة أن تحضر شهودا، فأحضرت عليا وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما، فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله ﷺ أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبو بكر شهادته لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه[8].

٤- أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي ﷺ لايورث:

قال ابن تيمية: كون النبي ﷺ لايورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة،

---

(١) من لا يحضره الفقيه (٤/١٩٠، ١٩١) العقيدة في أهل البيت: ص (٤٥١).
(٢)، (٣) الكافي للكليني (٧/١٣٧)، العقيدة في أهل البيت: ص (٤٥١).
(٤) الشيعة وأهل البيت: ص (٨٩).
(٥) مسلم ١٧٦٨.
(٦) الشيعة وأهل البيت: ص (٩٨).
(٧) العقيدة في أهل البيت: ص (٤٥٢).
(٨) منهاج السنة (٤/٢٣٦- ٢٣٨).

وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عموما فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلا لما كان إلا ظنيًا فلا يعارض القطعي، إذ الظني لايعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره ،بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير من ذلك شيئًا ولا قسم له تركة(١). قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (عليٌّ) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس، فلو كان ظلما وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلا من المال، وأمره أهون بكثير (١).

وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوما فقام رجل من آل علي- رضي الله عنه- قال: إنا من أولاد علي- رضي الله عنه- فقال: يا أمير المؤمنين أعني على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي- رضي الله عنه- والذي ظلمني أبو بكر- رضي الله عنه- حين أخذ فدك من فاطمة، وقال : ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر- رضي الله عنه- قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال عثمان- رضي الله عنه- قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب منه(٣).

وبتصويب أبي بكر- رضي الله عنه- في اجتهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة- رضي الله عنهما - على ما روى- البيهقي بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم

---

(١) منهاج السنة (٤ / ٢٢٠).

(٢) منهاج السنة (٦ /٣٤٧).

(٣) تلبيس إبليس: ص (١٣٥).

به أبو بكر في فدك[١]، كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت بدءاً بعلي- رضى الله عنه- ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله، إنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله، قال- رحمه الله-: إن عليًا لما ولى الخلافة ولم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن علي، ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد على بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت- رضى الله عنهم- وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقا لأخذها على أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها[٢].

وقال ابن تيمية: قد تولى (عليٌ) الخلافة بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبي ﷺ، ولا ولد العباس، فلو كان ظلما، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم، ولا يعطى هؤلاء قليلا من المال، وأمره أهون بكثير[٣]؟.

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا مالا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لايعنيهم[٤]، فلو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين من بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين[٥].

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٢٠٠) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

(٢) المفهم للقرطبي (٣/ ٥٦٤).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧).

(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٢٥١).

٥- تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر:

وقد ثبت عن فاطمة- رضي الله عنها- أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يافاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضّاها حتى رضيت [١]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي، أو ممن سمعه من علي[٢].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، ولايسع أحداً صادقًا في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[٣]، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، وأني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولاعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[٤]، فإن هذا بحسب علم عائشة- رضي الله عنها- رواية الحديث، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة - رضي الله عنها- نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي،خصوصا في مثل هذه المسالة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة- رضي الله عنها- ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها، على أن الذي ذكره العلماء أن

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٦/٣٠١).

(٢) البداية والنهاية (٥/٢٥٣).

(٣) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٣٤).

(٤) البخاري رقم ٤٢٤٠ رقم ١٧٥.

فاطمة- رضى الله عنها- لم تتعمد هجر أبى بكر- رضى الله عنه- أصلا، ومثلها يتنزه عن ذلك لنهى النبى ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[1]، قال القرطبى صاحب المفهم في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أى فاطمة) لم تلتق بأبى بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: **لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**[2]، وهى أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ وكيف لاتكون كذلك وهى بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة[3].

وقال النووى: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر- رضى الله عنه- فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذى هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله فى هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعنى فى هذا الأمر، أولانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته،[4] لقد انشغلت فاطمة -رضى الله عنها- عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهى مصيبة تزرى بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذى ألزمها الفراش عن أية مشاركة فى أى شأن من الشئون فضلا عن لقاء خليفة المسلمين المشغول- لكل لحظة من لحظاته- بشئون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله،[5] ومن كان فى مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذى نقله العينى: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوى عن ذلك بالهجران[6].

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس هى التى كانت تمرض فاطمة بنت النبى ﷺ، ورضى الله

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٣٤).

(٢) البخارى رقم ٦٠٧٧.

(٣) المفهم (١٢/٧٣).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢/٧٣).

(٥) مسلم رقم ٢٤٥٠.

(٦) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: ص (١٠٨).

عنها ، في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها، وكان علي رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس، رضي الله عنها، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها. فعملت أسماء بها[١]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبًا، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! به تعرف المرأة من الرجال[٢]، وعن ابن عبد البر: فاطمة رضي الله عنها أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش، وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت (أي فاطمة رضي الله عنها) وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى من زوجه أسماء حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليًا ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله[٣]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، روى ا بن مالك بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلا. وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها أربعًا[٤]، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[٥].

---

(١) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٧).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٧٨).

(٣) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٧)، كتاب سلم بن قيس: ص (٢٥٥).

(٤) المختصر من كتاب الموافقة: ص (٦٨) في سنده ضعف.

(٥) مسلم رقم ١٧٥٩.

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال :

نسب المسيح بن لمريم سيرة — بقيت على طول المدى ذكرها

والمجد يشرف من ثلاث مطالع — في مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت من هي؟ زوج من؟ هي أم من؟ — ممن ذا يداني في الفخار أباها

هي ومضة من نور عين المصطفى — هادي الشعوب إذا تروم هداها

من أيقظ الفطر النيام بروحه — وكأنه بعد البلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة — مثل العرائس في جديد حُلاها

هي أسوة للأمهات وقدوة — يترسم القمر المنير خطاها

جعلت من الصبر الجميل غذاءها — ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

إلى أن قال :

لولا وقوفي عند شرع المصطفى — وحدود شرعته ونحن فداها

لمضيت للتطواف حول ضريحها — وغمرت بالقبلات طيب ثراها(١)

سادساً: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة النبي ﷺ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق، وولدت له ولدا سماه محمداً الذي ولاه علي مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه

(١) الدوحة النبوية :ص (٦٢، ٦٣).

يحيى[1]. وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر- الإمام الخامس عند الروافض وحفيد علي رضي الله عنه، وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبت أن قاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة، فأم قاسم بن محمد وعلي بن الحسين هما بنتا يزدجر بن شهريار - بن كسرى - اللتان كانتا من سبي الفرس في عهد عمر رضي الله عنه، وتوسع إحسان إحسان إلهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات المودة والتراحم المتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق[2]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد أبنائه أبا بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق رضي الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمي بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلي رضي الله عنه لم يسم بهذا ابنه إلا تيمنا بالصديق وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر عليٌّ بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سميا كل واحد منهما أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض[3]، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمى ابن أخي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمى أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذه من إحدى علائم الحب والود بين القوم خلاف ما يزعمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم[4].

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسّلمي: ص (٢٢).

(٢) الشيعة وأهل البيت: ص (٧٨ - ٨٣).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٨)، التنبيه والإشراف: ص (٨٢).

(٤) الشيعة وأهل البيت: ص (٨٣)، الدرّ المنثور من تراث أهل البيت والصحابة، السيد علاء الدين المدرّسي ص (٣٨ - ٤٤)، رحماء بينهم، صالح بن عبدالله الدرويش.

سابعا: على رضى الله عنه فى وفاة الصديق:

كان على رضى الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة من بعده، وكان رأى على أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق[1]، ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبى بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق فى هذه الدنيا قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]. وارتجت المدينة لوفاة أبى بكر الصديق ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يوما أكثر باكيا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل على بن أبى طالب مسرعًا، باكياً، مسترجعًا ووقف على البيت الذى فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينا، وأشدهم لله يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء فى دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله فى تنزيله صديقا فقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣] واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته فى الشدة أكرم الصحبة، ثانى اثنين صاحبه فى الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه فى الهجرة، وخليفته فى دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبى، ونهضت حين وهن أصحابه وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا فى بدنك قويًا فى أمر الله، متواضعًا فى نفسك عظيمًا عند الله تعالى، جليلاً فى أعين الناس كبيراً فى أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل، وأتقاهم... شأنك الحق والصدق، والرفق، قولك حكم وحتم، أمرك حلم

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩)، المختصر من كتاب الموافقة للزمخشرى: ص (٧٠ - ١٠٠).

وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوى بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت- والله- سبقا بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزا، وحرزا وكهفا، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا صدقت[1]، وجاء في رواية: أن عليا قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجي: ما أحد الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجي[2].

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٧٧ - ٤٧٩) نقلا عن أصحاب الرسول (١/ ١٠٨).

(٢) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين: ص (١٢٠).

المبحث الثاني

علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي رضي الله عنه عضوا بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنا، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا علي[1]، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورانه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[2]، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وقال : شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبد الله[3]، وقال أيضاً: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق. فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهم[4]، فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتية، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولاً: في الأمور القضائية:

١- امرأة تعتريها نوبات من الجنون:

عن أبي ظبيان الجنبي: أن عمر بن الخطاب أُتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم عليٌّ رضي الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها،

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص (١١٠٢)، المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨١).

(٢) فضائل الصحابة رقم ١١٠٠ إسناده ضعيف.

(٣) علل الحديث ومعرفة الرجال.. علي بن المديني: ص (٤٢، ٤٣) نقلا عن خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي: ص (٧٠)، البخاري رقم ٤٤٨١.

(٤) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٤٤٤).

فانتزعها على من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، فقال : ما ردكم؟ قالوا: ردنا على. قال: ما فعل هذا عليٌّ إلا لشئ قد علمه، فارسل إلى على، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبى ﷺ يقول: **رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل**؟ قال: بلى. قال عليٌّ. فإن هذه مبتلاة بنى فلان، فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدرى، فلم يرجمها [1]، فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

٢- مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أخذ عمر برأى على رضى الله عنهما في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهى حديثة العهد بالإسلام، فاشار على على عمر رضى الله عنهما بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى، وعلى المفترى ثمانون [2]، وقد ثبت عن على رضى الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حدا على أحد، فيموت، وأجد في نفسى، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته، وذلك لان رسول الله ﷺ لم يسنه، [3] وأوَّل البيهقى قوله: (لم يسنه) زياده على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين والله أعلم [4]، وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثورى وأبى حنيفة ومن تبعهم ثمانون، لإجماع الصحابة، ومن قال إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعى، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر، رضى الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الآمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعى[5]، وهذا الرأى مال إليه ابن تيمية أيضا وقال: .. فاما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفى الأربعون [6].

---

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ١٣٢٨ صحيح لغيره.

(٢) إرواء الغليل للالبانى (٨/ ٤٦، ٤٧) قال إسناده ضعيف، وحقق هذا الاثر عبد الحميد على فى رسالته (خلافة على بن ابى طالب)ملحق ٣٠

(٣) فتح البارى (١٢/ ٦٦)

(٤) السنن الكبرى (٨/ ٣٢٢)

(٥) المغنى (٨/ ٣٠٧)

(٦) الفتاوى (٢٨ / ٣٣٦ / ٣٣٧) منهاج السنة (٦ / ٨٣)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على ص(٧٣).

٣- لا سلطان لك على ما في بطنها:

أتى عمر رضى الله عنه بامرأة حامل فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر ترجم، فلقيها على فقال :ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم، فردها على فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم: اعترفت عندى بالفجور. قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما فى بطنها؟ قال على: فلعلك انتهرتها(١)، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت ﷺ يقول: لا حد على معترف بعد بلاء أنه من قيدت أو حسبت أو تهددت فلا إقرار له، فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل على بن أبى طالب، لولا على لهلك عمر(٢)، وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره على بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس ... إلى أن قال عن عمر، يعطى الحقوق ويقيم الحدود ويحكم بين الناس كلهم، وفى زمنه انتشر الإسلام وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله، وهو دائما يقضى ويفتى ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فاى عيب فى ذلك؟(٣). وكان رده هذا فى سياق ردع على الروافض.

٤- ردوا الجهالات إلى السنة:

أتى عمر بامرأة أنكحت فى عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها فى بيت المال وقال: لا أجيز مهراً رد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدا، فبلغ ذلك عليا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول على(٤).

---

(١) انتهرتها: زجرتها

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٦٩) رقم ٢٠٨٣، المختصر من كتاب الموافقة: ص (١٣١)

(٣) منهاج السنة (٦/ ٤٢)

(٤) المغنى والشرح الكبير (١١/ ٦٦، ٦٧).

٥- هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى:

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخديها ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المنى، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت فى أمرى، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتنى عن نفسى فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى فى أمرهما، فنظر على إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت.[1] ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس.

(أ) أن وسائل الإثبات كانت فى القضاء الإسلامى تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول .. وتتسع الإمارات والفراسة.

(ب)اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة في النوازل، وعلى الخصوص على، رضى الله عنهما الذى كانت منزلته عنده متميزة[2].

ثانيا: على رضى الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

١- فى الأمور المالية:

(أ) نفقات الخليفة:

لما ولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبى بكر مكث زمانا، لا يأكل من بيت المال شيئا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم فى ذلك فقال: قد شغلت نفسى فى هذا الأمر فما يصلح لى فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل واطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلى: ما تقول أنت فى ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حفظه من بيت المال فقال:

---

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم: ص (٤٨)

(٢) الاجتهاد فى الفقه الاسلامى، عبد السلام السليمانى: ص (١٤٥)

أنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف(١).

(ب) رأى على فى أرض السواد بالعراق:

لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة – رضوان الله عليهم – على عمر بتقسيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتى بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار عليا فى ذلك فكان رأيه موافقًا لرأى الخليفة عمر ألا تقسم فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبى ﷺ خيبر(٢).

(ج) لا جرم لتقسمنه:

أتى عمر بمال فقسمه بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفى القوم على ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأى على فى ذلك، فذكره على بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبى ﷺ، وإنه قسمه كله، فقال عمر لعلى: لا جرم لتقسمنه، فقسمه على(٣) ويبدو هذا كان قبل تقسيم الدواوين(٤).

٢- على رضى الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر رضى الله عنه أن يضع تاريخًا رسميًا ثابتًا لتنظيم أمور الدولة وضبطها، جمع الناس وسألهم: من أى يوم نكتب التاريخ؟ فقال على رضى الله عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففعله عمر(٥)، وقد كان عمر –رضى الله عنه– يراه من أفضل من يقود الناس، فقد ورد عنه أنه كان يناجى رجلا من الأنصار فقال: من تحدثون أنه يستحلف من بعدى؟ فعد الأنصارى المهاجرين ولم يذكر عليًا، فقال عمر: فأين أنتم من على؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه.(٦)

(١) الخلافة الراشدة، سنده صحيح د. يحيى: ص (٢٧٠)

(٢) الأموال، القاسم بن سلام: ص (٥٧)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص (٧٥)

(٣) مسند أحمد (١/ ٩٤) إسناده ضعيف لانقطاعه

(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على: ص (٧٥)

(٥) التاريخ الكبير للبخارى (١/ ٩)

(٦) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص (٧٦)، قيل إن الرواية مرسلة.

وقال لابنه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[1].

٣- استخلف عمر عليًا على المدينة مرارًا:

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[2].

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجابية:

وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع لا تغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[3].

(ج) استخلاف علي حين حج عمر بأزواج النبي ﷺ:

وهي آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلف على المدينة علي بن أبي طالب[4].

ثالثًا: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشئون الدولة:

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[5]، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليا وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن

---

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق حسين أحمد (٣/ ٧٤١) صحيح الإسناد، خلافة علي بن أبي طالب: ص (٧٦)

(٢)، (٣) المنتظم (٤/ ١٩٢)

(٤) المنتظم (٤/ ٣٢٧) الفتح (٤/ ٨٧).

(٥) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين: ص (٩٩).

يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التى تناسب أمزجتهم ومشاريهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقض عليه، وكل أمورهم كانت تجرى من وراء الكواليس(١). إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل فى خلافة عمر تلك الخصوصية فى العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافى، بين عمر وعلى، رضى الله عنهما، فقد كان على هو المستشار الأول لعمر فى سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علىٌّ على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان على رضى الله عنه يمحضه النصح فى كل شئونه وأحواله(٢). فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاوند فى جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عمر - رضي الله عنه- الناس واستشارهم فى المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه على - رضى الله عنه- فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهل اليمن إلى ذراريهم من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء فى أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق، فرقة فى حرمهم وذراريهم، وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددًا لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر. فقال عمر: هذا هو الرأى كنت أحب أن أتابع عليه(٣)، كانت نصيحة على نصيحة المحب لعمر الغيور عليه والضنين، ألا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو فى مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذى سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلى، أفكان لعلى أن يرغب عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه فى الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة، رضوان الله

---

(١) على بن أبى طالب، مستشار أمين: ص (١٣٨).

(٢) فقه السيرة النبوية للبوطى: ص ٥٢٩.

(٣) تاريخ الطبرى (٣/ ٤٨٠)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٩٤).

عليهم، كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي رضوان الله عليه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر- بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة، أو شأن من هو أحق بها[١].

إن كثرة مشاورة عمر لعلي، رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه، ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي، وإلا فإن علياً رضي الله عنه كان كثيراً ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر[٢]، فقد جاء عن عائشة، رضي الله عنها، في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان علي رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليا، حتى قال علي رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر[٣].

رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

١ - أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر: جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: إن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رءوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[٤].

---

(١) فقه السيرة للبوطي: ص (٢٩٥).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي: ص (٧٧).

(٣) الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني: ص (٢٩٥).

(٤) المرتضى: ص (١١٨)، كنز العمال (٧/١٠٥)، الإصابة (١/١٣٣).

٢- والله ما هنأ لي ما كسوتكم: روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما [١].

٣- تقديم بني هاشم في العطاء: عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسا من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى وإلى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ [٢].

٤- كساني هذا الثوب أخي وخليلي: خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر [٣]. وفي رواية عن أبي السفر قال: رُئي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ناصح الله فنصحه، ثم بكى [٤].

٥- أقطاع ينبع: اقطع عمر بن الخطاب عليا ينبع، ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عيناً، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء،

---

(١) المرتضى: ص (١١٨)، الإصابة (١/١٠٦).

(٢) الخراج لأبي يوسف: ص (٢٤، ٢٥)، المرتضى: ص (١١٨).

(٣) المختصر من كتاب الموافقة: ص (١٤٠).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٢/٢٩) رقم ١٢٠٤٧ نقلا عن الشريعة للآجري (٥/٢٣٢٧) إسناده حسن.

فأتى على وبشر فتصدق بها على الفقراء والمساكين وفى سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب فى صدقته: هذا ما أمر به على بن أبى طالب وقضى فى ماله: إنى تصدقت بينبع ووادى القرى والأذنية وراعة فى سبيل الله ووجهه، ابتغى مرضاة الله، ينفق منها فى كل منفعة فى سبيل الله ووجهه، وفى الحرب والسلم والجنود وذوى الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيا أنا أو ميتا، ابتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا ابتغى إلا الله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذى قضيت فيها بينى وبين الله عز وجل (١).

٦- لتقولن يا أبا الحسن: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم على فتذكروا الشرف، وعلى ساكت. فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتا؟ فكان عليا كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال على:

في كل معترك تزيل سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام(٢)

الله أكرمنا بنصر نبيه ... وبنا أعز شرائع الإسلام

ويزورنا جبريل فى أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام (٣)

٧- حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلى حول الرؤيا: قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال، فتكون رؤياه كأخذ اليد، ويرى الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شيئا، فقال على بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول (٤): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

خامسا: زواج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب:

زوج على بن أبى طالب رضى الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبى ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضى الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارا لفضله ومناقبه،

---

(١) المحلى (٦/ ١٨٠)، مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٧٥) فقه على، قلعجى: ص (٦٢٦).

(٢) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.

(٣) المختصر من كتاب الموافقة: ص (١٣٨).

(٤) الفتاوى (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[1]، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال علي: قد فعلت فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني.. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب [2]، ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابرهم ومجادليهم وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايات بخصوص ذلك في كتابه الشيعة والسنة[3]، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج، الطبري [4]، وابن كثير[5]، والذهبي [6]، وابن الجوزي [7]، والدياربكري[8]، وقد ذكر هذا [9] الزواج كتب التراجم، كابن حجر[10]، وابن سعد[11]، وأسد الغابة، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي

---

(١) الشيعة وأهل البيت: ص (١٠٥).

(٢) إسناده حسن، اخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي متعقبًا منقطع، وأورده الهيثمي في (مجمع الزائد ٩/١٧٣) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.

(٣) الشيعة وأهل البيت: ص (١٠٥).

(٤) تاريخ الطبري (٥/٢٨).

(٥) البداية والنهاية (٥/٢٢٠).

(٦) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين: ص (١٦٦).

(٧) المنتظم (٤/١٣١).

(٨) تاريخ الخميس نقلا عن زواج عمر من أم كلثوم لأبي معاذ: ص (١٩).

(٩)، (١٠) الإصابة لابن حجر: ص (٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء.

(١١) أسد الغابة (٧/٤٢٥).

طالب رضي الله عنهما حقيقة وليس افتراء، بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج ورد على الشبهات التي ألصقت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت (رقية) وولداً سمته زيداً، وقد روى أصحاب زيد أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي بن كعب ليلا فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشياً عليها من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلى خلفه [1].

سادساً: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي ﷺ كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[2]، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له. وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكا وبهتاناً وزوراً وقالوا أن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أن أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصا المسلمين بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لئن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وأيم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إليَّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[3]. وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٤٥)، ونساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم: ص (١٨٥، ١٨٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف (١٤/ ٥٦٧) إسناده صحيح.

(٣) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١/ ١٤٠).

أن عمر رضى الله عنه هم بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبرى الطبرسي في كتابه دلائل الإمامة[١]، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان[٢] للذهبي، وتهذيب التهذيب [٣]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسناً وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة وما علموا أنهم يطعنون في علي رضى الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ[٤]، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهذيان والزور[٥]. علماً بأن محسن ولد في حياة النبي كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

سابعاً: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضى الله عنهم بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار[٦]، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أميرالمؤمنين، فانطلقت معه حتى دخلت على عمر، فإذا هو جالس على رمال[٧] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكيء على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفا، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، يستأذنونك؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفا يسيراً، ثم قال: لك في علي، وعباس؟ قال: نعم فأذن لهما فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط عثمان

---

(١) دلائل الإمامة: ص (٢٦) نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/١٤٠).
(٢) الميزان للذهبي (١/٢٧٩).
(٣) تهذيب التهذيب (٢/٤٧).
(٤) حقبة من التاريخ: ص (٢٢٤).
(٥) مختصر التحفة الإثني عشرية: ص (٢٥٢).
(٦) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.
(٧) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.

وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارح أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم[1]، أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: **لا نورث، ما تركنا صدقة**، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ فى هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الحشر:٦]. فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقى منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكما بالله، هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتى، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتمانى تكلمانى وكلمتكما واحدة وأمركم واحد، جئتنى يا عباس، تسألنى نصيبك من ابن أخيك، وجاءنى هذا « يريد عليا » يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله قال: **لا نورث، ما تركناه صدقة**، فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل علي على وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان منى قضاء غير ذلك، فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلى، فإني أكفيكماها[2].

---

(١) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أى اتئد.

(٢) البخارى رقم ٣٠٩٤، مسلم ١٧٥٧ واللفظ للبخارى.

ثامناً: ترشيح عمر علياً للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

١- ترشيح علي مع أهل الشورى: لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة،وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر- أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عليا، وعثمان، والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن(١)، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلي فوعظهم(٢)، إن عمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض أحق من غيرهم، وهو كما رأى، فإنه لم يقل أحد أن غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحداً منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحداً منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له رضي الله عنه، وهو نموذج واقعي لتطبيق قول الله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨] وقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكان ما فعله من الشورى مصلحة(٣).

إن الفاروق رضي الله عنه رأى الأمر في الستة متقارباً فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر، ورأى أنه إذا عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوباً إليه، فترك التعيين خوفاً من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحد أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين، بين تعيينهم إذ لا أحق منهم، وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة(٤)، ولا يقال إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرافضة، لأن الخلاف نوعان، خلاف تضاد وخلاف تنوع، وما فعله عمر -رضي الله

---

(١) البداية والنهاية (٧/١٤٢).

(٢) البخاري رقم ٣٧٠٠.

(٣)،(٤) منهاج السنة (٣/١٦٢ - ١٦٤)، المنتقى: ص (٣٦٢ - ٣٦٤).

عنه- من النوع الثانى[1]، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة ولم نسمع أحداً عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة فى اختيار الخليفة من بعده فى كتابى فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكوراً.

٢- ما قاله على فى عمر بعد استشهاده: قال ابن عباس كما هو فى صحيح البخارى: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبى، إذا على بن أبى طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أنى كنت كثيراً ما أسمع النبى ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[2].

٣- قول على فى عمر: إن عمر كان رشيد الأمر: وها هو حرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريباً من على حيث جاء أهل نجران قال: قلت: فإن كان راداً على عمر شيئًا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده فى كمه فأخرج كتاباً فوضعه فى يد على، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت علياً وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدى رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك؛ إن الذى أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذى أخذه منكم خيراً مما أعطاكم والله لا أرد شيئًا مما صنعه عمر، إن عمر كان رشيد الأمر[3]، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضى اجتهاد قضاء من قبله عند على[4]، وروى عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم

---

(١) عقيدة أهل السنة (٣/١٠٤٢).

(٢) البخارى، رقم ٣٦٨٥.

(٣) معجم البلدان (٥/٢٦٩)، والمختصر من كتاب الموافقة: ص (١٣٩)، فقه الإمام على (٢/٨١٣) نقل عن السنن للبيهقى، إسناده مرسل الآجرى (٤/١٧٧٧) إسناده مرسل.

(٤) فقه الإمام على (٢/٨١٣).

تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف[1]، وهو قول جمهور الفقهاء[2]، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[3].

٤- إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[4].

٥- حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه: إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق- رضي الله عنه- تسمية أبنائهم باسمه، حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب سمى ابنه من أم حبيب بينت ربيعة البكرية عمر[5]، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد على بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذى أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمَّر عمر هذا حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث على رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوانه وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضى الله عنه – يعنى أنه لم يقتل معهم- بالطف فورثهم[6]، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهم فسمى أحد أبنائه عمر أيضًا[7]، وكذلك الحسين بن على سمى عمر، ومن بعد الحسين ابنه على الملقب بزين العابدين سمى أحد أبنائه باسم عمر[8]، وكذلك موسى بن

---

(١) مصنف عبد الرزاق(١٠/٣٢٩) نقلاً عن فقه الإمام على (٢/٨١٣).

(٢) فقه الإمام على (٢/٨١٣).

(٣) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة: ص (١٤٠) إسناده منقطع، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٣٣) رقم ١٢٠٥٤.

(٤) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان: ص (٣٨٣).

(٥) تاريخ اليعقوبى (٢/٢١٣)، الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٣).

(٦) الفصول المهمة :ص (١٤٣)، الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٣).

(٧) الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٣).

(٨) المصدر نفسه: ص (١٣٤).

جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر[١]، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدى النبي ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[٢]، نرجو ذلك.

٦- عمر بن الخطاب جعله الله سببًا في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب :

أعطى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- للحسين بن علي رضي الله عنهم من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[٣]، فليحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون إلى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود[٤]، كما أن عمر -رضي الله عنه- أعطى أختها لمحمد بن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابني خالة[٥].

٧- قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر[٦]:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟

---

(١) الشيعة وأهل البيت: ص (١٣٥).

(٢) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزبيري: ص (٢٣٠).

(٣) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) نقلاً عن: اذهبوا فأنتم الرافضة: ص (٢٣٢).

(٤) اذهبوا فأنتم الرافضة: ص (٢٣٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٤).

(٦) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي كان ذا هبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١٤٥، الاعلام للزركلي (٤/ ٢٠٧)، تاريخ بغداد (٩/ ٤٣١).

قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن ناسا يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي - ونحن بين القبر والمنبر -: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعن عليَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً رضي الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بإزراء على عليٍّ ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه(١).

---

(١) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسي: ص (٥٧).

المبحث الثالث

على رضى الله عنه فى عهد عثمان بن عفان

أولاً: بيعة على لعثمان رضى الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع فى بيت عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها، وقيل إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر- وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[١]، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه، وحقق رضى الله عنه أول مظهر من مظاهرالشورى المنظمة فى اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح فى أداء مهمته العظمى[٢]، وقد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير[٣]، قال الذهبى: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض فى ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها لأخذ نفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبى وقاص[٤]، وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذى الحجة ٢٣هـ/٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومى الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التى عممه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير

---

(١) عثمان بن عفان، لصادق عرجون: ص (٦٢، ٦٣).

(٢) المصدر نفسه ص: (٧٠، ٧١).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٠: ص (٢٥٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).

الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة[١]، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا عليُّ إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً. فقال:[٢] أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[٣]، وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[٤].

ثانيا: أباطيل رافضية دست في قصة الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[٥]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة[٦]، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[٧]، وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف[٨]، وعن هشام

(١) شهيد الدار: ص (٣٧).

(٢) قوله: فقال: أي عبد الرحمن مخاطباً عثمان.

(٣) البخاري، ك الاحكام، رقم ٧٢٠٧.

(٤) التمهيد والبيان: ص (٢٦).

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/٢٤٦).

(٦)، (٧) الطبقات الكبرى (٣/٦٣)، (٣/٦٧).

(٨) أنساب الأشراف (٥/١٨، ١٩).

الكلبى منها ما نقله عن أبى مخنف ومنها ما تفرد به[١]، وعن الواقدى[٢]، وعن عبيد الله بن موسى[٣]، واعتمد الطبرى فى هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبى مخنف[٤]، ونقل ابن أبى الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهرى[٥]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدى[٦]، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهى :

١- اتهام الصحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة فى أمر المسلمين، وعدم رضا على بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبى مخنف وهشام الكلبى عن أبيه وأحمد الجوهرى أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن عليًا أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التى بينهما[٧]، وقد نفى ابن تيمية أى ارتباط فى النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال : فإن عبد الرحمن ليس أخًا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بنى زهرة وهذا من بنى أمية، وبنو زهرة إلى بنى هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بنى أمية، فإن بنى زهرة أخوال النبى ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص الذى قال له النبى ﷺ : هذا خالى، فليرنى امرؤ خاله[٨]، فإن النبى ﷺ لم يؤاخ بين مهاجرى ومهاجرى ولا بين أنصارى وأنصارى، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصارى[٩]، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[١٠]، وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبد

---

(١)،(٢) انساب الأشراف (٥/ ١٨، ١٩).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦).

(٤) أثر التشيع على الروايات التاريخية: ص (٣٢١).

(٥) شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).

(٦) المصدر السابق (٩/ ١٥).

(٧) أثر التشيع على الروايات التاريخية: ص (٣٢٢).

(٨) صحيح سنن الترمذى (٣/ ٢٢٠) رقم ٤٠١٨ .

(٩) البخارى، ك مناقب الأنصار رقم ٣٧٨٠ .

(١٠) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١ ، ٢٧٢).

الرحمن لعثمان للمصاهرة التى كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين فى الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة وأما كيفية المصاهرة، التى كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهى أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أخت الوليد(١).

٢- حزب أموى وحزب هاشمى: أشارت رواية أبى مخنف إلي وقوع مشادة بين بنى هاشم وبنى أمية أثناء المبايعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة(٢)، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لحاجة فى نفوسهم مع بطلانها سنداً ومتناً من جهة وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات، فصوروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ فى تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائرى وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين؛ حزب أموى وحزب هاشمى، وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذى كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ حينما كان يقف المهاجرى مع الأنصارى ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبنى عشيرته، وليس نابعًا من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا فى سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التى رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة فى معالجة أمورهم، فليست القضية تمثيلاً عائليًا أو عشائريًا، فهم أهل شورى لمكانتهم فى الإسلام(٣).

٣- أكاذيب نسبت زوراً وبهتاناً لعلى رضى الله عنه:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن حرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبدالرحمن: خدعتنى، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه، وأنه

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٢٧).

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص (١٧٧، ١٧٨).

(٣) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص ٧٨، ٧٩.

تلكأ حتى قال عبدالرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح، فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم، والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها[١].

ثالثاً: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة أن من قدم عليا على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليًا على عثمان فإنه مخطىء ولا يضللونه، ولا يبدعونه[٢]، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليًا على عثمان بأنه قال: من قدم عليًا على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان على علي رضي الله عنه[٣]، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عن جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[٤]، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل علي على عثمان: فقال: فيها روايتان: إحداهما، لا يسوغ ذلك، فمن فضل عليا على عثمان خرج من السنة إلى البدعة، لمخالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدم عليا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني والثانية: لا يبدع من قدم عليا، لتقارب حال عثمان وعلي[٥].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).

(٢) مجموعة الفتاوى (٣/ ١٠١، ١٠٢).

(٣) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس: ص (٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/١٠١، ١٠٢).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٢٦٧).

رابعا: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شئون دولة عثمان رضي الله عنه:

١ - إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما:

عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتي بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما، حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال: الحسن ول حارّها من تولى قارّها[١]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبدالله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد، حتى بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إليّ[٢]، ويؤخذ من هذا الحديث أن عليا رضي الله عنه كان قريبا من عثمان ومعينا له على طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول في معرض دفاعه عن عثمان ردا على من يعيب على عثمان بفعل المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعة نفسه ليقتل رِدَءَه[٣]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[٤].

٢ - استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية:

جاء في رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبدالله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف أفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حَوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه - على إثر ذلك - للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو أفريقية، جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. ايت عليًا، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش

---

(١) أي: ول بشدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم. ك الحدود (١١/ ٢١٦).

(٣) الردء هو العون: تاريخ الطبري (٥/ ٢٧٨).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٤٢١).

إلى أفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناى الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا فى مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليها أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو، إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبدالله بن الزبير، وأبو ذر الغفارى(١).

٣- رأى على فى جمع عثمان الناس على قراءة واحدة:

جمع عثمان رضى الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم فى الأمر، وفيهم أعيان الصحابة وفى طليعتهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، وعرض عثمان رضى الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس فى أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذى يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين(٢) أن عثمان - رضى الله عنه - لم يبتدع فى جمعه للمصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة، رضى الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضاً: قد أحسن - أى فى فعله فى المصاحف(٣)، وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبى ﷺ حين مشق(٤) عثمان المصاحف فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه(٥)، وكان على رضى الله عنه ينهى من يعيب على عثمان - رضى الله عنه - بذلك ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا ، فوالله ما فعل الذى فعل - أى فى المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعا؛ أى الصحابة.. والله لو وليت لفعلت مثل الذى فعل(٦)، وجاء فى رواية أخرى عن على قوله: لما اختلف الناس فى القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا

---

(١) رياض النفوس (١/٨-٩) الجهاد والقتال، هيكل (١/٥٥٦).

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص (١٧٥).

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/٧٨).

(٤) مشق: أحرق (لسان العرب ١٠/٣٤٤).

(٥) التاريخ الصغير للبخارى (١/٩٤) إسناده حسن لغيره.

(٦) فتح البارى (٩/١٨) إسناده صحيح.

أصحاب رسول الله واستشارنا في جمع الناس على قراءة، فاجمع رأينا مع رأيه على ذلك، وقال بعد ذلك: لو وليت الذى ولى، لصنعت مثل الذى صنع[١].

خامساً: موقف على رضى الله عنه فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه، كالرخاء وأثره فى المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعى، ومجيء عثمان بعد عمر رضى الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية فى أحداث الفتنة وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب فى كتابى «تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان.. شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام فى فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة، رضى الله عنهم، عائشة وعلى وطلحة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبى طالب رضى الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصى بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق فى كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[٢]، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها، التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا فى جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأى وسيلة[٣].

---

(١) سنن أبى داود، ك المصاحف، ص (٢٩، ٣٠) إسناده صحيح، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٨٠).

(٢) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٤٠١).

(٣) المصدر نفسه، ص (٤٠٢).

كان التنظيم السبئي بقيادة عبدالله بن سبأ اليهودى خلف تلك الأحداث والتى بعدها، وسياتى الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذى هز مقتله العالم الإسلامى وأثر فى كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

١ - موقف على رضى الله عنه فى بداية الفتنة:

استمر على - رضى الله عنه - فى طريقته المعهودة مع الخلفاء، وهى السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقاً بقوله: لو سيرنى عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[١]،وعندما نزل المتمردون فى ذى المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً ورجلا آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم على رضى الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[٢]،وفى رواية أنهم شادوه وشادهم مرتين أو ثلاثا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[٣]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفى يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفىء ويعدل فى القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك فى كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[٤]، وهكذا اصطلح عثمان - رضى الله عنه - مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[٥]، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعا راضين تبين لمشعلى الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطا آخر - يذكى الفتنة ويحييها - يقتضى تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضى الله عنه، وبرز ذلك فيما يأتى:

فى أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم فكأنه يقول: خذونى فقبضوا عليه، وقالوا له: مالك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، رضى الله عنه، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[٦]،

---

(١) مصنف بن أبى شيبة (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.

(٢) تاريخ دمشق ترجمة عثمان، ص (٣٢٨)، تاريخ خليفة، ص (١٦٩).

(٣) فتنة مقتل عثمان (١٢٩/١).

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٢٩).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٧٩).

ونفى عثمان، رضى الله عنه، أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[1]، وهو الصادق البار لغاية فى نفوسهم، وهذا الكتاب الذى زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبى سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[2]: كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة، فالعراقيون فى الشرق والمصريون فى الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا فى آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوّروا الكتاب واستأجروا راكبا ليحمله ويمثل الدور فى البُويَبْ أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به على بن أبى طالب رضى الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[3]، بل إن عليًا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[4].

إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوّره هؤلاء المجرمون، بل زوّروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان على وطلحة والزبير، فهذه عائشة، رضى الله عنها، تُتهم بانها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفى وتقول: لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى هذا[5]، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[6]، ويتهم الوافدون عليًا بانه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا[7]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار

---

(١) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

(٢) تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان للصلابى، ص (٤١٠).

(٣، ٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٩).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).

(٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٦٩).

(٧) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/١٩١).

يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة(١)، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلا: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج - قتلة عثمان - كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زوّر هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به(٢)، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة - علي وعائشة والزبير - أنفسهم لهذه الكتب في أصحّ الروايات(٣)، إن الأيدي المجرمة التي زوّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زوّرت وروّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّهًا هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يان لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين - أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره(٤).

٢- موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

(٤) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، ص (٢٢٨، ٢٢٩).

فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم[1] وكأنه يقول: مَنْ هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة ؟وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله وهو الذى تربى على عين النبى ﷺ والذى شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته!؟

واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس فى أغلب الأوقات[2]، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمده عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[3]، وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان، رضى الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن على رضى الله عنهما، وعبدالله بن الزبير حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حمل جريحًا من الدار يوم الدار[4]، كما جرح غير الحسن، عبدالله بن الزبير، ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن على وابن عمر رضى الله عنهما[5]، وقد كان على من أدفع الناس عن عثمان، رضى الله عنه، وشهد له بذلك مروان بن الحكم[6]، أقرب الناس إلى عثمان رضى الله عنه، وألصقهم به فى تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله، رضى الله عنه، أن عليًا أرسل إلى عثمان فقال: إن معى خمسمائة دارعٍ، فأذن لى، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم فى سببى[7]، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان، رضى الله عنهما، أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل على رضى الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية حتى وصلت[8]،

---

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد على، ص (٨٥).

(٢) سير اعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)، المسند (١/ ٣٩٦) احمد شاكر.

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح.

(٥) تاريخ خليفة، ص (١٧٤).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبى، الخلفاء الراشدون، ص (٤٦٠، ٤٦١) إسناده قوى.

(٧) تاريخ دمشق، ص (٤٠٣).

(٨) انساب الأشراف للبلاذرى (٥/ ٦٧).

ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه، رضى الله عنه، وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم فى المسجد، فذهبت عقولهم، وقال على لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح[١] وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبًا لكم سائر الدهر، اللهم إنى أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[٢]، وهكذا كان موقف على رضى الله عنه، نصح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بالشهادة[٣].

٣- المصاهرات بين آل على وآل عثمان رضى الله عنهم:

لم يكن بين بنى هاشم وبنى أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التى اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بنى أمية مع بنى هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذى جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربى، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبى سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال[٤]، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله ﷺ بناته الثلاث من الأربعة من بنى أمية من أبى العاص بن الربيع وهو من بنى أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله ﷺ التى ولدت مع والد رسول الله عليه الصلاة والسلام عبدالله بن عبدالمطلب توءمين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثمان وأمها أم حكيم وهى البيضاء بنت عبدالمطلب عمة النبى ﷺ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن

---

(١) ابن أبى عاصم، الآحاد والثمانى (١/ ١٢٥) نقلا عن خلافة على، ص (٨٧).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٠٩) إسناده صحيح.

(٣) خلافه على بن أبى طالب، عبدالحميد على، ص (٨٧).

(٤) الشيعة وأهل البيت، ص (١٤١).

عفان، رضى الله عنه، من بنى هاشم ابنه إبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر (الطيار) بن أبى طالب شقيق على رضى الله عنهما[1]، وحفيدة على وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان، رضى الله عنهم أجمعين، وحفيدة على الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر، محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبى سفيان سيد بنى أمية متزوجة من سيد بنى هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبى سفيان وكانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمداً[2].

وتزوجت لبابة بنت عبيد الله بن عباس بن عبدالمطلب، العباس بن على بن أبى طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخى معاوية) ابن أبى سفيان[3]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر - الطيار - ابن أبى طالب سليمان بن هشام بن عبدالملك (الأموى) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبى سفيان[4]، وكذلك تزوجت ابنة على ابن أبى طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[5] بن أبى العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت على عند أبى الهياج.. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبى العاص[6]، وتزوجت حفيدة على بن أبى طالب من حفيد مروان بن الحكم، فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب تزوجها وليد بن عبدالملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبدالله بن عباس[7]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[8].

سادسا: من أقوال على فى الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم قد أجمع على صحتها وانعقادها الصحابة الكرام، ومن طعن فى أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى: ﴿ومن

(١) المعارف للدينورى، ص (٨٦)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٤١).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥)، الإصابة (٣/ ٥٨، ٥٩).
(٣) نسب قريش، ص (١٣٣)، الشيعة وأهل البيت، ص (١٤٣).
(٤) الشيعة وأهل البيت، ص (١٤٣).
(٥) المصدر نفسه، ص (١٤٣).
(٦) جمهرة أنساب العرب ٨٧، نسب قريش، ص (٤٥).
(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤).
(٨) الشيعة وأهل البيت، ص (١٤٤).

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥]، وقول النبى ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، رضى الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان[١]، وما أحسن ما قاله أيوب السختيانى فى هذا المقام. حيث قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول فى أصحاب محمد فقد برىء من النفاق[٢].

قال الشاعر:

إنى رضيت عليًا قدوة علمًا	كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته	وما رضيت بقتل الشيخ فى الدار
كل الصحابة عندى قدوة علم	فهل علىّ بهذا القول من عار
إن كنت تعلم أنى لا أحبهم	إلا لوجهك اعتقنى من النار[٣]

هذه وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة فى العلاقة المتميزة بين على والخلفاء الراشدين، رضى الله عنهم، وقد تمّ توضيح ذلك فى الصفحات الماضية، وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين على رضى الله عنه.

١- سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:

عن على رضى الله عنه قال: كنت عند النبى ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: يا علىُّ، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين[٤].

---

(١) الشريعة للآجرى (٤ / ١٧٦٨).

(٢) المصدر نفسه (٤ / ١٧٧٢، ١٧٧٣).

(٣) المصدر نفسه (٥ / ٢٥٣٦).

(٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٦٠٢ حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

٢- ما أضمر لهما إلا الذى أتمنى المضى عليه:

عن سويد بن غفلة، قال: مررتُ بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر فدخلت على على فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذى هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُضْمِرُ على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرَّءوا على ذلك. فقال على: ما أضمر لهما إلا الذى أتمنى المضى عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دامع العين يبكى، قابضًا على يدى حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضا على لحيته ينظر فيها وهى بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سَيِّدَى قريش وأبوى المسلمين؟ أنا مما قالوا برئٌ، وعلى ما قالوا مُعاقِبٌ، ألا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر ردىّ، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحداً، قضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبا بكر لصلاة المؤمنين فصلىَّ بهم تسعة أيام[١] فى حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولأَّه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سَنَّ ذلك من بنى عبدالمطلب، وهو لذلك كاره يودُّ أنّ أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقى، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا.. فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضى، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبى ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[٢] أمه، وكان والله رفيقًا رحيمًا، وللمظلومين عونا راحمًا وناصراً، لا يخاف فى الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعزّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواما، ألقى الله تعالى فى قلوب المنافقين الرّهبة، وفى قلوب المؤمنين المحبة.. إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما- ورزقنا المضىَّ على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحبُّ

(١) فى الأصل سبعة، وورد تصويبها فى الهامش.

(٢) الفصيل ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

لهما، ألا فمن أحبَّني فليُحبهما، ومن لم يُحبُّهما فقد أبغضني، وأنا منه برىء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أُتيتُ به يقول هذا بعد اليوم، فإنّ عليه ما على المُفتَرى، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر، ولو شئت سمَّيت الثالث، واستغفر الله لى ولكم[1].

٣- هذا عثمان بن على سميته بعثمان بن عفان:

عن أبى سعيد الخدرى: نظرت إلى غلام أيفع[2]، له ذؤابة[3] وجمة[4]، والله يعلم إنى منه حينئذ لفى شك، ما أدرى غلام هو أو جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب علىّ فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟قال: هذا عثمان بن علىّ سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله، وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن[5]، فإنما سماهم رسول الله وعقّ عنهم وحلق رءوسهم[6]، وتصدق وزنها وأمر بهم فسموا وختنوا[7]، فقد ولدوا فى عهده عليه الصلاة والسلام ورسول الله هو الذى سماهم وعقّ عنهم.

٤- أبو بكر وعمر وعثمان، رضى الله عنهم، كان لهم بالنبى اختصاص عظيم:

قد عرف بالتواتر الذى لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كان لهم بالنبى ﷺ اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصاً به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم وكان يحبهم ويثنى عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطناً فى حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك فى حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم،

---

(١) النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ص (٤٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى رقم (٤٤٥٦).

(٢) أيفع: شارف الاحتلام.

(٣) الذؤابة: هى الشعر المضفور من شعر الرأس.

(٤) الجمه من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

(٥) مسند أحمد(٢/ ١١٥) رقم (٧٦٩) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) المختصر من كتاب الموافقة، ص (١٤١).

(٧) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، المختصر من كتاب الموافقة، ص (١٤١).

إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قيل:

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة ... وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة(١).

٥- ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدى إلى القدح في القرآن العظيم، لانه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبوزرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(٢)، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذى وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليًا عليه السلام أمره بذلك(٣).

٦- قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين على والخلفاء الراشدين:

قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين على في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصفوة من جيل

---

(١) منهاج السنة (٤/ ١٢٣)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣١).

(٢) الكفاية، ص (٤٩).

(٣) المقالات والفرق للقمى، ص (٢٠) نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٣).

الصحابة، رضوان الله عليهم، وتأتى فى مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين على ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر[1]، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفراً من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبرون فساد ما ينتهى إليه مذهبهم؟ إذ لو كان أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما، كافرين كما يفترون لكان على بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر، رضى الله عنه، كافراً أو فاسقًا معرضا بنته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض[2]، والعاقل المنصف البرىء من الغرض، الصادق فى محبته للنبى ﷺ وأهل بيته واتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة، رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه - وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله- إن عليًا - رضى الله عنه - زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر من ماله وأعتق مماليكه ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى غشى عليه[3]، لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذى أمضاه ينهش فى أعراض هؤلاء الأطهار مغتراً بشبهات الروافض[4]، وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل فوضعوا روايات مكذوبة عن لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[5]، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين فى صورة « الديوث »الذى لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة فى أهله، وهل يتصور مثل هذا فى حق أمير المؤمنين على بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلا عن بنى هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله ﷺ مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بنى غالب، أسد الله فى المشارق والمغارب[6].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت على ولكنها جنية تصورت

(١) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢).

(٣) المنتظم (٧/ ٣٨، ٣٩).

(٤) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).

(٥) فروع الكافى (٢/ ١٠)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).

(٦) مؤتمر النجف للسويدى، ص (٨٦) نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).

بصورتها[١]، فأتوا بما يستخف به أصحاب العقول ويستطيع كل من أراد أن يدّعي من يكرهه بأنه جني أو جنية وهكذا يعيش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إن عليًا والحسن والحسين - كما مرّ معنا - يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرها له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته يرددها مع أهله في يومه مرات وكرات[٢].

إن أمير المؤمنين عليا - رضي الله عنه - لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - في حياتهم، وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته جرت[٣]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[٤]، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[٥]، وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا. فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا[٦].

سابعا: وصف لأصحاب النبي ﷺ في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي**

(١) الأنوار النعمانية (١/ ٨٣، ٨٤) نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٨).

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٨).

(٣) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٢٣١٢).

(٥) حلية الأولياء (٧/ ٣٢).

(٦) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢) إسناده صحيح.

التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩].

ومن المناسب أن أختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلا على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء، ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفى مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان، كما بين - سبحانه - أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ والسيما العلامة، وقد قيل بها بياض يكون فى الوجوه يوم القيامة ،قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء فى الدنيا هو السمت الحسن. «وعن مجاهد أيضا: هو الخشوع والتواضع»(١).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها؛ إذ يمكن أن يكون فى الدنيا هو السمت الذى ينشأ عن التواضع والخشوع، وفى الآخرة يكون فى جباههم نور(٢)، قال ابن كثير: فالصحابة - رضى الله عنهم - خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم، وقال مالك، رضى الله عنه: بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة، رضى الله عنهم، الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا فى ذلك، فإن هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ ثم قال ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ أى: فراخه ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ أى: شده وقواه ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ أى: شب وطال ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أى: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه

(١) تفسير الطبرى (٢٦/ ١١٠، ١١١)، تفسير القرطبى (١٦/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) تفسير الطبرى (٢٦/ ١١٢).

ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، رضى الله عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة، رضى الله عنهم، فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء، رضي الله عنهم، على ذلك.. ثم قال تبارك وتعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾ أى: ثوابا جزيلا ورزقا كريما، ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو فى حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[١]، وفى قوله – سبحانه – فى حق الصحابة الكرام رضى الله عنهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد فى حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان فى قلبه غل لهم[٢]، وأما قوله تعالى فى ختام الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة؛ إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة[٣]، وكلمة «منهم» فى الآية السابقة من لبيان الجنس وليست للتبعيض، قال ابن تيمية: لا ريب إن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلا من الله ورضوانا، والسيماء فى وجوههم من أثر السجود وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع، والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم[٤].

إن ما ذكرته فى هذا الفصل ينسجم كليا مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار، وخصوصا بين الخلفاء الراشدين فهم السادة الكرام، وعلية

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٥).

(٢) قبس من هدى الإسلام، عبدالمحسن العباد، ص (٨٦).

(٣) عقيدة أهل السنة من الصحابة (١/ ٧٦).

(٤) منهاج السنة (١/ ١٥٨).

القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحذر كل الحذر من الروايات الضعيفة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة ليشوهوا به تاريخ صدر الإسلام، أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة، فهي منحة ربانية ونعمة إلهية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر لا دخل لبشر فيها، وبيَّن القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدى القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، قال ابن عباس: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب[١].

قال الشاعر:

ولقد صحبت الناس ثم خبرتهم	وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعا	وإذا المودة أقرب الأسباب[٢].

(١) الدر المنثور في تفسير المأثور (٤/ ١٠٠).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٠٠).

الفصل الثالث
بيعة على رضى الله عنه
وأهم صفاته وحياته فى المجتمع

المبحث الأول

بيعة على رضى الله عنه

أولا: كيف تمت بيعة على رضى الله عنه:

تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضى الله عنه، على أيدى الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق، ومن امصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير فى الدين، فبعد أن قتلوه رضى الله عنه ظلما وزورا وعدوانًا، يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين(1). قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ بمبايعة على رضى الله عنه بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق فى ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان، رضى الله عنه، ولم يكن أبو السبطين، رضى الله عنه، حريصا عليهم، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقى من الصحابة بالمدينة، وخوفا من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التى أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فاطاعوه، لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التى تم بها اختيار على رضى الله عنه للخلافة بعض أهل العلم(2)، فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال: كنت مع على رحمه الله وعثمان محصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام على رحمه الله: قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال: خلٍّ لا أم لك، قال: فأتى على الدار، وقد قتل الرجل رحمه الله، فأتى داره فدخلها فاغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل،

---

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 31).

(2) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (2/ 677).

ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير فقالوا: لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فبايعه الناس[1]، وفي رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية: فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولا نجد أحدا أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال علي: لا تفعلوا فإني وزير خير مني أمير، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد فإنه ينبغي لبيعتي ألا تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين قال: فقال سالم بن أبي الجعد: فقال عبدالله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[2]، ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد منها:

١- نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه، بل كان أكثر الناس دفاعا عن عثمان، رضي الله عنه، جاء ذلك بأسانيد كثيرة، وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني عليا عن عثمان[3].

٢- زهد علي رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

٣- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيعته، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد، وهم الذين قصدوا عليا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

٤- إن عليا كان أحق الناس بالخلافة يومئذ، ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

---

(١) كتاب السنة لأبي بكر الخلال، ص (٤١٥).

(٢) الخلال في السنة، ص(٤١٦) رجال الإسناد ثقات.

(٣) بيعة علي بن أبي طالب، مالك الخالدي، ص (٢) نقلا عن تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين، ص (٤٦٠) إسناده قوي.

٥- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا فى تولية على، وكان على يقول: لولا الخشية على دين الله لم أجبهم[١].

٦- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة على، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة، وأنهم أول من بدءوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها مسند صحيح، والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبى بكر وعمر وعثمان، كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينًا، وسبقًا وجهادًا، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلى، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل على البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلف عن على أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة: أما البيعة فلم يتخلف عنها، وأما المسير معه فتخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية[٢]، كما أن عليًا لم يلزمهم بالخروج معه كما سيأتى التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل.

٧- لابد من الحذر من مبالغات الإخباريين التى تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه[٣]، وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على على فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة، فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده[٤]، كما أن المعروف تمكن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان، رضى الله عنه، بالكف عن استخدام القوة ضدهم. وقد فصلت ذلك فى كتابى تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان، والصحيح أن بيعة على كانت عن طواعية واختيار من المسلمين وليس لأهل الفتنة دور فى مبايعة على، وإنما كل من كان من الصحابة فى المدينة[٥] هم الذين اختاروا أمير المؤمنين عليًا.

---

(١) فتح البارى (١٣/ ٧٥) إسناده صحيح، بيعة على، ص (١٠٥).

(٢) المدينة النبوية، محمد شراب (٢/ ٣١١).

(٣) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣٢).

(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل د. خالد الغيث، ص ١٣٦ – ١٤٠.

(٥) استشهاد عثمان، ص (٢٤٠).

٨- بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة علي إحدى عشرة رواية[١]، كما سيأتي تفصيل بعضها بإذن الله.

ثانيًا: أحقية علي بالخلافة:

إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة، وقد ورد الإيماء إلى أحقية خلافة علي رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها:

١- قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾[النور: ٥٥]، ووجه الاستدلال بها على حقيقة خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

٢- قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[٢] ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق.

٣- قوله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»[٣]، وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقية علي رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي ﷺ في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم[٤]، قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح، وإليه أذهب في الخلفاء[٥]،وقال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي: إن قوما يقولون إنه ليس بخليفة، قال:

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب، ص (١٢٢).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١) الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٣) صحيح ابن حبان رقم ٦٦٥٧، الطبراني في الكبير ٦٤٤٢ السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٧٤٢ - ٧٤٩)

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٦).

(٥) السنة لعبدالله بن حنبل، ص (٢٣٥).

هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة[١].

- وقال ابن تيمية في حديث سفينة: وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبدالوارث بن سعيد والعوام بن حوشب عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، رواه أهل السنن كأبي داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته[٢].

وقال شارح الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما لما قتل عثمان وبايع الناس عليا صار إماما حقا واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»**[٣].

٤- عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرأى النبي ﷺ ينفض التراب عنه ويقول: ويح[٤] عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[٥]، وفي رواية مسلم عن أبي سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: بؤسى[٦] ابن سمية تقتلك فئة باغية،[٧] قال ابن تيمية: بعد ذكره لقوله ﷺ تقتل عمار الفئة الباغية[٨]. وهذا

---

(١) السنة لعبد الله بن حنبل، ص (٢٣٥)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٦).

(٢) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٨٦).

(٣) شارح الطحاوية، ص(٥٤٥)، السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٢ - ٧٤٩).

(٤) ويح: كلمة رحمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، الويل: فيوح، والويح: ترحم، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٨٦) لطائف في غريب الحديث (٤/ ٨٥) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٣٥).

(٥) البخاري رقم (٤٤٧).

(٦) كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها.

(٧) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٨) مسلم رقم (٢٢٣٥).

يدل على صحة إمامة على ووجوب طاعته وأن الداعى إلى طاعته داع إلى الجنة والداعى إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولا، أو باغ بلا تأويل، وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين ، وعندما أنكر يحيى بن معين على الشافعى استدلاله بسيرة على فى قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معا بغاة؟ رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأى شيء يسعه أن يصنع فى هذا المقام يعنى: إن لم يقتد بسيرة على فى ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين فى قتال البغاة - إلى أن قال - ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة فى ذلك[1]، فلو قال قائل: إن قتل عمار كان بصفين، وهو مع على والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار، فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم فى اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة على، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكونهم معذورين للتأويل الذى ظهر لهم[2].

قال النووى بعد قوله ﷺ: بؤسى ابن سمية تقتلك فئة فاغية[3]، قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة فى أن عليا رضى الله عنه كان محقًا مصيبًا والطائفة الأخرى بغاة، لكنهم مجتهدون، فلا إثم عليهم لذلك.. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها: أن عمارا يموت قتيلا، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة: يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى[4].

٥- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق.** وفيه أيضا: أنه قال: **تكون فى أمتى فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق،** وفى لفظ: قال: **تمرق مارقة فى فرقة من الناس فيلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق.** وجاء بلفظ: **يخرجون على فرقة**

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧ ، ٤٣٨).

(٢) فتح البارى (١/ ٥٤٢).

(٣) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم (١٨/ ٤٠ ، ٤١).

مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق[1]، فقوله ﷺ على حين فرقة – بضم الفاء – أى: فى وقت افتراق الناس أى: افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافتراق الذى كان بين على ومعاوية رضى الله عنهما[2]، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهروان كانوا فى عسكر على رضى الله عنه فى حرب صفين، فلما اتفق على ومعاوية على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن عليا ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسى رهان، فكفر معاوية بقتال على ثم كفر على بتحكيم الحكمين، وكفروا طلحة والزبير، فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع على، وقد شهد النبى ﷺ لعلى وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبى ﷺ لكونه أخبر بما يكون فكان على ما قال، وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة على رضى الله عنه وخطأ من خالفه[3].

ثالثا: بيعة طلحة والزبير رضى الله عنهما:

عن أبى بشير العابدى قال: كت بالمدينة حين قتل عثمان، رضى الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليا، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لى فى أمركم ،أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا والله، فقالوا: ما نختار غيرك[4] ..إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلى – رضى الله عنه – والروايات فى هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير فى تاريخه[5]، وهى دالة على مبايعة الصحابة – رضى الله عنهم – لعلى – رضى الله عنه، واتفاقهم على بيعته بمن فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحا به فى الرواية السابقة وأما ما جاء فى بعض الروايات من أن طلحة، والزبير بايعا مكرهين، فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[6]، فقد روى الطبرى عن عوف بن أبى جميلة قال: أما أنا فأشهد أنى سمعت

---

(١) هذه الأحاديث فى صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

(٣) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة، ص (٧٥ ، ٧٦) نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/٦٨٣).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩) إسناد الرواية حسن لغيره، حملة رسالة الإسلام الأولون، محب الدين الخطيب، ص (٥٧).

(٥) انظر: تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٨ – ٤٥٠) وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٥٩–٧٥).

(٦) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٦).

محمد بن سيرين يقول: إن عليا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط عليٌّ يده فبايعه[١]، وعن عبد خير الخيواني أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان - يعني طلحة والزبير - ممن بايع عليا؟ قال: نعم[٢]، كما نص على بطلان ما يدعى من أنهما بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي، قال - رحمه الله -: فإن قيل بايعا مكرهين «أي طلحة والزبير»، قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحد واثنين تنعقد البيعة بهما وتتم - وهذا اجتهاد مردود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام، وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم[٣]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل فقد قال طلحة: بايعت واللج على قفي! قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفي)، كما يجعل في (الهوى) (هوى) وتلك لغة هذيل لا قريش[٤]، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قولهم (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدا شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه[٥]، إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرهوا على البيعة باطلة[٦]، وهناك روايات صحيحة أشارت - كما ذكرت - إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنهما، وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[٧]، من طريق

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦)، الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٦).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٧).

(٣) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع عليا طلحة - رضي الله عنهما - وكان بيده اليمنى شلل. لما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال رجل في القوم: أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر، تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٣٧).

(٤) وقيل لغة طي: ذكره ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩٤) وكذلك اللج ليس من لغة قريش بل من لغة طي، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طي النهاية (٤/ ٢٣٤) وقيل: هو السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن لسان العرب (٢/ ٣٥٤).

(٥) العواصم من القواصم ص (١٤٨، ١٤٩).

(٦) استشهاد عثمان، ١٤١).

(٧) فتح البارى (١٣/ ٣٨).

الأحنف بن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبير، رضوان الله عليهما، قد أمروا الأحنف بمبايعة علي رضي الله عنه بعدما استشارهم في من يبايع بعد عثمان رضي الله عنه(١).

إن سابقة علي - رضي الله عنه - وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته على المسلمين، ويمكن القول أن عليا كان أقوى المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر - رضي الله عنه - فالفاروق عينه في الستة الذين أشار بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعة من رجال الشورى، وهم عبدالرحمن، وسعد، وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحا أمام الاثنين، فلم يبق إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لولا عثمان لكانت لعلي، وبعد موت عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحقا للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه - رضي الله عنه - فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عمّ رسول الله، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة مالا ينكر، وله من الشجاعة، والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم(٢)، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

رابعا: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليا رضي الله عنه كان متعينا للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاما، وأوفرهم علما، وأقربهم بالنبي ﷺ نسبا، وأشجعهم نفسا، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديا وسمتا، فكان رضي الله عنه متعينا

---

(١) استشهاد عثمان، ص (١٤١)، المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ١١٨). ورجاله رجال الصحيح عدا عمر بن جاوان مقبول وصححه ابن حجر في فتح الباري (٣٤/ ١٣-٥٧).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٩١، ٩٢).

للخلافة دون غيره، وقد قام من بقى من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إماما حقا وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

١- نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة فى الدين ممن بقى من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة على بيعة على رضى الله عنه حيث قال: وبويع لعلى بن أبى طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصارى، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم[١].

٢- وذكر ابن قدامة رحمه الله أن الإمام أحمد، رحمه الله، روى بإسناده عن عبدالرزاق عن محمد بن راشد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكان رجلا انتقص أبا موسى باتباعه عليا، فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه أفيلام أبو موسى باتباعه[٢].

٣- وقال أبو الحسن الأشعرى: ونثبت إمامة على بعد عثمان، رضى الله عنه، بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره فى وقته، وقد اجتمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه فى وقت الخلفاء قبله كان حقا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن، ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضى الله عنهم[٣].

٤- وقال أبو نعيم الأصبهانى: فلما اختلف الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة فى الإسلام الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).

(٢) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين: ص (٧٧ ، ٧٨) نقلا عن عقيد أهل السنة فى الصحابة (٢/٦٨٩).

(٣) الإبانة عن أصول الديانة، ص (٧٨)، مقالات الإسلاميين (١/٣٤٦).

في أمر دينهم ودنياهم، لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة في العشرة ممن توفي وهو عنهم راض، فسلم من بقي من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرا وأرفعهم قدرا، لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون، لم يضع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله ﷺ بل ازداد به ارتفاعا لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه؛ إذ كان ذلك موجودا في الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى قوله ﴿مَا يُرِيدُ﴾[البقرة: ٢٥٣]، فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذي يضع ممن هو دونه، فكل الرسل صفوة الله عز وجل – وخيرته من خلقه – فتولى أمر المسلمين عادلا زاهدا آخذا في سيرته بمنهاج الرسول –عليه الصلاة والسلام– وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله عز وجل – شهيدا هاديا مهديا، سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم(١).

٥– وقال أبو منصور البغدادي: أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة علي رضي الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه(٢).

٦– وقال الزهري: وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل من بقي من الصحابة، فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى(٣).

٧– وقال عبدالله الجويني: وأما عمر وعثمان وعلي –رضوان الله عليهم– فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكتراث بقول من يقول: لم يحصل إجماع على إمامة علي رضي الله عنه، فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر(٤).

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٢) كتاب أصول الدين، ص (٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) الاعتقاد، ص (١٩٣).

(٤) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص (٣٦٢، ٣٦٣) بقصد القصاص من قتلة عثمان.

٨- وقال أبو عبدالله بن بطة: كانت بيعة على - رحمه الله - بيعة اجتماع ورحمة لم يدع إلى نفسه، ولم يجبرهم على بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه، وزانها بشرفه، وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه(١).

٩- وقال الغزالي: وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على على رضى الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله - تعالى - لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هنا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب(٢).

١٠- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينا، فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقة، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضا عليه فانقاد إليه(٣).

١١- وقال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»**(٤).
فكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على(٥).

١٢- وقال ابن حجر: وكانت بيعة على بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الآفاق، فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهما بعد ما كان(٦). والذى

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٣٤٦)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٦٩٢).
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، ص (١٥٤).
(٣) العواصم من القواصم، ص (١٤٢).
(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذى (٥/ ٤٤) حسن صحيح.
(٥) الوصية الكبرى، ص (٢٣).
(٦) فتح البارى (٧/ ٧٢).

نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان -رضي الله عنه- حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه، فقد جاءته رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحلها[١]، وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه من وجوه:

(١) - تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم[٢].

٢- إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[٣].

٣- أن أهل الشام معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه[٤].

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعته دعوة غير صحيحة إذ أن بيعته لم يتخلف أحد عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكر لأنها كانت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره[٥]، وأما ما قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة علي، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر. .إلخ[٦]، ما ذكر فهذا مبالغة من ابن خلدون رحمه الله، أما سعد بن أبي وقاص فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي[٧] وغيرهم، وكذلك البقية قد بايعوا كما ذكرنا الإجماع في ذلك فيمن حضر من الصحابة في المدينة، على أن ابن خلدون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة في

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٣).

(٢) العواصم من القواصم ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٥.

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٥).

(٥) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٣ - ٢٣٤، العواصم من القواصم ص ١٤٧.

(٦) المقدمة ص ٢١٤.

(٧) الطبقات (٣/ ٣١)، الثقات (٢/ ٢٦٨) دول الإسلام (١/ ١٤). عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ١٧١، ١٧٢.

المدينة، على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين أجمعين، وقد نقلت ما قاله ابن خلدون لأن كثيراً من الكتاب والباحثين اعتمدوا عليه فيما بعد.

الوجه الثاني: أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لابد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر، فلا يجوز اشتراطه لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتفائه(١).

الوجه الثالث: ان الإجماع حصل على بيعة أبى بكر بمبايعة الفاروق وأبى عبيدة ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة على وعثمان وغيرهما من الصحابة، وكذلك حصل الإجماع على خلافة على بمبايعة سعد بن أبى وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار ومن حضر من البدريين وغيرهم من الصحابة، ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أو لم يبايعه من غيرهم رضى الله عنهم جميعا، قال الحسن البصرى: والله ما كانت بيعة على إلا كبيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهم(٢).

الوجه الرابع: دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح فى شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة ويقع الحكم(٣) بعد ذلك. وأما الروايات التى تزعم أن طلحة والزبير وبعض الصحابة، رضوان الله عليهم، قد اشترطوا فى بيعتهم لعلى إقامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنده فإن فى متنه مقالا(٤)، وفى ذلك يقول ابن العربى: فإن قيل بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح فى شرط البيعة(٥).

الوجه الخامس: أن معاوية -رضى الله عنه- لم يقاتل عليا على الخلافة ولم ينكر إمامته، وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان مع ظنه أنه مصيب فى اجتهاده ولكنه كان مخطئا فى اجتهاده ذلك، فله أجر الاجتهاد فقط(٦) وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع على - رضى الله عنه - كان فى

---

(١) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين، ص (٧٦، ٧٧) نقلا عن عقيدة أهل السنة.

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٩٦).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٦).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٥٩، ٤٦٠).

(٥) العواصم من القواصم، ص (١٥٠).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٦).

قتل قتلة عثمان ولم ينازعه في الخلافة، بل كان يقر له بذلك، فعن أبي مسلم الخولاني أنه جاء، وأناس معه، إلى معاوية وقالوا: أنت تنازع عليا، هل أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه والطالب بدمه فأتوه، فقولوا له: فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليا فكلموه فلم يدفعهم إليه[1]، ويروي ابن كثير من طرق ابن ديزيل بسنده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة - رضي الله عنهما -: أنهما دخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاما، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان، وإنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام[2].

والروايات في هذا كثيرة مشهورة بين العلماء[3]، وهي دالة على عدم منازعة معاوية لعلي - رضي الله عنهما - في الخلافة. ولهذا نص المحققون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها[4]، يقول إمام الحرمين الجويني: إن معاوية وإن قاتل عليا فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنا منه أنه مصيب وكان مخطئا[5]، ويقول ابن حجر الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم، لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي[6]، وسوف نبين موقف علي رضي الله عنه من عدم تسليم قتلة عثمان في حينه، وإنما الشاهد هنا هو إثبات عدم مبايعة معاوية ليس اعتراضًا على شخص علي، ويقول

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٧).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٩).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٦٨- ٢٧٠) وقد جمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/١٤٦-١٥٠).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٩).

(٥) لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، ص (١١٥).

(٦) الصواعق المحرقة نقلا عن الانتصار للصحب والآل، ص (٢٣٩).

ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة ويقرون له بذلك،وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه.. وكل فرقة من المتشيعين[1] مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفئًا لعلى بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف على – رضى الله عنه – فإن فضل على وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة[2]، فثبت بهذا أنه لم ينازع عليا – رضى الله عنه – أحد فى الخلافة، لا من الذين خالفوه، ولا من غيرهم[3]، فهذه الأقوال عن هؤلاء العلماء كلها فى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة فى ترتيب الخلافة الراشدة، فلابد من الذود عنها والتبشير وتربية الأجيال عليها، والاعتزاز والافتخار فى الانتساب إليها.

خامسا: شروط أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى بيعته وأول خطبة خطبها رضى الله عنه:

جاء فى بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه اشترط فى بيعته أموراً منها، أن تكون البيعة فى ملأ وليس فى خفية، وفى المسجد، وعن رضا المسلمين، وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه، فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالى فى المسجد للبيعة[4]، وكان يوما حافلا وحاسما، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة.. ثم بعد الحمد والثناء على الله بين للناس المحاولات التى بذلت معه وقال: إنى كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وأنه ليس لى أمر دونكم، ألا أن مفاتيح ما لكم معى، ألا وإنه ليس لى أن آخذ منه درهما دونكم[5]، ثم قال: يا أيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم،وإلا فلا أجد على أحد، ثم رفع صوته قائلا: رضيتم؟ قالوا: نعم،

---

(١) أى المتشيعين لعثمان أو على – رضى الله عنهما – وقد كان المطالبون بدم عثمان – رضى الله عنه – قد انضموا إلى معاوية ما كانوا يفضلونه على على – رضى الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢، ٧٣).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٤١).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٨)، دراسات فى عهد النبوة، ص (٢٨١).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩).

قال: اللهم اشهد عليهم وأقبل الناس يبايعونه[1]، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس: إنكم بايعتمونى على ما بايعتم عليه أصحابى، فإذا بايعتمونى فلا خيار لكم علىَّ، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة.. إلخ[2]، ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

١- مبدأ الشورى:

إن البيعة للخليفة الرابع على رضى الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشورى عن مثيلتها السابقة بالرغم من الأزمة التى ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أساس عشائرى، أو أسرى، أو قبلى، أو على أساس عهد ووصية من رسول الله ﷺ، ولو وجد شيء من هذا القبيل لما حصل هذا الحوار الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين، ولكان أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعا ويلحون عليه فى الطلب إلحاحا، وهو يروغ منهم متخلصا لعله يحدث ما يمنعه من ذلك إلى أن قبل على كره منه، ولم يطالبوه بهذا على أساس وصية من رسول الله له - ولو وجدوا شيئا من ذلك لما ترددوا فى تنفيذه - ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسب، بل لأنه من السابقين ومن العشرة المبشرين بالجنة، ولأنه الثانى بعد عثمان فى اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشورى بعد مقتل عمر ابن الخطاب، فكان عبدالرحمن بن عوف لا يشير عليه أحد بتنصيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله لو لم يكن عثمان موجودا فمن تختار؟ فيقول: على رضى الله عنه[3].

٢- أهل الحل والعقد فى عهد أمير المؤمنين على:

كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم بقية العشرة المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج، وكان هؤلاء من أهل المدينة، لأنهم هم السابقون الراسخون فى العلم والإيمان[4]، وكان على رضى الله عنه يرى أن أمر اختيار الخلافة لمن كان باقيا فى المدينة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد من أهل بدر،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩).

(٢، ٣) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص (٢٨٢).

(٤) الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرادوى، ص(٢٨٨).

وأصحاب الشورى، إلا أن الحسن بن على، رضى الله عنه، كان يرى ضرورة مراعاة الأمور المستجدة فى تركيبة المجتمع الإسلامى، وقد بدا ذلك فى هذا الحوار بين الحسن بن على وأبيه على ابن أبى طالب رضى الله عنهما، قال الحسن: قد أمرتك فعصيتنى فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك، فقال على: إنك ما زلت تحن حنين الجارية، وما الذى أمرتنى فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان، رضى الله عنه، أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر(1).. وكان جواب على رضى الله عنه: وأما قولك لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذ الأمر(2)، على أن عليا رضى الله عنه، كان يرى أن البيعة تجوز فى غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم، أو أن يشركهم فيه غيرهم تقىً وورعا أن يحدث بعد رسول الله ﷺ وخلفائه شيئًا يبتعد به عن نهجهم وسبيلهم، أو أنه كان يرى أن الوقت مازال مبكرا على إشراك غير المهاجرين والأنصار فى أمور اختيار الحاكم المسلم، ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر من المهاجرين والأنصار(3) ، والدليل على ذلك أنه رضى الله عنه عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن قال: لا انهاكم ولا آمركم، وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة فى اختيار الحاكم. ونستفيد من الحوار الذى حدث بين الحسن بن على وأبيه رضى الله عنهما أموراً منها:

أ- احترام الرأى فى النقاش من الجانبين.

ب- لطف المعاملة من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لولده.

جـ- صراحة الولد مع والده وإبداء كل ما يراه صوابا فى موضوع النقاش.

د- حسن الاستماع للطرف الثانى، حيث استمع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، من ابنه الحسن جميع ما عنده من الحجج.

هـ- تفنيد الحجج واحدة بعد الأخرى تفنيدا علميا(4).

---

(1) البداية والنهاية (7/ 245).

(2) المصدر نفسه (7/ 245).

(3) الخلافة بين التنظير والتطبيق، ص (293، 294).

(4) منهج على بن ابى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (427، 428).

٣- الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغرا:

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على عليٍّ رضى الله عنه أن يقبل الخلافة رغما عنه، تداركًا لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل، وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشترط أن تكون البيعة له علانية في المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموضعهم هو: البيعة العلنية العامة[١]، وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم[٢].

٤- الرد على بعض الكتب المعاصرة التى تحدثت عن بيعة على رضى الله عنه:

يقول العقاد – وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان –: وهذا الخبر – على وجازته – قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان، وربما كان أشدهم طلبا لها طلحة والزبير اللذين أعلنا الحرب على على بعد ذلك، فقد كانا يمهدان لها فى حياة عثمان، ويحسبان أن قريشا قد أجمعت أمرها ألا يتولاها هاشمى، وأن عليا وشيك أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة تؤثر أن تئول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبدالله بن الزبير، لأن طلحة من قبيلة تيم، والزبير زوج أختها أسماء، وفى تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مدعاة أمل كبير فى النجاح[٣].

وقال فى موضع آخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافا أصابه فبتخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة ابن عمه صلوات الله عليه، وأنه كان يرى أن قرابته من النبى مزية ترشحه للخلافة بعده، لأنها فرع من النبوة على اعتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال[٤].

---

(١) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، السيد عمر، ص (٧٢).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩).

(٣) عبقرية على، ص (٨٤).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٤٨).

وقال: فمن المعلوم أن عليا كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه لم يزل مدفوعا عن حقه هذا منذ انتقل النبى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى[١]، وغير ذلك من الطامات والأكاذيب والإفك المبين التى تورط فيها العقاد بسبب الروايات الموضوعة، وسار على منهجه خالد محمد خالد فى كتابه خلفاء الرسول ونقل عن على كلاما مفترى، ذكر فيه أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من على[٢]، وجانب الصواب خالد البيطار فى كتابه على بن أبى طالب، عندما علق على موقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها[٣] وموقف على من خلافة أبى بكر، وهذا مثال لفيلق طويل لا ينتهى خاض هذه المعمعة وخبط فيها - والتى تدعى أن عليا - رضى الله عنه - ذيد عن الخلافة بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وأن الصحابة كانوا يتآمرون لنيل الخلافة بدافع العصبية ضد بنى هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن عليا أنكر إجحافًا أصابه فى تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة النبى ﷺ، وأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأن النبى ﷺ مهّد لخلافته وحببه للناس بما أمَّره حينًا واستخلفه حينًا آخر، وأن ليس ثمة علاقة حميمة بين الإمام وبين الصحابة، وأنه غفر للشيخين تعديهما عليه بأخذ الخلافة، وأنه بايع الصدّيق بعد وفاة فاطمة، وكل هذا بهتان وزور، وكذب وافتراء، يأباه الحق والعدل والإنصاف، وينكره التاريخ الصحيح، ويكذبه الكلام الصريح الذى صدر عن على نفسه الذى سبق ذكره، فقد اعترف على بأفضلية الخلفاء، حينما كان هو الخليفة، فكان يعلن ذلك على المنبر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقاب، وهذا ثابت بالأسانيد الصحيحة وكان لهم ناصراً ومعيناً، وعلاقته بهم وطيدة وشيجة لا تؤثر فى رسوخها العواصف الهوج[٤] التى يثيرها من تورط فى الروايات الضعيفة والأخبار الموضوعة من الكتاب الذين ذكرنا بعض نقولهم على سبيل المثال لا الحصر، والسبب الذى أسقطهم فى هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة فى كتابة التاريخ، وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة وعدم تفريقهم بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة والاعتماد على الموضوعات فى تحليلاتهم.

---

(١) عبقرية على، ص (١٨١).

(٢) خلفاء الرسول، ص (٥٢٦، ٥٢٧).

(٣) على بن أبى طالب: خالد البيطار، ص (٨٤).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٣٠).

٥- أول خطبة خطبها على رضى الله عنه:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله (سبحانه) يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرَّم حُرَماً غير مجهولة وفضَّل حرمة المسلم على الحُرم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة....، فإن الناس أمامكم وأن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله فى عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾[1] [الأنفال: ٢٦].

ولما كانت بيعة على جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتها خليفة المسلمين السابق، فقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشرّ، وبين لهم أن حرمة المسلم فوق كل الحرمات، فلا يجوز أذاه فى حال من الأحوال، ثم ذكرهم بالموت والآخرة وحثهم على التقوى والطاعة والعمل الصالح[2].

وقد جاءت محاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، واهتمت ببعض مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطته التى يريد أن يرسمها للناس لقلنا: يريد أن يقول لهم: ارجعوا إلى العهد الذى كنتم عليه أيام رسول الله[3]، والخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وقد أشار أمير المؤمنين فى حكمه وبلاغه إلى النهج الذى سيقبلون به عهد الخلافة الجديد بقوله: إذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه.

وختم بالآية الكريمة التى كانوا فى حاجة إلى استحضارها، ليقارنوا بها بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وبعد الإسلام - إلى أمد بعيد - من القلة والضعف والضَّعة والخمول حتى كانوا كقطعة لحم على كف يتخطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسعة والأمن والسَّلام، والرخاء والثراء، وما أكرمهم به عليهم من النِعَم فطنّت حصاتهم وخفقت راياتهم ودان لهم العباد والبلاد[4].

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٢) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص (٥٧).

(٣) الخلفاء الراشدون للنجار، ص (٣٧٨).

(٤) المرتضى للندوى، ص (١٤٠، ١٤١).

٦- الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين:

قال النووى: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين[١]، وقال ابن خلدون: وإذ قد بيَّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا، به تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإمام[٢]، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة[٣]، ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظى الخلافة وهى الإمامة الكبرى وسميت خلافة لأن الذى يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبى ﷺ فى إدارة شئونهم، وتسمى إمامة، لأن الخليفة كان يسمى إماما، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم[٤]، كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ، الإمام والخليفة وأمير المؤمنين بأنه: ابتعادا بالمفهوم الإسلامى للدولة ورياستها عن النظام الملكى بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافا أساسيا عن المفهوم الإسلامى الجديد[٥]،هذا وقد كان الخلفاء الأُول يُلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- استعمل المسلمون لقب «أمير المؤمنين».

ولقد ورد لفظ «إمام» فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس، قال الله تعالى: **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: ١٢٤]، أى جاعلك قدوة يؤتم به[٦]، وقال تعالى: **﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾** [الفرقان: ٧٤]، أى يقتدون بنا فى أمر الدين، وقال تعالى: **﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾** [الإسراء: ٧١]، أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين، وقيل بكتاب أعمالهم التى قدموها[٧]، وورد لفظ الإمام فى مواطن كثيرة من السنة النبوية منها قول رسول الله ﷺ: من بايع إماما، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر[٨]، وقوله ﷺ: تلزم جماعة المسلمين

(١) روضة الطالبين (١٠/ ٤٩).

(٢) المقدمة، ص (١٩٠).

(٣) لسان العرب (٩/ ٨٣).

(٤) تاريخ المذاهب لأبى زهرة، ص (٢١).

(٥) نظام الإسلام (الحكم والدولة)، ص (٦١).

(٦) نظام الحكم فى الإسلام، عارف خليل، ص (٨٠).

(٧) المصدر نفسه، ص (٨١).

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/ ٢٣٣).

وإمامهم[1]، وقوله: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل...»[2].

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عند أهل السنة فى مباحثهم العقدية والفقهية بينما يغلب استعمالهم لفظ (الخلافة) فى كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن هذه المباحث خاصة العقدية - قد كتبت للرد على المبتدعة فى هذا الباب كالشيعة الروافض والخوارج[3]. فالشيعة الروافض يستخدمون لفظ الإمام دون الخلافة ويعتبرونها إحدى أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة[4]. ويريدون من ذلك إثبات أن عليًا رضى الله عنه كان إماما زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه[5]، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا عليًا باسم الإمام نعتا له بالإمامة التى هى أخت الخلافة، وتعريضا بمذهبهم فى أنه أحق بإمامة الصلاة من أبى بكر[6].

إن هذه الألقاب: الخليفة، الإمام، أمير المؤمنين، ليست من الأمور التعبدية، وإنما هى مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول ﷺ، واصطلح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب فى وقت لاحق كلقب الأمير، كما كان الحال فى الأندلس، وكذلك لقب السلطان، كما تسمى بذلك الحكام فى الدولة الإسلامية، لقبا من هذه الألقاب، إذ إن المهم فى هذا المجال أن يكون المسلمون ورئيسهم خاضعين للتشريع الإسلامى عقيدة وشريعة، بغض النظر عن الألقاب التى يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإن كان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة، لما لها من مفهوم سياسى متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى، ولما لها من معان دوت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية[7].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/ ٢٣٧).

(٢) فتح البارى (٣/ ٢٩٣).

(٣) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجى، ص (٣٦).

(٤) المصدر نفسه، ص (٣٦).

(٥) المصدر نفسه، ص (٣٦).

(٦) نظام الحكم، عارف خليل، ص (٨١).

(٧) المصدر نفسه، ص (٨٢).

٧- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين على: هل نقول رضى الله عنه أم كرم الله وجهه أم عليه السلام:

إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضى عنهم جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]. لذلك اصطلح أهل السنة على الترضى على كل صحابى يجرى ذكره أو يروى عنه حديث، فيُقال مثلا: عن أبى بكر - رضى الله عنه - ولم يستعمل السلام - فيما أعلم- عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيها بينهم، كما تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ [النور:٦١]، على هذا فالترضى أفضل من السلام، قال تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وأخبر النبى ﷺ أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدًا»[١]. ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالانبياء لقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٨١]، ولقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم:١٥]، ولما ورد فى حق على «أنت منى بمنزلة هارون من موسى»[٢]، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون فى حق أمير المؤمنين على: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه فى ذلك جميع الصحابة[٣]، وقد وقع هذا فى عبارة كثير من النساخ للكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد على- رضى الله عنه - بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغى أن يساوى بين الصحابة فى ذلك[٤].

---

(١) مشكاة المصابيح للبغوى (٣/ ٨٨).

(٢) البخارى رقم (٢٤٠٤).

(٣) فتاوى فى التوحيد، عبدالله بن جبرين، ص (٣٧).

(٤) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ،ص (٢٦) فى الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجرى.

المبحث الثاني

شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[1]، وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينهم من الصحابة ردًا على من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بثّ فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلاّ فالذين في نفس الأمر أنّ لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً[2]، وقال ابن كثير: من فضائله أنّه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله ﷺ نسبًا[3]، وقد ذكرت كثيرًا من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه، وإتمامًا للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منها:

- عن زر رضي الله عنه قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمَة إنه لعهد النبي الأُمَّيَّ ﷺ إليَّ: **«أن لا يُحبني إلا مؤمن ولا يُبغضني إلا منافق»**[4].

- عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أَسْمَعُ قال: أشَهِدَ عليٌّ بدرًا؟ قال: بارز وظاهر[5].

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: **«اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»**[6].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٧١).

(٢) المراد ترتيبهم في الفضل وهو حسب ترتيبهم في الخلافة، فتح الباري (٧/ ٧١).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٩).

(٤) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١١).

(٥) ظاهر: أي لبس درعا على درع، الصحيح المسند، ص (١١٢).

(٦) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١٧).

• قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة ولو شئت أن أسمي العاشر**»[١].

• قالت أم سلمة رضى الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سب عليًا فقد سبني**»[٢].

• جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم.. قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل! قال فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جَهدك[٣].

هذه بعض الفضائل الثابتة لعلى رضى الله عنه، وأما صفاته رضى الله عنه، فقد كان له صفات القائد الربانى المضحى فى سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها فى أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلامة المعتقد، والعلم الشرعى، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التى ظهرت للباحث فى الفترة المكية فى صحبته للنبى ﷺ وفى العهد المدنى فى غزواته مع رسول الله ﷺ وحياته فى المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضى الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العلم والفقه فى الدين:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضى الله عنه بجده فى التحصيل، والتحرى فى قبول العلم، والسؤال فى طلبه، واستخدام وسائل ضبط العلوم فى زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبى ﷺ، حيث يقول رضى الله عنه فى جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين ألا أرتدى بردائى إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن[٤]، وقال: ما دخل نوم عينى، ولا غمض رأسى على عهد رسول الله ﷺ حتى

---

(١) الصحيح المسند، ص (١١٧).

(٢) المصدر السابق، ص (١٢١).

(٣) المصدر السابق، ص (١٤٠).

(٤) الطبقات (٢/ ٣٣٨).

علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل، رضى الله عنه، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهى، وفيمن نزل[١]، وكان رضى الله عنه يتلقى النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحرى في قبوله، خشية أن ينسب لرسول الله ﷺ قولا لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله ﷺ: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعنى الله منه بما شاء أن ينفعنى، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لى صدقته، قال: وحدثنى أبو بكر - وصدق أبو بكر - رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**، ثم قرأ هذه الآية **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾** [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية»[٢]. نعم، على بن أبى طالب رضى الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله ﷺوهم الثقاة العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في تلقى الحديث الذى يتلقاه من غير رسول الله[٣]، وكان رضى الله عنه صاحب لسان سئول وقلب عقول، فقد قال: ...إن ربى وهب لى قلبًا عقولاً ولسانًا سئولاً[٤]، وعلل رضى الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت[٥]، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ يتغلب عليه بطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله، فعن محمد ابن الحنفية قال: قال على: كنت رجلاً مذاءً[٦]، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: **فيه الوضوء**[٧]، وكان رضى الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[٨]، ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة فى صدر الإسلام، وفوق

---

(١) مسند الإمام زيد، ص (٣٤٣) نقلا عن منهج على بن أبى طالب فى الدعوة.

(٢) صحيح سنن الترمذى (١/ ١٢٨)، مشكاة المصابيح (١/٤١٦).

(٣) منهج على بن أبى طالب في الدعوة، ص (٥٢).

(٤) الطبقات (٢/ ٣٣٨)، الحلية (١/ ٦٧).

(٥) فضائل الصحابة (٢/٦٤٧) إسناده صحيح.

(٦) أى كثير المذى وهو ما يخرج عند الملاعبة.

(٧) مسلم، ك (١/ ٢٤٧).

(٨)مصنف ابن أبى شيبة (١٣/ ٢٨٤).

هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخطٍّ بيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمر وبن بحر بن الجاحظ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[1]،وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سنَّ قلمك، وأفرج بين السطور، وقرمط[2] بين الحروف[3]. وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي ونحن نكتب فيقول: أجِلَّ قلمك[4]، قال: فقططت منه، ثم كتبت. فقال: هكذا نوروا ما نور الله[5]، وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ﷺ ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مرّ معنا في تعليم رسول الله له والسيدة فاطمة رضي الله عنهما الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[6]، وقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[7]، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالمًا إلا إذا كان عاملا بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عَمَلُهُ[8]، وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل[9]، وكان علي رضي الله عنه من المكثرين من الفتيا في أصحاب رسول الله، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٢).

(٢) قرمط بين الحروف: أي قرب بينها.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٢).

(٤) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٠).

(٦) مسلم (٤/ ٢٠٩١، ٢٠٩٢)

(٧) البداية والنهاية (٨/ ٦).

(٨) بيان العلم وفضله، ص ٢٨٥.

(٩) منهج علي بن أبي طالب، ص ٦٣.

نفساً، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر[١]، وقد عد ابن حزم علياً رضى الله عنه في المرتبة الثالثة من بين الصحابة، رضى الله عنهم، في كثرة الفتيا، وسيأتى الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائية، وكثير من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية. وكان رضى الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس[٢]، وفى رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[٣]، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[٤]، وقد تهيأ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، ملازمة رسول الله ﷺ صغيراً حين تربى فى حجره، وكبيراً حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريباً من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة لعلى بلزومه لرسول الله ﷺ، فعن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة فقلت: أخبرينى برجل من أصحاب النبى ﷺ أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت علياً فسله، فإنه كان يلزم النبى ﷺ قال: فأتيت علياً فسألته، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[٥]، وكان رضى الله عنه يرى الانتقاء فى العلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[٦]، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو فى العراق: سلونى، فعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلونى غير على بن أبى طالب[٧] رضى الله عنه، وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعون، فعن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: إذا أتانا الثبت عن على لم نعدل به[٨]،

---

(١) أعلام الموقعين.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى (١/ ٢٣٦).

(٣) شرف أصحاب الحديث للبغدادى، ص (٩٣).

(٤) تذكرة السامع، ص (١٠٠).

(٥) مسند أحمد (٢/ ١٩٥) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.

(٦) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٥).

(٧) الاستيعاب، ص (١١٠٣).

(٨) المصدر السابق، ص (١١٠٤).

وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها[١]، وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علي .قال: حسبي قضاء علي. قال: قضى علي لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[٢]،وقد أثنى الناس عليه في علمه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[٣]، وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[٤]،وعن الحسن بن علي، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[٥]،وعن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة – وقد سئل عن علي– فقال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع السطة[٦] في النسب، وقرابته من رسول الله ومصاهراته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[٧]، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعلي، وابن مسعود، وعبدالله رضي الله عنهم[٨]، وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها، ومن هذه النصائح:

١- الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:

روى الحافظ أبو نعيم عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان – يعني الصحراء – فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك :الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع

---

(١) الطبقات (٢/ ٣٣٨).

(٢) سنن الدارمي (٢/ ٣٧٥).

(٣) الاستيعاب، ص (١١٠٤).

(٤) المصدر السابق، ص (١١٠٨).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٥٩٥) إسناده صحيح.

(٦) السطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمه وأشرفه.

(٧) ذخائر العقبى للمحب الطبري، ص (٧٩).

(٨) تاريخ السيوطي، ص (١٩٦).

كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق[١]، إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على دُرر المواعظ وغُرَر الحِكَم، فقد قسم أمير المؤمنين على رضى الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) **العلماء الربانيون**: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخارى، وبذلك فسره عبدالله بن مسعود، رضى الله عنه[٢]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشىء فى موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعى على واقع الناس، وذلك يقتضى فهما دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامى، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضى الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين هما: تلقىٌ العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[٣]، وقد عرّف أمير المؤمنين على رضى الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[٤].

(ب) **طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم فى طلب العلم**: ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسئولية أمام الله تعالى، وقد عبر على رضى الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة، وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسئولية تطبيق هذا الدين، وأهمَّه أمر نجاته فى الآخرة، فاستفتى فى أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة، وليستقيم فى معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس فى حلقات العلم[٥]، إن أمير المؤمنين على –رضى الله عنه– يرينا أهمية إخلاص النية لله فى طلب العلم، ويدعوهم

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).

(٢) التاريخ الإسلامى للحميدى (١١، ١٢/ ٤٣٨).

(٣) التاريخ الإسلامى(١١، ١٢/ ٤٣٨).

(٤) الفتاوى (١/ ٤٩).

(٥) التاريخ الإسلامى للحميدى (١١، ١٢/ ٤٣٨).

لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) **الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين في معرفة** أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع اتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحذر من هذا النصف الإمعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمّروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطيّة للآخرة.

٢- المقارنة بين العلم والمال:

وجاء في وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لكميل بن زياد.. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خُزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[١]، عقد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) **أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه**، فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا، فتصبح جميع مآسيها ونكباتها برداً وسلامًا على أصحاب اليقين، لأنهم لا يلقون لها بالاً، ولا

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).

يعيرونها اهتماما، بينما تتحول هذه المآسى والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هى رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض، وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك(١)، والعلم ينور بصيرة صاحبه فى الاختيار الأفضل وفى استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها فى الحياة، والعلم يفتح آفاقًا واسعة فى فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل، لان العمل تطبيق للعلم، فهو بذلك يزيده عمقًا فى الذاكرة، بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنَّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التى ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعى، فالإنفاق منها يزيدها نموا كما جاء فى قول الرسول ﷺ: «**ما نقص مال عبد من صدقة**»(٢).

(ج) أن العلم الشرعى حاكم لأنه تنتظم به شئون الحياة، وعلى منهاجه يجب ان تقرر جميع الأنظمة التى تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقى، أما المال فإنه محكوم عليه لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية(٣).

(د) أن العلاقات الاجتماعية التى تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال، لأنه هو الذى عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده، فإذا زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التى تقوم على تبادل العلم الشرعى بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[الزخرف: ٦٧].

(هـ) أن العلم الشرعى يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختيارا منهم، من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم، كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم

---

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (١٢/ ٤٤٢).

(٢، ٣) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٢).

وأشكالهم، وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة، رضى الله عنهم، تتردد أسماؤهم ويذكر التاريخ حياتهم فى الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحيانا يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء[1].

٣- أن الفقيه كل الفقيه الذى لا يقنِّط الناس من رحمة الله ولا يُؤمِّنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم فى معاصى الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير فى عبادة لا علم فيها، ولا خير فى علم لا فهم فيه، ولا خير فى قراءة لا تدبُّر فيها[2].

فى هذا النص يبين أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن من الفقه فى الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال فى عرض أمور الدنيا ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية فى خط وسط بين مقامى الخوف والرجاء، فلا ينطلق فى تخويف الناس إلى الحدالذى يجعلهم يقنطون من رحمة الله، ولا ينطلق فى ترغيب الناس إلى الحد الذى يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالى، ونجد عليًّا رضى الله عنه فى هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه فى الدين ألا يهوِّن العالم من شأن المعاصى فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال فى ذلك، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى، وهنا يبين على رضى الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه. وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التى نتعامل بها مع القرآن الكريم، وألا نتجاوزه إلى غيره رغبة عنه لأنه مصدر الهداية الأول، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلى للقرآن الكريم، فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهاً إلى السنة ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة، وأن العلم لا يكون نافعاً إلا إذا رافقه الفهم الصحيح.

ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبُّر معانى كتاب الله تعالى حال التلاوة لأن الخير كل الخير فى فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، والتخلص من كل العوائق التى تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له، وتحرى مراد الله ورسوله ودين الحق، ولو

---

(١) التاريخ الإسلامى للحميدى (١٢/ ٤٤٣).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٧٧)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقى.
والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم[١].

٤- ما أبردها على الكبد:

عن الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها على الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه، الله أعلم[٢].

٥- أهل العلم وتعليم الناس:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا[٣].

٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:

قال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل[٤].

٧- العلم والجهل:

قال رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه[٥].

٨- سبب زهد الناس في العلم:

قال رضي الله عنه: إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلِم بما عَلِم[٦]، وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله، ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى.

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١ إلى ٤٣٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).

(٣) فرائد الكلام، ص (٣٦١).

(٤) حلية الأولياء، ص (٧٥).

(٥) فرائد الكلام، ص (٣٦٦).

(٦) أدب الدين والدنيا، ص (٨٢، ٨٥).

٩- من حقوق العلماء على أمتهم:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تحل عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[١].

١٠- مكانة العلماء العاملين عند الله:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: من عَلِمَ وعَمِلَ دُعِيَ فى ملكوت السموات عظيما[٢]، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعى للمقامات العالية التى يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

١١- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[٣]. وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين على، فهو يرى العمل المتعدى لخير الناس، هو العلم الأولى بالتقديم من العمل التعبدى الذى ترجع فائدته على الشخص نفسه.

هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - لطلاب العلم.

ثانيا: زهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبى الأمين ﷺ، ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره فى هذه الحياة أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - على كتاب الله، واستوعب الآيات التى تحدثت عن الدنيا، وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٩٧).

(٣) المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح للدمياطى، ص (١٣).

فنائها، والآيات التى رغبت فى الآخرة، وأخبرت بشرفها ودوامها كقوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]، وتربى على يدى النبى ﷺ الذى كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»(١)، قال ﷺ: «**وما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بما ترجع**»(٢)، وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(٣)، وقد تأثر أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التى زكتها تربية النبى - عليه الصلاة والسلام - والتى قال الله فيها ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ... ﴾ [البقرة: ١٥١]، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة فى الزهد، وهذه بعض المواقف المدهشة فى هذا الباب.

١- يا صفراء، ويا بيضاء غُرِّى غيرى:

عن على بن ربيعة الوالبى أن على بن أبى طالب جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جَنَاىَ خيـاره فيـه ... كلُّ جَـان يده إلى فيـه

يا ابن النباح علىَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودى فى الناس، فأعطىَ جميع ما فى بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء غُرِّى غيرى، ها،ها، حتى ما بقى منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين، وفى رواية أخرى لأبى نعيم من خبرمجمع التيمى قال: كان على يكنس بيت المال ويصلى فيه ويتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففى هذا مثل بليغ فى الترفُّع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - نظرة إعجاب وغرور، بل كان

---

(١) سنن الترمذى رقم (٤١١٠) صحيح غريب.

(٢) مسلم رقم (٢٨٥٨).

(٣) مسلم رقم (٢٨٥٦).

جوابه حينما أبلغه المسئول المالى عن ذلك أن قال: «الله أكبر»، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها، فالله تعالى أكبر منها ومن كل شىء، وما دام المسلم يشعر حقا أن الله أكبر، فلماذا يجعل قلبه مستسلما لما هو أصغر؟! إنه فقه عظيم من أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها، فكَبَّر الله تعالى، ولسان حاله يؤنِّب من انخدع بمتاع الدنيا الزائد ونسى أن الله، جل وعلا، أكبر من كل شىء، إنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذى نَوَّرَ الله، سبحانه، بصيرته، فكلما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شىء فى قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شىء عليه، وأصبح يُسَخِّر المال الحلال فى طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا فى قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى، ونجد أمير المؤمنين عليا - رضى الله عنه - يُحَلِّق فى آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يا بيضاء غُرِّىً غيرى.. مما يدل على الوجدان الحىّ والحسّ المرهف الذى يصور الدنيا كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويُحَكِّم عقله الذى يعطى الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود فى شقائها ونعيمها، ويعطى الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده - رضى الله عنه - يصل إلى قمة المعالى حينما صلى فى بيت المال ركعتين لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل فى حكمه واستقام فى أمره، ولعل فى اتخاذ بيت المال مسجداً رمزاً لعلو الآخرة على الدنيا، وهو مكمِّل للسلوك العالى الذى مارسه فى تصريف ذلك المال فى وجوهه المشروعة[1].

٢- والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا:

ومن مواقف أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - فى الزهد والورع ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على على بن أبى طالب بالخورنق [2]، وهو يُرعَد[3]، تحت سمل قطيفة[4]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك فى هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا، وإنها لقطيفتى

(١) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٢٧) للحميدى.

(٢) موضع بالكوفة.

(٣) يرعد: من شدة البرد.

(٤) سمل قطيفة: يعنى قطيفة قديمة.

التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة[١]. وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًا على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشترى أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي تربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[٢].

٣- باعني رضاي وأخذه رضاه:

عن أبي مطر عمر بن عبد الله الجهني قال: رأيت عليًا عليه السلام متَّزرا بإزار، مرتديا برداء ومعه الدُّرَّة[٣]، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا ، فأتى غلامًا حدثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال باعني رضاي وأخذه رضاه[٤]، فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي، طالب رضي الله عنه، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوبًا اختار نوعًا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسئول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، على أن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرهما من مصادر الدولة لشخص مفرغ كخليفة وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين.

ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، فهو لا يريد أن

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٨٢)، صفة الصفوة (١/ ٣١٦).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٨).

(٣) الدرة بكسر الدال وتشديد: العصا.

(٤) الزهد، ص (١٣٠).

يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية، فيتحول العمل إلى مَجْلَبَةً للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالى قدوة حسنة لمن أتوا بعده[1].

٤- يخشع القلب ويقتدى به المؤمن:

قال عمر بن قيس: قيل لعلى رضى الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدى به المؤمن[2]، فهذا مثل من زهده - رضى الله عنه - وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ فى لبس الثوب المرقوع ملحظين: الأول أنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثانى أنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين، فإذا رآه الناس - وهو فى أعلى منصب- يلبس الثوب المرقع فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس فى شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوّى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد[3].

٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:

عن عبد الله بن زُرَير الغافقى قال: دخلت على على بن أبى طالب - رضى الله عنه- فقرب إلينا خزيرة[4]، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط- يعنى الأوز- فإن الله - عز وجل - قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زرير إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدى الناس»**[5]، فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يضرب مثلاً عاليا فى الورع والزهد فى متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤَمِّن له معيشة مساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضى بخشونة العيش إيثاراً للآجلة على العاجلة، واحتياطًا لأمر دينه، وإبرازاً للقدوة الصالحة، لأنه إذا كان أعلى رجل فى الدولة يعيش فى هذا المستوى من العيش فإن فى ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره، ووعظًا للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخففوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[6].

(١) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٢٩) للحميدى.

(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٧) للذهبى

(٣) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٣٠) للحميدى.

(٤) الخزيرة لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.

(٥) مسند أحمد (١/ ٧٨) إسناده صحيح، قاله احمد شاكر وهناك من ضعفه.

(٦) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٣١).

٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم :

كان أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أُحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم(١)، وقال سفيان: إن عليًا لم يبن آجُرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب(٢).

٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:

يروي عدي بن ثابت، وحبة بن جوين أنه أتي بطستخوان فالوذج(٣) إلى عليٌ فلم يأكل، وقال علي: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده(٤).

٨- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:

قال الحسن بن صالح بن حيّ: تذاكروا الزُّهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب(٥)، وقد ذكر الذهبي أن عليا ركب حماراً ودلّى برجليه إلى موضع واحد ثمّ قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا (وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخيلاء)(٦)، وأخرج أبو عبيد في الأموال عن علي – رضي الله عنه – أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم(٧)، وخطب علي الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال أهدى إلى دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

---

(١)، (٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٣).

(٣) الطستخوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.

(٤) الحلية (١/ ٨١) صحيح التوثيق، ص (٧٤).

(٥) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٥).

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ص، (٦٤٥).

(٧) كنز العمال (٢/ ٣٢٠).

أفلح من كـانت له قـوصـرة[1] يأكل منهـا كل يوم تمرة[2]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة فى شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وكـان زهده مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذى يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[3]، ولم يكن - رضى الله عنه - مع زهده وورعه وتصلُّبه فى دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودوداً بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء فى وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السنِّ، خفيف المشى على الأرض[4]. وقد عرّف على - رضى الله عنه - الزهادة فقال: أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم،[5] وقصر الأمل ضد طول الأمل الذى ينسى الإنسان الآخرة، وأما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضاة الله، وأما الشكر عند النعم فهى صفات المسلم الربانى الذى يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية، ما ظهر منها وما بطن، ويقابلها بالشكر للعزيز الوهاب، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - قد أثر فى من حوله، وأصبح مدرسة مؤثرة فى تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوى بين الزهد والتجديد فى المجتمع الإسلامى فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين فى تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار، وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحًا جديدة فى المجتمع الإسلامى، أو فتح عهداً جديداً فى تاريخ الإسلام، وخلف تراثًا خالداً فى العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر فى الأفكار والآراء ويسيطر على العالم والأدب، إلا وله نزعة فى الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وصرعى الشهوات، وأسرى المعدة[6].

---

(١) القوصرة، وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.

(٢) المرتضى للندوى، ص (٢١٢).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢١٠).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢١٣).

(٥) على بن أبى طالب، محمد رشيد رضا، ص (٣٠٤).

(٦) رجال الفكر والدعوة فى حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).

ثالثا: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القرآنية التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – خلق التواضع، قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

وفي آية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس، لأن النهي الصريح عن رُعونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من النهي السابق، وذَيَّل الله تعالى النهي والأمر بما ذيل به النهي السابق من عدم رضاه وشدة سخطه على من اتصف بتلك الصفات، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان: ١٨]، فعدم محبته لمن كان كذلك، يعني بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن[١]، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له سبحانه، هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

ومما زادني شرفًا وتيهًا	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي	وأن صيَّرت أحمدَ لي نبيًا[٢]

وكان نبينا محمد ﷺ في ذروة الذُّرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تاديبه، وكان مما أدبه الله تعالى به في هذا الخلق قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**

---

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة، أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥).

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]. وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥]. وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم(١)، وقد قام النبي ﷺ بذلك حق القيام، وظهر أثر التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين(٢)، وقد تأثر أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة في شخصيته الفذة، وإليك بعض المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا:

عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى عليا قد ركب حمارا ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا(٣)، وهكذا يشعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بالفرح لانتصاره على نفسه، وظهوره بمظهر التواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رُئي أناسٌ مسئولون كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئا فشيئا، حتى يكون من الصعب في آخر الأمر مخاطبتهم، اللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعاً للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء(٤).

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل:

روي عن علي – رضي الله عنه – أنه اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل(٥)، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنه، فلم ير في ذلك مسوغا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين

(١) روح المعاني للالوسي (٥/ ٨٠).
(٢) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٥٩).
(٣) البداية والنهاية (٨/ ٥).
(٤) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٣) للحميدي.
(٥) الزهد للإمام أحمد، ص (١٣).

في التواضع، فلو نازعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل المتاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[1].

(ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:

عن صهيب مولى العباس، قال: رأيت علياً يقبل يد العباس ورجله ويقول: ياعم، ارض عني[2]. ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الطائي لعلي - رضي الله عنه - حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[3].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: «تواضع المرء يكرمه»[4]، إن العبد كلما رسخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعاً لله ولخلقه، كما إن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى من عند الله، ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حقل الدعوة، وقد قيل في منشور الحكم: «إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى في فوقك من العلماء[5]»، ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي: «ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل[6]»، والتيه المقصود به الاستغناء بالله عما في أيدي الأغنياء ولا يعني أبداً التكبر والغرور.

رابعاً: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٤).

(٢) أصحاب الرسول (١/ ٢٢٤)، السير للذهبي (٢/ ٩٤) إسناده صحيح.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

(٤) منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة، ص (٥٢٣).

(٥) هداية المرشدين، ص (١٠٥) علي محفوظ.

(٦) موعظة المؤمنين (٢/ ٣٤٤)، فرائد الكلام، ص (٣٣٩).

عظيما، وقد كان هذا التنوية من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]،وقد كان رسول الله ﷺ قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق، ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة، رضي الله عنها، بقولها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق[1]»، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والقدر، والتي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولا قد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغا ذروة الذرا في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[2]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية، وترك لنا آثارا بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباتة: أن رجلا جاء على بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة، فأتي بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ولست أبغي بما قد قلته بدلا

إن الثنا ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١١٦).

(٢) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٢/ ٦٤٨).

لا تزهد الدهر في خير تواقعه   فكل عبد سيجزى بالذى عملا

فقال علي: على بالدنانير، فأتى بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار قال: «نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنزلوا الناس منازلهم**»، وهذه منزلة هذا الرجل عندى[1]»، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فى الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما فى هذا الخبر قوله: «اكتب حاجتك على الأرض فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجهك» فكم يعانى المحتاجون من الذل بين يدى من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين على بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[2]، وقد كان – رضى الله عنه – يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه فى الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين على – رضى الله عنه – قال: لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهاننى[3].

وقال: لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين[4]، وعندما سُئل عن السخاء، قال: «ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم[5]» وقد جعل فى حياته أوقافا لله تعالى، حيث جعل أرضه بينبع وقفا، وكتب فيها كتاباً: «هذا ما أمر به على بن أبى طالب، وقضى فى ماله: إنى تصدقت بينبع ووادى القرى الأذينة وراعة فى سبيل الله وذى الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيا أنا أو ميتا[6]»، وقد قال عن صدقته: «لقد رأيتنى وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع، وإن صدقتى لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار[7]»، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الأوقاف التى جعلها صدقة، وكان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين على – رضى الله عنه – لم يدخر مالا،

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٩).

(٢) التاريخ الإسلامي للحميدى (١٧/ ١٢٧).

(٣) فرائد الكلام، ص (٤٠٢)، موعظة المؤمنين (٢/ ٢٥٢).

(٤) موعظة المؤمنين (١/ ١٣٩).

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص (٢٠٤).

(٦) تراث الخلفاء الراشدين، ص (٥١٧).

(٧) أسد الغابة (٤/ ٧).

ودليل ذلك[1]: ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادما، يعنى عليا[2]، رضى الله عنه، وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: «أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذى به تطير، وإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشركهم فى أمورك، ويسر عن معسرهم[3]».

خامساً: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق، لأنه يدل على طهارة النفس، وحياة الضمير ويقظة الوازع الدينى ومراقبة الله تعالى، إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذى فيه لم يؤد شيئا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقا، ولم يصل له رحما، ولا بر له والدا فإن الباعث على هذه الأفعال إما دينى – وهو رجاء عاقبتها الحميدة – وإما دنيوى علوى وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياء– إما من الخالق، وإما من الخلائق – لم يفعلها صاحبها[4]، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء من موت القلب والروح[5]، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثا على أفعال البر، ومانعا من المعاصى[6]، ولهذا كان من الأخلاق العليا التى كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[7]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء فى الجانب النبوى فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه

(١) صحيح التوثيق، ص (٧٧).
(٢) الطبقات (٣/ ٣٨).
(٣) فرائد الكلام، ص (٣٤٨).
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٧٧).
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٩).
(٦) شرح مسلم للنووى (٣/ ٥).
(٧) أخلاق النبى فى القرآن الكريم (١/ ٤٧٨).

من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يوده منهم[1]، لأنه ﷺ،كان أشد حياء من العذراء في خدرها[2]، وقد قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[3]، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال :إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[4]، فهذه أربع صفات من النقص قابلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالى، وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستارا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليا - رضي الله عنه - ربطها بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، وكان كثير من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - فإنه ربطها بالحياء من الله تعالى لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضاة الله جل وعلا، ولا شك أن مَنْ هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيويا[5].

سادسا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس علي - رضي الله عنه - مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه الليل، وأصبح من أهل التهجد الذي قال الله فيهم: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ [السجدة: ١٦]، وقال تعالى فيهم: ﴿ **آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات: ١٦-١٨]، وقال تعالى فيهم ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤]،

---

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٧٨).

(٢) مسلم رقم (٢٣٢٠).

(٣) مسلم رقم (٣٧).

(٤) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٧)، نقلا عن التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٠/ ٢٧٤).

(٥) التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٠/ ٢٧٥).

وهذا ضرار بن ضمرة الكناني يصف علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله،وغارت نجومه يتململ في محرابه، قابضا لحيته، يتململ تململ السليم[1]، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت أم إلي تشوفت، هيهات هيهات، غري غيري، قد بتتك[2] ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير[3]، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق، فوكفت[4] دموع معاوية على لحيته، ما يملكها وجعل ينشفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدُكَ عليه يا ضرار؟ قال: وجدُ من ذبح واحدُها في حجرها، لا يرقأ[5] دمعها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج[6].

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: أمير المؤمنين: صومٌ بالنهار وسهر بالليل، وتعبٌ فيما بين ذلك، فلما فرغ «علي» من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[7]، وكان أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم[8]، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هذه الكلمات، فلو ركبتم المَطِيَّ حتى تُنضوها - يعني تهزلوها - ما أصبتم مثلها: لا يرجونَّ عبد إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي - إذا لم يعلم - أن يتعلم، ولا يستحي - إذا سئل عما لا يعلم - أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له[9].

---

(١) السليم: الملدوغ.

(٢) بتتك: أي طلقتك.

(٣) خطر بمعنى: القدر والمنزلة.

(٤) فوكفت: أي سالت.

(٥) يرقأ: لا يسكن ولا يجف.

(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٤، ٨٥) الرقة والبكاء، ص (١٩٨).

(٧) لطائف المعارف لابن رجب، التحمس لقيام الليل، محمد صالح، ص (٩٣).

(٨) أدب الدنيا والدين، ص (١٢٣)، فرائد الكلام، ص (٣٦٩).

(٩) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٦).

ففى هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى آداب العلم، حيث يوصى - رضى الله عنه - بتصحيح الاتجاه فى مقامى الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذين تجرى على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسباب فى وصول تلك النعم، أما منشىء النعم وموجدها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى لأنه هو الذى يملك ضره ونفعه، والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق فى قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى وحده هو الرازق وحده، وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده والقادر على كل شىء، فلِمَ يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره؟ ولقد عبر أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى، فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مقام الخوف من الله تعالى، ثم بين شيئاً من آداب التعلم لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من آداب المتعلم أن لا يمنعه الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القدر، ويذكر من آداب المعلمِّ أن لا يمنعه الحياء من أن يقول لا أعلم فهى - «لا أعلم» - أحفظ لدينه ودين من سأله.

ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان، ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء فى أمور الدنيا أو الآخرة[1]، وقد مارس أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - مقام الصبر فى حياته من نعومة أظافره، وإسلامه سراً مع رسول الله ﷺ مروراً بما لاقاه فى المغازى والسرايا، وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن فى خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل فى حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله، سبحانه وتعالى، من الصبر والتحمل ودفع الثمن[2] ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان - رضى الله عنه - يحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال - رضى الله عنه - للأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[3]»، وقال رضى الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم»، «ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له[4]»، وقال: الصبر مطية لا

(١) التاريخ الإسلامى (١٢/ ٤٤٣).

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٥٢٥).

(٣) أدب الدنيا والدين، ص (٢٧٨)، فرائد الكلام، ص (٣٧١).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ص (١٥٣).

تكبو، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله تعالى الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة، والصبر له ثلاثة أقسام وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب حريصا على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، عاملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقوله جل شأنه ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، فقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنى ذلك أن الأخلاص ركن أساسى فى العبادة، وأن العبادة التى فقد منها الإخلاص ترد على صاحبها كما جاء في الحديث القدسى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه**»(١)، فقد كان على رضى الله عنه محاربًا للشرك، بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصًا فى سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، وكان يحث الناس خصوصا طلاب العلم عن البعد عن الرياء، فقد قال رضى الله عنه: يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتُهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا، فيباهى بعضهم بعضا، حتى أن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله عز وجل(٢)، وقد أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى أحد الأمراض الخطيرة عند بعض من يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا لغيره، ولو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هى المهمة، بل المهم عنده مكانته

---

(١) مسلم. ك الزهد رقم (٥٩٨٥).

(٢) سنن الدارمى فى المقدمة (١/ ١٠٦)، الجامع لأخلاق الراوى (١/ ٩٠).

وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكاية الحال(١)، لأن من إخلاص الداعي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي(٢)، وكان ذلك في رأي رآه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا ثم رجع علي عن رأيه الأول فرأى أنهن يبعن(٣)، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب ألا تضيق به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق، وأين هم منه؟ وأن يتضرعوا إلى الله ليمدهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم، وتثمر دعوتهم إلى الله في دنياهم، لقد كانت عبادة علي رضي الله عنه قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباع هدى النبي ﷺ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، ينتقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال، يمتثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، لقد كانت العبادة عاملاً مهمًا في تزكية الأخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرّف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا الفرائض(٤).

سابعًا: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله(٥)، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها(٦)، يعتبر الشكر من أجلّ الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن

---

(١) منهج علي بن أبي طالب، ص (٥١٣).
(٢) البخاري. ك فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).
(٣) فتح الباري (٧/ ٧٣).
(٤) زاد المسير (٧/ ٢٥٤).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، ص (٤٣٥).
(٦) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ص (١٨٥).

يتحلى بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دل على عظم مكانته انضواء جُل الأخلاق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل، لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها، ولا يكون إلا عند استشعارها[1]، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، آمراً به، وحثًا عليه، وثناء على أهله، ووعداً لهم بحسن جزائه، ونهيًا عن ضده مما يدل على أمر هذا الخلق عظيم الشأن[2]، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالى: ﴿**فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٧]، مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقا.[3] وكان رسول الله ﷺ صاحب القدح المعلى في كل الأخلاق الحميدة، ومنها هذا الخلق، وربى أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها[4]، وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد[5]، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للمقدرة عليه[6].

ثامنا: الدعاء لله:

فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ**

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).

(٢) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٨٦).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).

(٤) عدة الصابرين، ص (١٢٢)، علو الهمة (٥/ ٤٨١).

(٥) الشكر لابن أبي الدنيا، نقلا عن علو الهمة (٥/ ٤٨١).

(٦) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص (٣٠).

داخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦]، وقد لازم أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه رسول الله ﷺ، ورأى كيف كان رسول الله ﷺ يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله ﷺ، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التى يأمر بها رسول الله ﷺ ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة فى الدعاء والتسبيح والصلاة على النبى صيغًا أخرى مهما كانت فى ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله ﷺ وهو معلم الخير والهادى إلى الصراط المستقيم، هنا وهو أعرف بالأفضل والأكمل. وقد نسب أقوام من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كذبًا وزورًا وبهتانا، فمن كان محبا لأمير المؤمنين على رضى الله عنه، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال، وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبى عمر أن رجلاً حدث عليًا بحديث فقال : ما أراك إلا قد كذبتنى، قال : لم أفعل، قال : أدعو عليك إن كنت كذبت، قال : ادع، فدعا فما برح حتى عمى[١]، وكان رضى الله عنه يقول عندما يثنى عليه : اللهم اغفر لى ما لا يعلمون، ولا تؤاخذنى بما يقولون، واجعلنى خيرا مما يظنون[٢]، ويروى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله، وليرد عليه من حوله : يرحمك الله، وليرد عليه يهديكم الله، ويصلح بالكم**[٣]، وفى هذا الفعل من حسن الخلق والتأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه فى مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليمى : العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذى فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التى هى معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع[٤]، وبين أمير المؤمنين على رضى الله عنه أدبًا من آداب المسافر فيما

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٦).

(٢) فرائد الكلام، موعظة المؤمنين (٢/ ٢٢٨).

(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٢٤)، صحيح سنن ابن ماجه للألبانى (٢/ ٣٠٣).

(٤) فتح البارى (١٠/ ٦٠٢).

يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً قال: «**بك اللهم أصول، وبك أجول، وبك أسير**»[1].

وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أدباً آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفراً ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثاً، وكبر ثلاثا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله قال: عجبت للعبد، إذا قال لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو[2].

وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن أعبد، هل تدرى ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يا ابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدرى ما شكره إذا فرغت، قال: قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا[3]، وكان رضي الله عنه إذا رأى الهلال قال: اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشرّ ما فيه وشر ما بعده[4]، وكان يقول في السجود: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي[5]، وكان يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني[6]، وكان يُعَلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شر ما أحاطت به هذه السوق[7]، وكان يقول: ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئاً، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر

(١) مسند أحمد (٢/ ٨٣) إسناده صحيح، قاله أحمد شاكر.

(٢) مسند أحمد (٢/ ١٨٣) إسناده صحيح. قاله أحمد شاكر.

(٣) مسند أحمد (٢/ ٣٢٩) قال المحقق: إسناده حسن.

(٤) كنز العمال رقم (٢٤٣١٠)، فقه علي بن أبي طالب، قلعجي، ص (٢٥١).

(٥) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي، ص (٢٥١).

(٦)، (٧) المصدر نفسه، ص (٢٥١).

الذنوب إلا أنت[1]، وكان يقول: اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضا والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين[2]. ومن أدعيته رضى الله عنه: اللهم إني أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء، وبجبروتك التى غلبت بها على كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شئ، وسلطانك الذي ملأت به كل شئ، وبقوتك التى لا يقوم لها شئ، وبنورك الذى أضاء له كل شئ، وبعلمك الذى أحاط بكل شيء، وباسمك الذى يبيد كل شيء، وبوجهك الباقى بعد فناء كل شيء، يا الله يا رحمن يا رحيم، اغفر لى الذنوب التى تنزل النقم، والذنوب التى تورث الندم، واغفر لى الذنوب التى تحبس القسم، واغفر لى الذنوب التى تغير النعم، واغفر لى الذنوب التى تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لى الذنوب التى تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لى الذنوب التى تردنى إلى النار[3]، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله عز وجل.

وعن عليّ رضى الله عنه قال: لقّانى رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرنى إن نزل بى كربة أو شدة أن أقولها: **لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**[4]، وكان عبدالله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك[5]، ويعلمها المغتربة من بناته[6].

هذه بعض صفاته التى كانت ثمارا لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارىء الكريم كثيرا من صفاته بإذن الله تعالى، كالشجاعة والحلم والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التى يمر بها فى هذا الكتاب.

تاسعا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على رضى الله عنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاقتداء بالشيخين فى هديهما.

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (٢/ ١٤٩).

(٢)، (٣) فقه على بن أبى طالب، ص (٢٥٢).

(٤) سنن البيهقى (٧/ ١٢٩)، معرفة الصحابة لأبى نعم رقم (٣٥٢).

(٥) الموعوك من الوعك وهو الحمى وقيل: ألمها.

(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٨٢٠) إسناده حسن.

١- فالمصدر الأول هو كتاب الله: قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ [النساء: ١٠٥]، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الزموا دينكم، واهدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[١].

٢- المصدر الثاني: السنة المطهرة: التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[٢]، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[٣].

٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر**» [٤]، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدا، قضى رسول الله وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون -واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعا، وأقدمه سنا وإسلاما، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده.. فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[٥] أمه.. إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).

(٢) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي، ص (٤٣٢).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٤) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٠).

(٥) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

لهما، ألا من أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه برئ[1]،وكان رضي يالله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيرا - فوالله ما فعل الذى فعل - أى في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعا أى الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذى فعل[2]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[3].

عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وكان أول ما قاله أمير المؤمنين على رضى الله عنه إثر توليه.. إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، إلا أنه ليس لى أمر دونكم[4]، وهذا نفس ما قاله أبو بكر عندما تولى حيث قال: فإن أحسنت فاعينونى وإن أسأت فقومونى[5]، وما قاله عمر: أحب الناس إلى من رفع إلىَّ عيوبى[6]، وقال :إنى أخاف أن أخطىء فلا يردنى أحد منكم تهيبًا منى،[7] وما قاله عثمان: إن وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلى فى القيد فضعوا رجلى فى القيد[8]، وبذلك يكون قد جرى العمل فى عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد، فدل ذلك على الإجماع[9]، كما أن إجماع الصحابة - حكاما ومحكومين - فى عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة،

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رقم (٤٤٥٦).

(٢) فتح البارى (٩/ ٨) إسناده صحيح.

(٣) المختصر من كتاب الموافقة، ص (١٤٠)، إسناده منقطع ابن أبى شيبة المصنف رقم (١٢٠).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩، ٤٥٧).

(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٦) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذرى، ص (٢٣١).

(٧) المصدر نفسه، ص (٢٣١)، نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص (١٨٩).

(٨) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٥٢٤).

(٩) الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبدالكريم، ص (٣٧٨).

فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي ﷺ في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجتمعوا على باطل، لقول النبي ﷺ : **«إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»**(١)، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتماع وقياس، ويكون حجة(٢)، إن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه كان يحث الناس في خلافته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا(٣).

الحادي عشر: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: **﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾** [الشورى: ٣٨] لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعا، فكذلك الشورى واجبة شرعا(٤) وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصا على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٢٦٤) رقم (٤٠١٤).

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٣٨٥).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٣).

(٤) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس، ص (٩).

وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخريت بن راشد الخارجي جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأى حيث اجتمع رأى عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال فى طلبه حتى يقتله، أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[1]، ومما روى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى الشورى قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[2]، وقوله: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد[3]، وقوله: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام[4]، ومما أوصى به أمير المؤمنين على مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر فى الشورى قوله: لا تدخلن فى مشورتك بخيلا فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصا فيزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله[5]، وكان على رضى الله عنه يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شئون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على مالا يعرفه، وتزيل شكوكه فى كل الأمور التى يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعى عندما ولاه مصر: انظر فى أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختيارا ولا يكن محاباة ولا إيثارا، فإن الأثرة بالأعمال - أى الاستبداد بلا مشورة - والمحاباة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله، وإدخال الضرر على الناس، وليست تصلح أمور الناس، ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة والصق بذوى التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقا وأشد لأنفسهم صونا

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٣٩).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٨٩، ٢٩١، الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).

(٣) نهاية الأرب (٦/ ٦٩) نقلا عن الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ٧٥)، المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).

(٥) الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٩).

وإصلاحا وأقل فى المطامع إسرافا، وأحسن فى عواقب الأمور نظرا من غيرهم، فليكونوا عمالك وأعوانك[1].

الثانى عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامى الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامى التى تساهم فى إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين على رضى الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التى جعلته مؤهلا للقيام بدوره هذا على أكمل وجه حتى أن الرسول ﷺ لثقته به وبقدراته بعثه قاضيا إلى اليمن[2]، وقد دعا له رسول الله بهذا الدعاء العظيم: **اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه**[3]، ولذلك كان من الطبيعى أن يقيم حكمه على العدل الشامل، وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم، لأنه به تستقيم الأمور وتظهر المودة بين الرعية[4]،ولا شك أن العدل فى فكر أمير المؤمنين على هو عدل الإسلام الذى هو الدعامة الرئيسية فى إقامة المجتمع الإسلامى والحكم الإسلامى، فلا وجود للإسلام فى مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

لقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قدوة فى عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل فى نظره الذى يسعى لتطبيقه فى الحكم هو إحدي اهم ركائز الخلافة الراشدة دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجه على رضى الله عنه إلى حرب معاوية، رضى الله عنه، افتقد درعا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع فى يد يهودى يبيعها فى السوق، فقال له: يا يهودى، هذا الدرع درعى، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودى: درعى وفى يدى. فقال

(١) نهاية الأرب (٦/ ٢١)، فى الحكم الإسلامى، ص (١٥١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمى، ص (١٠٢).

(٢) نظام الحكم فى العهد الراشدى: حمد العمد، ص (١٤١).

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم (١١٩٥).

(٤) نظام الحكم فى العهد الراشدى، ص (١٤١).

على: نصير إلى القاضى، فتقدما إلى شريح، فجلس على إلى جنب شريح، وجلس اليهودى بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التى فى يد اليهودى درعى، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة قال: نعم قنبر[١] والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعى، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**.[٢] فقال اليهودى: أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكبا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين فوقعت منك ليلا، فأخذتها. قال: أما إذا قلتها فهى لك. وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع على الشراة بالنهروان[٣].

ومن أمثلة عدله فى الحكم، عن ناحية القرشى عن أبيه قال: كنا قياما على باب القصر إذ خرج على علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثا بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى منى شاة وقد شرطت عليه أن لا يعطينى مغموزا ولا محذقا - يعنى الدراهم المعيبة - فأعطانى درهما مغموزا فرددته عليه فلطمنى، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين. قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاطم: أجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال :أو عفو يا أمير المؤمنين، قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل، قال على: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضرب خمس عشر درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفى رواية أنه قال:

---

(١) مولى لعلى رضى الله عنه.
(٢) مصنف ابن أبى شيبة رقم (١٢٢٢٥) المستدرك (٣/ ١٦٦) حديث صح من أوجه كثيرة.
(٣) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد.

هذا حق السلطان[١]، هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلاً عاليًا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية، سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرار هذا الوجود كل يوم، إذ يكفي شعور الناس بأن الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدى عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل: إن ما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعتبر سائغًا في عصره، ولكنه بعيد التصور في هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولاً، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجري عليه ولو عفا عنه خصمه[٢].

ومن مواقف عدله رضي الله عنه ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب مال من أصبهان[٣]، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفًا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطي أول[٤].

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣]، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذا المبدأ خير

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٧٢، ٧٣).

(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٢٣، ٤٣٣).

(٣) مدينة عظيمة في بلاد فارس.

(٤) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٢).

شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوى بعد أن يحتجز منه ما ينبغى أن يأخذ للمرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يأخذه غيره من الناس، كما أنه كان يعطى معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطى غيرهم، وهذا قبل سفكهم للدماء، واعتدائهم على الناس[1]، وكان رضى الله عنه يساوى فى العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتداؤه بالصديق فى هذا الباب، وكان رضى الله عنه لا يفضل شارفًا على مشروف، ولا عربيًا على أعجمى، فقد دفع مرة طعامًا ودراهم بالتساوى إلى امرأتين إحداهما عربية، والثانية أعجمية، فاحتجت الأولى قائلة: إنى والله امرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها على: إنى والله لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفىء فضلاً على بنى إسحاق. وكذلك لما طلب إليه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالى والعجم، قال: لا والله، لو كان المال لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما هى أموالهم[2]؟ وعن يحيى بن سلمة قال: استعمل على عمراً بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه ماله وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت على إلى عمرو تطلب منه سمنا وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج على واحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فساله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها ثم قسم الجميع[3]، وعن أبى رافع وقد كان خازنا لعلى رضى الله عنه على بيت المال، قال: دخل يوما وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله علَى أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده فى ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخى، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها، فسكت[4].

الثالث عشر: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التى قام عليها الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ويقضى هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة

---

(١) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص (٢١٦).

(٢) تراث الخلفاء الراشدين، ص (١٠١).

(٣) الكامل فى التاريخ (٢/٤٤٢).

(٤) تاريخ الطبرى (٦/٧٢).

الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس، جميع الناس، دعوة واسعة عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة فى التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها فى هذا المجال هى دعوته الناس فى العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفى دعوة التوحيد هذه كل معانى الحرية والاستقلال لبنى الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًا كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًا كالامتناع عن إكراه أحد فى الدخول فى الدين، وفى أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة، لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التى نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامى، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم، لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق، ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك فى دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاسى بسببها الرعايا، وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، وأما فى الإسلام فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة فى أيامنا معلومة ومصونة تمامًا(١)، وقد كان لأمير المؤمنين على رضى الله عنه أقوال تدافع عن الحريات ومواقف تدعم هذا المبدأ فى المجتمع الإسلامى، فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد(٢)، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأى شكل كان غير جائز فى الإسلام، وذكر لمعتدين بعذاب الله يوم القيامة، وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن(٣)، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليه لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغى أن يكون ذلك بـ(الثقة) أى باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة(٤)، وبذلك يكون المبدأ الذى أقرته التشريعات الجزائية الحديثة القائل بأن المتهم يبقى بريئًا حتى إثبات العكس قد عرفه

---

(١) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص (١٥٧، ١٥٨).

(٢، ٣) المصدر السابق، ص (١٦٥).

(٤) هذه الأدلة هى: البينة الخطية المنظمة وفقًا لأحكام الشريعة، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتين وأحيانًا بشهادة أربعة رجال كما فى حالة الزنا.

الإسلام منذ أمد بعيد[1]، وقد تجلى مبدأ الحرية على أروع صوره ومعانيه أيام على رضى الله عنه، فبالرغم من وجود ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب) تبرر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد فى ذهابهم وإيابهم وإقامتهم، أو ما يسمى فى العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن عليا لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحداً على الإقامة والبقاء فى ظل سلطانه، أو على الخروج منه، ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحداً من الناس عن اللحاق بمعاوية[2]، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلمانى والربيع بن خيثم، ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولاً على رغبتهم[3]، وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحداً منهم على البقاء فى ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم فى طريقهم ماداموا لا يفسدون فى الأرض ولا يعتدون على الناس[4]، وقال لهم: ... إن لكم عندنا ثلاثا، لا نمنعكم صلاة فى هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[5].

(١) نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، ص (١٦٦).

(٢، ٣) المصدر السابق، ص (١٥٩).

(٤) المصدر السابق، ص (١٦٠).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/٦٨٨).

المبحث الثالث

حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعريف الناس معاني الإيمان، والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور منها:

١ - قوله رضى الله عنه: «لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»(١) فهذا من أحسن الكلام، وأبلغه وأتمه. فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فالراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي بالنعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة، والتوكل لا يجوز إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فهؤلاء قالوا: حسبنا الله، أى: كافينا الله في دفع البلاء، وأولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء - فهو - سبحانه -

---

(١) الفتاوى (٨/١٠١).

كاف عبده في إزالة الشر وفي إنالة الخير، أليس الله بكاف عبده، ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم، ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]. وقال الخليل: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجيًا تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]، ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله - سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع، أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به[1]، وما شاء كان وما لم يشأ لم

---

(١) الفتاوى (٨/١٠٢).

يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان وتيسر، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشاه ولم ييسره لم يكن وإن شاءه الناس(١)، هذه بعض المعاني من قول أمير المؤمنين: لا يرجونّ أحد إلا ربه(٢).

وأما قوله: ولا يخافن إلا ذنبه(٣)، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ [الأعراف: ١٣١]. بين سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فأخبر أنه لا يعذب مستغفراً، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذى هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما فى سنن أبى داود وابن ماجه عن النبى ﷺ أنه قال: **من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**(٤)، وقال تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود: ٢، ٣]. فبين: أن من وحده واستغفره متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيراً زاده من فضله، وفى الحديث: يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكونى بلا إله إلا الله، والاستغفار(٥)، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا(٦). وقال عمر بن عبد العزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ⑰③ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ⑰④ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]، فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه،

---

(١) الفتاوى (٨/١٠٢).

(٢) الفتاوى (٨/٩٩).

(٣) المصدر نفسه (٨/٩٩).

(٤) سنن ابن ماجة رقم (٣٨١٩)، سنن أبى داود (١٥١٨).

(٥) مسند أبى يعلى: (١/١٢٣) رقم (١٣٦)، مجمع الزوائد (١/٢١٠) وهو ضعيف.

(٦) الفتاوى (٨/١٠٠).

والاستغفار من الذنوب، وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه[1]، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التى ناله به ما ناله[2]، كما فى الأثر: يقول الله: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدى، من أطاعنى جعلتهم عليه رحمة، ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، وأطيعونى أعطف قلوبهم عليكم[3].

٢ - تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته:

قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ [محمد: ١٩]، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى وصفاته العلى من أعظم الوسائل فى زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، توحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هى روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوى يقينه[4]، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: **إن لله تسعة وتسعين اسماً - مائة إلا واحدة - من أحصاها، دخل الجنة**[5]، أى من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون[6].

ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله[7]، وقال فى معرض وصفه

(١) الفتاوى (٨/٩٩).

(٢)، (٣) المصدر نفسه (٨/١٠١).

(٤) الوسطية فى القرآن الكريم للصلابى: ص (٢٢٨).

(٥) البخارى، ك الدعوات رقم: (٦٤١٠).

(٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدى، ص (٤١).

(٧) تاريخ اليعقوبى (٢/٢٠٧) منهج على بن أبى طالب، ص (٩١).

للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات... مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات[1].

وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر[2] وجه علي بن أبي طالب وقال: لم يكن فكان، هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي[3]، ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله ﷺ: **إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**[4].

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[5].

٣ - تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الناس بنعم الله المستوجبة لشكره:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مذكرا بالله سبحانه وتعالى وبنعمه على عباده: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثًا ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء،

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٣).

(٢) تمعر: تغير: لسان العرب (٥/ ١٨١).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٢٠٦).

(٤) مسند أحمد (٢/ ١٧٣)، قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(٥) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٩٢).

وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات[1]، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعم الحاصلة ويحذرهم من الركون إليها والأمن معها، ويرغبهم فيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة[2]، ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التفكر في أنفسهم فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه[3]، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

٤ - حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ في جنازة، فقال: **أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنا إلا كسره، ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟** فقال علي رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله، فقال: **«فانطلق»**، فانطلق، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله ﷺ: **من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**[4]. وعندما أصبح أمير المؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته[5]، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها. الغرض من زيارة القبور عند أمير المؤمنين علي[6]، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كثيراً ما يقصد المقبرة زائراً ومتعظًا، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خيرا من التقوى[7]، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسعى

---

(١) الحلية (١/ ٧٨)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٨).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٠٩).

(٣) مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب، لمحمد عبد الجليل العمري مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٩٦).

(٤) مسند أحمد (٢/ ٨٧ حديث رقم ٦٥٧) ط. الرسالة.

(٥) مسلم، ك الجنائز (٢/ ٦٦٦).

(٦) الغرض: الاتعاظ والدعاء للأموات، فقه علي قلعجي، ص (٤٩٤).

(٧) الاستذكار (١/ ٢٣٤).

جاهداً في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف رضي الله عنه من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما في قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد[1]، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ: **اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**[2]، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لابد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بين من الهدى النبوي الشريف الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر، ليقضي حاجته، فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدى النبي ﷺ ومخالف لأدب زيارة القبور التي نصّ عليها العلماء[3]، قال ابن العربي وهو يعدد أغراض السفر، ومنه: القصد إلى الإخوان لتفقد أحوالهم – وبعد أن ذكر فضل من زار أخًا له في الله – قال: هذا إن كان حيًا، فإن كان ميتًا، فتجوز زيارة قبره أيضاً، والترحم عليه لينتفع الميت بالحي، ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة[4]، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي ﷺ أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط (كما لهم ذات أنواط)، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله، هذا كما قيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**[5]»، وفي عدة المريد يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أي شيء آخر له أصل في معتقدات الجاهلية، رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[6]، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه،

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١/٤٠٥)، كنز العمال رقم (٢٢٥٢٢).

(٢) فتح الباري (٤/٣٧٦) إسناده حسن.

(٣) الغلو في الدين، د. الصادق الغرياني، ص (١١٩).

(٤) فتح الباري (٣/٦٥).

(٥) سنن الترمذي رقم (٢١٨٠) حسن صحيح.

(٦) عدة المريد، ص (٣٠٦)، الغلو في الدين للغرياني، ص (١١٩).

لا يمتهن أو يكون مستهلكًا[1]، ولا شك أن القبر له أصل فى عبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولها، ولا أدل على ذلك، من أن أشهر أصنامهم التى عبدوها من دون الله، «اللات» و«مناة»، هى أسماء لرجال صالحين ماتوا فغالوا فى تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله[2]، وهنا كان حديث النبى ﷺ وفعل سيدنا على له عمل عظيم فى حماية جناب التوحيد، ويتضح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يخالف أمر الله وسيرة أمير المؤمنين، فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبى ﷺ كما فعل أمير المؤمنين على وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم وجعل قلوبهم تتعلق بالله الواحد القهار وأن يحاربوا العوائق فى الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

أ - الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات فى العالم الإسلامى، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة فى توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته، وأنه سيأتى اليوم الذى يكون هذا موضعه ومضجعه الذى يزوره، الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس، والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة، رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»**، وفى رواية عنها، رضى الله عنها، فى قصة جبريل، حين جاء النبى ﷺ وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضى الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: **«قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[3]»**.

---

(١) عدة المريد ص ٢٠٦، المصدر نفسه، ص (١١٩).

(٢) الغلو فى الدين، ص (١١٩).

(٣) مسلم رقم (١/ ٦٧١) رقم (٩٧٤).

ب – تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزي أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبي ﷺ، مولد علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وفاطمة رضي الله عنهم، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم(١). ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا خارج البقيع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم، فمختلف فيه بين المؤرخين، وكتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة؟ لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً؟ فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبي ﷺ، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدى رسول الله ﷺ وأصحابه، والله تعالى يقول: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ج – ارتباط المزارات بالتخلف والجهل:

ارتفع شأن القباب والتوابيت – المضروبة على القبور – خلافًا لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها، كما بين لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجمع ما يجود به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور، لتقضى حوائجهم وتتحقق آمالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجرى، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت هممهم، في عصور

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ٤٢٧، ٤٩٠) الغلو في الدين للغرياني، ص (١٠٣).

الانحطاط العلمى، والجمود الفكرى، يوم أن حولوا نور الرسالة المحمدية، التى استطاعت فى الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولوا هذه الرسالة الحضارية المشرقة إلى دروشة وخمول، وبطالة وتعلق بالأوهام، وقصروا هممهم على أمور ما كان سلفنا الصالح، الذى ملأ الدنيا علمًا وعملاً صالحًا يقف عندها، ولا يلتفت إليها، ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شىء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر رسول الله ﷺ وهو أفضل قبر على وجه الأرض؟! أو لقبورهم، وهم أفضل أمته، أو وجد شىء منه حتى فى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم، كمالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد رحمهم الله؟! أليس عدم وجود شىء من ذلك عندهم دليلاً على أن ما يجرى لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية؟! وإنما هى مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أيا كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء.

لقد ظل الإسلام قرونًا عديدة يتزعم العالم قوة ومعرفة، وحضارة، وتشريعًا، وأخلاقًا، ورحمة بالإنسانية، وتطلعًا إلى الابتكار، ومعالى الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلما أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا مفاهيم مغلوطة - تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات التى لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها- بما عندهم من العلم والهداية، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشىء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين[1].

د - الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف فى تشجيع المسلمين أن ينحوا هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التايمز الإنجليزية قول أحد رجال الاستعمار البريطانى يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقورى: إن أحد كبار المستشرقين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار فى آسيا، أن الضرورة كانت تقضى بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمر فيه

(١) الغلو فى الدين، للغرياني (١٠٥).

غاية، ولم نجد الوسائل في جعل القوافل تختاره، وأخيراً اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة[1]، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمانها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء[2].

هـ - هل المزارات من الإحداث في الدين:

مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقُبر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهداً، ولا بناء، ولا قباباً، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيره من أصحابه الأخيار، اغتناماً للذكر والعبادة، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون سننه، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حيًا وميتًا، امتثالاً لأمر ربهم: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧]، وقوله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١]، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله ﷺ باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله ﷺ، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله ﷺ في قلوبهم وتوقيره، بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه، لأن الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته

---

(١) انظر: ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي، ص (٢٢٤).

(٢) الغلو في الدين، ص (١٠٥).

وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوى عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد فى الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ فى حياته بشىء من هذا، ولا وجد فى سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبى ﷺ بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون فى حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشىء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علماً بما يرضى الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقد نهانا النبى ﷺ عن اتخاذه قبره عيداً، فقال ﷺ: **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا علىَّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم**»[١]، ومعنى عيد من العود، وهو الرجوع والمعاودة، لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أى لا تجعلوا لزيارة قبرى أياماً معلومة، وأوقاتاً مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، فى اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسكاً ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى، فإنهم يفعلون ذلك، وقد أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة فى الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهاً، وقد حذر النبى ﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ: «**لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**[٢]»، فإذا كان الحال من النهى فى التعلق بقبر النبى ﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه فى ذلك باتخاذ قبورهم أعياداً، داخلة فى الشق الثانى من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه فى قوله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فهذا هو هدى خير القرون، فمن خالفهم زاعماً أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمرين، إما أنه جاء ببدعة ظلماً، وإما أن يكن مدعياً أنه فاقهم فضلاً وعلماً، بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث فى هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين، لأن الله تعالى يقول:

---

(١) فتح البارى: (٤/ ٣٧٦) إسناده حسن.

(٢) البخارى رقم (٣٤٤٥).

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا(١)، وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق(٢).

إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الإحداث في الدين الذي ينتهي بصاحبه إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما يخطب به في كل جمعة محذرًا: أما بعد.. فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة(٣)، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»(٤). إن جمع الناس في يوم معين على الدوام، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النُسك في مكة، وعرفة، ومنى والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين، لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة معلوم للذبح والعبادة، وتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم، فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثرًا خاصًا في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر، تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق، لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع، وقد جر هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافًا لنهي رسول الله ﷺ، فاعتقدوا فيها الشر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليها بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتوددوا إليها بعد ما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٥٣).

(٢) الغلو في الدين للغرياني، ص (١٠٩).

(٣) مسلم: رقم (٨٦٧).

(٤) البخاري: ٢٦٩٧.

يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مرض إن كان مريضًا - لا يرجع إلا بها، فصارت ملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها، لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدى رسول الله ﷺ الذى أمر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلبًا للسقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم، استدراجًا وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية[1]، فإلى الله المشتكى.

إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعلى محبيه ومتبعيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التى ترشدنا للتمسك بالقرآن الكريم وهدى النبى عليه الصلاة والسلام، وما أحسن كلامه عندما قال: لا يرجون أحد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه[2]، وقوله لأبى الهياج الأسدى: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته[3].

و - حرص أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب:

لما أراد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر فى العقرب، فإنك إن سافرت والقمر فى العقرب هزم أصحابك - أو كما قال - فقال على: بل أسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له فى ذلك السفر، فقتل عامة الخوارج[4]، وجاء فى رواية: ... فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا فى الساعة التى أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار فى الساعة التى أمره بها المنجم فظفر[5].

انظر إلى حرص أمير المؤمنين على رضى الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلى رضى الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من

---

(١) الغلو فى الدين، ص (١١١، ١١٢).

(٢) الفتاوى (٨/١٠١).

(٣) مسلم، ك الجنائز (٢/٦٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/١٧٩)، البداية والنهاية (٧/٢٨٨).

(٥) البداية والنهاية (٧/٢٨٨).

قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التى قالها ذلك المنجم له فى بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد فى الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم(١).

ز - إحراق أمير المؤمنين على رضى الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:

عن عبد الله بن شريك العامرى عن أبيه قال: قيل لعلى: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابنى إن شاء الله، وإن عصيته خشيت أن يعذبنى، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخدلهم أخدوداً بين المسجد والقصر، وقال: إنى طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا(٢) قال:

إنى إذا رأيت الأمـــر أمـــراً منكراً أوقـــدت نارى ودعـــوت قنبـــراً(٣)

كما أخرج البخارى فى صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتى على رضى الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ حيث قال: **لا تعذبوا بعذاب الله**، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: **من بدل دينه فاقتلوه**(٤)، وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية(٥).

لم ير ابن عباس رضى الله عنهما، رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه فى إحراق السبئية، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محتجًا عليه بنهى رسول الله ﷺ: **لا تعذبوا بعذاب الله**، ولقوله ﷺ: **من بدل دينه فاقتلوه**(٦). قال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

---

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٣٢٩).

(٢) فتح البارى (١٢ / ٢٧٠) سنده حسن.

(٣) المصدر نفسه (١٢ / ٢٧٠) سنده حسن.

(٤) البخارى، ك المرتدين (٤ / ٢٧٩).

(٥) الفتاوى (٢٨ / ٤٧٤)، منهاج السنة (٥ / ١٢).

(٦) البخارى، ك المرتدين (٤ / ٢٧٩).

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عليا، فقال: ويح أم ابن عباس[1]، وهذا يحتمل أنه لم يرض بما اعترض به، ورأى أن النهي للتنزيه[2]. وقال ابن حجر أيضًا: (ويح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقًا، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضا بما قال، وأنه حفظ ما نسيه بناء على أحد ما قيل في تفسير «ويح»، أنها تقال بمعنى المدح والتعجب[3]، وقال: واختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقًا سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصًا، وأجازه علي، وخالد بن الوليد وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي ﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمي، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناسًا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهليها، قاله الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره، لا حجة فيما ذكر للجواز، لأن قصة العرنيين كانت إما قصاصًا أو منسوخة كما تقدم، وتجويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقًا للعدو[4]، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضي الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة، وكذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطي فله ذلك، فإن خالد بن الوليد، رضي الله عنه، كتب إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم علي بن أبي طالب وكان أشدهم قولاً، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبد الله بن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[5].

---

(١) سنن أبي داود، ك الحدود (٤/ ٥٢٠) صححه الألباني.

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٢).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ١٥٠).

(٥) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص (٢٢، ٢٣).

ح - كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى:

- قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد القلب بياضًا، وكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود[١].

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان، أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان[٢]، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فقد جمعت هذه الآيات - وهي تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيمانًا، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**[٤]». والشاهد في الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ، فالشهادة قول وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال[٥]، وقال

---

(١) الفتاوى (٧/ ١٩١).

(٢) في ظلال الإيمان للخالدي، ص (٢٣).

(٣) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص (١٨٨).

(٤) مسلم، ك الإيمان (١/ ٦٣) رقم (٥٧).

(٥) في ظلال الإيمان، ص (٣٠).

الإمام البخارى فى صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص، والحب فى الله والبغض فى الله من الإيمان. وقال عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص[1]، وما قاله أمير المؤمنين فى الإيمان لما سئل عنه: «الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة، وموعظة العبرة وسنة الأولين. فمن تبصر فى الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين. والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط فى أمره وعاش بين الناس حميداً، والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصدق فى المواطن وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق فى المواطن قضى ما عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة[2]». وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى تعريفه للتقوى: «ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة[3]». وقال فيها: «التقوى هى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[4]».

ففى اهتمام أمير المؤمنين فى حث الناس على التقوى ثمرات وآثار فى جانب الفرد والمجتمع، منها: محبة الله له ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، معية الله ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨]، الانتفاع بالقرآن ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، الحفظ من الشيطان ووساوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا

---

(١) البخارى، ك الإيمان (١/٩).

(٢) نهج البلاغة، ص (٦٦٧، ٦٦٨).

(٣) تفسير الرازى (٢/٢١).

(٤) فرائد الكلام، ص (٣٣٤).

مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، انتفاء الخوف والحزن ﴿ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥]، قبول العمل ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤]، الفراسة والحكمة والنور ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، دخول الجنة ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، النجاة من النار ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢]، المنزلة العالية يوم القيامة[١] ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

ط - القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن عليَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[٢]، وقال رضي الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصًا في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يغش دناءة يظهر تخشعا لها إذا ذكرت، ويغرى به لئام الناس كالبائس العالم ينتزر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير، وأبقى، الحرث حرثان، فحرث الدنيا والمال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام[٣].

---

(١) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية للعمري، ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) حياة الصحابة للكاندهلوي (ج ٣)، ص (٣٠٥)، فرائد الكلام، ص (٣٤٨).

(٣) البداية والنهاية (٨/٨)، فرائد الكلام، ص (٣٤٣).

ى - كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟

قيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم[1].

ثانيا: خطبة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومى، وخصوصاً يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة فى توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين على كثيراً من خطبه وهذه إشارات عابرة عن خطبه، وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال:

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت[2] بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار[3]. اليوم وغداً السباق، ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله فى الرغبة، كما تعملون له فى الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، أيها الناس، أحسنوا فى أعماركم تحفظوا فى أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد[4].

ولو تأملنا فى المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير فى المدعوين تتمثل فيما يلى:

١ - صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة؛ فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص (٢٦)، فرائد الكلام، ص (٣٣٩).

(٢) أذنت: أعلمت.

(٣) المضمار: الموضع الذى تضمر فيه الخيل للسباق.

(٤) البداية والنهاية (٧/٨).

٢ – تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة، ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

٣ – المقابلة بين المعانى المتضادة مما يزيد المعنى وضوحًا، والسامع تأثرًا، ومن ذلك مثلاً: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

٤ – الاقتباس من القرآن الكريم، كما فى قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس[١]، من قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

٥ – لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل فى التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ، وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعانى وسموها وشمولها، والإجادة فى تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعانى والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهى عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين على بن أبى طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التى تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشرى والمصير الذى ينتهى إليه، وتوضح النتائج التى توصل إليها أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى هذا الخصوص، وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التى أفاضها عليه إيمانه وتقاه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده فى الوصول بالنثر الفنى إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق فى عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها تمامًا، كما كان فى الناس إمامًا عادلاً زاهدًا، وقائدًا حكيمًا مجربًا، وفارس حرب لا يبارى[٢]، هذا وقد اهتم أمير المؤمنين على رضى الله عنه بانتهاز

---

(١) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله.

(٢) الأدب العربى، حبيب يوسف مغنية، ص (٣٥٤ – ٣٦٣).

المناسبات في وعظ الناس وتذكيرهم ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها وعج[1] أهلها وبكوا قال: ما تكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يبقى منهم أحداً.. فاتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر:٦٩].

فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة[2].

ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

١ - وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشييع جنازة، والنفوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما تذكر به في الموت والدار الآخرة.

٢ - الصياغة البلاغية للموعظة، فمواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الجوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

أ - الاستعارة مثل قوله: فكأن قد علقتم مخالب المنية، تشبيه الموت (المنية) بحيوان مفترس له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

---

(١) العج: رفع الصوت، الصحاح للجوهري، (١/٣٢٧).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/٧٨)، صفة الصفوة (١/٣٢٨).

ب – السجع العفوى غير المتكلف مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج – الصيغ الإنشائية(١)، وهى مبثوثة فى الخطبة كلها منها: ما تيكون؟ استفهام.. (اتعظوا عباد الله بالعبر) نداء.. (اتعظوا، اعتبروا، وازدجروا، وانتفعوا) كل هذا على سبيل الأمر.

د – جزالة الألفاظ، لعل أى جزء من الخطبة يكون شاهداً عليها، لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

٣ – اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجها منهجه فى الإرشاد والإقناع، كقوله: «كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها» اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

٤ – الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: «ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار.

٥ – الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء.. للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

٦ – استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضى عما سيحدث فى المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذى ينتظره، ومن ذلك قوله: فكان قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

٧ – لطف العبارة بحيث تستهوى السامعين ولا تنفرهم(٢).

فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه والتى انتشرت بين الناس وساهمت فى تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم، وكان مفعولها سارياً فى جيله والأجيال التى بعده إلى يومنا هذا.

---

(١) الكلام الذى لا يحتمل التصديق والتكذيب.

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (١٤٥).

ثالثاً: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والشعر:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[1]، فالمراجع في ما يتعلق بالشعر، والشعراء في عهد أمير المؤمنين علي هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدة الخلافة، فكلهم يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطلب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف ... أكسوك من حسن الثنا حللا[2]

ولعلي آراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[3]، أي أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخرين[4]، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من

---

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٩٨).

(٢) العمدة لابن رشيق (١/ ١٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٤).

(٤) الأدب في الإسلام، نايف معروف، ص (١٩٢).

شكك فى نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن عليا كان يرتجز فى أثناء بناء مسجد الرسول فى المدينة:

لا يستوى من يعمر المسجدا يدأب فيه قائمًا وقاعدا

ومن يُرى عن الغبار حائدا[1]

ويعقب ابن هشام قائلاً: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليا بن أبى طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدرى أهو قائله أم غيره[2]، وفى موضع آخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلى، ولم تصح له، ويرجح أنها قيلت فى المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب عليا فنسبوها له، وأما الديوان الذى نسب إليه فيرى الدكتور نايف معروف أن أمير المؤمنين عليا بفصاحته المعهوده وبلاغته المشهورة، هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعراً، ظنًا منهم أن ذلك يرفع من قدره عند الناس، علماً أن عليا لم يكن بين شعراء الرسول الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التى شنها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين[3]، ولكن الأمر لم يصل إلى حد الرواية التى نقلها ياقوت الحموى عن أبى عثمان المازنى، حينما يزعم أنه لم يصح أن عليا تكلم من الشعر بشىء غير بيتين[4]، فهناك روايات عديدة جاءت تخالف هذا القول، إذ أثبت له الرواة عدداً من المقطوعات التى صحت نسبتها إليه عندهم[5]، ومن الأشعار التى نسبت إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:

١ - فى الفرج والشدة:

إذا اشتملت على الناس القلوب وضاق بما به الصدر الرحيب

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٤٩٧).

(٢) المصدر السابق (١/٤٩٧).

(٣) الأدب فى الإسلام، د. نايف معروف، ص (١٩٥).

(٤) معجم الأدباء، ياقوت (٥/٢٦٣).

(٥) الأدب فى الإسلام، ص (١٩٥).

وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب[1]
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب[2]
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به القريب المستجيب[3]
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب[4]

٢ - في الصبر :

ألا فاصبر على الحدث الجليل ... وداو جواك بالصبر الجميل[5]
ولا تجزع فإن أعسرت يومًا ... فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقًا ... لكان الرزق عند ذوي العقول
فكم من مؤمن قد جاع يومًا ... سيروى من رحيق السلسبيل[6]

٣ - في حرص الناس على الدنيا :

للناس حرص على الدنيا وتدبير ... وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم ... فالعقل منهم على الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت ... صفاء عيشاتها همٌّ وتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت ... لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده ... ومائق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة ... طار البزاة بأرزاق العصافير[7]

---

(١) الخطوب : الأمور العظيمة .
(٢) الأريب : العاقل .
(٣ ، ٤) البداية والنهاية (٨ / ١٠)
(٥) الجوى : الشوق
(٦ ، ٧) البداية والنهاية (٨ / ١١) .

٤ - في الصداقة:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
قياس النعل بالنعل إذا ما هو حاذاه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه(١)

٥ - في التواضع والقناعة:

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس تدركه النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل وما أرزاقه عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قليل إلى قوم كلامهم السكوت(٢)

٦ - في السر وكتمانه:

ولا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحًا
فإني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديمًا صحيحًا(٣)

رابعًا: من حكم أمير المؤمنين على التى سارت بين الناس:

تهيأ لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين والقرب من رسول الله ﷺ وتلقى الوحي عنه، ما مكنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته دررًا، وجمله حكمًا أعجبت ذوى العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حث لهم على فضائل الأعمال،

(١، ٢) البداية والنهاية (٨/ ١٢).

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٩٧).

وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وأحيا قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تنبع من قلب تقي، وصدر نقي[1]، ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

١ - صلاة الليل بهاء في النهار[2].

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقال أيضًا في قيام الليل: نور المؤمن من قيام الليل[3].

٢ - صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع[4].

٣ - طوبى لمن عمل بعلمه[5].

٤ - الفرصة تمر مر السحاب[6].

٥ - قسوة القلب من الشبع[7].

٦ - الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[8].

٧ - جمال الخلق أبهى من جمال الخلق[9].

٨ - في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[10].

٩ - المعروف كنز من أفضل الكنوز[11].

اجتمع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منه، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقط عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته[12].

---

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٢٧٥).

(٢، ٣، ٤) نثر اللآلىء مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٧٦).

(٥، ٦) المرجع السابق، ص (٢٧٧).

(٧) المرجع السابق، ص (٢٧٨).

(٨) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص (٣٠)، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٢٦).

(٩، ١٠) نثر اللآلىء مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٢٨).

(١١، ١٢) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٠)، منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٣٠).

١٠ – لا شرف مع سوء الأدب[١].

١١ – لا راحة لحسود[٢].

١٢ – الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[٣].

١٣ – ويل للباغين من أحكم الحاكمين[٤].

١٤ – من سل سيف البغي قتل به[٥].

١٥ – للظالم البادي – غداً – بكفه عظة[٦].

وهذا الترهيب مستفاد من قوله ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان : ٢٧].

١٦ – إخفاء الشدائد من المروءة[٧].

١٧ – أحسن إلى المسيئ تسده[٨].

١٨ – الإحسان يقطع اللسان[٩].

١٩ – من عذب لسانه كثر إخوانه[١٠].

٢٠ – من قل صدقه، قل صديقه[١١].

٢١ – لسانك يقتضيك ما عودته[١٢].

---

(١) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص (٢٨).

(٢) مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب مخطوطة نقلاً عن منهج علي، ص (٢٣٤).

(٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص (٢٩)، منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٣٥).

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥، المصدر نفسه، ص (٢٣٥).

(٥) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٢٣٥).

(٦) المصدر نفسه، ص (٢٣٦).

(٧) المروءة: هي كمال الرجلة، منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٤٣).

(٨) نثر اللآليء من كلام علي بن أبي طالب، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٤٥).

(٩) مطلوب كل طالب في شرح كلمات علي بن أبي طالب عن منهج علي، ص (٢٤٦).

(١٠) المصدر نفسه، ص (٢٤٧).

(١١) المصدر نفسه، ص (٢٤٧).

(١٢) المصدر نفسه، (٢٤٨).

٢٢ – من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[١].

٢٣ – صاحب الأخيار تأمن الأشرار[٢].

٢٤ – جليس الخير غنيمة[٣].

٢٥ – صحبة الأحمق نقصان في الدنيا، وحسرة في الآخرة[٤].

٢٦ – كفى أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك[٥].

٢٧ – لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال[٦].

٢٨ – خير الناس من ينفع الناس[٧].

٢٩ – المرء مخبوء تحت لسانه[٨].

٣٠ – اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل[٩].

٣١ – أخوك من واساك في الشدة[١٠].

٣٢ – قيمة كل امرئ ما يحسنه.

٣٣ – احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.

٣٤ – النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهوينى، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها[١١].

---

(١) الإعجاز والإيجاز للثعالبي، ص (٢٩)، المرجع السابق ص (٢٤٩).

(٢، ٣) نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب والمرجع السابق، ص (٢٤٩).

(٤) المرجع السابق، ص (٢٤٩).

(٥) المرجع السابق، ص (٢٥٠).

(٦) المرجع السابق، ص (٢٥٠).

(٧) المصدر السابق، ص (٢٥١).

(٨) المصدر السابق، ص (٢٥٢).

(٩) أدب الدنيا والدين، ص (٢٦٥).

(١٠) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٢٥٣).

(١١) المرتضى للندوي، ص (٢٠١).

٣٥ - العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

٣٦ - لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً.

٣٧ - إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى[١].

٣٨ - الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا.

٣٩ - الناس أعداء ما جهلوا.

٤٠ - ما هلك امرؤ عرف قدره.

٤١ - رب كلمة سلبت نعمة.

٤٢ - الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية.

٤٣ - الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته.

٤٤ - إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه[٢].

٤٥ - اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان[٣].

٤٦ - بشاشة الوجه عطية ثانية[٤].

٤٧ - العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[٥].

٤٨ - إعادة الاعتذار تذكير للذنب[٦].

٤٩ - أبلغ العظات النظر إلى الأموات[٧].

---

(١) النوكى: الحمقى.

(٢) المرتضى للندوى، ص (٢٠٢).

(٣) المرتضى للندوى، ص (٢٠١).

(٤) نثر اللآلئ في كلام علي بن أبي طالب نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٣٨).

(٥) مطلوب كل طالب نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (٢٣٩).

(٦) الإعجاز والإيجاز، ص (٢٩)، نقلاً عن علي بن أبي طالب، ص (٢٣٩).

(٧) نثر اللآلئ نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب، ص (١٤٨).

٥٠ – ذكر الموت جلاء القلوب[١].

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه التى سارت بين الناس، والتى لخصت كثيراً من تجاربه فى الحياة فى عبارات موجزة، غزيرة المعانى، والغايات والأهداف والمقاصد، كان لها تأثير فى حياة المجتمع الذى عاش فيه والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم، والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامى.

خامسا: حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبى ﷺ، ووصف الصحابة الكرام:

١ – صفات خيار العباد:

سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[٢]، وقال: ألا وإن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين، وأهل النار فى النار معذبين.. شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم فى الليل، رأيتهم صافين أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم، وأما نهارهم فضلاء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[٣].

وقال: ينبغى للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[٤].
وقال: طوبى لكل عبد نومة[٥]، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله فى رحمة منه

---

(١) منهج على بن أبى طالب، ص (١٤٩).
(٢) مروج الذهب (٢/٤٣١).
(٣) البداية والنهاية (٨/٦).
(٤) مروج الذهب (٢/٤٣٤).
(٥) الخامل الذكر الذى لا يؤبه له، وقيل: الغامض فى الناس الذى لا يعرف الشر وأهله.

ليسوا بالمذاييع[١]، البذر[٢]، ولا الجفاة[٣] المرائين[٤]، وكلام أمير المؤمنين علي فيه تأثر واضح بقول رسول الله ﷺ: **إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**[٥].

٢ - إجابته لمن سأل عن تطوع النبي ﷺ:

عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًا عن تطوع النبي ﷺ بالنهار فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا ما أطقنا. قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ههنا، يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ههنا من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ههنا يعني من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من ههنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى أربعًا، وأربعًا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعًا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال علي: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي ﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها[٦].

وقد بين أمير المؤمنين في موضع آخر هدى رسول الله ﷺ في الوتر فقال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه فانتهى وتره إلى السحر[٧]، وفي بيان هدى النبي ﷺ بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: **اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**[٨].

٣ - وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئًا من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله ﷺ، فيما

---

(١) المذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء إذا أفشاه، والمذايع: الذي لا يكتم السر.
(٢) البذر: جمع بذور وهو الذي يفشي الكلام بين الناس.
(٣) الجفاء: غلظ الطبع.
(٤) صفة الصفوة (١/٣٢٥).
(٥) المسند (١/١٦٨)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح مسلم (٤/٢٢٧٧).
(٦) مسند أحمد (٢/٦٢)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٧) المصدر نفسه (٢/٦٤)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٨) صحيح سنن أبي داود (١/٢٨٣) للألباني.

رواه أبو أراكة بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم، والله لكان القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رُئي بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق[1].

٤ - تنبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال:

مما ورد له في خطبة قوله: أوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منساة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر[2].

٥ - معايدة المريض:

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي (رضي الله عنه): أعائدًا جئت يا أبا موسى أم زائرًا؟ قال: لا بل عائدًا، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح[3]»**.

٦ - تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يومًا: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحيي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في

---

(١) حلية الأولياء (١/٧٦).

(٢) البداية والنهاية (٧/٣١٩).

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (١/٢٨٦).

الناس خطيباً، وعلى يسمع فادى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل على يقول: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم[1].

٧ - إنى لست كما تقول:

قال عمرو بن مُرَّة، عن أبى البخترى قال: جاء رجل إلى علىّ فاثنى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إنّى لست كما تقول، وأنا فوق ما فى نفسك[2].

٨ - التحذير من الانقياد للشهوات:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت[3].

٩ - إدخال السرور على المسلم:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم[4].

١٠ - أشد الأعمال ثلاثة:

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: أشد الأعمال ثلاثة إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ فى المال[5].

سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التى حذر منها أمير المؤمنين:

١ - جزاء المعصية:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: جزاء المعصية الوهن فى العبادة، والضيق فى المعيشة، والنقص فى اللذة، قيل: وما النقص فى اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلالاً إلا

---

(١) البداية والنهاية (٨/٣٧).

(٢) تاريخ الذهبى عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٦).

(٣) أدب الدين والدنيا، ص (٢٦).

(٤) تنبيه الغافلين، ص (٢٤٥).

(٥) حلية الأولياء (١/٨٥).

جاءها ما ينغصه إياها[1]، ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لا يغفل عن الترغيب فى تركها، حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة والنسل بلا كثرة، والغنى بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[2]، وقال: إذا رغبت فى المكارم، فاجتنب المحارم[3].

٢ - طول الأمل واتباع الهوى:

خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل[4].

فقد أشار أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير فى حياة الناس وهما طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة، فإنه يخدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنيه بتأجيل الأعمال الصالحة وينسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع فى مخيلته أنه معرض للموت فى كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للآخرة كثيراً لأنه هو الذى سيبقى بعد الموت، وأما اتباع الهوى فإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى فى فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى من يعمل تحت إدارتهم، وينسى الهدف الإسلامى الأعلى الذى هو ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله فى الجنة، وبناء على تغير الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة قائمة على المصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يترتب على تغير الأهداف[5].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص (٢٠٤).

(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/٢٠٦).

(٣) منهج على فى الدعوة إلى الله، ص (٣٠٧)، نقلاً عن سجع الحمام فى حكم الإمام، ص (٥٧).

(٤) حلية الأولياء (١/٧٦)، صفة الصفوة (١/٣٢١).

(٥) التاريخ الإسلامى للحميدى (٢٠/٢٧٦).

٣ - الرياء:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا تعمل شيئًا من الخير رياءً، ولا تتركه حياء[١]، وقال رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به[٢]، وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركًا أصغرًا، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**[٣]»، وعن شداد بن أوس قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر[٤].

إن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه حذّر من مرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدى السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة[٥]، وروى عن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢]، فقال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة[٦].

إن صور الرياء متعددة منها، ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الزي، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيرًا

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص (١١٠).

(٢) الكبائر للذهبي، ص ١٤٥، فرائد الكلام، ص (٣٣٨).

(٣) مسند أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) إسناده حسن.

(٤) الحاكم (٤/٣٢٩)، صححه الألباني في صحيح الترغيب (١/١٨).

(٥) الشريعة للآجري (٢/٦٣٨)، إسناده فيه ضعف.

(٦) مدارج السالكين (٢/٨٩).

ليقال: عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الزى ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال: عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذى يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: إن فلانًا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كى يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يرائى بكثرة الشيوخ ليقال: لقى فلان شيوخًا كثيرين واستفاد منهم ليباهى بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال فى مشيته، أو يصعر خده أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن، كأن يرائى بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد فى العبادة، كثير الخوف والحزن، وغير ذلك من الصور التى يرائى بها المراءون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد[1].

وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس فى ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها، كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله، لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله، لا أن يترك العمل الصالح خوفًا من الرياء، فلتحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء ولتتذكر قول رسول الله ﷺ: «**من طلب العلم ليمارى به الفقهاء، أو يجارى به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**[2]».

إن أمير المؤمنين عليًا حذّر من الرياء، وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حث رضى الله عنه على التمسك بالسنة فى مناسبات عديدة، فقد قال: واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[3].

٤ - العجب:

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: الإعجاب آفة الألباب[4]. إن العجب من الآفات التى تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التى تعرض

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص (٢١٥ - ٢١٧)، الشرك فى القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا (١/ ١٧١، ١٧٢).

(٢) مسلم، ك الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذلَّ والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله، كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمي عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبد الله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئاً ليس عند غيرك[1]، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله تعالى: «إياك نعبد» والمعجب لا يحقق قوله تعالى: «إياك نستعين» فمن حقق قوله: «إياك نعبد» خرج من الرياء، ومن حقق قوله: «إياك نستعين» خرج عن الإعجاب[2].

وقال الغزالي: اعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمنّ على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويامن مكر الله وعذابه، ويظن انه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها[3].

وقال القرافي: وسر تحريم العجب انه سوء أدب مع الله تعالى، فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه[4]. ويمكن القول ابتداء، أن سبب العجب أمران:

أ - الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حقّ قدره، وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الاسماء والصفات.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٤٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٧٧).

(٣) الإحياء (٣/٣٧٠)، باختصار.

(٤) الفروق (٤/٢٢٧).

ب - الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها[١].

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجْب، فاذكر رضا من تطلب، وفى أى نعيم ترغب، ومن أى عقاب ترهب، فمن فكر فى ذلك صغر عنده عمله[٢].

وقال النووى: وطريقه فى نفى الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنّة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغى ألا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه[٣].

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع فى قول أو عمل يبتغى به مرضاة الله، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذى أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذى منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذى أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه[٤]، وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها، قال ابن الجوزى: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره، فى شك، فالذى يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم فى أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: إن مت ندفنك فى حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلىّ من أن أرى نفسى أهلاً لذلك[٥]، وقال ابن حزم: من امتحن

---

(١) معالم فى السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز العبد اللطيف، ص ٩٨.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢).

(٣) المجموع (١/ ٥٥).

(٤) الفوائد، ص (١٤٤).

(٥) صيد الخاطر، ص (٢٥٠، ٢٥١).

بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتمّ الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تمييزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذى يجهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بآرائك، فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كلّ رأى قدّرته صوابًا فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذمّ أعدائك إياك، فحينئذ ينجلي عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها – عافانا الله – فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف نقصك[١].

ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيرًا أنساه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرّع وأناب إلى الله، وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقّه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها، ويراها، ويعتدّ بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار[٢]. هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الإعجاب آفة الألباب[٣].

---

(١) الأخلاق والسير، ص (٦٦ – ٧١) باختصار.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٩٧، ٢٩٨)، مدارج السالكين (١/١٧٧).

(٣) جامع البيان والعلم وفضله (١/٥٧).

سابعا: اهتمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين على رضى الله عنه على تفقد أحوال المتعاملين فى السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن عليًا رضى الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب فى مجال السوق، فعن الحر بن جرموز المرادى عن أبيه قال: رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج من القصر وعليه قطريتا إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريبًا منه، ومعه الدرة يمشى فى الأسواق ويامرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنفحوا[1] اللحم[2]، وعن أبى مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادى من خلفى: ارفع إزارك، فإنه أبقى لثوبك واتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابى بدوى، فقلت: من هذا؟ فقال لى رجل: أراك غريبًا فى هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا على بن أبى طالب أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار ابن أبى معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكى، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعنى هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده موالى فأبى أن يقبله. فقال له على: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدرى من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا على بن أبى طالب أمير المؤمنين. فهبت تمرها فاعطاها درهمًا. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عنى يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضانى عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازًا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين يَرْبُ كسبكم، ثم مر مجتازًا – ومعه المسلمون – حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع فى سوقنا طافى. ثم أتى دار فرات وهى سوق الكرابيس[3].

عن زاذان قال: كان على يمشى فى الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ

---

(١) فى بعض الروايات (ولا تنفحوا) كما فى الطبقات (٣/٢٨)، ومصنف ابن أبى شيبة (٧/٣٠٨).

(٢) تنقيح العظم استخراج مخه، وتنقح شحم الناقة اى قل، ونقح الشى اى قشره والمراد – والله أعلم – لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم، لسان العرب (٢/٦٢٤)، فضائل الصحابة (٢/٦٨٨) إسناده صحيح رقم (٩٣٨).

(٣) البداية والنهاية (٨/٤).

﴿ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[١]. وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قال: كان علي أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته[٢]، وعن أبي الصهباء قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار[٣]، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تضمن أموراً منها:

أ – لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس في شئونهم، كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

ب – تضمن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

ج – منع الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله، لأن موالي الجارية التي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

د – النهي عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق، كنهيه عن تنقيح اللحم، وفي رواية (نفخ اللحم).

هـ – بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها:

– النهي عن الحلف في البيع، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «الحلف مَنْفَقة للسلعة، مَمْحقةٌ للبركة»[٤].

– الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه، لأنه زيادة في الكسب.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٦/٤٤٤)، البداية والنهاية (٨/٥).

(٢) السنة ص (٣٥٢)، تحقيق د. عطية الزهراني ص (٣٥٢).

(٣) الرياض النظرة في مناقب العشرة، ص (٦٩٠)، شط الكلأ مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

(٤) البخاري، ك البيوع (٢/٨٥).

- النهى عن بيع السمك الطافى[1]، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطرى.

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار فى حضرته، ويأمر ولاته بذلك فى الولايات، ويثنى على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهى، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف[2]، وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهى الزاجرة التى تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها:

١ - إنكاره على مزاحمة النساء الرجال فى الأسواق:

أنكر أمير المؤمنين عليٌّ على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغنى أن نساءكم يخرجن فى الأسواق يزاحمن العلوج[3].

٢ - لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره:

كان على رضى الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباء ويقول: يا أيها التجار، خذوا الحق، واعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ، لأسألنك فإن أجبتنى وإلا جعفتك[4] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت، قص فمثلك من يقص[5].

٣ - خطورة التجارة قبل التفقه فى أحكامها:

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: من اتجر قبل أن يتفقه فى الدين فقد ارتطم فى الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم[6]، وقد كان الفاروق، رضى الله عنه، يضرب بالدرة من يقعد فى السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد فى سوقنا من لا

---

(١) هو الذى يعلو الماء ولا يرسب.

(٢) الدور السياسى للصفوة فى صدر الإسلام، ص (٢٠٢).

(٣) العلوج جمع علج وهو الواحد من كفار العجم، مسند أحمد (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٤) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

(٥) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى (٥/ ٧٠).

(٦) ارتطم: وقع: بستان العارفين، ص (٣٥٠).

يعرف الربا[١]، وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[٢]، فكل شئون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين، رضى الله عنهم، لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدى الحاكم، فقد كانوا يقعّدون للتجارة القواعد التى تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز فى عالم التجارة، ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات فى المساجد خصوصًا التى فى قلب الأسواق ولابد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التى تبين أحكام التجارة وتبسط المسائل المتعلقة بها والتى تبرز ما يلى:

- نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.
- بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكى يجمعوا بين خيرى الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير فى تفقيه هذه الشريحة الكبيرة فى المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألا تنسى واجبها فى تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

٤ - من سبق إلى موضع فهو أحق به:

أثيرت قضية المحل التجارى فى السوق وقضى على بن أبى طالب رضى الله عنه فى سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حلَّ فيه، قال الأصبع بن نباتة: خرجت مع على بن أبى طالب إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم فقال على: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كُمصلَّى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظلّت هذه القاعدة متَّبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلمّا كانت ولاية زياد بن أبيه عليها عام ٤٩ هـ جعل من قعد فى مكان فهو أحق به مادام فيه[٣].

---

(١) نظام الحكومة الإسلامية للكتانى (٢/١٧).

(٢) المصدر نفسه (٢/١٧).

(٣) الأموال لأبى عبيد، ص (١٢٣)، الحياة الاقتصادية د. بطاينة، ص (١١٥).

٥ – المحتكر عاص ملعون:

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون[١]، وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبى شيبة عن الحكم قال: أخبر على برجل احتكر طعامًا بمائة ألف فأمر به أن يحرق[٢]. وقد ذهب ابن قدامة إلى أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هى:

أ – أن يشترى، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول على رضى الله عنه.

ب – أن يكون المشترى قوتًا[٣].

ج – أن يضيق على الناس بشرائه. وترهيب أمير المؤمنين على من الاحتكار مبنى على قول رسول الله ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ»[٤].

٦ – الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه:

بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب شيئًا من أحكام المضاربة وهى: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهى دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضى الله عنه: الوضيعة على المال، والربح على ما اصطلحوا عليه[٥]، والوضيعة تعنى الخسران فى الشركة وهى على المال، أى على كل واحد بقدر ماله، فإن كان ما لهما متساويًا فى القدر[٦] فالخسران بينهما نصفان، وإن كان أثلاثًا فالوضيعة تكون أثلاثًا.

٧ – تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:

كان رضى الله عنه شديد الإنكار على من باع خمرًا، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن عليًا بن أبى طالب رضى

---

(١) فقه على قلعجى، ص (٢٧)، مصنف عبد الرزاق (٨/٢٠٤)، مسند زيد، ص (٢٤٥).

(٢) المصنف رقم ٤٣٣ (٦/١٠٣)، الحسبة فى العصر النبوى، ص (٣٤).

(٣) وقيل: لا فرق بين القوت وغيره.

(٤) مسلم، ك المساقاة (٣/١٢٢٨) والخاطئ: العاصى الآثم.

(٥) مصنف ابن أبى شيبة (٦/٤)، مصنف عبد الرزاق (٨/٢٤٨).

(٦) المغنى (٥/٣١).

الله عنه نظر إلى زرارة[1] فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشي حتى أتاها، فقال: على بالنيران، اضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً ،قال (الراوى): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا[2].

٨ - احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:

عن أبى مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادى خلفى: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلماً[3].

٩ - حبسه أهل الشر والفساد:

كان رضى الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحداً منهم حبسه، فقد روى القاضى أبو يوسف عن عبد الملك بن عمير قال: كان على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا كان فى القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين، وقال: يحبس عنهم شره ويُنفق عليه من بيت مالهم[4].

١٠ - الترهيب من عدم الإنفاق:

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب: بشر مال البخيل بحادث أو وارث[5]، وقال: البخيل مستعجل الفقر، يعيش فى الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب فى العقبى حساب الأغنياء[6].

١١ - مناداته للصلاة:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه شديد الاهتمام بأمر الصلاة، فقد كان يمر فى الطريق منادياً: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر، يحدثنا الحسن،

---

(١) محلة فى الكوفة سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.

(٢) الأموال، ص (٩٧، ٩٨)، الحسبة لابن تيمية، ص (٦٠).

(٣) البداية والنهاية (٨/٤).

(٤) الخراج لأبى يوسف ص (١٥٠).

(٥) نثر اللآلئ نقلاً عن منهج على بن أبى طالب، ص (١٨٣).

(٦) منهج على فى الدعوة إلى الله، ص (١٨٣).

رضى الله عنه، عن خروجه اليوم الذى طُعِن فيه من بيته حيث يقول: فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس! الصلاة، الصلاة. وكذلك كان يصنع كل يوم، ومعه درته، فاعترضه الرجلان، فضربه ابن ملجم على دماغه[١].

١٢ - الاهتمام بالطرق العامة:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يأمر بالمثاعب[٢]، والكنف[٣]، تقطع من طريق المسلمين[٤].

١٣ - ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين على لها:

حدثت بدعة القُصَّاص فى عهد على - رضى الله عنه - فأنكرها الصحابة والتابعون، فقد أخرج محمد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال: حدثنا ابن مهدى عن سفيان عن عبيد الله بن نافع قال: لم يقص على عهد النبى ﷺ، ولا أبى بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة[٥]، والقصاص هم الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهى مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[٦] وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكناً من العلم الشرعى بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين فى المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك، وكان حريصاً على تعليم الناس أسماء الله وصفاته وربط قلوبهم به وحده، وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضى الله عنه مثابراً على محو آثار الجاهلية، متخذاً جميع الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضى الله عنه بعيداً عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضى الله عنه.

---

(١) البداية والنهاية (٧/٣٣٩).

(٢) المثاعب: مفردها الثعب: سيل الماء فى الوادى.

(٣) والكنف: جمع كنيف وهو المرحاض، المصباح المنير، ص (٥٤٢).

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/٧٢).

(٥) البدع والنهى عنها، ص (٢٠).

(٦) دراسات فى الأهواء والفرق والبدع، ص (٢٣٩).

ثامنًا: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباتة، أن شابًا شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفرًا، فقال: إنّ هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا: ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا عليّ بالشرطة، فوكّل بكلّ رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم بدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمّن غسله ودفنه، ومن تولّى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبّر عليّ، وكبّر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيّب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضدّ ما أخبر به صاحبه، ثم أمر بردّ الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعا آخر منهم، فهدّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهًا لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقرّوا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[(١)]. فهذه القصة تحوي معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدلّ في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[(٢)]، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنًا في الكوفة سمّاه «نافعًا» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجنًا آخر سمّاه مخيّسًا[(٣)]، وقد أجرى

---

(١) الطرق الحكيمة، ص (٤٩).

(٢) ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، ص (١٠٧).

(٣) وهذه التسمية ليست اعتباطًا بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر.. المخيس وهو التذليل والتهذيب.. التسميتان تحققان أغراض السجن.

على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف[1]، وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدي، وقيس ابن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرّياحي، ومالك بن خبيب اليربوعي، والأصبغ بن نباتة المشاجعي، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعي، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

---

(١) ولاية الشرطة، ص (١٠٨).

الفصل الرابع

المؤسسة المالية والقضائية فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الأول

المؤسسة المالية

فى عهد على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يحدث تغيير يذكر فى السياسة المالية للدولة الإسلامية، إلا أن أمير المؤمنين على رضى الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق فى التسوية فى العطاء،[1] فلم يفضل أحداً على أحد، فأعطى الموالى كما أعطى السادة[2]، وكان الخراج فى بعض الأمصار موكولاً إلي الولاة أنفسهم، ففى مصر كان قيس بن سعد بن عبادة - الوالى العام - مسئولاً عن الخراج فيها، وكذلك حينما بعث على رضى الله الأشتر النخعى على مصر كان خطابه له ما يوحى أنه مع ولايته العامة كان مسئولاً عن الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحه وصلاحهم صلاح لمن سواهم ولا صلاح إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج، لأن ذلك يدرك بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.. فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر[3].

فقد كانت نظرة أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسى لها فى ذلك الوقت، وقد اشتهر عن على رضى الله عنه تشديده فى مراقبة عماله فى جميع النواحى، وكان

---

(١) الاستيعاب (٣/١١).

(٢) على بن أبى طالب، د. على شرفى، ص (٦٦).

(٣) الولاية على البلدان (٢/١٥٣ إلى ١٦٣).

الخراج والشئون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم[١]، وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عمومًا كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شئون الجهاد والفتوح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية[٢]، بالإضافة إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء للجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم[٣].

وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات، أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي كما عبّر عنها بعض الباحثين[٤] فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاة في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير.

ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق الأموال في مصالح المسلمين وعدم تجميدها، إذ إن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة[٥]. وقد كانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات[٦]، ولاشك أن ما قام به الخلفاء الراشدون خصوصًا في عهد عمر من تنظيم دقيق للشئون المالية في الولايات بما فيها من جباية – مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة إضافة إلى النفقات العامة –

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٩٨)، النظريات المالية في الإسلام، ص (١٥٥).

(٢) التراتيب الإدارية للكتاني (١/٣٩٣).

(٣) الولاية على البلدان (٢/٩٨).

(٤) النظم المالية في الإسلام، ص (١٥٧)، الولاية على البلدان (٢/٩٩).

(٥) أصول الفكر السياسي الإسلامي، فتحي عثمان، ص (٤٣).

(٦) السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب، ص (٩٩).

يعتبر تنظيماً جديداً ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم حيث استحدثوا الدواوين وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق، رضي الله عنه، بنوع من التفصيل، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم فيليب حتى في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدون من تنظيم للأموال في الدولة عموماً فقال:

«والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيراً مما أحدثته السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة، وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصار الأول في صدد الخراج والجزية، وأصول جبايتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشيء الخطير، فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه في سوريا ومصر، ولم يفكر أرباب الأمر في الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية، ولم يأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقاً لطبيعة البلاد وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض سواء أكان بيزنطياً أو فارسياً، ولم يعتبروا في ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحاً أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اقتدوا بتشريع أوجده عمر[1]». والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التي وردت في استنباط عمر للخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقي مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه، واتفق الجميع على تنفيذه[2]. وقد تولى محمد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر، وما أحدثه غيره، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقاً في قضايا الخراج في عهد عمر[3].

وهذه عادة المستشرقين وأذنابهم من الطعن والتنقص في عظماء الإسلام، ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير.

وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد علي في مؤسساتها المتعددة، كالمالية والعسكرية، ومنصب الخلافة، مما ساهم في زوال الخلافة الراشدة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.

---

(١) تاريخ العرب، فيليب حتى (١/٢٢٨).

(٢) الولاية على البلدان (٢/١٠٠).

(٣) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص (١٣١ - ١٣٦)، نقلاً عن الولاية على البلدان (٢/١٠٠).

المبحث الثانى

المؤسسة القضائية

ولى الخلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، واقترنت توليته التى نجمت عن قتل عثمان وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين وفرقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن هذا الصراع الدامى فى عهد على رضى الله عنه مانعًا له من أن يعطى للقضاء نصيبًا من الاهتمام به وتنظيمه، ويدل على هذا رسالته التى(١) أرسلها إلى الأشتر النخعى واليه على مصر حين كانت تابعة لحكمه، وفيها يقول: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى فى الزلة، ولا يحصر فى الفيئ إلى الحق إذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم فى الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم على اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر من تعاهد قضائه، وافسح له فى البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك(٢).

فى هذه الرسالة أيضًا: أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فإنك إلا تفعل تَظْلِم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربًا، حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد(٣).

ونلاحظ أن هذا العهد تضمن صفات القاضى، كما تضمن حقوقه وواجباته، والذى يتأمل فى الذى كتبه أمير المؤمنين على رضى الله عنه لواليه على مصر، يعجب لهذا

---

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/ ٣٧٩).

(٢) شرح نهج البلاغة نقلاً عن نظام الحكم للقاسمى (٢/ ١٠٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٩).

العهد الذى كتب عام ٤٠ هـ أو حولها، فى وقت لم يكن للعرب فيه أى اتصال بالحضارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل المسلم الذى ينظر بنور الله قادراً على تفتيق المعانى، ووضع أمور الدولة فى نصابها، على خير ما نرى اليوم فى الدساتير والقوانين(١). وهذه النظرات من أمير المؤمنين على فى إنصاف الرعية، وتجنب ظلمها كانت فيما بعد عماداً فى تنظيم ولاية المظالم(٢).

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية فى عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التى اعتمدها الصحابة فى ذلك العهد:

قصد بهذه الخطة الطريقة التى سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية لما يحدث لهم من وقائع وقضايا فى حياتهم العملية، وهى طريقة هدتهم إليها صحبتهم للرسول الكريم وتدريبهم على يديه، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقًا على من جاء بعدهم. وقد لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين فى كتبنا عن أبى بكر وعمر وعثمان ودراستنا الحالية لعهد على رضى الله عنهم، أنهم كانوا كلما عرض لهم حادث، أو قضاء لجئوا إلى كتاب الله أولاً، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعى للنازلة حسم الأمر، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى إذا لم يجدوا فيها حلاً انتقلوا إلى الرأى بمعناه الواسع، وقد لاحظنا أن هذا الرأى كان فى أول الأمر جماعيًا فى غالب الأحيان، خصوصًا إذا انصب موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة، وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا ما زالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعى ما اصطلح على تسميته فيما بعد «الإجماع»، وقد كانوا يستعملون القياس والمصلحة هى مناط التشريع، وخير دليل على هذه الخطة ما قاله ميمون بن مهران حيث قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن فى الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ، فى ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فيها سنة عن رسول الله جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به. وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد فى القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبى بكر قضاء، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رءوس

(١) نظام الحكم للقاسمى (٢/ ١٠٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).

المسلمين، فإن أجمعوا على شيء قضى به[١]، وعن ابن مسعود قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما فى كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل: إنى أرى وإنى أخاف، فإن الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[٢]، وقد بينا فى حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين على بن أبى طالب حرصه على السير على نفس المنهج، ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون فى خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأى بمعناه الواسع[٣]، ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

١ – اتفاق الصحابة حول هذه الخطة إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقههم مبتدئين بكتاب الله أولاً، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله ﷺ قبل استخدام الرأى الجماعى ثم القياس.

٢ – كان للسابقة القضائية دور مهم فى هذه الخطة وهو دور جعلها تلى النصوص مباشرة.

٣ – ومما يلفت النظر فى هذه الخطة أن أبا بكر وعمر على الخصوص، لم يكونا يستشيران إلا من كان موجوداً من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائبًا من الصحابة قصد استشارته فى أمر من الأمور الاجتهادية، مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة بصرف النظر عن رأى من كان غائبًا[٤]، ويتضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء الراشدين والصحابة فى التشريع والقضاء أنهم كانوا كلما حزبهم أمر، أو عرضت عليهم قضية بادروا إلى القرآن أولاً حتى إذا لم يجدوا فيه حلاً رجعوا إلى السنة، فإذا لم يجدوا الحل، استعملوا الرأى بمعناه الواسع سواء كان جماعيًا أو فرديًا، وقد انبثق عن آرائهم

---

(١) سنن الدارمى (١/٥٨) رجال إسناده ثقات غير جعفر بن برقان صدوق، السنن الكبرى للبيهقى (١٠/١١٤) وصحح إسناده ابن حجر، فتح البارى (١٣/٣).

(٢) أعلام الموقعين (١/٦٢).

(٣) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى.. ضوابطه ومستقبله، ص (١٥٣).

(٤) المصدر السابق نفسه، ص (١٥٣).

الجماعية ما سمى بالإجماع، وهو مصدر طارئ لم يكن له وجود فى عصر الرسالة، وقد صنف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة، وبما أنه لم يكن من الميسور دائمًا جمع الصحابة قصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة، فقد لجأ الصحابة لاستعمال الرأى بصورة فردية فى الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة فى آرائهم الفردية والجماعية، وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستوحوا الأحكام للحوادث التى لا نص فيها من روح النصوص ولم يقضوا مع ظواهرها، وقد استعملوا القياس منذ عهد الرسول ﷺ وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع يأتى بعد الإجماع فى المرتبة وإن كان سابقًا عليه فى الوجود[1] وهذه هى المصادر التى اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

١ – القرآن الكريم وهو العمدة والأساس، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه.

٢ – السنة وتطلق على ما جاء منقولاً عن النبى ﷺ بطرق صحيحة.

٣ – الإجماع ولابد أن يكون مستنداً إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

٤ – القياس.

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام يشرعون أحكامًا لحوادث بناء على المصلحة الواجب مراعاتها أو دفع المفسدة، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحًا مجاله يتسع لحاجات الناس ومصالحهم[2].

ثانيًا: ميزات القضاء فى العهد الراشدى:

إن القضاء في العهد الراشدى يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء فى العهد النبوى الذى يمثل الجذور والأساس، وجاء القضاء فى العهد الراشدى يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطى الصورة البراقة للقضاء الإسلامى من جهة ثانية، ويعتبر أنموذجًا ومثلاً وقدوة وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية، ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء فى العهد الراشدى، وهى:

---

(١) الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ضوابطه ومستقبله، ص (١٥٤).

(٢) المصدر نفسه، ص(١٥٩).

١ - كان القضاء فى العهد الراشدى امتداداً لصورة القضاء فى العهد النبوى، بالالتزام به، والتأسى بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والارتباط بالإيمان والعقيدة، والاعتماد على الوازع الدينى، والبساطة فى سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة، وتعدد الشعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة، وتوافر الشروط الكاملة فيهم.

٢ - يعتبر القضاء فى العهد الراشدى صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامى، ولذلك صار موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائى فى العهد الراشدى مصدراً للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية، والآراء الفقهية فى مختلف العصور، وهذا بالاتفاق ولو أدبياً، عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختلاف فى التدقيق والجزئيات والتفاصيل، ومن ذلك اختلاف الأئمة فى حجية قول الصحابى وعدم حجيته، كما هو مقرر فى علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع وسيأتى الحديث عن ذلك بإذن الله.

٣ - مارس الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصار، النظر فى المنازعات وتولى القضاء بجانب الولاية، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولى قضاء المظالم وقضاء الحسبة[١].

٤ - عين الخلفاء الراشدون فى أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خاصة، دون بقية السلطات، وظهر بشكل مبدئى - ولأول مرة - فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة فى المدن الكبرى التى تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاة، بينما يتولى الولاة فى بقية المدن والأمصار القضاء والولاية معاً وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

٥ - كان القضاة فى العهد الراشدى مجتهدين، فينظرون فى نصوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدى إليه اجتهادهم، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واستشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذى وصل إليه اجتهادهم.

---

(١) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥٨).

٦ – ظهرت مصادر جديدة للقضاء فى العهد الراشدى نتيجة للمنهج السابق الذى التزموه، وصارت الأحكام القضائية هى: القرآن والسنة الشريفة، والإجماع، والقياس، والسوابق القضائية، والرأى الاجتهادى، مع المشورة.

٧ – تم التنظيم الإدارى الدقيق للقضاء فى العهد الراشدى، وأرسل عمر وعلى – رضى الله عنهما– الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة، لتنظيم شئون القضاء، وبيان الدستور والمنهج، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاة، ومراقبتهم، وتبادل الرأى معهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجعتهم فى القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة، وكانت هذه الميزة فى أوجها فى عهد عمر، رضى الله عنه، وخفت قليلاً فى عهد عثمان، وضعفت فى عهد على لاضطراب الأمور، وكثرة الفتن، ونشوب الحروب الداخلية، وظهور بذرة الاستقلال الذاتى فى الشام وما يتبعه، مع تعدد السلطة.

٨ – كانت اختصاصات القاضى فى الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضى واسعة، وله الحرية الكاملة فى الإجراءات، ولكن ظهر فى هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعى والنوعى للقضاة، وتم تعيين قضاة للنظر فى القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة، وبقى معظم الخلفاء – غالبًا – يتولون النظر فى الجنايات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاة أيضًا، كما ظهر فى هذا العهد تعدد القضاة فى وقت واحد فى المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاض للعسكر لأول مرة.

٩ – تأكد فى هذا العهد ما كان فى العهد النبوى من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة وما صدر عن الرأى والاجتهاد، لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة(١).

١٠ – استحدث فى العهد الراشدى رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسعة على القضاء، وأقيمت دار للقضاء، وأنشىء السجن للحبس، كما ظهر – ولأول مرة – امتناع كبار الصحابة عن القضاء، كابن عمر الذى طلبه عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضَنَّة الذى طلبه عمر لتولي القضاء بمصر فأبى أن يقبل، وقيل قبله أياماً، ثم اعتزل(٢).

(١) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥٩).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٦٠).

١١ – كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدى بسيطة وسهلة وقليلة، بدءاً من سماع الدعوى، إلى إقامة البينة والإثبات والحجج، إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعًا واختياراً، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فوراً، ولكن ظهرت في العهد الراشدى أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب للقاضي في عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضي والوالي في عهد عثمان، وتطور التحقيق الجنائي في عهد سيدنا علي رضى الله عنه، وفرق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل[١].

ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أقر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، وكانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة آخرين[٢]، منهم:

١ – شريح بن الحارث الذى كان على قضاء الكوفة، وأقره علي عليها، وكان يرزقه كل شهر خمسمائة درهم[٣].

٢ – أبو موسى الأشعرى الذى ولاه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره علي، ثم عزله[٤].

٣ – عبيد الله بن مسعود، الوالي والقاضي باليمن.

٤ – عثمان بن حنيف على البصرة.

٥ – قيس بن سعد على مصر، وكان شهد فتح مصر، واختط بها داراً، ووليها لعلي ثم عزله بمحمد بن أبي بكر[٥].

٦ – عمارة بن شهاب على الكوفة.

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص (١٦٠).

(٢) تاريخ القضاء في صدر الإسلام، جبر محمود، ص (٢٣٩).

(٣) أخبار القضاة (٢/٢٢٧).

(٤) تاريخ القضاء في الإسلام، ص (١٤٩).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/٥٨٩).

٧ – قثم بن العباس على المدينة المنورة، سنة ٣٧ هـ على مكة والطائف[١].

٨ – جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليد بن قرة اليربوعي على خراسان[٢].

٩ – عبد الله بن عباس كان واليا لعلى على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلي على قضائها، وفى قول ولى عبد الله بن عباس على القضاء فى البصرة عبد الرحمن بن يزيد الحُدّانى، وكان أخا المهلب بن أبى صفرة لأمه، وبقى قاضيًا عليها أيام على بن أبى طالب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله[٣]، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتى الناس ويحكم بينهم[٤]، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو المفتى، والقاضى يومئذ يدعى المفتى، فلم يزل كذلك حتى قتل على سنة أربعين، ونقل عن أبى الأسود أقضية طريفة، لما خرج أمير المؤمنين على من المدينة إلى البصرة ولى عليها عبد الله بن عباس[٥].

١٠ – سعيد بن نمران الهمذانى الذى عينه على لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة فقضى ثلاث سنوات، ثم عين ابن الزبير عبد الله ابن عتبة بن مسعود[٦].

١١ – عبيدة السلمانى، محمد بن حمزة الذى عينه على على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذانى، وقال له: اقضوا كما كنتم تقضون، ثم عزله وعين شريحًا، وقال: الشعبى: كان شريح أعلم الناس بالقضاء، وكان عبيدة يوازى شريحًا فى القضاء، وله أقضية طريفة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشيره ويرجع إليه[٧].

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٧١).
(٢) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥١).
(٣) أخبار القضاة (١/ ٢٨٨، ٢٨٩).
(٤) أخبار القضاة (١/ ٢٨٨).
(٥) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥١).
(٦) أخبار القضاة (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧).
(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠)، أخبار القضاة (٢/ ٣٩٩، ٤٠١).

١٢ - محمد بن يزيد بن خليدة الشيبانى، عينه على قاضياً على الكوفة، وله أقضية فيها(١).

وقد كان قضاة على فى الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة لان ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها(٢)، وكان على رضى الله عنه يطلب من ولاته التحرى فى تعيين القضاة، مما يدل على أنه خول لهم تعيين القضاة فى البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاة - فى الغالب - هم قضاة الأمصار التى يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار فى عهد على، كما مر معنا، ويبدو أن ولاة الأمصار كان لهم الحق فى النظر فى المظالم التى يرفعها الناس ضد أحكام القضاء، وبالدرجة الأولى التى حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر فى المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم(٣)، إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة فى مثل هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم(٤).

رابعاً: الأسلوب القضائى عند أمير المؤمنين على، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء ومكانة ومجانية الحصول على الحكم:

١ - إبقاؤه على أسلوب القضاء:

يظهر أن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه كان ينوى إدخال بعض التعديلات فى أسلوب القضاء وأصول المحاكمات بما يتناسب مع التطورات الجديدة التى طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقر الأمور، فقد أثر عنه أنه رضى الله عنه قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإنى أخشى الاختلاف(٥).

---

(١) أخبار القضاة (١/٣٩٥).
(٢) قضاء أمير المؤمنين، عبد الله بن عثمان، ص (٢٩٠).
(٣) الأحكام السلطانية، ص (٧٧) للماوردى.
(٤) الولاية على البلدان (٢/٩٣).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١١/٣٢٩).

٢ - عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله:

وحرصًا على استقرار الأمور فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لا يحق للقاضى أن ينقض حكمًا أصدره قاض آخر، وقد كان هو - رضى الله عنه - كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبى ﷺ، فكثروا فى عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر، فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئًا فأبوه، فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولى على أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال على: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[١]، ولن أرد قضاء قضى به عمر[٢].

٣ - الأهلية للقضاء:

القضاء من الولايات العامة، ولذلك يشترط فى القاضى ما يشترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام، ويشترط فى القاضى أن يكون عفيفًا عما فى أيدى الناس، حليمًا لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التصرف النابى، عالمًا بأحكام الشريعة، وبناسخها ومنسوخها، فقد قال على بن أبى طالب لقاض: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[٣]، وإنما سأله على عن الناسخ والمنسوخ لأن معرفته ليس بالأمر السهل فى ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالمًا بما قضى به القضاة السابقون، حتى لا يخرج عن خطهم فى القضاء، حسمًا لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعًا لا يرى غضاضة فى استشارة ذوى العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ فى الأحكام، وأن يكون جريئًا فى الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به، ولو أغضب ذوى السلطان، وقد جمع ذلك كله قول على رضى الله عنه: لا ينبغى أن يكون القاضى قاضيًا حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوى الألباب، لا يخاف فى الله لومة لائم[٤].

٤ - مكان القضاء:

على القاضى أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصمين فى وسط المدينة بحيث لا يشق

---

(١) سنن البيهقى (١٠/ ١٢٠).

(٢) المغنى (٩/ ٥٧).

(٣) سنن البيهقى (١٠/ ١١٧).

(٤) المغنى (٩/ ٤٣).

على أحد الوصول إليه، ولذلك كان على رضى الله عنه يأمر شريحًا - القاضى - بالجلوس فى المسجد الأعظم(١)، ليبسر الوصول إليه(٢).

٥ - مجانية الحصول على الحكم:

لما كانت إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية، فإن الفقه الإسلامى يقضى بالا يقام أى حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضيين لا يدفعان للقاضى ولا للدولة شيئًا من المال للحصول على الحكم الذى يفصل الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هى التى تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة، وقد كان على رضى الله عنه يعطى شريحًا على القضاء رزقًا، وقد رزقه حين ولاه القضاء فى الكوفة كل شهر خمسمائة درهم(٣).

٦ - بذور المحاماة:

فى العهد الراشدى ظهرت بذور المحاماة، فكان على رضى الله عنه يوكل أخاه عقيلاً فى المخاصمة، ولما أسن عقيل، وكل عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عنه أمام القضاء، وكان يقول: ما قضى لوكيلى فلى، وما قضى على وكيلى فعلىَّ(٤).

خامسًا: ما يجب على القاضى:

لكى يحقق القاضى العدل فى الأحكام لابد له من مراعاة ما يلى:

١ - دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية: ولا يجوز له أن يتسرع فى إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال على لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلف، فإذا تكلمت فانت عبده، فانظر ما تقضى، وفيم تقضى؟ وكيف تقضى؟(٥).

---

(١) مسند زيد (٤/ ١٣٧)، موسوعة فقه على بن أبى طالب، ص (٥٠٦).

(٢) موسوعة فقه على بن ابى طالب، ص (٥٠٦).

(٣) المصدر نفسه، ص (٥٠٦).

(٤) أصول المحاكمات الشرعية، ص (٧٠)، تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٣٢).

(٥) كنز العمال (١٤٤٣٣).

٢ - المساواة بين الخصوم: فقد نزل على على ضيف، فكان عنده أيامًا، فأتى فى خصومة، فقال له على: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحل عنا، فإنا نهينا أن ننزل خصمًا إلا مع خصمه[١].

٣ - عدم الصياح بالمتخاصمين: ولى على بن أبى طالب رضى الله عنه أبا الأسود الدؤلى القضاء، ثم عزله، فقال: لم عزلتنى وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين[٢].

٤ - الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالاً، أو بغضًا أو... فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى على بن أبى طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضى لهذا على هذا؟ قال: فلمزه على وقال: هذا شيء لو كان لى لفعلت، ولكن إنما ذلك شيء لله[٣].

٥ - الشورى: وعلى القاضى أن يستشير ذوى العلم والرأى لئلا يفلت منه حق، وقد كان على رضى الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف فى أدب القاضى أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادع عليا، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفرا من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال لهما: تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهما بعد[٤].

---

(١) كنز العمال برقم ١٤٤٢٩، مصنف عبد الرزاق (٨/٣٠٠).

(٢) المغنى (٩/١٠٤).

(٣) فقه على بن أبى طالب، قلعجى، ص (٥٠٨).

(٤) شرح أدب القاضى للخصاف (١/٣٠٥) موسوعة على بن أبى طالب، ص (٥٠٨).

المبحث الثالث

من فقه أمير المؤمنين على بن أبى طالب

أولاً: فى العبادات:

لم يأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جهداً فى بيان أحكام العبادات للناس، لما يتمتع به من غزارة فى العلم وفقه فى الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر ضخم[1]، ولكن نشير إلى مجموعة من الأحكام فى هذا الكتاب على النحو التالى:

أحكام فى الطهارة:

١ - يغسل بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم[2]. والدليل على ذلك، لما بال الحسين بن على فى حجر النبى ﷺ قالت لبابة بنت الحارث: يا رسول الله، أعطنى ثوبك، والبس ثوبا غيره، فقال ﷺ: **إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى**[3].

٢ - نوم الجالس وحكمه فى نقض الوضوء:

أخرج عبد الرزاق فى مصنفه بسنده أن عليا، وابن مسعود، والشعبى قالوا فى الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء[4]، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ: «وكاء السَّه العينان، فمن نام فليتوضأ»[5].

٣ - غسل المذى والوضوء منه:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: كنت رجلاً مذاء فامرت رجلاً[6] أن يسأل النبى ﷺ - لمكان ابنته - فسأله، فقال ﷺ: **توضأ، واغسل ذكرك**[7].

---

(١) انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه على بن أبى طالب، محمد قلعجى، فقه الإمام على، أحمد طه.

(٢) صحيح سنن أبى داود للألبانى (١/ ٧٥) صحيح موقوف.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٨٥) حسن صحيح.

(٤) المصنف (١/ ١٣١).

(٥) صحيح سنن أبى داود للألبانى (١/ ٢٠٣).

(٦) الرجل هو المقداد كما فى رواية البخارى.

(٧) مسلم، ك الحيض (١/ ٢٤٧).

٤ - قراءة القرآن - من دون المصحف - على كل حال ما لم يكن جنباً:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبًا[١]، وعن عامر الشعبى قال: سمعت أبا الغريف الهمدانى يقول: شهدت على بن أبى طالب بال ثم قال: اقرءوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنباً، فإذا كان جنبًا فلا، ولا حرفًا واحدًا[٢].

٥ - وطء الحائض: سأل عمر رضى الله عنه عليا ما ترى فى رجل وقع على امرأته وهى حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا إنه يتوب[٣]، وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف[٤]، لقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٦ - مباشرة الحائض: فقد سئل على -رضى الله عنه-: مالك من امرأتك إذا كانت حائضًا؟ قال: ما فوق الإزار[٥]، ودليله فى ذلك عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول الله فتأتزر بإزار ثم يباشرها[٦].

أحكام فى الصلاة:

١ - لا يقرأ القرآن راكعًا أو ساجداً:

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: نهانى رسول الله عن قراءة القرآن وأنا راكع، أو ساجد[٧].

٢ - من لم يصل فهو كافر:

سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا أمير المؤمنين ما ترى فى امرأة لا تصلى؟ قال: من لم يصل فهو كافر[٨]، قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب

(١) مسند أحمد (٢/٥١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) مصنف عبد الرزاق (١/٣٣٦).
(٣) مصنف ابن ابى شيبة (١/٥٩).
(٤) بداية المجتهد (١/٥٧)، المجموع (٢/٣٥٩).
(٥) فقه الإمام على بن ابى طالب (١/١٥٥).
(٦) مسلم (١/١٦٦).
(٧) مسلم (١/٣٤٩).
(٨) مصنف ابن ابى شيبة (١١/٤٧)، كنز العمال (٨/١٣).

رسول الله ﷺ يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، ولأنها عبادة يدخل بها في الإسلام، فيخرج بتركها منه كالشهادة[١]، ويؤيد هذا الحكم، قول رسول الله ﷺ : **«إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة[٢]»**. قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكراً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها - كما هو حال كثير من الناس - فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي (رحمهما الله) والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر، بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً، كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل (رحمه الله)، وبه قال عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي[٣].

٣ - **إعادة الصلاة في الوقت**: إذا أعاد المصلي صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة فإن[٤] الأولى فرضه والمعادة نافلة عند علي، نقل ذلك عن ابن قدامة، وعن الحارث عن علي في الذي يصلي وحده، ثم يصلي في الجماعة، قال: صلاته الأولى[٥]، أي الثانية نافلة له، ودليله ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله ﷺ : **«كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة[٦]»**، وجه الدلالة أنه سمى التي يصليها جماعة نافلة[٧]، وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علي، فعن الحارث عن علي إذا أعاد المغرب شفع بركعة[٨].

---

(١) المغني (٢/٤٤).
(٢) مسلم، ك الإيمان (١/٨٨).
(٣) شرح صحيح مسلم (٢/٧٠)، المغني (٢/٤٤٢ - ٤٤٧).
(٤) المغني (٢/١١٣).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٧٦)، كنز العمال (٢٢٨٣٣).
(٦) مسلم، ك المساجد رقم (٢٤٠).
(٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/١٧٧).
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٧٦).

٤ - قضاء الفوائت: من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها، ويستحب أن يقضيها على الفور عند علي، وقد قال علي: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسي فليصلِّ إذا استيقظ أو ذكر[١]، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف[٢]، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: **«إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله يقول: أقم الصلاة لذكرى[٣]»**.

٥ - صلاة التراويح: عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عليا قام بهم في رمضان[٤]، وعن إسماعيل بن زياد قال: مر علي على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان فقال: نور الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا[٥]، وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة[٦]، والحجة في ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»**[٧]، وجه الدلالة أن التراويح من القيام فهو سنة[٨]، والجماعة في التراويح أفضل عند علي وكان هو يصليها جماعة[٩]، ويجعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا، فعن عرفجة الثقفي قال: كان علي ابن أبي طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا، قال عرفجة: فكنت أنا إمام النساء[١٠]، وصلاة التراويح لها دليل في أصلها من هدى النبي ﷺ، فعن عروة بن الزبير أن عائشة -رضي الله عنها- أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله فصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٦٤).

(٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/١٨١).

(٣) مسلم، ك المساجد ومواضع الصلاة (١/٤٧٧) رقم (٦٨٤).

(٤) المغني (٢/١٦٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٢/٣٩٥).

(٥) المغني (٢/١٦٩).

(٦) بداية المجتهد (١/٢١٤)، المغني (٢/١٦٥).

(٧) مسلم رقم (٧٥٩).

(٨) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٢٨٥).

(٩) المغني (٢/١٦٨).

(١٠) المجموع (٤/٣٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٢٢).

خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهّد ثم قال: «**أما بعد فإنه لم يخف على مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها**»، فتوفى رسول الله والأمر على ذلك[(١)].

٦ - **صلاة العيد في المسجد بالشيوخ والضعفاء**: لما تولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب الخلافة وصار بالكوفة، وكان الخلق بها كثيراً، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بالمدينة شيوخًا وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء، فاستخلف على بن أبى طالب رجلاً يصلى بالناس العيد في المسجد، وهو يصلى بالناس خارج الصحراء، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك، وعلى من الخلفاء الراشدين، وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[(٢)]، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله[(٣)].

٧ - **تغسيل الرجل زوجته**: يجوز للرجل أن يغسل زوجته عند على إذ إنه غسل زوجته فاطمة رضى الله عنهما[(٤)]، وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت ألا يغسلها إلا أنا وعلى، قالت: فغسلتها أنا وعلى[(٥)]، وحكى إجماع الصحابة على ذلك لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه[(٦)]، وبه قال جمهور العلماء والحجة لهم لقول رسول الله ﷺ لعائشة: «**ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك**[(٧)]».

٨ - **الكفن من مال الميت**: يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند على[(٨)]، فعن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن على رضى الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال[(٩)]، والحجة في ذلك أن مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم

---

(١) البخاري رقم (٢٠١٢).
(٢) سنن الترمذي في العلم (٢٦٧٦) حسن صحيح.
(٣) الفتاوى (١١٣/٢٤).
(٤) السيل الجرار (٣٤٤/١) المبسوط (٧١/٢).
(٥) مصنف عبد الرزاق (٤١٠/٣)، المحلى (١٧٥/٥).
(٦) المغنى (٢٥٢/٢)، نيل الأوطار (٥٨/٤).
(٧) سنن ابن ماجه رقم (١٤٦٤) إسناده صحيح.
(٨) فقه الإمام على بن أبى طالب (٣٠٥/١).
(٩) الطبراني الأوسط (٦٧/٤) إسناده ضعيف.

يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: **«ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر[1]»**، وجه الدلالة، أنه لو كان واجبًا على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه[2].

٩ - كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه: يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب عند علي، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره[3]، ويكره المغالاة في الكفن وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند علي[4]، فقد قال أمير المؤمنين علي: كفن المرأة خمسة أثواب وكفن الرجل ثلاثة، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[5].

١٠ - غسل الشهيد وكفنه:

لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند علي، فقد نقل ذلك عنه الكاساني وغيره[6]، وروى عنه أنه لم يغسل من قتل معه في قتال مع مخالفيه ولم يأمر بتكفينهم، بل دفن عمارًا ولم يغسله[7]، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد بن المسيب لقولهما أن الميت يجنب[8].

أحكام متعلقة بالزكاة:

١ - لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول:

بين أمير المؤمنين علي أن حولان الحول شرط في وجوب الزكاة، لما ورد عنه رضي الله عنه قال: ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول[9]، والحول شرط لوجوب الزكاة في

---

(١) مسلم (٢/٦٤٩) رقم ٩٤٠.
(٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٦).
(٣) البدائع (٢/٧٦٦)، المبسوط (٢/٧٢).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٧).
(٥) البدائع (٢/٧٦٦)، المبسوط (٢/٧٢).
(٦) البدائع (٢/٢٨٧)، فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٦).
(٧) المغني (٢/٥٣٤)، فقه الإمام علي (١/٣٠٦).
(٨) البدائع (٢/٨٠٦)، المغني (٢/٥٢٩).
(٩) مسند أحمد (٢/٢١١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

النقود والمواشى، وأموال التجارة، وليس بشرط فى الزرع، وذلك إجماع لا خلاف فيه(١).

٢ - نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما:

بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد فيحسبه، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين ديناراً شىء، وفى عشرين نصف دينار، وفى أربعين دينار، فما زاد بالحساب(٢)، وقال عن نصاب الفضة: ليس فى أقل من مائتى درهم زكاة(٣)، وقال: فإذا بلغ مائتى درهم ففيه خمسة دراهم، وأن نقص من المائتين فليس فيه شىء، وإن زاد على المائتين فبحساب(٤).

٣ - نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها:

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: فى خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه(٥)، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة «طرقة الفحل» إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل ففى كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع(٦).

٤ - الأصناف التى تجب فيها الزكاة من الزروع:

الأصناف التى تجب فيها الزكاة عند على هى الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره(٧)، وقد قال على: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشعير(٨).

(١) موسوعة فقه الإمام على، قلعجى، ص (٢٩٥).
(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٣/١١٩).
(٣) المصدر نفسه (٣/١١٧).
(٤) المحلى (٦/٦١، ٥٩)، المجموع (٦/١٦).
(٥) عند ابن قدامة فى المغنى (٢/٥٧٩) من ٢٠ إلى ٣٥ فيها بنت مخاض.
(٦) مصنف ابن أبى شيبة (٣/١٢٢).
(٧) المحلى (٥/٢١٢)، فقه الإمام على (١/٣٤٦).
(٨) مصنف ابن أبى شيبة (٣/٤٣٨).

٥ - عدم الزكاة في الخضراوات والفواكه والعسل:

قال أمير المؤمنين علي: ليس في الخضر صدقة(١)، وفي رواية ليس في الخضر والبقول صدقة(٢)، وهو قول جمهور العلماء(٣)، ولا زكاة في الفواكه عند علي، فعن أبي إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبه صدقة(٤)، وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: ليس في الخضر صدقة؛ البقل والتفاح والقثاء(٥)، وهو قول كل ما قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربعة، والحجة لهم لدخولها تحت حكم الخضراوات لاشتراكها معها في عدم البقاء والادخار(٦) وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند علي حيث قال: ليس في العسل زكاة(٧).

٦ - صرف الزكاة لصنف واحد:

يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، أو لشخص واحد يغنون بها عند علي، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة في صنف واحد(٨)، وروى عنه أنه أتى بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد(٩).

٧ - إعطاء الزكاة للأصول والفروع:

قال أمير المؤمنين علي: ليس لولد ولا لوالد حق في صدقة مفروضة، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق(١٠)، وحكى إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالفه على صدقة التطوع والحجة لهم لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٧١٨٨)، جمع الجوامع (٢/١٥٧).

(٣) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (١/٣٤٧).

(٤) فقه الإمام علي (١/٣٤٧).

(٤) جمع الجوامع (٢/٩٥)، فقه الإمام علي (١/٣٤٨).

(٥) مصنف عبد الرزاق ٧١٨٨، فقه الإمام علي (١/٣٤٨).

(٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٤٥).

(٧) جمع الجوامع (٢/١٥٧)، فقه الإمام علي (١/٣٤٥).

(٨) فقه الإمام علي (١/٣٥٢) نقلاً عن سنن البيهقي.

(٩) البدائع (٢٠/١٠٤) فقه الإمام علي (١/٣٥٢).

(١٠) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (١/٣٥٥).

والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الآخر كالصلاة والصوم، وإن الزكاة حق لله تعالى فهي عبادة، وأما النفقة فهي حق العباد، وهي صلة القرابة(١).

أحكام متعلقة بالصيام:

١ - ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل:

يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلاً شهد عند على بن أبى طالب (رضى الله عنه) على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال: وأمر الناس بالصيام.(٢) وهذا الحكم مبنى على ما ثبت عن رسول الله ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً**(٣)»، قال النووى: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفى جميع الناس رؤية عدلين، وكذا عدل على الأصح، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوزه بعدل(٤).

٢ - صيام الجنب:

يجوز أن يصوم الجنب أى يؤخر الغسل حتى يصبح، ثم يغتسل ويتم صومه عند على، نقل ذلك عنه ابن قدامة وعن الحارث عن على قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء(٥)، والدليل على ذلك ما ورد عن عائشة وأم سلمة: أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم(٦).

٣ - الإفطار للشيخ الكبير:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى تفسيره قول الله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: الشيخ الكبير الذى لا يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً(٧).

---

(١) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/٣٥٥).
(٢) المجموع (٦/٣١٥)، المغنى (٣/٩٠)، موسوعة فقه الإمام على، ص (٤٢٠).
(٣) مسلم (٢/٧٥٩).
(٤) شرح صحيح مسلم (٧/١٩٠).
(٥) مصنف ابن أبى شيبة (٣/٨١)، المغنى (١/١٣٧).
(٦) البخارى (٢/٢٣٢).
(٧) تفسير الطبرى (٢/٨١).

٤ - مكان الاعتكاف :

عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال : لا اعتكاف إلا فى مسجد جماعة[١]، وفى لفظ : لا اعتكاف فى مصر جامع[٢]، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا فى مسجد المصر الجامع الذى تقام فيه الجمعة[٣].

٥ - ما يجوز للمعتكف :

قال على : إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة وليعد المريض وليشهد الجنازة وليأتى أهله وليأمرهم بالحاجة وهو قائم[٤].

من أحكام الحج :

١ - تقبيل المحرم امرأته :

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب : من قبل امرأته وهو محرم فليهرق دما[٥].

٢ - قتل المحرم للحيوان الصائل :

عن مجاهد عن على فى الضبع إذا عدا على المحرم فليقتله، فإن قتله قبل أن يعدو عليه فعليه شاة[٦]، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ [البقرة : ١٧٣]، لأنه إن لم يقتله قتله فيتحقق منه الاضطرار، ثم إنه انقلب بذلك حيوانًا شريرًا فليخف بالمؤذيات التى يجوز قتلها[٧].

٣ - قتل الغراب :

يجوز للمحرم قتل الغراب عند على، فقد قال : يقتل المحرم الغراب[٨]، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ : **خمس فواسق يقتلن فى الحرم، الفأرة، والعقرب، والغراب، والحديا والكلب العقور**[٩].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٨٠٠٩).

(٢) مصنف ابن ابى شيبة (٣/ ٩١).

(٣) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٣٨٦).

(٤) مصنف ابن ابى شيبة (٣/ ٨٧)، جمع الجوامع (٢/ ١٤٠).

(٥) فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعى الهامش المجموع (٧/ ٤٨٠).

(٦) مصنف ابن ابى شيبة (٤/ ٦).

(٧) فقه الإمام على بن أبى طالب (١/ ٤٠٣).

(٨) مصنف ابن ابى شيبة (٤/ ٩٤).

(٩) سنن الترمذى (١/ ١٦٦) حسن صحيح.

٤ - الشك في الطواف:

قال أمير المؤمنين: إذا طفت في البيت فلم تدر أتممت أو لم تتم، فأت ما شككت فإن الله لا يعذب على الزيادة[١].

٥ - النسيان في الطواف:

إذا نسي الرجل فطاف أشواطًا زائدة على المسنون يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند علي، قال علي في الرجل ينسى فيطوف ثمانية فليزد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر يصلي أربع ركعات[٢].

٦ - النيابة للحج:

من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[٣]، فقد قال في الشيخ الكبير، أنه يجهز رجلاً بنفقته فيحج عنه[٤]، ودليل ذلك ما روى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله ﷺ إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، فقال النبي ﷺ: «**فحجي عنه**[٥]»، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند علي ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن فيكفي أن يستطيع بغيره إذا وجد سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما[٦].

٧ - الشك في عدد الرميات:

إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند علي، فعن أبي مجلز أن رجلاً سأل ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدر رميت ستًا أو سبعًا، قال: أنت وذاك الرجل يريد عليا، فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتي لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال: صدق، أو أحسن، قال الشيخ: وكأنه أراد والله أعلم لأعدت المشكوك في فعله، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميه[٧].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤/٩٦).
(٢) مصنف عبد الرزاق رقم ٩٨١٤.
(٣) المحلى (٧/٦١)، المغني (٣٠/٢٢٨).
(٤) المحلى (٧/٦١).
(٥) مسلم (٢/٩٧٤) رقم (١٣٣٥).
(٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٤٢٠).
(٧) سنن البيهقي (٥/١٤٩) نقلاً عن فقه الإمام علي (١/٤١٨).

- **بعض الأحكام ألحقت بالعبادات:**

١ - إدراك الميتة قبل موتها:

إذا أدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند علي[١]، فقد قال: إذا وجدت الموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أصاب السبع فوجدت تحريك يد أو رجل فذكها وكُل[٢]، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ** ﴾ [المائدة: ٣] ووجه الدلالة: أن قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ** ﴾ استثناء مما سبقه، أي إلا ما أدركتم ذكاته فيحل أكله[٣].

٢ - ذبائح نصارى العرب:

لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصارى عند علي، نقل ذلك عن الطبري وغيره[٤]، وعن عبيدة السلماني قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر[٥]، وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر[٦]، وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حللوا وتحريم ما حرموا فلا يعدون منهم، ولكن الله تعالى حين أحل ذبائحهم أحل في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء في عقيدتها، أو في أحكامها، فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء[٧].

---

(١) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٤٥٦).

(٢) المحلى (٧/٤٥٨).

(٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٤٥٦).

(٤) تفسير الطبري (٦/٥٦)، تفسير القرطبي (٦/٧٨).

(٥) مصنف عبد الرزاق (١٠٠٣٥)، تفسير الطبري (٦/٦٥).

(٦) مصنف عبد الرزاق (١٠٠٣٤)، كنز العمال (١٥٦٥١).

(٧) تفسير الطبري (٥/٦٥)، بداية المجتهد (١/٤٦٥).

٣ - ذبيحة الفخر :

يحرم أكل ما ذبح فخراً عند علي رضي الله عنه، فعن الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له ابن وشيل - وهو سحيم - قال: وكان شاعراً نافراً غالبه أبو فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبهما، فخرج الناس على الحمرات[١] يريدون اللحم، وعلي بالكوفة، فخرج علي بغلة رسول الله ﷺ، وهو ينادي أيها الناس: لا تأكلوا من لحومها فإنه أهل بها لغير الله. قال ابن حزم: إن رسول الله قال: «**لعن الله من ذبح لغير الله**[٢]»، وجه الدلالة أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله، فيشمله الحديث[٣].

٤ - نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة :

البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علي لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا، نقل ذلك عنه ابن قدامة[٤].

٥ - طعام المشركين والمجوس غير الذبائح :

لا بأس بأكل طعام المجوس والمشركين إذا لم يكن فيها من ذبائحهم، لأن التحريم خاص بالذبائح، فقد قال أمير المؤمنين علي: لا بأس بطعام المجوس إنما نهى عن ذبائحهم[٥]، وفي رواية: لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهى عن ذبائحهم،[٦] وهو قول جمهور الفقهاء[٧].

٦ - ترك الشيب أبيض :

يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره[٨]، وعن الشعبي قال: رأيت علياً أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين

---

(١) فقه الإمام علي (١/ ٤٦٧).
(٢) مسلم، ك الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله (٣/ ١٥٦٧):
(٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٦٨).
(٤) المغني (١/ ٧٥)، المجموع (١/ ٢٤٥).
(٥) كنز العمال ٢٥٧٦، فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٧٦).
(٦) المغني (٤/ ٢٩٦).
(٧) فقه الإمام علي (١/ ٤٧٧).
(٨) المنتقى (٧/ ٢٧٠)، فقه الإمام علي (١/ ٤٩٥).

منكبيه[1] وعن أبي إسحاق: رأيت عليا أصلع أبيض الرأس واللحية[2]، وعن ابن الحنفية أن عليا اختضب الحناء مرة ثم ترك[3].

٧ - اللعب بالنرد والشطرنج:

لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علي حيث قال: لأن أقلب جمرتين أحب إليَّ من أن أقلب كعبين[4] وكان لا يسلم على أصحاب النرد شير[5]، ودليل تحريمه قول رسول الله ﷺ: «من لعب النردشير فكأنه صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»[6] والشطرنج محرم عند علي أيضاً نقله عنه ابن قدامة[7] وكان يقول في الشطرنج: هو ميسر الأعاجم[8]، وفي رواية هو من الميسر[9]، وعن ميسرة بن حبيب قال: مر علي بن أبي طالب على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، لأن يمس جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها[10]، وعن عمار بن أبي عمار قال: مر علي بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم[11]. والحجة في هذا التحريم بين المتلاعبين وهو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقاس عليه[12].

٨ - نكاح المتعة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث[13]. وحجة علي ما رواه عن النبي ﷺ بأنه نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر[14].

---

(١) فقه الإمام علي (١/٤٩٥).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٩/٤٢٧).
(٣) المصدر نفسه (٩/٤٢٧).
(٤) المصدر نفسه (٨/٧٣٨).
(٥) إعلاء السنن للتهانوي (١٧/٤٦٤).
(٦) مسلم (٤/١٧٧٠) رقم (٢٢٦٠).
(٧) المغني (١٠/٢١٢).
(٨، ٩) إعلاء السنن للتهانوي (١٧/٤٦٤)، فقه الإمام علي (١/٥٠١).
(١٠) المغني (٩/١٧).
(١١) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (١/٥٠٢).
(١٢) فقه الإمام علي (١/٥٠٢).
(١٣) المصدر نفسه (٢/٥٠٩).
(١٤) مسلم، ك النكاح (٢/١٠٢٧) رقم (١٤٠٧).

٩ - النكاح بدون ولى:

عن أبى قيس الأودى أن عليا كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولى ثم دخل بها لم يفرق بينهما وإن لم يصبها فُرق بينهما[١].

١٠ - العيوب الجسدية فى المرأة:

إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيبًا يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين على: إنه إذا دخل بها وجب المهر وخُير بين الطلاق والإمساك، وإن لم يدخل بها فُرق بينهما بدون مهر[٢].

١١ - نكاح الخصى:

قال أمير المؤمنين على: لا يحل للخصى أن يتزوج، فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فرق بينهما عند على، فقد قال: لا يحل للخصى أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة[٣]، ودليل ذلك أن الخصاء من العيوب المنفرة التى يصعب معه الجماع أو ينعدم، فقيس على غيره من العيوب التى جاز بها التفريق[٤].

١٢ - من تزوج أختين جهلاً بأنهما أختان:

من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فظهر أنهما أختان يفارق التى تأخر زواجها عند على، فعن ابن جريج قال: أخبرت عن على أنه قال فى رجل تزوج امرأة فأصابها ثم انطلق إلى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هى أختها فقضى أنه يفارق الآخرة ويراجع الأولى، غير أنه لا يراجع الأولى حتى تقضى هذه عدتها[٥]، وهو قول جمهور فقهاء المذاهب[٦]، والحجة لهم: أن نكاح الأول وقع صحيحًا دون الثانية، فإنه باطل لا ينعقد[٧].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٦/١٩٦).

(٢) كنز العمال (٤٥٦٦٤)، مصنف عبد الرزاق (١٠٦٧٧)، فقه الإمام على (٢/٥٣٥).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠٧١٩).

(٤) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/٥٣٦).

(٥) مصنف عبد الرزاق (١٠٥١٧).

(٦) المدونة (٢/٢٨٠)، المغنى (٦/٢٥٨١).

(٧) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/٥٦٢).

١٣ - تحريم وطء الزوجة في دبرها:

وطء الزوجة في دبرها حرام عند علي، نقل ذلك عنه ابن قدامة[١] فعن أبي المعتمر قال: نادى علي على المنبر فقال: سلوني، فقال رجل: أتؤتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك، ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨]، وروى ذلك عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد والمالكية والظاهرية[٢]، ودليل التحريم، قول رسول الله ﷺ: «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**»[٣]، وجه الدلالة: أن النهي عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم[٤].

١٤ - عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

إذا كانت المرأة حاملاً وتوفى زوجها فوضعت قبل أن تنقضي عدتها فعند علي أنها تعتد أبعد الأجلين، أي عدة الحمل، إذا لم تضع قبل عدة المتوفى عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشراً، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره[٥]، وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شهدت عليا سأله رجل عن امرأة توفى عنها زوجها وهي حامل قال: تتربص أبعد الأجلين[٦]، وعن الشعبي كان يقول: أجل كل حامل آخر الأجلين[٧]، وقد جمع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بين قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، إذ بينهما عموم وخصوص فلا يترجح العمل بأحدهما دون الآخر، فيعمل بالاثنين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من التعارض[٨].

---

(١) المغني (٧/٢٢).
(٢) المغني (٧/٢٢)، المحلى (٧/٦٩)، تفسير القرطبي (٣/٩٣).
(٣) سنن أبي داود (٢/٢٥٦)، الجامع الصغير (٢/٥٣٩).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/٥٦٨).
(٥) بداية المجتهد (٢/٩٥)، نيل الوطار (٨/٧٧).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٤/٣٠٠).
(٧) المصدر نفسه (٤/٢٩٨).
(٨) سبل السلام (٣/١٩٨).

والراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدراً، فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تحملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال لها: مالى أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزوج إن بدا لى[١]، وهذا قول جمهور علماء المسلمين. وقيل: حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث[٢]، وقال الشعبى: ما أصدق أن على بن أبى طالب كان يقول عدة المتوفى عنها زوجها آخر الأجلين[٣]، ولعل عليا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف على الصحيح الثابت عن النبى ﷺ[٤].

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

١ - جوائز السلطان:

قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: لا بأس بجوائز السلطان ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام[٥]، وقال أيضًا: لا تسأل السلطان شيئًا، فإن أعطاك فخذ فإن ما فى بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[٦].

٢ - الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق:

من نصر شخصًا فى حق أو دفع عنه ظلمًا لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند على، نقل ذلك عنه ابن حزم[٧].

---

(١) البخارى رقم (٥٣١٨)، مسلم (١٤٨٤).
(٢) المغنى (٧/٤٧٣)، فقه الإمام على (٢/٧١٦).
(٣) سبل السلام (٣/١٩٨).
(٤) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/٦١٧).
(٥) المغنى (٦/٤٤٤)، فقه الإمام على (٢/٧١٦).
(٦) المغنى (٦/٤٤٤).
(٧) المحلى (٩/١٢٩).

٣ - عدم ضمان العارية:

لا يضمن المستعير العارية إذا تلفت بدون تعدى عند على،[١] فقد قال على: ليست العارية مضمونة إنما هو معروف إلا أن يخالف فيضمن[٢].

٤ - عدم ضمان الوديعة:

الوديعة أمانة بيد المودع عنده، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند على، فقد قال رضى الله عنه: لا يضمن صاحب العارية ولا الوديعة[٣].

٥ - بيع الغنيمة للكفار:

لا يجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار فى الحرب إلى الكفار أنفسهم عند على رضى الله، فعن أم موسى قالت: أتى على بن أبى طالب بآنية مخصوصة بالذهب من آنية العجم فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين، فقال ناس من الدهاقين: إن كسرت هذه كسرت ثمنها، ونحن نغلى لك بها، فقال على: لم أكن لأرد لكم ملكًا نزعه الله منكم فكسرها وقسمها بين الناس[٤]، وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم أو تعود بالنفع عليهم.

٦- تضمين الصناع:

وذلك حفاظا لأموال الناس من الضياع، قال الشاطبى: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع. قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: لا يصلح الناس إلا ذاك[٥]، وفى هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع[٦]، وفى مصنف عبدالرزاق أن عليا رضى الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطا للناس[٧].

---

(١) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٧٢١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٤٧٨٨).

(٣) المصدر نفسه (١٤٧٨٦).

(٤) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٧٥٢).

(٥) الاعتصام (٢/ ١٩).

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (٦٠٢).

(٧) مصنف عبدالرزاق (٨/ ٢١٧)، موسوعة على بن أبى طالب، ص (٢٢).

٧- عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم:

قال أمير المؤمنين علي: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا وسألونا أن يكونوا أهل ذمة قبلنا منهم الجزية[١]، وعن علي أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا[٢]، وكان رضي الله عنه يستعمل الرفق في طريقة أخذها واليسر في مقدارها، فعن عبدالملك بن عمير قال: أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب، فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دية يعملون عليها، ولا تقم رجلا قائمًا في طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذًا أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل[٣].

ثانيا: في الحدود:

١- عقوبة المرتد:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثا، فإن عاد وإلا قتل.[٤] وحجة قتله: ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٥]، وأما دليل استتابته فما روي عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ استتاب رجلا ارتد عن الإسلام أربع مرات[٦]، وروي عن علي في استتابة الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولان هما:

أ- لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك[٧].

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٧٥٦).

(٢) المغني (٨/ ٣٧٥)، فقه الإمام علي (٢/ ٧٥٦).

(٣) كنز العمال ١٤٣٤٦، المغني (٨/ ٥٣٧).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٨).

(٥) البخاري رقم (٣٠١٧).

(٦) مجمع الزوائد (٦/ ٢٦٢) فيه ضعف.

(٧) المغني (٨/ ١٢٦)، موسوعة فقه علي بن أبي طالب، ص (٢٧٣).

فقد روى عبدالرزاق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي عن مسلمين تزندقا فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما[١].

ب- يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى علي (رضي الله عنه)، أنه أتي برجل عربي قد تنصر، فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله، وأتي برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام، فقتلهم ولم يستتبهم قال: أتدرون لم استتبت النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا، وقد قامت عليهم البينة[٢].

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن علي قولان:

أ- لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القتل، وقد روى هذا القول أيضا عن أبي بكر (رضي الله عنه)، وقال به الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق[٣].

ب- المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قال به الحسن وقتادة، لأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى عليا منهم امرأة فولدت محمد بن الحنفية، وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر، فكان إجماعا[٤]، كما أن قصة بعث علي إلى بني ناجية دليل على هذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها لاحقا وفيها: وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم[٥].

وقد قتل أمير المؤمنين على المرتدين بطرق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالي:

أ- ضرب العنق بالسيف، كما في جواب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا؟ فقال: فأما اللذان تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما[٦].

---

(١) المصنف (٧/ ٣٤٢) (١٠/ ١٧٠).

(٢) المغني (٨/ ١٤١)، موسوعة فقه علي بن أبي طالب، ص (٢٧٣).

(٣) المغني (٨/١٢٣).

(٤) المغني (٨/ ١٢٣)، فتح الباري (١٢/ ٢٦٨).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٤٤).

(٦) مصنف عبدالرزاق (٨/ ٣٩٥).

ب- الضرب حتى الموت، ففي مصنف ابن أبي شيبة أن عليا أتي برجل نصراني أسلم ثم تنصر، فسأله عن كلمة فقال له، فقام إليه عليٌّ فرفسه برجله، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه[1].

جـ- الإحراق بعد القتل، كما في قصة المستورد العجلي حيث أسلم ثم ارتد، فإن عليا رضى الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل عليا رضى الله عنه أحرقه لما خاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض على تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له[2].

د- القتل بالإحراق، كما في قصة على (رضى الله عنه)، مع السبئية كما سبق بيانه[3].

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين، ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تنفيذ أحكام الله فى أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدون وهذا تنفيذ لقول رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة[4]»**، وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك - يعنى المرتد - لكان الداخل فى الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين، والدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه[5].

٢- حد الزنا:

أ- قصة رجم:

قال الشعبي: كان لشراحة زوج غائب بالشام، وإنها حملت، فجاء بها مولاها إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة، وحفر لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم

---

(١) المحلى لابن حزم (١١/ ١٩٠).

(٢) موسوعة فقه على بن أبى طالب، ص (٢٧٥).

(٣) منهج على بن أبى طالب، ص (٢٧٥).

(٤) البخارى رقم (٦٨٧٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٢).

قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله ﷺ، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمى الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها اقرت، فانا أول من يرميها، فرماها بحجر، ثم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فيمن قتلها، وفي لفظ لأحمد والبخارى أن عليا قال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ[1]، وهذا الحكم القضائى اجتهاد لعلى، وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم[2]، وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها أو قال بها، فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجل إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضا ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزانى الإمام، إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهداء على الزنا أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه، ثم الإمام ثم الناس، ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال: انصرفوا، وكذلك صفاً صفاً حتى قتلوها[3].

ب- تأجيل رجم الحامل:

المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنا لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند على[4]، فعنه رضى الله عنه قال: إن خادما للنبى ﷺ فجرت، فأمرنى أن أقيم عليها الحد، فوجدتها لم تجف من دمها، فأتيته فذكرت له، فقال: «**إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم**[5]»، وقد قام بهذا الحكم فى خلافته.

جـ- المستكرهة على الزنا:

لا حد على المستكرهة على الزنا عند على ولها مهر المثل بذلك[6]، فقد قال: «فى البكر تستكره نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نسائها وللثيب مثل صداق[7] مثلها».

---

(١) البخارى، ك الحدود (٤/ ٢٥٣).

(٢) تاريخ القضاء فى الإسلام، ص (١٥٢).

(٣) مصنف عبدالرزاق ١٣٣٣٥، فقه الإمام على (٢/ ٧٨٢).

(٤) فقه الإمام على (٢/ ٧٨٣).

(٥) مسند الإمام احمد رقم (١١٣٧) صحيح لغيره.

(٦) فقه الإمام على (٢/ ٧٨٦).

(٧) مصنف عبدالرزاق (١٣٦٠٧).

د- زنا المضطرة:

إذا اضطرت امرأة على الزنا لإنقاذ حياتها من الموت فلم يدفع إلا بها سقط عنها الحد عند علي[1]، فقد جاء في رواية: أن امرأة أتت عمر فقال: إني زنيت فارجمني فردها حتى شهدت أربع شهادات فأمر برجمها، فقال علي :يا أمير المؤمنين، ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذرا؟ فردها فقال: ما زناك؟ قالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط[2]، فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن، وحمل خليطنا ماء وكان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيت فأبى أن يسقيني، حتى أمكنه من نفسي، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته، فقال علي: الله أكبر، فمن اضطر غير باغ ولا عاد، أرى لها عذرا[3]، وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئا وتركها[4]، وقد ذكر الفقهاء، هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنا فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه[5]، ولكن الإكراه غير الاضطرار لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختيارا، أما الإكراه فلا إقدام فيه وإنما يساق إلى الفعل جبرا، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلا عن الإضرار كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقد استدل علي رضي الله عنه بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر، فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[6].

هـ- درء الحدود بالشبهات:

تدرأ الحدود بالشبهات عند علي، فعن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى فالحد معطل[7]، وعن علي أن امرأة أتته فقالت:

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٨).

(٢) خليط: الشريك الذي يخلط ماله بمال غيره.

(٣) كنز العمال ١٣٥٩٦، مغني المحتاج (٤/ ١٤٥).

(٤) المغني (٨/ ١٨٧).

(٥) إعلاء السنن (١١/ ٦٧١)، المغني (٨/ ١٨٧).

(٦) فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٩).

(٧) مصنف عبدالرزاق ١٣٧٢٧، المغني (٨/ ٢١١).

إني زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة ،قال: لعلك غصبت على نفسك، قالت :ما غصبت، فحبسها فلما ولت وشب ابنها جلدها[1]، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

و- زنا النصرانية:

إذا زنت النصرانية فلا تحد بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند علي[2]، فعن قابوس ابن مخارق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي يسأله عن مسلم زنى بنصرانية، فكتب إليه علي: أما المسلم فاقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها[3]، إن حد الزنا أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم، وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب مَنْ أقيم عليه عند علي:

فعن أبي ليلى عن رجل من هذيل قال وعداده من قريش سمعت عليا يقول: من عمل سوءاً فاقيم عليه الحد فهو كفارة[4]، وفي رواية عنه أيضًا: كنت مع علي حين رجم شراحة فقلت: لقد ماتت هذه على شر حالها، فضربني بقضيب، أو بسوط كان في يده حتى أوجعني فقلت: لقد أوجعتني قال: وإن أوجعتك، قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبداً كالدين[5]، ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله ﷺ، في مجلس فقال: **«ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه[6]»**.

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله منها: انتهاكه ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٧٦١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٩٩).

(٣) مصنف عبدالرزاق (١٣٤١٩).

(٤) المصدر نفسه (١٣٣٥٥).

(٥) المصدر نفسه (١٣٣٥٣).

(٦) مسلم. ك الحدود، رقم (٧٠٩) (٣/ ١٣٣٣).

والتقاتل والفساد، واختلاط الأنساب، وقطع النسل، لأن الزانى ليس له قصد فى الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة، فلو لم تحفظ الفرج لعزف الناس عن النكاح، وانتشار الفساد الخلقي وظهور جريمة الزنا، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن، ولو لم يرد في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، لكان كافيا(١)، لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات للازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

٣- حد الخمر:

أ- شرب الخمر في رمضان:

عن عطاء عن أبيه أن عليا ضرب النجاشي الحارثي الشاعر، شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجراتك على الله تعالى، وإفطارك فى رمضان(٢).

ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر:

عن علي، قال: ما من رجل أقمت عليه حدا، فمات فأجد في نفسي إلا الخمر، فإنه لو مات لوديته، لأن النبي ﷺ لم يَسُنَّه(٣).

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذى ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التى تذهب بالعقل وتغيبه، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، وقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام»(٤)، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران، وحرم المخدرات والمفترات التى تؤثر على سلامة العقل(٥).

---

(١) مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٢٥٥).

(٢) كنز العمال ١٣٦٨٧، فقه الإمام علي (٢/ ٨٠٧).

(٣) مسند أحمد رقم (١٠٢٤) إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) البخارى رقم (٥٥٨٥).

(٥) الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى (١/ ٤٦٧).

إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقي الضرورات، ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى[١].

٤- حد السرقة

أ- اشتراط الحرز:

يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند علي، فعن ضميرة قال: قال علي: لا يقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت[٢].

ب- سرقة ما فيه شبهة ملك:

لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك، كأن يكون له نصيب فيه عند علي[٣]، فعن زيد بن دثار قال: أتى علي برجل سرق من الخمس فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبي عن علي أنه كان يقول: ليس على من سرق من بيت المال قطع[٤].

جـ- سرقة الحر:

من سرق حراً صغيّرا فإنه تقطع يده عند علي، فعن ابن جريج أن عليا قطع البائع - بائع الحر - وقال: لا يكون الحر عبدا[٥]، لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال، فهو الأولى أن يقطع فيه[٦].

د- سرقة العبد مولاه:

لا تقطع يد عبد سرق من سيده عن علي، فعن الحكم أن عليا قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه[٧].

هـ- إثبات السرقة:

تثبت السرقة عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بشهادة شاهدين أو الاعتراف مرتين، نقل ذلك عنه ابن قدامة[٨]، وعن عكرمة بن خالد قال: كان علي لا يقطع

(١) مقاصد الشريعة لليوبي، ص (٢٤٣).
(٢) كنز العمال ١٣٩١١، فقه الإمام علي (٢/ ٨١٠).
(٣) فقه الإمام علي (٢/ ٨١١).
(٤) مصنف عبدالرزاق (١٨٨٧١).
(٥) المصدر نفسه رقم (١٨٨٠٦).
(٦) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٤).
(٧) مصنف ابن ابي شيبة (١٠/ ٢٠٢).
(٨) المغني (٨/ ٢٧٩).

سارقا حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه، فإنه شهدوا عليه قطعه وإن نكلوا تركه، فأتي مرة بسارق فسجنه حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين فقيل: تغيب أحد الشاهدين فخلى سبيل السارق ولم يقطعه.(١) وعن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه أن رجلا أتى إلى على فقال: إني سرقت فانتهره وسبه فقال: إني سرقت، فقال على: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين، فلقد رأيتها في عنقه(٢).

و- كشف السارق قبل أن يسرق:

لا تقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند على، فعن الحارث عن على قال: أتى برجل قد نقب فأخذ على تلك الحال فلم يقطعه،(٣) وفي لفظ بزيادة وعزره أسواطًا(٤).

ز- تكرار السرقة:

من سرق قطعت يده اليمنى، ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى، فإن سرق ثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند على، نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره(٥)، وعن عبدالله بن سلمة أن عليا أُتى بسارق فقطع يده، ثم أتى به فقطع رجله، ثم أتى به فقال: أقطع يده؟ فبأى شيء يتمسح وبأى شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أى شيء يمشي؟ إني لأستحي من الله، قال: ثم ضربه وخلده السجن.(٦) وعن المغيرة والشعبي قالا: كان على يقول: إذا سرق السارق مرارا قطعت يده ورجله ثم إن عاد استودعته السجن(٧)، وعن الشعبي قال: كان على لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وأنه كاد يقول: إني لأستحي من الله أن لا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي(٨).

---

(١) مصنف عبدالرزاق، (١٨٧٧٩)، كنز العمال، (١٣٩٠٨).

(٢) مصنف عبدالرزاق رقم (١٨٧٨٤)، المغنى (٨/ ٢٨٠).

(٣) مصنف ابن ابى شيبة (٩/ ٤٧٧).

(٤) كنز العمال (١٣٩١١)، فقه الإمام على (٢/ ٨١٧).

(٥) المحلى (٣/ ٣٥٤) للمغنى (٨/ ٢٦٤).

(٦) البدائع (٩/ ٤٢٧٣)، فقه الإمام على (٢/ ٨١٨).

(٧) مصنف ابن ابى شيبة (٩/ ٥٠٩).

(٨) مصنف عبدالرزاق رقم (١٨٧٦٤).

ح - قطع اليد وتعليقها:

يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع فى عنق المحدود عند على[1]، فعن حجية بن عدى كان علىٌّ يقطع ويحسم ويحبس، فإذا برئوا أرسل إليهم فأخرجهم ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها، فيقول: من قطعكم؟ فيقولون: على، فيقول: ولم؟ فيقولون: سرقنا، فيقول: اللهم اشهد اللهم اشهد،[2] وحسم اليد، فلكى لا ينزف الدم ويسرع البرء إليها ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه[3].

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التى هى قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعى، وحرم السرقة، وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثاً: فى القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفاسد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ [الإسراء: ٣٣]، وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات.

أ- الاشتراك فى القتل العمد:

إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمدا فإنهم يقتلون به جميعا عند على[4]، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلا[5].

(١) فقه الإمام على (٢/ ٨٢١).
(٢) كنز العمال (١٣٢٦).
(٣) فقه الإمام على (٢/ ٨٢١).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٨٢٦).
(٥) المغنى (٧/ ٦٧٢).

ب- من أمر عبده بالقتل:

إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلا فقتله يقتل السيد عند على ويحبس العبد، نقل ذلك عن ابن المنذر وغيره[١]، وعن خلاس عن على فى رجل أمر عبده أن يقتل رجلا قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه[٢]، وفى رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلا فإنما هو كسيفه أو كسوطه يقتل المولى ويحبس العبد[٣].

جـ- المقتول فى الزحام:

من قتل فى الزحام ولم يعلم قاتله، فإن ديته على بيت مال المسلمين عند على[٤]، وعن يزيد بن مذكور الهمدانى أن رجلا قتل يوم الجمعة فى المسجد فى الزحام، فجعل على ديته من بيت المال[٥].

د- جناية السائق والقائد والراكب:

فى المسألة روايتان فعن على: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكبها ضامنون إذا وطئت الدابة، أو ضربت برجلها أحدا، أو شيئا عند على لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم[٦]، فعن خلاس عن على: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب[٧]، والحجة فى ذلك، أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة فى يده، أما السائق، والقائد فهما متسببان، يضمنان لعدم تحرزهما من الوقوع فى الجناية وعدم تثبتهما من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية[٨]، والرواية الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند على، إذ روى عنه أنه قال: إذا قال: الطريق فاسمع فلا ضمان عليه،[٩]، وعن على أنه قال: إذا كان الطرق واسعا فلا ضمان عليه[١٠]، والحجة أن

---

(١) المغنى (٧/ ٧٥٧).
(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٣٧١).
(٣) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٨٣٦).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٨٣٨).
(٥) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى، ص (٥٠٢).
(٦) فقه الإمام على (٢/ ٨٤١).
(٧) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٢٥٩).
(٨) فقه الإمام على (٢/ ٨٤١).
(٩) المصدر نفسه (٢/ ٨٤٢).
(١٠) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٥٥٩).

وسع الطريق وتنبيه المارة هو التحرز والتثبت، فإذا لم يبال المارة فهو تقصيرهم، فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم فلا ضمان لهم، ولا منافاة بين الروايتين، لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه[1]، وثبوت التقصير على المارة.

هـ- ما أنشئ بتعدٍ فأحدث تلفًا:

من حفر بئرًا أو وضع شيئًا أو بناه في مكان لا حق له فيه فسببت تلف إنسان كأن يقع في البئر أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند علي[2]، فقد قال رضى الله عنه: من حفر بئرًا أو عرض عودًا فأصاب إنسانًا فهو ضامن[3].

و- الخطأ في الشهادة:

الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند علي، فمن شهد على غيره خطأ في حد أو قصاص فادى إلى تلف عضو أو نفس ضمن الدية عنده[4]، فقد روى عن علي من طرق متعددة أنه: شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطع على يده، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخر فابطل شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دية الأول[5]، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتماه لقطعتكما فابطل شهادتهما عن الآخر وأغرمهما دية الأول[6]، والحجة في ذلك أنهما تسببا في الإتلاف والتسبب موجب للضمان كحافر البئر في الطريق[7].

ز- اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطأ:

إذا اشترك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطا توزعت المسئولية الجنائية على جميعهم، كل واحد بقدر فعله مطروحا منه ما جناه الميت على نفسه[8]، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئرا فحفروها فانخسفت بهم البئر، فمات

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٨٤٢).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٨٤٠٠).

(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٨٤٣).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٠٩).

(٦) مصنف عبدالرزاق ١٨٤٦١.

(٧) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٤).

(٨) المصدر نفسه (٢/ ٨٤٤).

أحدهم فرفع ذلك إلى على بن أبى طالب، فضمن الثلاثة ثلاث أرباع الدية وطرح عنه ربع الدية[1].

ح- من استخدم صغيراً أو عبداً بغير إذن:

من استخدم صغيراً بغير إذن وليه، أو عبداً بغير إذن مولاه فى عمل، أو حمله على دابة فمات إثر ذلك فهو ضامن عند على، فعن الحكم قال: قال على: من استعمل مملوك قوم صغيراً أو كبيراً فهو ضامن[2]، وقال على: من استعان صغيرا حرا.. فهو ضامن ومن استعان كبيرا لم يضمن[3].

ط- الفعل المعنوى:

الفعل المعنوى كالإخافة والترويع وما شابههما إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسئولية الجنائية عند على[4]، فعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: رجل نادى صبيًّا على جدار أن استأخر فخر فمات؟ قال: يروون عن على أنه قال: يغرمه ويقول: أفزعه[5]، وإيجاب المسئولية على الفعل المعنوى إجمالا هو قول جمهور العلماء[6].

ى- جناية الطبيب:

إذا خالف الطبيب أو البيطرى شروط المعالجة، فعطب الإنسان أو الحيوان فهو ضامن[7]، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب على الناس فقال: يا معشر الأطباء البياطرة والمطببين من عالج منكم إنسانا أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئا ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن[8]، وعن مجاهد أن عليا قال فى الطبيب: إن لم يُشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه، يقول: يضمن[9].

---

(١) المحلى (١٠/ ٥٠٥)، فقه الإمام على (٢/ ٨٤٤).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٣٧٧).

(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٧٧).

(٤) فقه الإمام على بن أبى طالب (٢/ ٨٤٦).

(٥) كنز العمال (٨٦/ ٤٠).

(٦) فقه الإمام على (٢/ ٨٤٦).

(٧) المصدر نفسه (٢/ ٨٤٧).

(٨) مصنف عبدالرزاق (١٨٠٤٧).

(٩) المصدر نفسه (١٨٠٤٦).

ك- الميت من القصاص والحد:

إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات فلا ضمان على المقتص عند علي[1]، فقد قال رضي الله عنه: من مات بقصاص بكتاب الله فلا دية له[2]،وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد،[3]، وقال أيضا: إذا أقيم على الرجل حد في الزنا أو السرقة أو قذف فمات فلا دية له[4]، والحجة في ذلك، أن القصاص واجب، والواجب غير مشروط بالسلامة فيه فلا ضمان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال[5].

ل- قاطع طريق ألقي القبض عليه:

إذا لم يأخذ مالاً ولم يقتل نفسا حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالاً ولم يقتل نفسا قطعت يداه، ورجلاه من خلاف، إذا قتل وأخذ المال قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم صلب حتى يموت، وإن تاب قبل أن يؤخذ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[6].

وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه، وكان قاطعًا للطريق، فقبل علي توبته وأسقط حد الحرابة عنه لأنه تاب قبل القدرة عليه[7].

م- قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء:

أُتي برجل إلى أمير المؤمنين علي من خربة بيده سكين ملطخة بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعا: فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته، فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت أنا قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما استطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف بين يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة،

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٧).

(٢، ٣) المصدر نفسه (٢/٨٤٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٣٤٢).

(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٨).

(٦) المحلى رقم ٢٥٢، عصر الخلافة الراشدة للعمري، ص (١٥١).

(٧) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٥١).

فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قسامة، فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله، فقال علي: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي، فدخلتها لقضاء حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه، فراعني أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا علي، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولي، فاعترفت بما لم أجنه، فقال: علي للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك، فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعا في ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضا، فاعترفت بالحق، فقال علي للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسا فقد أحيا نفساً، وقد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فخلى علي عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال[١]، ولعله فعل ذلك بعد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص[٢].

ن- امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها:

حدث في عهد علي رضي الله عنه أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاصا[٣] من الجناة.

س- بدل الإبل في دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟

الإبل أصل في الدية ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند علي، فعن عامر عن علي وعبدالله وزيد قالوا: الدية مائة من بعير[٤]، وعن الحسن أن عليا قضى بالدية اثنى عشر ألفا[٥]، أي درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الدية، فدية الخطأ وشبه العمد على

---

(١) الطرق الحكمية، ص (٥٦)، القضاء في الإسلام، ص (١٥٤).

(٢) القضاء في الإسلام، ص (١٥٤).

(٣) المغنى (٩/ ٣٦٢، ٣٧٦)، الطرق الحكمية، ص (٥٠)، عصر الخلافة الراشدة، ص (١٥٣).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ١٢٨).

(٥) الأم (٧/ ١٧٧).

العاقلة تدفعها مقسطا على ثلاث سنين عند على[1]، والحجة فى ذلك ما روى عن المغيرة بن شعبة قال: قضى رسول الله ﷺ بالدية على العاقلة[2]، وأما تقسيطها، فلأنها كثيرة يصعب أداؤها حالا فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذى أمر به الإسلام[3].

ع- دية الكتابى:

دية الكتابى من اليهود والنصارى مثل دية المسلم[4]، فعن الحكم بن عتيبة أن عليا قال: دية اليهودى والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم[5].

ف- دية الصلب:

دية العمود الفقرى دية كاملة عند على إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال على رضى الله عنه: إذا كسر الصلب ومنع الجماع ففيه الدية[6].

ص- عين الأعور:

إذا فقأ إنسان عين الأعور فإن فيها الدية كاملة أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عينا للجاني ويأخذ نصف الدية عند على، نقل ذلك ابن قدامة[7] لأن عين الأعور تعادل عيني البصير فى منفعة البصر، لذلك فيها الدية كاملة[8].

ق- دية الأصابع:

دية كل أصبع من الأصابع عشر دية النفس عند على، أى عشر من الإبل، فعن عاصم ابن ضمرة عن على قال: فى الأصابع عشر الدية[9]، وفى رواية: فى الأصابع عشر العشر[10].

---

(١) فقه الإمام على (٢/ ٨٥٣).
(٢) سنن ابن ماجة رقم (٣٦٣٣).
(٣) فقه الإمام على (٢/ ٨٥٤).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٨٥٥).
(٥) مصنف عبدالرزاق (١٨٤٩٤).
(٦) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ٢٣١).
(٧) المغنى (٨/ ٥).
(٨) فقه الإمام على (٢/ ٨٦٠).
(٩) مصنف ابن أبى شيبة (٩/ ١٩٣).
(١٠) مصنف عبدالرزاق رقم (١٧٦٩٣).

رابعاً: في التعزير:

كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رضى الله عنه) يؤدب العاصى ويردعه عن معصيته بالتعزير إذا لم يترتب على معصيته حد، ولما كانت عقوبة التعزيز على المعصية غير محددة، فإن أمير المؤمنين علياً(رضى الله عنه) يذهب إلى الملاءمة بين العقوبة والمعصية، فكلما تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم،ولقد تعددت وسائل التعزير عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رضى الله عنه) حسب نوع المعصية وحال العاصى[1]، ومنها على سبيل المثال:

١- الضرب باليد:

ومثال ذلك لما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت، وعلى رضى الله عنه يطوف معه، إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقى من على بن أبى طالب، فقال: وما باله؟ قال: لطم عينى، فوقف عمر، حتى لحق به على فقال: ألطمت عين هذا يا أبا الحسن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأنى رأيته يتأمل حرم المؤمنين فى الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن[2].

٢- الجلد دون الحد:

وكان أكثر ما يعزر به، ومن ذلك جلده للنجاشى الشاعر الذى شرب الخمر، وأفطر فى رمضان، فقال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك فى رمضان[3].

٣- التشهير:

لجأ على بن أبى طالب (رضى الله عنه) إلى التشهير بالعاصى وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفى ذلك مصلحة للمجتمع، لئلا يستشهد فتضيع الحقوق، عن على بن الحسين قال: كان على إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه وعرفوه ثم خلى سبيله[4]، وعن زيد بن على عن أبيه عن جده عن

---

(١) منهج على بن أبى طالب في الدعوة، ص (٣٢١).

(٢) الرياض النظرة فى مناقب العشرة (٢/١٦٥).

(٣) موسوعة فقه على بن أبى طالب، قلعجى، ص (١٥٣).

(٤) موسوعة فقه على، ص (١٤٩).

علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزره، وطاف به في حيه وشهره، ونهى أن يستشهد به[1].

٤- الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعاقب بالحبس أحيانًا، ومن ذلك حبسه للنجاشي الشاعر، الذي يشرب الخمر، وأفطر في رمضان[2].

٥- التقييد في الحبس:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيد الدعار[3] بالحبس بقيود لها أقفال، ويوكل بهم من يحلها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين[4].

٦- الغمس في الأقذار:

وجد رجل تحت فراش امرأة، فأتي به علي، فقال رضي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهرا لبطن في مكان منتن، فإنه كان في مكان شر منه[5].

٧- القتل:

قد يصل التعزيرعند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ، لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدين ما ليس منه، وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم[6]، لذا فقد كان يقول: من كذب على النبي ﷺ يضرب عنقه[7].

---

(١) موسوعة فقه علي، ص (١٤٨) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٦).

(٣) جمع داعر، والدعارة هي الفسق والخبث.

(٤) موسوعة فقه علي، قلعجي، ص (١٥٦).

(٥) المصدر نفسه، ص (١٥٤).

(٦) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص (٣٢٤) .

(٧) موسوعة فقه علي، ص (١٥٤) .

٨- إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها :

فـقـد ورد عن ربيـعـة بن زكـار قـال: نظر على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى قـرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة[١]، يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً، فاحترقت[٢]. فقد أحرق أمير المومنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته[٣].

لقد أثر أمير المومنين على رضى الله عنه فى المؤسسة القضائية باجتهاداته فى مجال القـصـاص والحـدود والجنائيـات والتـعـزير، كـمـا أنه - رضى الله عنه - سـاهـم فى تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

---

(١) محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمر من بنى بكار.

(٢) كنز العمال رقم (١٣٧٤٤)، ابو عبيد، الأموال، ص (١٠٣).

(٣) منهج على فى الدعوة إلى الله، ص (٣٢٥).

المبحث الرابع

حجية قول الصحابى والخلفاء الراشدين

تحدث الأصوليون عن مذهب الصحابى وقالوا بأنه من الأدلة المختلف فيها عند الكثير منهم، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به[١].

إن أصحاب النبى ﷺ وخصوصًا ساداتهم تبوأوا مكانة عالية فى الفهم والإدراك كما قال عنهم ابن مسعود رضى الله عنه: فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٢]، والشاهد من كلامه قوله: « أعمقها علمًا » فهم أعمق الأمة علمًا، وأكثرهم فهما وإدراكًا، ونسبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم[٣]، وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان، فإنا نشير إلى بيان الأسباب التى بَوّأهم بها هذه المكانة وهى:

١- تلقيهم المباشر من النبى ﷺ:

وهذا له أثره فى الفهم من عدة نواح:

أ- صفاء المورد: إذ بتلقيهم من النبى يتلقون الوحى غضا كما أنزل، ويسمعون كلام النبى ﷺ منه مباشرة، فليس علمهم مشوبًا بما يكدره، بل هو محض الكتاب والسنة لم يختلط به آراء الرجال، وغيره من العلوم التى فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلسفة وغيرها.

ب- دقة الفهم: حيث إن معلمهم رسول الله ﷺ أفصح الناس لسانًا، وأبلغهم بيانًا، وأقدرهم تفهيمًا، فكيف إذا صادف ذلك آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية، وسليقة مواتية، تنشد الحق، وتتلهف لسماعه، ولاشك أن ذلك يجعلهم يفهمون ما يلقى إليهم فهما دقيقًا مطابقًا لمراد الله ورسوله، وهذا الأمر فى غاية الوضوح إذ الناس فى حياتهم وطلبة

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠).

(٢) شرح السنة للبغوى (١/ ٢١٤، ٢١٥).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٧).

العلم فى طلبهم يبحثون إبان تلقيهم عن أفضل العلماء علمًا وأحسنهم تصويراً للمسائل، وأقدرهم تفهيماً، وكم من تلميذ سطع نجمه، وعلا كعبه فى العلم بفضل الله، ثم بفضل حسن تعليم معلمه، ونحن نعلم أن أحدا لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبى ﷺ فى حسن التعليم، ولا أقل من ذلك، وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضى الله عنه فى حسن التعليم، حيث قال: فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه[1].

ح- **ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا:** فعلومهم يقينية، وعلوم من بعدهم يداخلها الظن فى كثير من أحوالها.

د- **ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث ومعرفة** الناسخ والمنسوخ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

هـ- **وما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبى ﷺ** التى تفسر أقواله، وتشرحها، وتبين آيات القرآن وتوضحها، ويوقف بها على المراد.

و- إمكانية السؤال عما أشكل عليهم، والحصول على الجواب.

٢- سليقتهم العربية:

يفهمون آى القرآن، وأحاديث النبى ﷺ بسليقتهم ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

٣- إخلاصهم الله وتقواهم:

فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة، فى أوقات قليلة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾[البقرة: ٢٨٢].

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقهًا قويًا متماسكًا لدى أصحاب النبى ﷺ، قال ابن القيم بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها، كسماعهم من النبى ﷺ وسماعهم من بعضهم، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه[2]، قال: أما المدارك التى شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبًا وأعمق علمًا، وأقل

---

(١) مسلم، ك المساجد، رقم (٣٣).

(٢) مقاصد الشريعة لليوبى، ص (٦٠٠).

تكلفًا وأقرب إلى أن يوفقوا فيما لما لم نوفق له نحن، ولما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد وتقوى الرب تعالى، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنوا في ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها فادركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة[1]، وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبي ﷺ أدق فهما وعلمًا بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم، ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منهما، وهذا متوفر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها[2].

قال الشاطبي: السلف أعلم الناس بمقاصد القران[3]، وقال عن الصحابة: هم القدوة في فهم الشريعة والجرى على مقاصدها[4]. هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة، وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

---

(١) إعلام الموقعين (٤/١٤٩).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي، ص (٦٠١).

(٣) الموافقات (٣/٤٠٩).

(٤) المصدر نفسه (٤/١٣٠).

١- اتفق الكل على أن مذهب الصحابى فى مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إماماً كان أو حاكماً أو مفتياً.

٢- إذا قال الصحابى قولاً ووافقه الباقون فليس داخلاً فى محل النزاع لكونه إجماعاً حينئذ.

٣- إذا قال قولاً وانتشر ولم يخالفه أحد فهذا له حكم الإجماع السكوتى.

٤- اتفقوا على أن قول الصحابى ليس بحجة إذا خالفه صحابى آخر.

٥- اتفقوا على أن قول الصحابى إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

٦- اتفقوا على أن قول الصحابى إذا رجع عنه فليس بحجة، ومحل الخلاف إذا قال الصحابى قولاً فى مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندرى انتشر أم لا؟ خالف أحداً أم لا(١).

واختلف العلماء فى ذلك على أقوال:

القول الأول: أنه حجة وهو قول مالك والشافعى فى القديم، وأحمد فى رواية عنه، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية وابن عقيل من الحنابلة والعلائى(٢)، والخطيب البغدادى من الشافعية، واختاره ابن القيم فى إعلام الموقعين والشاطبى فى الموافقات وابن تيمية(٣).

القول الثانى: إنه ليس بحجة وهو قول الشافعى فى أحد قوليه اختارها الآمدى والرازى والغزالى وأحمد فى رواية(٤).

القول الثالث: إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأى فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف(٥).

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (٥٩٦، ٥٩٧).

(٢) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٠).

(٣) مجموعة الفتاوى (٥/ ٤١٣)، إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠).

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص (٥٩٧).

(٥) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢١).

القول الرابع: قول أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – حجة دون غيرهما(١).

القول الخامس: قول الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حجة دون غيرهم(٢).

والراجح والله أعلم هو القول الأول وأدلة الترجيح في ذلك:

أولاً: من كتاب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

روى الحافظ ابن جرير في تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: «**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**» حتى بلغ «**ورضوا عنه**» قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا.. قال: نعم. قال: أنت سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبي: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الجمعة: ١٠]، وفي سورة الحشر: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**﴾ [الحشر: ١٠]، وفي الأنفال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٥]، وسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار وبعدم إلحاق الواو في الذين كما أورد ذلك ابن جرير(٣)، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، يقصد المهاجرين، وهذا القول منه – رضي الله عنه – يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلون بحجية أقوال

---

(١) الإحكام للآمدي (٤ / ١٣٠)، حجية قول الصحابي، ص (٤٠).

(٢) حجية قول الصحابي، ص (٤٠).

(٣) تفسير الطبري (١٤ / ٤٣٨).

الصحابة من غير تخصيص لبعضهم، إذ اشترك الجميع في وصف الثناء عليهم بكونهم سبقوا في كل علم وفضل وجهاد وعمل، وهذه الآية احتج بها ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة[1]، وحكى احتجاج الإمام مالك بها في هذا المعنى[2]، وذكر أن الآية تتضمن مدح الصحابة والثناء عليهم واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم، وتؤخذ أقوالهم، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعهم كلهم، أو اتبع كل واحد منهم ما لم يخالف نصا[3]، ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة[4]، قال ابن جرير بعد إيراده لهذا الأثر مبينًا معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم[5]، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصحابة – رضي الله عنهم – سنة يعمل عليها ويرجع إليها[6]، فقال في الآية: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة[7]، وقد أفاض الإمام ابن القيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله فأجاد وأفاد[8].

ثانيًا: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها:

قوله ﷺ: «**خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني ثم الثالث**»[9]، فإخباره ﷺ بذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، ولا سيما في ظفرهم بالصواب[10]، فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل

---

(١) إعلام الموقعين (٤/١٢٣).
(٢) المصدر نفسه (٤/١٢٣).
(٣) المصدر نفسه (٤/١٢٣ – ١٢٩).
(٤) تفسير الطبري (٧/١٠٢).
(٥) المصدر نفسه (٧/١٠٢).
(٦) الموافقات (٤/٧٤).
(٧) المصدر نفسه (٤/٧٤).
(٨) إعلام الموقعين (٤/١٢٣ – ١٣٥)
(٩) مسلم (٢/١٩٦٥).
(١٠) إعلام الموقعين (٤/١٣٦).

ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولي بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام[١]، وعند عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»[٢]، وقد استشهد البيهقي بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم[٣] العالية في كل علم وعمل وقصد[٤].

ثالثًا: الأدلة من الآثار منها:

ما روى عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنهما - أنه قال: يا معشر القراء خذوا الطريق ممن كان قبلكم، فو الله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً[٥]، روى الخطيب بسنده عن عامر الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فخذه[٦].

رابعًا: من أقوال الأئمة والعلماء في حجية قول الصحابي:

١- **قول الشافعي**: ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع، إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحد منهم[٧]، وقال أيضًا: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ أو إجماع الناس[٨].

٢- **وقال أحمد**: لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير[٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٥٨).

(٢) مسلم، ك الإيمان (١/٦٩).

(٣) الاعتقاد للبيهقي، ص (٣١٩).

(٤) حقيقة البدعة وأحكامها (١/٣٢٨).

(٥) حلية الأولياء (١٠/٢٨٠)، البدع لابن وضاح، ص (١٠).

(٦) حقيقة البدعة وأحكامها (١/٣٢٩).

(٧) الأم للشافعي (٧/٢٦٥).

(٨) مناقب الشافعي، ص (٣٦٧).

(٩) مسائل الإمام أحمد لأبي داود، ص (٢٧٦).

٣- وقول الإمام مالك: ومذهبه فى ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولا سيما ولاة الأمر بعده محل احتجاج(١).

٤- قال ابن تيمية: ومن قال من العلماء إن قول الصحابى حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عرف نصا يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه، كان إقراراً على القول، فقد يقال هذا إجماع إقرارى إذا عرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل(٢)، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق(٣).

٥- قال الشاطبى: عند شرحه لقول النبى ﷺ: **«ما أنا عليه وأصحابى»**(٤)، فإنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصًا - إلى أن قال - فإذًا كل ما سنوه فهو سنة، من غير نظير فيه بخلاف غيرهم(٥)، وقال فى الموافقات: سنة الصحابة - رضى الله عنهم - سنة يعمل عليها ويرجع إليها(٦).

---

(١) إعلام الموقعين (٤/١٢٣)، ترتيب المدارك (١/٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٨٣).

(٣) المصدر السابق (١/٢٨٣).

(٤) السلسلة الصحيحة (١/١٢، ٢٥) (٣/٤٨٠).

(٥) الاعتصام (٢/٢٦٣).

(٦) الموافقات (٤/٧٤).

الفصل الخامس
مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى الله عنه

المبحث الأول

أقاليم الدولة

أولا، مكة المكرمة:

توفى عثمان – رضى الله عنه– وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فاصدر على رضى الله عنه قرارا بعزله وعين أبا قتادة الأنصارى واليا على مكة(١)، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة إذ إن عليا رضى الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس(٢) واليًا على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصارى(٣)، وبهذا فإن ولاية أبى قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر، ومعظم المصادر التى تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن عليًا ولاه على مكة والطائف وأعمالها فى وقت واحد(٤)، ونقل الأخبار عن مكة فى عهد خلافة على رضى الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان واليًا عليه، فعلى بن أبى طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التى قامت فى أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج، ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة ٣٧هـ فقط، بينما بعث على رضى الله عنه على الحج عبد الله بن العباس سنة ٣٦هـ، وعبيد الله بن العباس سنة ٣٨هـ(٥)، مع وجود اختلاف بين المصادر فى سنة حج كل منها، وأما سنة ٣٩هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمره

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٣)، تاريخ ابن خياط، ص (٢٠١).

(٢) سير اعلام النبلاء (٣/٤٤٠).

(٣) تاريخ اليعقوبى (٢/١٧٩).

(٤) الكامل فى التاريخ (٣/٣٩٨) الولاية على البلدان (٢/٤).

(٥) تاريخ خليفة، ص (١٩١، ١٩٢، ١٩٨)، الولاية على البلدان (٢/٤).

أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع (قثم بن عباس) وكاد أن يقع بينهما قتال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بنى شيبة وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال[١]، وقد استمر قثم بن العباس فى ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة فخرج منها قثم هارباً خائفًا على نفسه، وبذلك انتهت ولاية قثم، وخرجت مكة من ولاية على بن أبى طالب، وقد بعث على بعض أجناده لاستعادة مكة إلا أن استشهاد على رضى الله عنه حال دون إتمام المهمة[٢].

ثانيا: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية، ويقيم فيها الخليفة، ويتولى شئونها بنفسه أثناء وجوده، أما فى حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شئونها، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة على رضى الله عنه بالخلافة، إذا دعته الحالة العامة والارتباك الذى حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة، خصوصًا بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق قبل موقعة الجمل[٣]، وقد استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصارى كما تقول بعض الروايات[٤]، ولا نعلم المدة التى بقى فيها ابن حنيف واليًا على المدينة، والذى يبدو أن ولايته قد استمرت أكثر من سنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧هـ[٥]، ثم ولى على تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف، وقد ولى على بن أبى طالب على المدينة بعد ذلك أبا أيوب الأنصارى الذى استمر والياً عليها إلى سنة ٤٠هـ، حيث قدم المدينة جيش من الشام من قبل معاوية بقيادة بسر بن أرطاة[٦]، ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى على فى الكوفة[٧]، وبذلك خرجت المدينة من حكم على بن

(١) الولاية على البلدان (٢ / ٤)، تاريخ الطبرى (٦ / ٧٩).
(٢) تاريخ الطبرى (٦ / ٨٠) الولاية على البلدان (٢ / ٥).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٨١) الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(٤) تاريخ ابن خياط، ص (١٨١، ٢٠١)، الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(٥) تاريخ الطبرى (٦ / ٥٣)، الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(٦) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٠٩)، الولاية على البلدان(٢ / ٢).
(٧) تاريخ الطبرى (٦ / ٨٠)، الكامل (٣ / ٣٧٣).

أبى طالب رضى الله عنه ودخلت فى حكم معاوية، وهكذا تحولت المدينة فى عهد على من قاعدة للخلافة إلى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيداً عنها، لذلك نجد المصادر التاريخية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها[1].

ثالثًا: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفى عثمان -رضى الله عنه- تابعة لإمارة البصرة، وكان ابن عامر يولى عليها من عماله، وفى عهد على رضى الله عنه عين علىٌّ على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبى سلمة[2] الذى خرج مع على من المدينة أثناء سفره إلى العراق، ثم بعثه على واليًا على البحرين[3]، لفترة من الوقت ثم استدعاه على لمصاحبته فى العراق بعد ذلك، كما كان من عمال على فى البحرين قدامة بن العجلان الأنصارى[4]، والنعمان بن العجلان الأنصارى[5]، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيد الله بن العباس[6]، ويلاحظ أن عبيد الله بن عباس كان والى اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعتين له فى تلك الفترة، وهذا يوحى به تعبير الطبرانى، كما أن تعبير خليفة بن خياط يوحى بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[7]، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم على إلى عمان أحدهم والٍ والآخر قائد جند لإخماد إحدى الثورات التى قامت ضد على فى عمان[8]، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة[9]، ولعله خاضع لإشراف والى البحرين[10].

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٧/٤٥٦).

(٣) الكامل (٣/٢٢٢)، الولاية على البلدان (٢/٥).

(٤) الولاية على البلدان (٢/٥).

(٥) الإصابة (٣/٥٦٢)، الولاية على البلدان (٢/٥).

(٦) تاريخ الطبرى (٦/٩٠).

(٧) الولاية على البلدان (٢/٦).

(٨) تاريخ اليعقوبى (٢/٩٥)، الولاية على البلدان (٢/٦).

(٩، ١٠) الولاية على البلدان (٢/٦).

رابعًا: ولاية اليمن:

لما استشهد عثمان وبويع على بالخلافة ولى على اليمن عبيد الله بن العباس، رضى الله عنهما[١]، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن عباس إليها، واشترك بعضهم فى جيش الجمل مع طلحة والزبير وكان لهم دور فى تجهيز الجيش[٢]، وقد كان عبيد الله بن عباس على صنعاء وأعمالها، كما كان معه فى الولاية سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى[٣] على الجند ومخالفيها[٤]، وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين فى اليمن، وأحس القوم بالامتعاض والتبرم من هذا الجرم، وبقى بعض اليمنيين لم يبايع ويرغب فى قتل قتلة عثمان، رضى الله عنه، ولما تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التحكيم، فارسل بسر بن أبى أرطأة، فاستطاع أن يستولى على اليمن بفضل مساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة[٥]، حيث استطاع على استرجاعها من جيش معاوية فأعاد عبيد الله بن عباس إلى ولايتها مرة أخرى، واستمر واليًا عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه[٦].

وقد روى أن بسرًا قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار على هناك، ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدى، قيل: ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبى عثمان فى اليمن[٧]، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفى صحته عندى نظر[٨]، ولاشك أن قتل الأبرياء لم يحصل فى تلك المرحلة

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٦ .

(٢) مروج الذهب للمسعودى (٢/٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢/٦).

(٣) الاستبصار لابن قدامة المقدسى، ص (٩٩)، الولاية على البلدان (٢/٦).

(٤) الولاية على البلدان (٢/٦).

(٥) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١٠٩).

(٦) تاريخ الطبرى (٦/٨٠، ٨١)، الولاية على البلدان (٢/٧).

(٧) تاريخ الطبرى (٦/٥٥).

(٨) البداية والنهاية (٧/٣٣٤).

حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة، لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[١].

خامسًا: ولاية الشام:

كان معاوية، رضى الله عنه، واليًا على الشام فى عهدى عمر وعثمان، رضى الله عنهما، ولما تولى على الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام، واعتذر فى ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التى بينهم[٢]، ولم يلزمه أمير المؤمنين على وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التى تزعم أن عليا قام بالتهجم على عبد الله بن عمر، رضى الله عنه، لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه، ففى ذلك الخبر تحريف وكذب[٣]، وأقصى ما وصل إليه الأمر فى قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبى من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلىَّ على قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع فى أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: اذكر الله وقرابتى من رسول الله وصحبتى إياه، إلا ما أعفيتنى فأبى على، فاستعنت بحفصة فأبى، فخرجت ليلا إلى مكة[٤]، وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله فى الطاعة، إذ كيف يوليه على وهو لم يبايع؟ وفى الاستيعاب لابن عبد البر من طريق أبى بكر بن أبى الجهم عن ابن عمر أنه قال حين احتضر: ما آسى على شئ إلا تركى قتال الفئة الباغية مع على رضى الله عنه[٥]، وهذا مما يدل أيضًا على مبايعته لعلى ، وانه إنما ندم على عدم خروجه مع على للقتال، فإنه كان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لزوم البيعة والدخول فيها داخل الناس فيه واجب،

---

(١) الإنصاف د. حامد، ص (٥٧٥).

(٢) المصنف لابن أبى شيبة (٧ / ٤٧٢) إسناده صحيح.

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث، ص (١٦٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٢٤) رجاله ثقات.

(٥) الاستيعاب (٦ / ٣٢٦) بحاشية كتاب الإصابة.

والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه أن النبي قال: **«من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**[1]. وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي، فإنه مختلف فيه بين الصحابة، وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم على ترك البيعة لو كان تاركا لها، مع مافيه من الوعيد الشديد، وبهذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين في زعمهم من ترك ابن عمر البيعة لعلي - رضي الله عنهما - حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاستعانة بهم، لما رأى فيه من صدق الولاء والنصح له[2].

وبعد اعتذار ابن عمر عن قبول ولاية الشام، أرسل أمير المؤمنين عليٌّ سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع[3]، وكانت بلاد الشام تغلي غضبًا على مقتل عثمان ظلمًا وعدوانًا، فقد وصلهم قميصه مخضبًا بدمائه، بأصابع نائلة زوجه، التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية، رضي الله عنه، فقال كان يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلمًا وعدوانا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في الشهر الحرام، في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول

---

(١) مسلم. ك الإمارة رقم (١٨٥١).

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص (٥٠٧).

(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (١١٠).

الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع فى ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[1]، وهناك حديث آخر له تأثيره فى طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان منشطًا ودافعًا قويًا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى» قالها ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتابًا[2] كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله فى القتلة السبب الرئيسى، فى رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعة على بن أبى طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر فى بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر[3]، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفى بسند جيد، عن أبى مسلم الخولانى أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إنى لأعلم أنه أفضل منى، وأحق بالأمر منى، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إلىَّ قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا عليًا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه[4]، وفى رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل فى البيعة ويحاكمهم إلىَّ، فامتنع معاوية[5]، وأما الروايات التى تصور معاوية فى خروجه عن طاعة على بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلى القديم بين بنى هاشم وبنى أمية

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٤).

(٢) مسند أحمد، باقى مسند الأنصار رقم (٢٤٠٤٥)، حديث صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (١١٢).

(٤) فتح البارى (١٣/٩٢)، البداية والنهاية (٨/١٢٩).

(٥) فتح البارى (١٣/٩٢)، استشهاد عثمان، ص (١٦٠).

وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرون – كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في تاريخ صدر الإسلام – وبنوا عليها تخيلاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلا وضبطًا[١].

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي رضي الله عنه، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت في الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧هـ ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام[٢].

سادساً: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظرًا لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى[٣]، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن عليا استطاع السيطرة عليها[٤]، لفترة من الوقت، وعين عليها «الأشتر» وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة[٥]، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي رضي الله عنه لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨هـ[٦]، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة، ونشط معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك، فوقعت فيها العديد من المعارك[٧]، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (١١٢).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٨).
(٣) معجم البلدان (٢/ ١٣٥).
(٤) الأخبار الطوال للدينوري، ص(١٥٤)، الولاية على البلدان (٢/ ٨).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٢٠٠).
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٥٤).
(٧) الفتوح لابن اعثم الكوفي (٤/ ٤٥)، الكامل (٣/ ٣٧٩).

سنة ٣٩هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة(١)، وقد كانت ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما(٢)، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذى دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر(٣)، وكميل بن زياد، وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة بل انهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة(٤).

سابعاً: ولاية مصر:

استشهد عثمان، رضي الله عنه، وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصباً للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل(٥)، وقد ذكر أن علياً لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عين علي قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر(٦)، فقال له: سر إلى مصر وليتكها، واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فاحسن إلى المحسن واشتد علي المريب وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن(٧)، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف، فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فالة(٨) عثمان، فأنا أطلب من أوى إليه فانتصر به لله قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتى دخل(٩) مصر. وهذا الموقف لقيس هو الذى مكنه من دخول مصر،

---

(١) الكامل (٣/ ٣٨٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٤).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٩).
(٤) الفتوح بن أعثم الكوفي (٤/ ٥٠ – ٥٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٩).
(٥) ولاة مصر للكندي، ص(٤٢، ٤٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٩).
(٦) ولاة مصر، ص (٤٤)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٤).
(٧) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٤).
(٨) الفالة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (١١/ ٥٣١).
(٩) الولاية على البلدان (٢/ ١٠) نقلاً عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.

ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام[1]، وحينما وصل قيس بن سعد إلي الفسطاط صعد المنبر وخطب فى أهل مصر وقرأ عليهم كتاباً من على بن أبي طالب رضى الله عنه وطلب البيعة لعلي[2]، وهنا انقسم أهل مصر إلي فريقين: فريق دخل فى بيعة على وبايعوا قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم فى حالهم[3]، ولم يكتف بذلك، بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم فى مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم[4]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالى ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج، وعين رجالات على الشرطة[5]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضى جميع الأطراف فيها[6]، وأصبح قيس بن سعد فى الموقع يشكل ثقلاً سياسياً وخطراً عسكرياً على معاوية بن أبى سفيان فى الشام، نظراً لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئه له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد فى مصر مهدداً له، وفى الوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوى عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[7]، وقد انتشرت الروايات الرافضية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التى ذكرها أبو مخنف فى كتب التاريخ وهى باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضى التالف الذى ضعفه رجال الجرح والتعديل بها، وفى متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلى:

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩).

(٢) الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٤).

(٣) ولاة مصر، ص(٤٤)، الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٥٤).

(٤) ولاة مصر، ص(٤٤).

(٥) الولاية على البلدان (٢/ ١١)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٨).

(٦) الولاية على البلدان (٢/ ١١).

(٧) الكامل ٢/ ٣٥٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١١).

١- خطاب على إلي أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولي بعدهما والٍ فأحدث أحداثًا فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا: ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان (رضي الله عنه) رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلى رضي الله عنه برئ من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك، ومنها ما رواه ابن عساكر أن محمد بن الحنفية قال: ما سمعت عليا ذاكرًا عثمان بسوء قط(١)، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاءوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكان صدع قلبي وانسكب(٢) بعبرة، وأقواله في هذا المعنى كثيرة(٣)، وقد جمعتها في كتابي: تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان(٤).

٢- قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا ﷺ وهذا مردود، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، على علي رضي الله عنه كما صح بذلك وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد، رضي الله عنه، ولا لغيره من الصحابة والتابعين، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين(٥)، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر(٦)، والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان(٧).

---

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص(٣٩٥).

(٢) المستدرك (٣/ ٩٥ ، ١٠٣) صحيح على شرط الشيخين.

(٣) مرويات أبي مخنف د. يحيى اليحيى، ص (٢١١).

(٣) عثمان بن عفان للصلابي، ص (٤٠٧- ٤٠٩).

(٥) مرويات أبي مخنف، ص (٢١١).

(٦) منهاج السنة (١/ ٤، ٢١١١.

(٧) البخاري رقم (٣٦٩٧).

والأحاديث في ذلك كثيرة[1] ومشهورة، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين علياً به.

٣- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته إلي كون علي طرفًا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح في براءة علي (رضي الله عنه) كما مر في الفقرة السابقة، وهذا لا يجهله معاوية (رضي الله عنه) فضلاً أن يقره لقيس بن سعد (رضي الله عنهما)، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم عليا في قتله[2]، ويقول أيضًا: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا[3]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد بن الحنفية أن عليا قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر[4]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً[5]، مما يؤكد اشتهار كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان[6].

٤- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعًا هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت ،رضي الله عنه، جاء إلى عثمان، رضي الله عنه، وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا[7].

٥- ما ذكره من اختلاق معاوية كتابًا على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدروه من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك

---

(١) مرويات أبي مخنف، ص (٢١٢).

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص ٣٥، مرويات أبي مخنف، ص (٢١٢).

(٣) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان، ص (٣٥٠).

(٤) المصنف (١٥/ ٢٦٨).

(٥) نقل ابن عساكر نصوصا كثيرة تبين نصرة علي لعثمان، ترجمة عثمان، ص(٣٩٥).

(٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٢١٣).

(٧) الطبقات (٣/ ٧٠) سنده صحيح.

فيما أخرجه البخارى فى قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علىَّ كذبًا لكذبت عنه(1)، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى، ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية، رضى الله عنه، أحذق من أن يفعل هذا(2).

٦- رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلى رضى الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها(3).

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة، رضى الله عنهما، على مصر من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أمر مجمع عليه(4)، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل(5)، أى التى ذكرها أبو مخنف فى روايته وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك(6)، هذا وقد نقل رواية أبى مخنف من الطبرى بعد حذف واختصار كل من: ابن الاثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغرى بردى(7)، وقد أخرج الكندى أيضًا عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بنى أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيرًا واكتموا ذلك، فإنى أخاف أن يعزله على إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ عليا فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول، فقال على: ويحكم، انه لم يفعل، فدعونى، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إنى قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك وأقدم(8)، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيى فى كتابه القيم مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى قال:

١- أنها من رواية مصرى ثقة وهو أعلم بقطره من غيره.

---

(١) البخارى رقم (٧).

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٤).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢١٤).

(٤) تاريخ خليفة، ص (٢٠١)، فتوح مصر (٢٧٤)، ولاة مصر (٤٤٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣).

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢) تاريخ بغداد (١/ ١٧٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).

(٦) فتوح مصر، وولاة مصر مرويات أبى مخنف، ص (٢٠٧).

(٧) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١٠٩٢)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٥١)

(٨) ولاة مصر، ص (٤٥ ، ٤٦) وفيها المدائنى وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.

٢- أخرجها مؤرخ مصرى.

٣- خلوها من الغرائب.

٤- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

٥- بينت تردد على فى عزل قيس حتى ألح عليه الناس فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[١].

- تعيين محمد بن أبى بكر على ولاية مصر:

تدخل بعض الناس للإفساد بين على وقيس بن سعد لكى يعزله، وفى نهاية المطاف طلب بعض مستشارى على منه أن يعزل قيساً وصدقوا تلك الإشاعات التى قيلت فيه، وألحوا فى عزله، فكتب إليه على: إنى قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك وأقدم[٢]. وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين على مكانه الأشتر النخعى[٣]، على أكثر الأقوال، وقد التقى على بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك؛ فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعزم بالشدة حين لا يغنى عنك إلا الشدة[٤]، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلزم) - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل إنه سقى شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[٥]، والتهمة الموجهة إلى معاوية فى قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح واستبعد ذلك ابن كثير[٦] وابن خلدون[٧]، وسار على نهجهما الدكتور يحيى اليحيى[٨]، وملت إلى هذا القول.

---

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٢١٠).

(٢) ولاة مصر (٤٥، ٤٦).

(٣) فتوح البلدان، ص (٢٢٩)، الولاية على البلدان (٢/ ١٢).

(٤) النجوم الزهرة (١/ ١٠٣).

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤).

(٦) البداية والنهاية (٨/ ٣٠٣).

(٧) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢٥).

(٨) مرويات أبى مخنف، ص (٢٢٤).

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب، وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر[1].

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا عليًا بعده، وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم – يقصد الذين لم يبايعوا عليا ولا غيره – على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم ، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل، فإن هذا لا ينقصك[2].

وقد حمل محمد معه عهداً من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[3]، وقد كتب أمير المؤمنين علي لمحمد بن أبي بكر كتاباً جاء عندما ولاه على مصر، ولم يكن هذا الكتاب مقتصراً على سياسة الولاية، بل يحوي دعوة محمد بن أبي بكر الصديق إلى الله، ومما جاء في هذا الكتاب: واعلم يا محمد أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان – إن شاء الله – كمن عمله، فإن رسول الله ﷺ قال حين رجع من تبوك: **«إن بالمدينة لأقواما ما سرتم من مسير، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض: يقول كانت لهم نية»**[4]، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي: أهل مصر ووليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر

(١) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٦).

(٢) ولاة مصر، ص (٥٠)، الولاية على البدان (٢/ ١٣).

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٦).

(٤) له أصل في صحيح مسلم، ك الإمارة (٣/ ١٥١٨).

فيه علي دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه، فاشتد على الظالم، ولِنْ لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك، وإخوانك، والسلام[1].

وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا عليًا، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة فلم يجيبوه، فبعث رجالاً إلى بعض دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربته[2]، ثم إن معاوية أعد جيشًا بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف مع من قاتلهم محمد بن أبي بكر، وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة آلاف مقاتل وفيهم مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج[3] ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر، وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة[4]، وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري[5]، شوهت كثيراً من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي:

اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن حديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه[6]، وأما المسعودي[7]، وابن حبان[8]، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر ولم يذكر التفاصيل[9]، ونقل ابن الأثير[10] رواية أبي مخنف في الطبري بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص

---

(1) تاريخ الطبري، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (٢٨٢).

(2) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢/ ١٣).

(3) تاريخ الطبري (٦/ ١١).

(4) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٩)، تاريخ الطبري (٦/ ٥).

(5) تاريخ الطبري (٦/ ٧ إلى ١٨).

(6) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٩٤).

(7) مروج الذهب (٢/ ٤٢٠).

(8) الثقات (٢/ ٢٩٧).

(9) مرويات أبي مخنف ص (٢٤١).

(10) الكامل (٢/ ٤٠٩ إلى ٤١٤).

المكاتبات بين على وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبى بكر على معاوية وعمرو بن العاص، من رواية أبى مخنف فى الطبرى.

وقد ذكر النويرى نحوا مما ذكره ابن الأثير[1]، وذكر ابن كثير قريباً مما ذكره ابن الأثير والنويرى، وأما ابن خلدون فأشار إلي معنى روايات أبى مخنف[2]، واختصر ابن تغرى بردى روايات أبى مخنف[3]، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبى مخنف وساهمت فى تشويه التاريخ الإسلامى لتلك الحقبة، وتناقلها الكتاب المعاصرون دون تمحيص وساهموا فى نشرها واستقرت كثير من تلك الأكاذيب فى أذهان بعض المثقفين، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التى نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن حديج لمحمد بن أبى بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة أم المومنين فقالت لى: ممن أنت؟ قلت: من أهل مصر ،قالت: كيف وجدتم ابن حديج فى غزاتكم هذه؟ فقلت: وجدناه خير أمير، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبداً، ولا بعير إلا اعطاه بعيراً، ولا فرس إلا أعطاه فرساً، قالت: أما إنه لا يمنعنى قتله أخى أن أحدث ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: **«من ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فشق عليه»**[4].

وقد اشتملت روايات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى حول ولاية محمد بن أبى بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتى:

١- ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى أعلم الناس بأمر الشام[5]، أنه قال: كان على بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير فلما مات على دعى معاوية بالشام أمير المؤمنين[6]. فهذا النص يبين أن معاوية لم

---

(١) نهاية الأرب (٢٠/ ١٠٧ - ١١٢).

(٢) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢٦ - ١١٢٨).

(٣) النجوم الزاهرة (١/١٠٧ - ١١٢).

(٤) مسند أبى عوانة (٤٠/ ١١٣)، مسلم (٣/ ١٤٥٨) مع اختلاف فى بعض الألفاظ.

(٥) قال الحاكم هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة، تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).

(٦) تاريخ الطبرى (٦/ ٧٦).

يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي وإلي هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا[١]، وعلق علي هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع[٢]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئًا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضى الله عنه، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم رضى الله عنهم[٣]، وإضافة إلي ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[٤]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك[٥].

٢- قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصر طعمة ما بقي، فهذه القصة أخرجها ابن عساكر بسند فيه مجهول[٦]، وذكرها الذهبي بصيغة التمريض وبالتالي تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

٣- اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضى الله عنه بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري[٧]، وقد ذكر الدكتور يحيي اليحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد بن أبي بكر من دم عثمان منها :

(أ) أن عائشة، رضى الله عنها، خرجت إلي البصرة للمطالبة بقتلة عثمان ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

(ب) لعن علي رضى الله عنه لقتلة عثمان، رضى الله عنه، وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليهم، وقد ولي محمد بن أبي بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

---

(١) تاريخ دمشق (١٦/ ٣٦٠).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

(٣) فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ٧٣).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).

(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤١٢).

(٦) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٦١).

(٧) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).

(جـ) ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قال: هل أندى محمد بن أبو بكر شئ من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، فخرج، ولم يند من دمه بشئ[1]، ويشهد بهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري، وكان ممن حضر يوم الدار[2]، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه[3]، وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل[4]، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أنه لما كلمه عثمان -رضي الله عنه- استحى، ورجع وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[5].

(د) ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) لمحمد بن أبي بكر بالمثلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحراقه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى، فقد ورد الزجر عن التمثيل بالكفار فكيف بالمسلمين، أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ: كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله **في سبيل الله قاتلوا، من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً**[6]، وقال الشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك؛ أي أن يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق ولا شئ يعدو ما وصفت، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة[7]، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا، وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ،

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص (٢٤٣).

(٢) المصدر نفسه ص٢٤٤، تهذيب الكمال (٦/ ٩٧).

(٣) مرويات أبي مخنف، ص (٢٤٤).

(٤) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).

(٦) صحيح مسلم (٣/ ١٣٥٧).

(٧) الأم (٤/ ١٦٢) انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص (٤٧٩).

ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة[1]، وقال عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله عز وجل إلي التمسك بهديهم والجرى على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[2] [النساء: ١١٥].

وأصح رواية جاءت في إحراقه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال: أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فادخل في جوف حمار فأحرق[3]، وهذا الرواية مرسلة أذ إن الحسن لم يشهد الحادثة، ولم يسم لنا من نقل عنه، إضافة إلي أن النص لم يذكر من قام بإحراقه، وأيضا ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضى الله عنه عليه وتفضيله له[4].

(هـ) ما ذكره من قوله علي (رضى الله عنه)، الفاجر بن الفاجر يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي (رضى الله عنه)، إذا إن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان، رضى الله عنه، قد أسلم وحسن إسلامه ومات قبل مقتل عثمان رضى الله عنه فلم يدرك الفتنة[5]، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله وأشدهم وقوفًا عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل[6].

(و) ما ذكره من قول معاوية بن حديج «رضى الله عنه» لعمرو بن العاص لما طلب ابن أبي بكر وتلاوته لهذه الآية ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣]، فهذا يعنى تكفير محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلي درجة التكفير، وقد وضح سعد بن أبي وقاص، رضى الله عنه، هذا بقوله: «إن ما بيننا لم يبلغ ديننا»[7]، وأيضا فإن معاوية بن حديج من جند عمرو بن العاص، رضى الله عنه، وما كان له أن يرفض طلب قائده[8].

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٣٠٥).

(٢) مقدمة الجرح والتعديل (١/ ٧).

(٣) المعجم الكبير (١/ ٨٤) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.

(٤) الاستيعاب (٣/ ٣٤٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٥)، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص(٢٤٨).

(٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (٢٤٧).

(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥١) وسنده صحيح، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبرى، ص (٢٤٨).

(٨) مرويات أبي مخنف، ص (٢٤٨).

(ز) ما أورده من قول محمد بن أبي بكر أن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب لم أقف له على أصل يثبت صحة نسبته إلى أبي بكر، أما إظهار براءة عثمان، رضى الله عنه، من ذلك فأشهر من أن تذكر[1]، وقد توسعت فيها في كتابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان.

ثامناً: ولاية البصرة:

أرسل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عثمان بن حنيف الأنصارى أميراً على البصرة بدلاً من عبد الله بن عامر واليها السابق الذى تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصارى صاحب خبرة فى المنطقة؛ إذ سبق أن عينه عمر على مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه[2]، وقد سار عثمان بن حنيف إلي البصرة ودخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاث فرق، فرقة بايعت ودخلت فى الجماعة، وفرقة اعتزلت وقالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفرقة رفضت الدخول فى البيعة.[3] ولم يلبث عثمان بن حنيف طويلاً فى الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش طلحة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل ومعهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان، وتطورت وحدث قتال، وخرج عثمان بن حنيف إلى على بن أبي طالب رضى الله عنه فلقيه فى طريقه إلي البصرة قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف، وقد وصل على بن أبى طالب إلي البصرة ومكث فيها بعضاً من الوقت حدثت فى أثنائه وقعة الجمل - التى سيأتى تفصيلها بإذن الله تعالى - وعندما أراد على بن أبى طالب الخروج من البصرة ولى عبد الله بن عباس، رضى الله عنه، وقد ولى على مع عبد الله بن عباس زياد بن أبيه على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظراً لما وجد على عنده من خبرة فى العمل وفطانة فى السياسة[4]، وقدم على بعض النصائح لابن عباس منها قوله: «أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره، اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك وإياك والإحن[5]، فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قربك من الله بعدك من النار، وما قربك من النار بعدك من الله، واذكر الله

---

(1) مرويات أبى مخنف، ص (248).

(2) سير أعلام النبلاء (2/ 320).

(3) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد على، ص (107)، تاريخ الطبرى (5/ 492).

(4) تاريخ الطبرى (5/ 580).

(5) الإحن: الأحقاد.

كثيراً ولا تكن من الغافلين(١). وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته وهوصحابي عرف بعلمه الواسع في الفقه والتفسير، وقد أثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفيان والياً عليه، كما أنابه حين خرج من البصرة فتمكن من ضبط الأمن فيها، ويعتبر عبد الله بن عباس من أهم رجالات أمير المؤمنين علي، وكان يرافقه في الأحداث الخطيرة، وينصح له ويجادل عنه، وكان أمير المؤمنين علي يعتمد عليه ويستشيره، وقد استمرت ولاية ابن عباس على البصرة حتى ٣٩هـ وكان يعاونه صاحب الشرطة وصاحب الخراج، وقد استمر ابن عباس في بعض الروايات على البصرة حتى مقتل علي، قال الطبري في حوادث سنة ٤٠هـ: وفيها خرج عبد الله بن عباس من البصرة، ولحق بمكة في قول عامة أهل السيرة، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى قتل، وبعد مقتل علي صالح الحسن معاوية، ثم خرج إلى مكة(٢).

إن شخصية ابن عباس كانت شخصية قيادية جمعت صفات القائد الرباني، من العلم والفطنة والذكاء والصبر، والحزم وغيرها من الصفات إلا أنه أشتهر بالفقه والعلم بسبب دعاء رسول الله له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، وأخذه عن كبار الصحابة، وقوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه، وحرصه على نشر العلم، ورحلاته وأسفاره، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر، رضي الله عنه(٣)، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس مازال شاباً غلاماً، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي عن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المومنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع اناس من أصحاب رسول الله، فاحفظ عني ثلاثًا: اتق الله ولا تفشين له سراً، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحداً(٤)، وكان عمر يدخله مع اكابر الصحابة، وما ذلك إلا لانه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر،

(١) وقعة صفين للمنقرى ص١٠٥، الولاية على البلدان (٢/ ١٥).

(٢) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٦).

(٣) تفسير التابعين (١/ ٣٧٤ – ٣٩٥).

(٤) الحلية (١٠/ ٣١٨) تفسير التابعين (١/ ٣٧٦).

ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس، رضى الله عنهما: كان عمر يسألنى مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لى: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتمونى أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه(١)، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس فى مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له فى العلم(٢)، وكان لعمر، رضى الله عنه، مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إذا صلى السبحة، وفرغ دخل مربداً له(٣)، فأرسل إلي فتيان قد قرءوا القرآن منهم ابن عباس، قال فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرفنا، قال: فمروا بهذه الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦، ٢٠٧]، فقال ابن عباس لبعض من كان إلي جانبه: اقتتل الرجلان: فسمع عمر ما قال، فقال: وأى شئ قلت؟ قال: لا شئ يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله، يقوم هذا فيامر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا اشترى نفسى، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا ابن عباس(٤)، وكان عمر، رضى الله عنه، يسأل ابن عباس عن الشئ من القرآن ثم يقول: غص غواص(٥)، بل كان إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا ابن عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه إذا كانت العضل(٦)، وعن سعد بن أبى وقاص قال: ما رأيت أحداً أحضر فهما، ولا ألب لبا، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله

---

(١) المستدرك (٣/ ٥٣) صحيح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧٧).

(٣) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان يجعل فيه التمر.

(٤) تفسير الطبرى (٤/ ٢٤٥)، الدر المنثور (١/ ٥٧٨).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٩٨١) رقم (١٤٠).

(٦) تفسير التابعين (١/ ٣٧).

لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[١]، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سئولا، وقلبا عقولا[٢]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحداً[٣]، وكان ابن عباس، رضى الله عنه، كثير الملازمة لعمر، حريصا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضى الله عنه من أكثر الصحابة نقلا ورواية لتفسير عمر وعلمه- رضى الله عنه-، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر، رضى الله عن الجميع[٤]، لقد كان اهتمام عمر به مساعداً له على المضى قدما فى طريق العلم عامة والتفسير خاصة[٥]، ولذلك تشرفت المدرسة المكية فى عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنهما[٦]، وكان ابن عباس فى عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة وقد كلفه بالحج بالناس فى العام الذى قتل فيه[٧]، هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب الصقوها بسيرته، علما بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدى وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمؤرخى الرفض والشيعة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار، ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فجاء مؤرخو الاستشراق وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمي، وكل هذا كذب وزور وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين، ولذلك تجد فى كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج المستشرقين، تشويها عجيبا للصحابة، فمثلا، زعمت تلك الكتب أن عبد الله بن عباس رضى الله عنه نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه على رضى الله عنه، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع للانضمام إلى معاوية[٨] بعد أن كان مع على، ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى(على وبنوه) الدكتور طه حسين والعبارات التى وردت على لسان طه حسين في كتابه (على وبنوه):

(١) طبقات ابن سعد (٢/٣٦٩)
(٢) تفسير التابعين (١/٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم (١٥٥٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/٣٧٠).
(٤) تفسير التابعين (٢/٣٧٠)
(٥) المصدر نفسه (١/٥٠٦).
(٦) فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابى، ص (٢٢٠).
(٧) تاريخ الطبرى (٥/٤٢٥-٤٣١).
(٨) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص (١٩١).

١- قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بني هاشم خاصة وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعًا، ما كان خليقًا أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه[١].

٢- قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول، ونجم معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه[٢].

٣- قال: ولو نسي ابن عباس نفسه قليلا، ولكنه لم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل، أن يكون واليا لعلي على مصر من أمصار المسلمين[٣].

وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التي اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة والموضوعة، ويكفي شرفًا لابن عباس دعاء رسول الله ﷺ له: «**اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين**»[٤].

هذا، وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته على البصرة بعد خروج علي من البصرة إلى الكوفة، ولحق ابن عباس بعلي قبيل صفين واستخلف على البصرة زياد بن أبيه[٥]، وفي أثناء ولاية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال أهمها ترتيب (سجستان) بعد أن قتل واليها على يد مجموعة من الخوارج حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من علي مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة ٣٦هـ[٦]، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة دور مع علي بن أبي طالب في معرفة صفين[٧]، كما قام ابن عباس بتنظيم شئون بعض الأقاليم التابعة لولايته وعين عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبيه فرتبها، واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم[٨]، وفي أيامه غدر أهل اصطخر فقام

---

(١) الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص (١٢١).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٢٢).

(٣) المصدر نفسه، ص (١٢٦).

(٤) الطبراني رقم (١٠٥٨٧) إسناده صحيح.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ،ص (٢٠١)، الولاية على البلدان (٢/ ١٦).

(٦) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٧) الولاية على البلدان (١/ ١٦)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٥ إلى ٦١٥).

(٨) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢، ٥٣).

بغزوهم وتاديبهم(١)، وفي سنة ٣٨ هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان رجلا إلى البصرة ليدعو له بين أهلها، إلا أن زياد بن أبيه نائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل في إحدى دور البصرة(٢)، وكان ابن عباس يرافق عليا في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء وابن عباس في البصرة كان علي يطلعه عليها بالكتب التي كان يرسلها إليها باستمرار ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضاً يكتب لعلي عن شئون ولايته، كما بعثه علي سنة ٣٨ هـ على الحج نيابة عنه، وقد استمر ابن عباس في ولاية البصرة إلى استشهاد علي أخذا برأي الطبري في ذلك، وقد وجد مجموعة من المساعدين لوالي البصرة أيام علي فيهم القاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم، كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس.

ومما سبق يتبين لنا ان علي بن أبي طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر، والي عثمان على البصرة، وعين مكانه عثمان بن حنيف، ولكن حملة الجمل احدثت ارتباكاً في البصرة، وبالتالي خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم علي، وبعد موقعة الجمل عمل عليٌ على تنظيم أمورها(٣). كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة علي طيلة عصره، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها(٤)، وبرزت في البصرة قدرات ابن عباس القيادية، وقد انتفع بصحبته لعلي رضى الله عنهما وتأثر به غاية التأثر، وكان أمير المؤمنين علي يتعهده بالنصح والإرشاد والموعظة بين الحين والآخر، حتى أن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليّ علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فإنه كتب إلي: أما بعد فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن

---

(١) الأخبار الطوال، ص (٢٠٥)، الولاية على البلدان (٢/١٦).

(٢) الولاية على البلدان (٢/١٦) نقلا عن خليفة بن خياط.

(٣، ٤) الولاية على البلدان (٢/١٧).

أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنا، وليكن همك فيما بعد الموت(١).

وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا ترك، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفا حرفا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب(٢)، وقد كان رضى الله عنه غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه، فعن أبى رجاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالى من البكاء(٣)، وكان رضى الله عنه يصوم الاثنين والخميس، فعن سعيد بن أبى سعيد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يا ابن عباس، كيف صومك قال: أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملى، وأنا صائم(٤)، وكان كريما جواداً يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم، فقد تعرض أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه لأزمة مالية وأثقلته الديون، فنزل على ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفا فأعطاه أربعين ألفا، وعشرين مملوكًا، وكل ما فى البيت (٥).

وكان من أبلغ الناس وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين، فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس، والروم والترك لأسلمت(٦)، وكان رضى الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت: أجمل الناس، فإذا نطق، قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث، قلت: أعظم الناس(٧)، وقال القاسم بن محمد: ما رأيت فى مجلس ابن عباس باطلا قط(٨)، وقد أصيب رضى الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال فى ذلك شعراً:

---

(١) صفة الصفوة (١/٣٢٧)

(٢) سير اعلام النبلاء (٣/٣٥٢)

(٣) المصدر نفسه (٣/٣٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٢) إسناده فيه ضعف إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبى ﷺ حيث قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم» رواه الترمذى رقم ٨٤٧ حديث حسن.

(٥) المصدر نفسه (٣/٣٥١)، الحلية (١/٣٢٤).

(٦، ٧، ٨) المصدر نفسه (٣/٣٥١)

إن يأخذ الله من عيني نورهما فغي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور[1]

وابن عباس رضي الله عنه نموذج رائع للعالم الرباني والقائد المحنك والأمير العادل، وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

تاسعاً: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري، وبعد مبايعة علي بالخلافة أقر أمير المؤمنين عليٌّ أبا موسى الأشعري على ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته، من حيث تقبل الكثير للبيعة[2]، وعندما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصاً، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة، فسأله علي عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر[3]، وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل- سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقا إن شاء الله تعالى- فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف واستشاروه في الخروج: فقال: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم[4]، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن، رضي الله عنه، بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل[5]، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر «وكان أحد قواد علي» قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه[6]، كما ذكرت بعض الروايات أن علياً كتب إلي

---

(1) سير اعلام النبلاء (٣/٣٥٧).
(2) تاريخ الطبري (٥/٤٦٧).
(3) المصدر نفسه (٥/٥١١).
(4) المصدر نفسه (٥/٥٠٨).
(5) المصدر نفسه (٥/٥١٧).
(6) المصدر نفسه (٥/٥١٩).

أبى موسى بعزله، وعين مكانه «قرضة بن كعب الأنصارى» والياً على الكوفة[١]، ثم إن على بن أبي طالب رضى الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة، وبالتالى كان على رضى الله عنه هو المسئول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات، وأصبح لها مكانة خاصة بقية عصره، حيث كانت عاصمة الخلافة ومنها يدير أمير المؤمنين على مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سبباً في جذب السكان إليها، ولاشك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة على، وقد كان رضى الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد اهلها بنفسه،كما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه، فحينما أراد على الخروج إلى صفين ولى على الكوفة «أبا مسعود البدرى»[٢] وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في «النهروان»[٣]، ولى على الكوفة «هانى بن هوذة النخعى»[٤]، فلم يزل بالكوفة حتى استشهد على[٥] رضى الله عنه.

ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاة، حتى إذا اتخذها على رضى الله عنه مقراً للخلافة أصبح هو المسئول عن ولايتها وأخذ ينيب عنه من يتولى شئونها في غيابه وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظراً لإقامة أمير المؤمنين فيها[٦].

عاشراً: ولايات الشرق:

١ - فارس: تذكر المصادر أن على بن أبى طالب ولىّ على فارس سهل بن حنيف الأنصارى، رضى الله عنه، وقد استمر واليا على فارس فترة من الوقت، ثم إن أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة ٣٧ هـ تقريباً، فاتصل على رضى الله عنه بابن عباس، وتباحث معه في شأن فارس، وكان ابن عباس على البصرة، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبى سفيان على فارس[٧]، وهنا يبدو الارتباط واضحاً بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسئوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة، إذ اتفق ابن عباس مع

---

(١) الاستبصار لابن قدامة ص ١٢٤، الولاية على البلدان (٢/ ١٩)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٣).

(٣) هى كورة واسعة بين بغداد وواسط بها العديد من القرى وبها وقعة أمير المؤمنين على مع الخوارج، معجم البلدان (٥/ ٣٢٤).

(٤) الولاية على البلدان (٢/ ٢٠)، تاريخ خليفة ص (١٨٧، ٢٠٢).

(٥) المصدر نفسه (٢/ ٢٠)

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٢٠)

(٧) تاريخ الطبرى (٦/ ٧١).

عليٌّ على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره، وقد توجه زياد إلى فارس بصاحبه أربعة آلاف جندي، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها وتمكن من ضبطها(١)، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر(٢)، يقول الطبري: لما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه، وخوف قوما وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضا، وصفت له فارس فلم يلق فيها حميا ولا حربا، وفعل مثل ذلك بكرمان(٣)، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد(٤)، وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شئون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت(٥)، وقد استمر زياد واليا على فارس بقية خلافة على رضى الله عنه، وكان زياد أشهر ولاة على على فارس نظراً لسياسته وتمكنه من ضبطها(٦).

وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت اصطخر، وذكر أنه كان من ولاتها المنذر بن الجارود(٧)، وجرت بينه وبين على بعض المكاتبات(٨)، كما أن زياد بن أبى سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل على رضى الله عنه(٩)، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التى تعد من أكبر كورها(١٠)، وقد ذكر من ولاتها لعلى محمد بن سليم(١١)، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلى «عمر بن سلمة» وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب(١٢)، وقد ضربت الدراهم زمن

(١) تاريخ الطبرى (٦/٥٣)
(٢) ولاية البلدان (٢/٢١).
(٣) تاريخ الطبرى (٦/٥٣).
(٤) المصدر نفسه (٦/٥٢).
(٥) المصدر نفسه (٦/٥٣)
(٦) الولاية على البلدان (٢/٢١).
(٧) الطبقات الكبرى (٥/٥٦١) (٧/٨٧).
(٨) تاريخ اليعقوبى (٢/٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢/٢٢).
(٩) الأخبار الطوال، ص (٢١٩)، الولاية على البلدان (٢/٢٢)
(١٠) معجم البلدان (١/٢٠٧)
(١١) الأخبار الطوال، ص (١٥٣)، الولاية على البلدان (٢/٢٢)
(١٢) الكامل فى التاريخ (٢/٤٤٢)

علي في هذه المناطق الفارسية سنة ٣٩ هـ، ولايزال بعض منها محفوظًا في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها[١].

٢- خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين، وفي خلافة علي رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد ذكر بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها، فقد ورد أن أول ولاة علي على خراسان عبد الرحمن بن أبزى[٢]، كما كان من ولاة علي إلى خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب[٣]، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى خراسان، بعد عودته من صفين سنة ٣٧ هـ وكان أهل خراسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى[٤]، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهلها، وضبط أمورها مرة أخرى[٥].

كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حد ما بوالي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطا إداريًا بين الإقليمين، وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن جزء الطائي[٦]، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فسادا في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميراً آخر إلى سجستان، فوجه ربعي بن كأس العنبري، فاستطاع القضاء على ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٧].

وكانت همدان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود وال مستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي، وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همذان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة

---

(١) الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين، ص (٥)، وداد القزاز.

(٢) فتوح البلدان، ص (٣٩٩).

(٣) تهذيب الكمال (١/١٩١)، الولاية على البلدان (٢/٢٣).

(٤) فتوح البلدان، ص (٣٩٩)، الولاية على البلدان (٢/٢٣)

(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٩٩)، الولاية على البلدان (٢/٢٣).

(٦) الولاية على البلدان (٢/٢٣).

(٧) فتوح البلدان، ص (٣٨٧)، الأخبار الطوال، ص (١٥٣)، الولاية على البلدان (٢/١٥٣)

على من قبله من الناس والقدوم إليه(١)، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إنى بعثت إليك بفلان، فاسأله عما بدا لك واقرأ كتابى هذا على المسلمين(٢)، وقد قدم جرير إلى على فى الكوفة فبعثه إلى معاوية فى الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد على، ومنهم الأشتر وغيره، فلحق جرير بمعاوية فى الشام، وترك ولايته، وكان ذلك قبيل موقعة صفين(٣).

٣- **أذربيجان**: كان الأشعث بن قيس عاملا على أذربيجان حينما توفى عثمان بن عفان، فلما بويع على بن أبى طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له، وأن يأخذ له البيعة على من قبله(٤)، ويبدو أن عليا رضى الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق بعلى فى الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه فى صفين(٥)، وفى قتال الخوارج، ويبدو أن عليا رضى الله عنه ولىّ على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن سارية الخزاعى، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخري على أذربيجان، ويظهر أن عليا ضم إليه ولاية أرمينية، كما صرح بذلك البلاذرى(٦)، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية أذربيجان لعلى، ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أردبيل(٧)، وتمصيرها وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها(٨)، وقد وردت بعض الأسماء لولاة على فى بعض بلدان المشرق الأخرى، من ذلك أسماء بعض الولاية فى الأهواز، ومنهم الخريت بن راشد، وقد كان واليًا على بعض بلاد الأهواز قبل صفين، فلما رجع على من صفين أخذ الخريت بجمع الجنود، ويدعو إلى خلع على، واستولى على بعض الأماكن فبلغ ذلك عليًا فوجه إليه جيشًا تمكن من القضاء على حركته وقتله(٩)، وسيأتى الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى.

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٥٩٩).

(٢) الفتوح ابن اعثم الكوفى (٢/٣٦٣)، الولاية على البلدان (٢/١٦٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/٦٠٠، ٦٠١).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/٥٩٩).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص (١٩٣)، الولاية على البلدان (٢/٢٤)

(٦) فتوح البلدان ،ص (٢٠٧)، الولاية على البلدان (٢/٢٤).

(٧) أدربيل من اشهر مدن أذربيجان وهى قاعدتها قبل الإسلام، واشتهرت بذلك فى صدر الإسلام وتقع حاليًا على بعد ٦٤ كيلو مترًا شرق تبريز، معجم البلدان (١/١٤٥).

(٨) فتوح البلدان ،ص (٣٢٤)، الولاية على البلدان (٢/٢٥).

(٩) تاريخ اليعقوبى (٢/٩٥)، تاريخ الطبرى (٦/٢٧-٤٧).

ومن الأمراء لعلي في الأهواز مصقلة بن هبيرة الشيباني[١]، وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فاعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فر إلى معاوية في الشام[٢]، وقد أورد خليفة بن خياط واليًا لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعًا أيام علي وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة[٣] يسيرة، كما ذكر من ولاة علي (يزيد بن حجية التميمي) وقد استعمله علي على «الري» بعد صفين، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأن أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام[٤]، وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مسعود الثقفي، وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن[٥]، وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه- المختار بن أبي عبيد الثقفي[٦]- على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفا غير شرعي في أموال الخراج[٧]، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع، وقد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة[٨].

وهكذا رأينا فيما سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهدا كبيرا في تنظيم الولايات، وأنه عاني من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام وفلسطين وما جاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه العراق وفارس فقد عاني فيها من المشكلات الكثيرة وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق، خصوصًا في السنوات الأخيرة من حكم

---

(١) الأنساب للسمعاني (٧/٤٣٨)، الولاية على البلدان (٢/٢٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/٣١٠)، الولاية على البلدان (٢/٢٥).

(٣) تاريخ خليفة، ص (٢٠٠)، الولاية على البلدان (٢/٢٥).

(٤) نهاية الارب (٢٠/١٩٧) الولاية على البلدان (٢/٢٦).

(٥) تاريخ الطبري (٥/٦٩٠).

(٦) المصدر نفسه (٥/٦٩٠).

(٧) التمهيد والبيان، ص (١٨٦)، الولاية على البلدان (٢/٢٦).

(٨) الاخبار الطوال ،ص (٢٦) نقلا عن الولاية على البلدان (٢/٢٦).

علي، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاما، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي، ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالي تخلي عن ولاياتهم، كجرير بن عبد الله في همذان، ومفضلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهما، وهكذا يتضح أن عليا رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شئون تلك البلاد كما أراد، وواجهته العديد من العقبات التي بددت طاقته، واستنفدت جهوده رضي الله عنه، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء، وكان هذا على حساب رصدهم للشئون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات[١].

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٢٧) جل هذا المبحث من كتاب الولاية على البلدان للدكتور عبد العزيز العمري ،وهو من افضل ما اطلعت في هذا الباب فجزاه الله خيراً.

المبحث الثاني

تعيين الولاة في عهد علي رضي الله عنه

بويع علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنه، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن عليا رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحًا في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة، وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية وخصوصًا فيما يتعلق بالولاة على البلدان[1].

أولاً: موقف علي من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه:

١- موقف علي من ولاة عثمان:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك إدراكًا كاملا، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان، رضي الله عنه، وذلك بسبب ما أشاعه رءوس الفتنة ضد عثمان وولاته، وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاة، يستفتحون بقولهم: إن عليا لم يكن ليرضى أن يبقى عمال عثمان على ولايتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته[2]، وما افظع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان، رضي الله عنه، وضد عماله، وقد نسفته في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل[3]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان على روايات واهية ومشهورة وهي: أولا من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فاتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليًا به فحبسني حتى

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٢٧، ٢٨).

(٢) الخلفاء الراشدين للنجار، ص (٣٧٤).

(٣) عثمان بن عفان للصلابي، ص (٢٦٤ - ٢٨٩).

خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم، يبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى، قال: ثم انصرف من عندى وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطىء ثم عاد إليّ الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذى أشرت عليك وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيا، وأنا أرى أن تصنع الذى رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان، قال ابن عباس: فقلت لعلى: أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الأخيرة فقد غشك، قال لي على: ولو نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لايبالون بمن ولي الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك، فقال على: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدينا لإصلاحهما، وأما الذى يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولى منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف، قال ابن عباس: أطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا، فأبى على، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأى، معاوية من بني أمية، وهو ابن عم عثمان رضى الله عنه وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان، أوأدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم عليّ، فقال له على: ولم ؟ قال: لقرابة ما بيني وبينك، وإن كان ما حمل عليك حمل على ولكن اكتب إلى معاوية فمنه وعده، فأبى على وقال: والله لا كان هذا أبداً [١].

ب- الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعني، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك في صحتها، وهو أن ابن عباس قدم مكة بعد مقتل عثمان- رضى الله عنه- فلقى في طريقه الزبير وطلحة ومعهما فئة من قريش بالنواصف[٢]، يريد مكة، وهذا يخالف

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦١ إلى ٤٦٣).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٤٦٣).

الحقيقة، إذ إن عليا بويع بعد أن وصل ابن عباس من الحج، وأن الزبير وطلحة قد بايعا عليا، فإذا خرجا في هذا الوقت يكون قد خرجا قبل البيعة وهذا خطأ واضح جلي[1].

جـ- الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على عليٍّ أن يثبت معاوية على الشام، وأن يولي طلحة والزبير البصرة والكوفة، فاعترض ابن عباس على رأيه لأن البصرة والكوفة عين المال ومصدره، فإذا ولاهما ضيقا على عليٍّ، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره، فاستمع علي إلى رأي ابن عباس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة[2].

د- الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشيء من الاختصار عن ابن عبد البر[3]، ولكن بدل ابن عباس، الحسن[4]. إن هذه الروايات يأتي خطرها من حيث إنها الأساس الذي بنيت عليه أهم الدراسات المعاصرة وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى، في دينهم وفي عدلهم وأمانتهم، وتصورهم أفراداً ماديين همهم الثروة والسلطان ولو على حساب دماء المسلمين، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان، وما حرب الجمل إلا بسبب هذه الأطماع الشخصية[5]، ويظهر الاضطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة علي يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة وقد تقدم. وقوله: أشار المغيرة على عليٍّ بأن يرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم على أعمالهم.. يخالف روايات أوثق منها تفيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم واتخذوا سبيلهم إلى مكة، فكيف يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟

و قوله: إن عليا قال في هؤلاء الولاة، والله لو كانت ساعة نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء، ولا مثلهم يولىّ، يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلون للإمارة والقيادة، فقد توسعت على أيديهم الدولة الإسلامية، فعبد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة في ولايته إلى كابل- عاصمة أفغانستان- أما معاوية فلولا أنه لم يكن مؤهلا ما ولي عشرين

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (١٠٣).

(٢) أنساب الأشراف (٢/ ٣٦).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٣٧١) بحاشية الإصابة.

(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (١٠٣) تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلافة الراشدة، ص (٥٣٧).

(٥) علي وبنوه، طه حسين إسلاميات، ص (٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٤)، عبقرية علي ص (٥٣، ٥٥، ٧٥) للعقاد.

عاما.. وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجزهم، والواقع التاريخي يثبت ذلك، وتصور الرواية الواهية المغيرة بن شعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالاة بمصلحة المسلمين، وفي هذا الوقت العصيب بالذات، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل الفتنة وبعدها، كما تصور- عن حسن نية- عليا رضي الله عنه بالجاهل في هذه الأمور السياسية، وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور[1]، وأما رواية أبي مخنف، فإن ابن عباس يشير على علي بعزل معاوية وأن ولايته لا تنفعه «سياسيا» بخلاف روايات الواقدي- وفيها أن الصحابيين الجليلين طلحة والزبير إذا ولاهما على مصري العراق، فسيستأثران بموارده المالية[2].

إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كاف في إسقاطها، ومضطربة ومنكرة من حيث المتن، وهي روايات افتراضية إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهي لا تنقل الخبر التاريخي على حقيقته، وللأهواء وتدخل الراوي بشخصه وميوله الرافضية أثر في ذلك[3].

وما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من تعيين ولاة جدد أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى[4].

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة، وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسب ما يراه ملائما لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه، وقد عزل عمر بعض ولاة أبي بكر، كما عزل عثمان بعض ولاة عمر. وبالتالي من حق علي أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره[5]، وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين في قضية عزل علي لولاة عثمان، فاشتطت أقلامهم في تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله على صلابة علي في الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله على ضعف خبرة علي السياسة، وأن الأولى سياسيا إبقاء الولاة، وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ البيعة لعلي في الأمصار، وهذه التفسيرات مدارها على روايات واهية وأخبار ضعيفة تدور حول إبداء

---

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص (105).

(2) المصدر نفسه، ص (106).

(3) المصدر نفسه، ص (106).

(4) علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، ص (176).

(5) عصر الخلافة الراشدة، ص (129).

المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية[١]، كما أن عليا- رضي الله عنه- إمام مجتهد له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأى المصلحة في ذلك، وقد ولّى رسول الله ﷺ -وهو المعصوم- خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء وعمرو بن العاص على عمان[٢]، فعزلهما الخليفة الصديق من بعده - رضي الله عنه-، عزل خالد وولى مكانه المهاجر بن أبي أمية- له صحبة- وعزل عمرو وولى مكانه حذيفة بن محصن- له صحبة[٣]-، وقد ولى أبو بكر- رضي الله عنه- القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى ابن حارثة- رضي الله عنهما- فعزلهما عمر- رضي الله عنه- مع كفاءتهما[٤]، وولى الفاروق - رضي الله عنه- على مصر عمرو بن العاص[٥]-رضي الله عنه - وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه - [٦]، فعزلهما ذو النورين، وولى على مصر ابن أبي سرح[٧]، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص[٨]، فهل ينتقد عاقل الصديق والفاروق وذا النورين في عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء، إن لكل وقت أحوالا وظروفا تطرأ، فيحمل اللاحق على ما لايراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد مالايراه الغائب[٩]، وأما قول بعض الكتاب المعاصرين بأن أمير المؤمنين على عزل جميع عمال عثمان،فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية بن أبي سفيان في الشام [١٠]، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة [١١]، وأما البصرة فخرج منها عبد الله بن عامر، ولم يول عثمان عليها أحداً[١٢]، وفي اليمن أخذ أميرها يعلى بن منية- رضي الله عنه- مال جباية اليمن وقدم مكة بعد مقتل عثمان وانضم إلى طلحة والزبير وحضر معهم موقعة الجمل، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر واستناب ابن عمه عليها، فلما رجع إليها وجد ابن أبي حذيفة تغلب عليها

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٥٩).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص (٩٧).

(٣) المصدر نفسه، ص (١٢٣).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٢).

(٥) المصدر نفسه، ص (١٥٥).

(٦) تاريخ الطبري (٥/٤٦٧)

(٧) سير أعلام النبلاء (١/٣٣)، الولاية على البلدان (١/١٧)

(٨) تاريخ الطبري (٥/٢٥١).

(٩) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/٩٩).

(١٠) المعجم الكبير للطبراني (١٢/٢٦١)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٨١) رجاله رجال الصحيح.

(١١) تاريخ ابن خياط، (٢٠١)، الولاية على البلدان (٢/٣)

(١٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٥)، الإصابة ترجمة (٤٧١١).

فطرده عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات [١]. وهكذا فإن أميرى اليمن والبصرة عزلا نفسيهما، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبى حذيفة، وأمير الكوفة أقره على- رضى الله عنه- فى منصبه، فلم يرد العزل حقيقة إلا فى حق معاوية والى الشام وخالد بن أبى العاص والى مكة، كما أن أمير المؤمنين على رضى الله عنه ولى أخيار الناس على المسلمين، فمن الولاة الذين ولاهم على الأقاليم سهل بن حنيف على الشام وهو صحابى جليل شهد بدرا وأحدا، وثبت مع النبى ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس وبايعه على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ، وشهد أيضًا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[٢]، وولى عثمان بن حنيف على البصرة، وهو صحابى من الأنصار كان عاملاً لعمر على العراق[٣]، كما ولى قيس بن سعد بن عبادة على مصر[٤]، وكان صاحب شرطة النبى ﷺ وكان جواداً من ذوى الرأى والذكاء[٥]، وولى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على اليمن له صحبة[٦]، وهو أصغر من أخيه بسنة، وكان كريمًا ممدوحًا نبيلاً[٧]، وأما قول بعض الكتاب، إنه عزل العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار، فإن تولية الإمام العمال على الأمصار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أى خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعاً وعقلاً، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأمصار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق -رضى الله عنه- لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة ومحاربة المرتدين ومانعى الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجواثى فى البحرين، وكذلك الفاروق، رضى الله عنه، فإنه استهل خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبى عبيدة بن الجراح قائداً عامًا على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه، وتصرف ذو النورين -رضى الله عنه- فى أمور المسلمين أيضًا قبل بيعة الأمصار إليه[٨].

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٠٠).

(٢) الطبقات (٣/٤٧١)

(٣) التاريخ الكبير للبخارى (٣/٢٠٩).

(٤) النجوم الزاهرة (٢/٩٤)، ولاة مصر ص ٤٤.

(٥) الإصابة (٣/٩٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٠١).

(٦) تاريخ خليفة، ص (٢٠٠)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٠١).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣/٥١٢).

(٨) تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٠١).

٢- تعيين أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعض أقاربه على الولايات:

تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات فى خلافتى عثمان وعلى، حيث إن عثمان عين عدداً من الولاة، وقد تم تبيين ذلك، وكانوا خمسة من بنى أمية من ثمانية عشر واليًا، وعندما توفى عثمان لم يكن من بنى أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم معاوية وعبد الله بن سعد بن أبى السرح،وعبد الله بن عامر بن كريز فقط، وعزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التى عزل منها عمر سعد بن أبى وقاص، الكوفة التى لم ترض بوال أبداً، إذ عزل عثمان، رضى الله عنه، لأولئك الولاة لايعتبر مطعنًا فيهم بل مطعن فى المدينة لتى وُلوًا عليها[١]، ثم إن الولاة الذين ولأهم عثمان، رضى الله عنه، من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة فى إدارة شئون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان وساروا فى الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك فى عهد الصديق والفاروق، رضى الله عنهما[٢]، وقد قام أمير المؤمنين على رضى الله عنه بالسير على منهج عثمان فى تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات، وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب، وهم على التوالى، عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس وقثم وتمام ابنا العباس، ومحمد بن أبى بكر ربيبه، والتحقيق يثبت أن كلاً من على وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التى تسود الولايات تقتضى اختياراً دقيقًا للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الفتوحات فى الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلاً عن مشكلات الخوارج فى خلافة على[٣]،ولو تأملنا فى أنساب ولاة على لوجدنا أحد عشر واليًا منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين واليًا، وسبعة منهم من قريش -بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب- وهذه قائمة بأسماء الولاة فى خلافة على[٤].

١- سهل بن حنيف الأنصارى (المدينة)

٢- تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة)

---

(١) حقبة من التاريخ، ص (٧٥)، عثمان بن عفان للصلابى، ص (٢٦٥)، هناك تحقيق موسع فى المسألة.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤١٧).

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٢٩).

(٤) المصدر نفسه، ص (١٢٩).

٣- أبو أيوب الأنصارى (المدينة)

٤- أبو قتادة الأنصارى (المدينة)

٥- قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف)

٦- عمر بن أبى سلمة (البحرين)

٧- قدامة بن العجلان الأنصارى (البحرين)

٨- النعمان بن العجلان الأنصارى (البحرين)

٩- عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين)

١٠- سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى (الجند)

١١- مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر)

١٢- شبيب بن عامر (الجزيرة)

١٣- كميل بن زياد النخعى (الجزيرة)

١٤- محمد بن أبى حذيفة بن عتبة (مصر)

١٥- قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى (مصر)

١٦- محمد بن أبى بكر الصديق (مصر)

١٧- عثمان بن حنيف الأنصارى (البصرة)

١٨- عبد الله بن عباس (البصرة)

١٩- أبو الأسود الدؤلى (الكوفة)

٢٠- هانى بن هوذة النخعى (الكوفة)

٢١- أبو موسى الأشعرى (الكوفة)

٢٢- أبو مسعود البدرى (الكوفة)

٢٣- قرظة بن كعب الأنصارى (الكوفة)

٢٤- سهل بن حنيف الأنصارى (فارس)

٢٥- زياد بن أبى سفيان (فارس)

٢٦- المنذر بن الجارود (اصطخر)

٢٧- عمر بن سلمة (أصبهان)

٢٨- محمد بن سليم (أصبهان)

٢٩- خليد بن قرة التميمى (خراسان)

٣٠- عبد الرحمن بن أبزى (خراسان)

٣١- جعدة بن هبيرة بن أبى وهب (خراسان)

٣٢- عبد الرحمن بن جزء الطائى (سجستان)

٣٣- ربعى بن كاس العنبرى (سجستان)

٣٤- جرير بن عبد الله البجلى (همذان)

٣٥- الأشعث بن قيس الكندى (أذربيجان)

٣٦- سعيد بن سرية الخزاعى (أذربيجان)

٣٧- الخريت بن راشد الناجى (الأهواز)

٣٨- مصقلة بن هبيرة الشيبانى (الأهواز)

٣٩- يزيد بن حجية التميمى (الرى)

٤٠- سعد بن مسعود الثقفى (المدائن)

٤١- الحارث بن مرة العبدى (السند)[١]

إن عثمان وعليا - رضى الله عنهما - خليفتان راشدان يقتدى بهما، وأفعالهما تشكل سوابق دستورية فى هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعلياً سنا لمن بعدهم تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة[٢].

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص (١٣٠، ١٣١، ١٣٢).

(٢) الأساس فى السنة وفقهها سعيد حوى (٤ / ١٦٧٥)، عثمان بن عفان للصلابى، ص (٣٦٥).

ثانيًا: مراقبة أمير المؤمنين على لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين على رضى الله عنه على مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم فى ولاياتهم والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك، واخرج فى طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالى وتنظر فى سيرتهم [١]، كما كان على رضى الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم [٢]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفى الوالى أو آخرين مجهولين، وقد يكونون مقيمين فى الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى، ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه على رضى الله عنه إلى هؤلاء الولاة، ولعل تدخل بعض الاشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب فى ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل الأشتر بين على وجرير بن عبدالله البجلى، وتدخل بعض الناس بين على ومصقلة بن هبيرة[٣]، وقد فتح على رضى الله عنه الباب على مصراعيه لأى شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إنى لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك[٤]، وقد قام رضى الله عنه بحبس أحد الولاة وتاديبه وضربة بالدرة حينما بلغته شكاية عنه[٥]، وثبتت التهمة.

وقد كان أمير المؤمنين على دائم النصح لولاته، وقد نصح على رضى الله عنه مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه على مصر حيث أوصاه: تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن[٦]. ومن نصائحه إلى قيس بن سعد فى إحدى رسالاته: أما بعد فاقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبى (٢/٢٠٤)

(٢) الولاية على البلدان (٢/٣٣)

(٣) تاريخ الطبرى (٥ / ٦٠٠، ٦٠١)

(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٥١)

(٥) الولاية على البلدان (٢ / ٣٤) نقلا عن الكامل لابن الاثير

(٦) الولاية على البلدان (٢/٣٦)

جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله[1]، وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان فى تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد على إلى محمد بن أبى بكر فى ولاية مصر الذى قرأه على الناس، فقد كان يحتوى على جملة من النصائح للعامة وللوالى نفسه[2]، وكانت تجرى بين على وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية، أو الشفهية، أو بالاتصال المباشر، وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين على أو للاشتراك معه فى قتال الخوارج وغيرهم، ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته فى الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وإنما كان ينيب عنه، وفى ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة على اتصالا به، نظرا لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها، وكان على كثيراً ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوبا، وبعضها مشافهة، فقد جاء فى أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله: «فإنكم خزان الراعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تجشموا أحدا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولاتبيعن الناس فى الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، وعبداً، ولا تضربن أحداً سوطا لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد[3]». وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى على من أحد عماله فكتب إلى ذلك العامل: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة احتقارا وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقضوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله[4].

ثالثاً: الصلاحيات الممنوحة للولاة فى عهد على رضى الله عنه:

امتنع أمير المؤمنين على عن تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدؤه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات، فقد نصب ابن عباس واليا على البصرة، ونصب زياداً على الخراج وبيت المال، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه

(1) الولاية على البلدان (٢/٣٦)

(2) تراث الخلفاء الراشدين، ص (١٥٦).

(3، 4) نهج البلاغة (٢/١٥٥)

ويطيع[1]، وهذا قمة الضبط الإدارى، فزياد يطيع ابن عباس فى إطار ولايته على البصرة، وابن عباس يطيع زياد فى إطار عمله فى بيت المال والخراج، أما لشئون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلى[2].

ومن خلال عهد أمير المؤمنين على الذى كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصلاحيات الممنوحة للولاة، ونحاول أن نجعل الصورة أكثر وضوحا مع التفصيل :

١- تعيين الوزراء :

يقول أمير المؤمنين فى عهده لمالك بن الأشتر : إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا، ومن شركهم فى الآثام فلا يكونن لك بطانة[3]، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف[4]، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، ويبين عليه مثل آصارهم وأوزارهم [5]، ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه، أولئك أخف عليك مئونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفا، وأقل لغيرك إلفا[6]. ففى هذا النص الذى أورده أمير المؤمنين على بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية :

أ- تعيين الوزراء من صلاحيات الوالى.

ب- الشروط التى يجب أن يختار الوالى وزراءه بموجبها.

جـ- طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالى والوزير.

د- وظيفة الوزير.

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين على بل اكتفى بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالى إلى المعاونين، لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالى فى وظائفه، وهناك شروط حددها أمير المؤمنين على : أن لا يكون وزيرا سابقا للولاة الأشرار، وينتخب الوالى من مجموع وزرائه وزيرا واحدا يكون نائبه ومساعده فى تمشية الأمور،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٨٠)

(٢) تاريخ خليفة ابن خياط، ص (٢٠٠).

(٣) بطانة الرجل خاصته، والأثمة : جمع إثم : والظلمة : جمع ظالم.

(٤) الخلف : بمعنى البدل.

(٥) الآصار : جمع إصر وهو الذنب والإثم وكذلك الأوزار.

(٦) الألف : الإلفة والمحبة.

ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس(١) قول أمير المؤمنين: ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك(٢)، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع(٣)، وأما وظائفهم فهى تدخل فى دائرة «المساعدة»، وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالى الذى يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالى بصورة مباشرة(٤).

٢- تشكيل مجالس الشورى:

وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد ورد فى حقهم هذا النص: وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك(٥).

وفى هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء فى مجالس استشارية منتظمة، ويمكن أن يجرى تعيينهم من قبل الوالى أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، أما كيف تم جمعهم؟ فهل اجتمعوا بأمر من الوالى أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمنين على، بل تركه معلقا حسب الظروف التى تتحكم فى طريقة تعيينهم، إما باختيار الوالى أو انتخاب الناس، وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

أ- تثبيت ما صلح عليه البلاد.

ب- إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالى.

وهذا يعنى وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد، سواء كان ذلك فى مصرف بيت المال أو تعيين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من

---

(١) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على د. محسن الموسوى، ص (٢٦١).

(٢) مر الحق: صعوبته على نفس الوالى.

(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦٠٩).

(٤) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢٦١).

(٥) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١).

تجار وصناع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها على اللامركزية(١)، وفي نص آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف(٢)،وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وأمورهم فقال: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به(٣)، ولا تحقرن لطفًا تعاهدتهم(٤) له، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمه، فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به، وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه(٥).

٣- إنشاء الجيش وتجهيزه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمالك الاشتر النخعي: وليكن آثر رءوس جندك عندك(٦) من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم، ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم همًا واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم(٧)، يعطف قلوبهم عليك(٨)، والذي يظهر من هذا النص:

أ- لابد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية:

ب- تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسئولية الوالي، ويجري الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

---

(١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، ص (١٦١).
(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٢).
(٣) تفاقم الأمر: عظم، فهم مستحقون لكل خير.
(٤) أي لا تعد شيئًا من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته، فكل تلطف له موقع في قلوبهم.
(٥) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٣).
(٦) أي أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.
(٧) أي على الرؤساء.
(٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٣).

جـ- تعيين رؤساء الجند من مسئولية الوالى، وهناك شروط على الوالى يجب العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلابد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم همًا واحدًا فى جهاد العدو[1]، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك[2].

٤- ترسيم السياسة الخارجية فى مجال الحرب والسلم:

يقول أمير المؤمنين على رضى الله عنه لواليه مالك الأشتر: ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا فإن فى الصلح دعة لجنودك[3]، وراحة من همومك وأمنًا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل[4]، فخذ بالحزم، واتهم فى ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة[5]، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[6]، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعًا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[7]، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر[8]، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسنَّ بعهدك[9]، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى، وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه بين العباد برحمته[10]، وحريمًا يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره[11]، فلا إدخال ولا مدالسة[12]، ولا خداع فيه ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل[13]، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق

---

(١) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على ص (٢٦٥).

(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص (٦١٣).

(٣) الدعة: الراحة.

(٤) قارب أى تقرب منك بالصلح ليلقى عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

(٥) الذمة: العهد.

(٦) أى الوقاية اى حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٧) أى أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من الوفاء بالعهود.

(٨) لانهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة اى مهلكة.

(٩) خاس بعهد: خانه ونقضه، والختل: الخداع.

(١٠) أفضاه هنا: بمعنى أفشاه.

(١١) يستفيضون: أى يفزعون إليه بسرعة.

(١٢) الإدخال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة.

(١٣) نهج البلاغة، ص (٦٢٧).

أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[1]، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك[2].

واستناداً لهذا النص يقوم الوالي بـ:

١- عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

٢- أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة. وبين هذين الأمرين تجرى مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات[3].

٣- الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها[4]، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين على مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكًا عمليًا في حياته بالوفاء بالعهود، وقد حذر الله من نقض الإيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل:٩١]، وقال جل وعلا ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء:٣٤]

٥- الحفاظ على الأمن الداخلي:

وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: «أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء[5]»، وتأتي هذه السياسة للحفاظ على الأمن الداخلي، فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكل بطرق سلمية بعيدة

---

(١) نهج البلاغة، ص (٦٢٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (٦٢٧).

(٣) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، ص (٢٥٦).

(٤) منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص (٣٢٩).

(٥) الولاية على البلدان (٢/٣٧) نقلا عن شرح نهج البلاغة (٢/٢٣٠) طبعة أخرى غير محمد عبده.

عن استخدام القوة رافضًا سياسة الاستقواء على الشعب(١)، وفى رسالته إلى مالك الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويهونه، بل يزيله وينقله(٢).

٦- تشكيل الجهاز القضائى فى الولاية:

يقول أمير المؤمنين على رضى الله عنه: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم(٣)، ولا يتمادى فى الزلة، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه(٤)، ولا تشرف نفسه على طمع(٥)، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه(٦)، وأوقفهم فى الشبهات(٧)، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء(٨)، ولا يستميله إغراء.. وافسح له فى البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك». فانظر فى ذلك نظرًا(٩) بليغًا.

من هذا النص يظهر لنا:

أ- من مسئولية الوالى تعيين القضاة.

ب- على الوالى الالتزام بشروط صارمة فى اختيار القاضى.

جـ- على الوالى رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين(١٠).

٧- النفقات المالية:

المصدر لتمويل النفقات فى الولاية أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفئ والخراج والعشور، وتوضع فى بيت المال وهو المحل الذى يجتمع فيه بيت مال المسلمين، وهناك

---

(١) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢٥٧).

(٢) شرح نهج البلاغة، ص (٦٢٧).

(٣) لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.

(٤) أى: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(٥) الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.

(٦) لا يكتفى فى الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتى على أقصى فهم.

(٧) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.

(٨) لا تستخفه زيادة الثناء عليه.

(٩) شرح نهج البلاغة، ص (٦١٥).

(١٠) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٥٨).

عامل فى بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال، وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة فى الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولا إنفاقه على شئون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار إلخ.. وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذى يوزع الدم فى شرايين الأجهزة العاملة(١)، قال أمير المؤمنين على: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة(٢)، وجزء من هذه الأموال مصدره الخراج -كما ذكرنا- وهو ما وضع لأخذه على الأرض المزروعة وهو المصدر الأول لتغطية رواتب موظفي الولاية، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين، يقول أمير المؤمنين على: الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، والمقصود بالناس عامة الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضى الله عنه: « لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج». وقد أرشد أمير المؤمنين إلى استثمار الأرض؛ أى عمارة الأرض فقد قال: « وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج لغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد(٣)»، فعمارة الأرض ستضيف موارد مالية جديدة يمكن الاستفادة منها فى مجال الرواتب والنفقات المتنوعة، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التى لها حصة من هذه الموارد بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: « وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا(٤)»، كما أن النفقات المهمة فى الولاية إعمار الأنهار، فقد كتب أمير المؤمنين على لقرظة بن كعب الأنصارى: « أما بعد فإن رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً فى أرضهم قد عفا واندفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم أعمر وأصلح النهر، فلعمرى لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا ويقصروا فى واجب من صلاح البلاد والسلام(٥)».

---

(١) الإدارة والنظام عند الإمام على، ص (٢٦٢).

(٢) شرح نهج البلاغة، ص (٦٤٧).

(٣) المصدر نفسه، ص (٦١٧).

(٤) المصدر نفسه (٦١٨)، الإدارة والنظام، ص (٢٥٨).

(٥) تاريخ اليعقوبى (٢/٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢/٣٧).

٨- العمال التابعون للولاة ومتابعتهم:

قال أمير المؤمنين على: «ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً[١]، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، أهل البيوتات الصالحة والقدم فى الإسلام[٢] المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقًا وأصح أعراضًا، وأقل فى المطامع إشرافًا، وأبلغ فى عواقب الأمور نظرًا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق[٣]، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[٤]، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون[٥] من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك فى السر لأمورهم حدوة لهم[٦] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإنْ أحد منهم بسط يده إلى الخيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[٧]، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة فى بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة[٨]».

وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاة والمحافظين على المدن والقرى وجباة الصدقات، وعلى عاتقهم مسئولية كبيرة لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة، ويتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء فى الجهاز الإدارى لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية، فكان لابد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعوا فى مال غيرهم، ولا حقوقهم[٩]، ويشير أمير المؤمنين على إلى أهمية العيون التى تقوم بأعمال الرقابة على الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعيينهم من قبل الوالى ويكون ارتباطهم معه، وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

---

(١) أى الاختبار والامتحان قبل تولية الأعمال.
(٢) أى أهلها هم الأولون.
(٣) أكمله ووسع لهم فيه.
(٤) نقصوا فى أدائها أو خانوا.
(٥) العيون: الرقباء.
(٦) حدوة لهم: أى سوق لهم وحث.
(٧) اجتمعت عليه أخبار الرقباء.
(٨) شرح نهج البلاغة، ص (٦١٦).
(٩) الإدارة والنظام الإدارى عند على، ص (٢٦٦).

أ- أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب- أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير على الوالي أن يثبت بدقة ما في هذه التقارير ولا يسرع في الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة على التجار وذوي الصناعات لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها، وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١]، وتفقد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الخلافة والاهتمام بكل جزء فيها والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولا شك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم لهذه المهمة العظيمة، إن سليمان عليه السلام كان مهتمًا بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال وخاصة إذا رابه شيء من أحوالهم، فسليمان عليه السلام، لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ يعني أهو غائب؟ كان يسأل عن صحة ما لاح له[(١)]، ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ سؤال آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أن يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر[(٢)]، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة التي تحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضي على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات.

٩- أصناف وطبقات المجتمع:

قال أمير المؤمنين: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل،

---

(١) تفسير الرازي (٢٤/١٨٩).

(٢) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٢/٥٩٣).

ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله سهمه(١)، ووضع على حده فريضته فى كتابه أو سنة نبيه ﷺ، عهداً منه عندنا محفوظاً» إلى أن قال: «ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم(٢)، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونه من الترفق بأيديهم مالا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم،(٣)» ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيراً فقال: «ثم استوصى بالتجار وذوى القناعات وأوصى بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بما له(٤)، والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطرح فى برك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها(٥)، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته(٦)، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك، واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً(٧)، واحتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه(٨)، فنكل به، وعاقب فى غير إسراف(٩)».

ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن طبقة التجار من أهم شرائح المجتمع ولذلك أرشد الولاة إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها حتى لا يظهر عليها المظاهر السلبية كالشح والاحتكار

---

(١) أى نصيبه من الحق.

(٢) شرح نهج البلاغة، ص (٦١١).

(٣) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

(٤) المتردد بأمواله بين البلدين.

(٥) يجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم فى مواضع تلك المرافق.

(٦) البائقة: الداهية.

(٧) الشح: البخل.

(٨) قارف: خالط، حكرة: الاحتكار.

(٩) شرح نهج البلاغة، ص (٦٢٠).

وما شابه ذلك، وذوو الصناعات، يلم بهم ما يلم التجار من أضرار ومشاكل، فكان لابد من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم في إتمام أعمالهم[١]، ومن هذه الطبقات أهل الخراج، وهم العاملون على الأرض من زراع وحراث وحافرين لآبار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التي تعترضهم، لان هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض. ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، ويعملون فيها، فلابد من رعاية الدولة لهم وتفقد شئونهم، من خلال جهاز يتولى شئونهم الاقتصادية منها والاجتماعية[٢]، ومنها الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فإن في هذه الطبقة القانع[٣]، والمعتر[٤]، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتم وذوى الرقة في السِّنّ ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسئولة عن رعاية هؤلاء رعاية كاملة؛ اجتماعية واقتصادية وتعليمية، وكان على الوالي أن يحدد وقتًا للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة، وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومون من التكلم أمام الوالي[٥].

١٠- التربية بالعقاب والثواب:

قال أمير المؤمنين علي: «ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه[٦]، وأعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المئونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[٧]، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا[٨]، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده[٩]»، وهذه التربية

(١، ٢) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، ص (٢٦٣).

(٣) القانع: السائل.

(٤) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.

(٥) الإدارة والنظام الإداري، ص (٢٦٤).

(٦) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن الثواب.

(٧) قِبلهم: بكسر ففتح – أي عندهم.

(٨) النصب: التعب.

(٩) البلاء هنا: الصنع مطلقا حسنا أو سيئًا، انظر: نهج البلاغة، ص (٦١).

بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم وتتضح معالمها جلية في قصة ذى القرنين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هى التى تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد فى إحسانه وتفجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير، وتأخذ على يد المسىء لتضرب على يده، حتى يترك الإساءة، وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان فى أوساط المجتمع وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب، وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين على رضى الله عنه.

١١- دور العرفاء والنقباء فى تثبيت نظام الولايات:

عرف المسلمون النقباء فى بيعة العقبة الثانية حينما عين الرسول ﷺ اثنى عشر نقيبا من الأنصار على قومهم؛ ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج[١]، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء فى الأجناد الإسلامية المختلفة فى عهدعمر، ومما ورد فى ذلك تنظيم الناس فى القادسية على يد سعد بن أبى وقاص حيث اجتمعت القبائل، فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء، فعرف على كل عشرة رجلا، كما كانت العرافات أزمان ﷺ وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر على الرايات رجالات من أهل السابقة، وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالا من الناس لهم وسائل فى الإسلام[٢]، ويعتبر عمر أول من نظم تقسيم الناس فى الأمصار عموما، ففى زمانه برز العرفاء على الناس فى أمصارهم وأصبحوا مسئولين أمام الوالى عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت[٣]، وقد استمر نظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضى الله عنه، وخلال عهد على رضى الله عنه فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس [٤]، وقد استفاد الولاة من العرفاء فى إدارة الولايات فى الشئون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون فى توزيع العطاء على الناس، وفى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٨٧).

(٢) الولاية على البلدان (٢/١٠٦)، تاريخ الطبرى (٥/٨٧).

(٣) النظم الإسلامية، صبحى الصالح، الولاية على البلدان (٢/١٠٦).

(٤) الأموال، القاسم بن سلام، ص (٣٤٥)، الولاية على البلدان (٢/١٠٦).

السيطرة على النظام داخل الولايات، وفى البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره، وفى سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفى أخذ المشورة من الناس، كما كان للنقباء دور فى معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يحذف اسمه وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة فى إدارة أمصارهم مع أن هؤلاء فى الغالب لم يكونوا متفرغين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة، وكان فى تقسيم العرفاء والنقباء فى كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلى، حيث كان التقسيم أحيانا باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون فى الإسلام من الأعاجم وبدءوا يستوطنون الأمصار فبدأ هذا التقسيم يقل تدريجيا(١) مع احتفاظه بقوته فى معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين(٢)، وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسام معينة فى الجيش، ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبون الوالى وهو أمير الحرب فى غزواته المختلفة ويساعدونه فى تنظيم الجيش وقيادته(٣)، وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمير، والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار، أصحاب الرايات والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رءوس القبائل (٤)، كما أن العرفاء يرفعون ما يراه قومهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية، ويوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالى وغيره(٥).

رابعاً: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين على رضى الله عنه:

١- التأكيد على العنصر الإنسانى:

كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: «أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارا وجفوة.. فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله(٦)».

---

(١) الولاية على البلدان (١٠٧/١).

(٢) المصدر نفسه (١٠٧/٢)

(٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الكوفة للزبيدى، ص (٤١).

(٤) تاريخ الطبرى، نقلا عن الولاية على البلدان (١٠٨/٢).

(٥) العرافة والنقابة للفاروقى ص (٨٠، ٨١ و٨٦)، الولاية على البلدان (١٠٨/٢).

(٦) نهج البلاغة، ص (٥٣٩).

فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرءوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التى تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعى العامل الإنسانى، ولا تراعى تأثيرات الظروف، وكأن التنظيم الإدارى لأى مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو ناد إلخ يتحرك فى فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية(١).

٢- عامل الخبرة والعلم:

فى هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين على رضى الله عنه على أهمية أن يكون المسئول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته(٢)، فإذا كان جاهلا فإنهم معذورون فلا طاعة للجاهل لأنه يأخذهم إلى الهلاك ويقول أيضا: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق(٣)، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهى أمره إلى معصية الخالق (٤)، بأمر مخالف.

٣- العلاقة بين الرئيس والمرءوس:

هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمى والتدرج الرئاسى بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرءوسينَ، يقول أمير المؤمنين على لواليه عندما بعثه إلى مصر: «ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك(٥)» ونحن هنا أمام حالة فيها التسلسل الوظيفى أُلغى إلغاء تاما، وإذا لم يقدر الوالى على القيام بهذه المهمة فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول: «وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم(٦)،» وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التى ترى أن كل

---

(١) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢١٧).

(٢) نهج البلاغة، ص (٧٠٠).

(٣) المصدر نفسه، ص (٧٠١).

(٤) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢١٧)

(٥) نهج البلاغة، ص (٦٢٣).

(٦) المصدر نفسه، ص (٦٢١).

شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإدارى ولاحق لأحد فى إلغاء هذا التسلسل، ومن يُلغِ ذلك يعتبر متجاوزا على التنظيم، ثم بين أمير المؤمنين مضار التقيد غير المسئول بالتسلسل الوظيفى: «فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور، والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل(١)». هذه هى مضار التسلسل الإدارى والتقيد الحرفى به فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسئول إلى مسئول، ومنه إلى مسئول ثالث، فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين، هذه السلسلة التى تجرى بعيدا عن مباشرة الرئيس الاعلى قد تغير الأمور وتقلبها رأسًا على عقب، فيصبح الصغير كبيرا والحق باطلا، والحسن قبيحا والقبيح حسنا كما يقول أمير المؤمنين رضى الله عنه، وهو ما تعانى منه التنظيمات البيروقراطية لانها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا، فتنحرف عن أهدافها ومراميها، والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين على هو الا يحتجب المسئول عن أفراده، فاحتجابه يتسبب فى تغيير قراراته أو تطبيقها فى أحسن الظروف تطبيقا متحجرا بعيدا عن الأهداف التى طمح من أجلها، ومهمة الرئيس ليست محصورة فى لقاء المرءوسين، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التى تجعل المرءوس قادرا على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف لأن الغاية ليست هى المقابلات الفجة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيدا فلابد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول فى ذلك: واجعل لذوى الحاجات منك قسما تُفرِّغُ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع(٢)، ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك(٣)، وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرءوسين وأنها لا تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية، بل تقوم وجها لوجه عندما تستدعى الحاجة لذلك(٤).

---

(١) نهج البلاغة رقم (٥٣) ص (٦٢٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٦٢٢).

(٣) المصدر نفسه (٦٤٧).

(٤) الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، ص (٢١٧).

٤- مكافحة الجمود:

هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود، وإضاعة الوقت والجهد، وإضاعة الحقوق، كما أن كثيرا من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساسا لأنها تستغرق وقتا طويلا حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضى الله عنه: من أطاع التوانى ضيع الحقوق(١).

٥- الرقابة الواعية:

الرقابة مهمة فى كل تنظيم إدارى، فقد نوه أمير المؤمنين رضى الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: «وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك فى السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية(٢).» فالرقابة عند أمير المؤمنين هى عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة كما أن الرقابة لابد أن تتم عبر وسائط من أهل الصدق والوفاء حتى يكون تقييمهم عادلا لا تتلاعب فيه أهواؤهم، فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص فى العمل، إن القوانين الصارمة لا وجود لها فى الفكر الإدارى لامير المؤمنين رضى الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سببا لإضاعة الحقوق(٣).

٦- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:

فى هذا المجال أكد أمير المؤمنين على فى عهده لواليه على مصر: «ثم انظر فى أمور عملك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة.» فلابد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذى يراد استخدامه فى عمل ما، ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية فى توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العالية، ثم يقول: «ثم انظر فى حال كُتابك، فولِّ على أمورك خيرهم(٤).» وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف فالمعيار هو الحق، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هى الأمانة(٥).

---

(١) نهج البلاغة، ص (٧١٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٦١٦).

(٣) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٢١،٢٢٢).

(٤) نهج البلاغة، ص (٦١٨).

(٥) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٢٢).

٧- الضبط:

ففي كتاب أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم، «وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه فى عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك(١)». فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإدارى – فى هذا النص – أمانة، ويجب على المسئول أن يرد هذه الأمانة كما هى، وأن يحافظ عليها، وأنه مسئول أمام الله على أدائها، ومسئول أيضا أمام رئيسه «من فوقه» اعترافا بأهمية التسلسل الوظيفى، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإدارى الذاتى الذى يمنع مظاهر التسيب والانحراف(٢).

٨- المشاركة فى صنع القرار:

إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التى تحث على المشاورة لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة فى صنع القرار، وأن لا ينفرد رجل واحد فى صنع القرار، سواء كان هذا الرجل قائدا عسكريا، أو ماليا، أو مديراً أو مسئولا فى أى ميدان من الميادين، فـ«الشركة» فى الرأى تؤدى إلى الصواب(٣)، لأنها مشاركة جمع من العقول، وإضافة آراء ذوى الخبرة والتجربة، فالقرار الذى يأتى عبر مناقشة مستفيضة ستجتمع عليه الآراء فيكون أقرب إلى الصواب(٤)، فالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أمير المؤمنين على: شاوروا فالنجاح فى المشاورة(٥)، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة بل وضع أمامنا قاعدة عامة، وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانا من الميادين عن المشورة، وهذا يعنى أنها ضرورية لكل عمل يقول به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل منوطا بمجموعة من الأشخاص وليس فردا واحدا، وإذا أمعنا النظر فى هذا النص: صوابُ الرأى بإجالة الأفكار(٦)، لاتضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوى الشأن للوصول إلى القرار الصائب(٧).

٩- حسن الاختيار لدى الوالى والضمانات المادية والنفسية لموظفى الدولة:

إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التى قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا ما أمعنا النظر فى رسالة أمير المؤمنين على لمالك الأشتر

---

(١) نهج البلاغة، ص (٥٢٥).
(٢) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٢٣).
(٣ – ٧) المصدر نفسه، ص (٢٢٩).

النخعي لوجدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله: « ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا، وأصح أغراضا، وأقل في المطامع إسرافا وأبلغ في عواقب الأمور نظرا(١) . » فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة في العمل فقط، بل لابد من ملاحظة « العامل » من النواحي النفسية والاجتماعية أيضا، حتى لا يأخذه الطموح ولا تتغير نواياه وأغراضه، كما لابد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسئولية التوالي: ثم اسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك(٢)، فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفي مكان آخر يقول: وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك(٣)، وهذه عوامل تخص الموظفين الكبار من السقوط في طريق الرشوة أو شرائه بالمال.

أ- البذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب- المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته، وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفي.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة، ووضعه الوظيفي مستقرا، وهذه الضمانات لكبار موظفي الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي، فالموظف يأخذ راتبا معينا، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع نفقاته فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن

(١) نهج البلاغة، ص (٦١٦).

(٢) المصدر نفسه، ص (٦١٦).

(٣) شرح نهج البلاغة، ص (٦١٥).

المنهاج الإدارى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى، أى لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهرى فقط، بل المعيار هو تامين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفى له[1]: وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[2].

١٠- مرافقة ذوى الخبرات:

فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعى أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه، والذى سبقه ممن سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم[3]، وأفضل من شاورت ذوو التجارب[4]، ويقول فى مصاحبة أصحاب العلم والتجربة: خير من صاحبت ذوو العلم والحلم [5]، فهذه النصوص ما هى إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح فى الحياة، ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقى المستمر[6].

١١- الإدارة الأبوية:

الوالى هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبناؤه، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه كذلك يتحمل مسئولية إعداد كبار موظفى الدولة، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية، والذى نجد له مصداقا فى قول أمير المؤمنين على إلى مالك الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما[7]، فيجب أن يتعامل المسئول مع أفراده معاملة الوالد لولده يرعى أبناءه، يعفو عنه عندما يسيء، وعندما يعاقبه فعقوبته هى تربية له. هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه.

---

(١) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٣١).

(٢) شرح نهج البلاغة، ص (٦١٥).

(٣) الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٣٤).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٣٤).

(٥) المصدر نفسه، ص (٢٣٥).

(٦) المصدر نفسه، ص (٢٣٥).

(٧) نهج البلاغة، ص (٦١٢)، الإدارة والنظام الإدارى، ص (٢٣٥).

الفصل السادس

معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

عن أنس بن مالك: قال «قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه. وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة[١]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحًا منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾[٢]» [الحجرات: ٩].
وعن الحسن عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩] فإن الله سبحانه أمر ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله[٣].

وفى قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]، أى إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد وإزالة الشبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بإن للإشارة إلى أنه لا ينبغى أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب فى الآية لولاة

---

(١) أرض سبخة هى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٢) البخارى، رقم ٢٦٩١، مسلم رقم ١٧٩٩.

(٣) التفسير الصحيح، حكمت البشير (٤/ ٣٦٩).

الأمور، والأمر فيها للوجوب[1]، وقد استدل البخارى وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تُخرج من الإيمان، خلافًا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو فى النار، وثبت فى صحيح البخارى عن أبى بكرة -رضى الله عنه- قال: إن رسول ﷺ خطب يومًا، ومعه على المنبر الحسن بن على -رضى الله عنهما-، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: **«إن ابنى هذا سيِّد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**[2]، فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التى وقعت بينهما[3] فى قوله تعالى: **﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾** [الحجرات: ٩]، أى: فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله، وما أمر به من عدم البغى، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهى الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة، وفى قوله تعالى: **﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**، [الحجرات: ٩] أى رجعت الفئة الباغية فى بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين فى الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدى ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء فى الحكم بينهما. إن الله يحب العادلين، ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل فى كل الأمور[4]. قال ﷺ: **إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولُّوا»**[5] ثم أمر الله تعالى بالإصلاح فى غير حال القتال، ولو فى أدنى اختلاف، فقال: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾** [الحجرات: ١٠]، فهذه الآية أصل من الأصول التى تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم[6]. إن الله تعالى لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين

---

(١) التفسير المنير للزحيلى (٢٦/ ٢٣٧).

(٢) البخارى، رقم ٧١٠.

(٣)، (٤) تفسير المنير (٢٦/ ٢٣٨).

(٥) مسلم ك الإمارة - حديث رقم ١٨٢٧..

(٦) سورة الحجرات، د. ناصر العمرى ٣٠٥.

أو كلتيهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين عليّ -رضى الله عنه- بتطبيق هذه الآية من حرص على الإصلاح وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتى بيان ذلك فى محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما فى وسعه، من طرق سلمية وجرّد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكى يفىء معاوية -رضى الله عنه- إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان -رضى الله عنه-، فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين على ووقع القتال.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فأثبتت الإخوة الإيمانية لجميع المقاتلين من المسلمين، ومن باب أولى ما وقع بين على وطلحة والزبير -رضى الله عنهم- فى الجمل وما وقع مع معاوية فى صفين، ومن هنا يظهر لنا أن المقاتلين فى الجمل وفى صفين مؤمنون، ولا مجال للطعن فى الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العبارات المنحرفة فى حقهم، ويكفى فى الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم إخوة الإيمان، ويأتى بيان ما وقع بينهم -بإذن الله تعالى- بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة فى الدين، ويجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة فى أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى، والمعنى: فاصلحوا بينهما، وليكن رائدكم فى هذا الإصلاح وفى كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوّى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهى التزام الأوامر واجتناب النواهى[١]، وقد جعلت الآية الكريمة الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيمًا لأمر الإصلاح بين المسلمين[٢]. ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه فى حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة، وأما فى حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل[٣]، وكلمة (إنما)

---

(١) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).

(٢) منهج القرآن الكريم فى إصلاح النفوس للحريرى: ص(١٦).

(٣)) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).

للحصر تفيد أنه لا إخوة إلا بين المؤمنين، ولا إخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين اتباعه، وتفيد أيضًا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الإخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميًا أو مستأمنًا وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقًا إن كان خصمه حربيًا[1].

وقد قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإياها عنى النبي ﷺ: **تقتل عمارًا الفئة الباغية**، [أي عمار بن ياسر أي أن الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية] إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة -رضي الله عنهم- عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[2] أمير المؤمنين عليٌّ، وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة - بإذن الله تعالى - ويعتبر نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله نظامًا له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور[3]، ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه.

---

(١) التفسير المنير (٢٦/ ٢٤٠).

(٢) المصدر نفسه (٢٦/ ٢٤٢)، أحكام القرآن (٤/ ١٥٠).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٤٤).

المبحث الأول

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان –رضي الله عنه– سببًا في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان –رضي الله عنه–، منها الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجئ عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة وقد تمّ تفصيل تلك الأسباب في كتابي تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان[1] إن عثمان –رضي الله عنه –كان الناس يحبونه حبًا عظيمًا، لحسن سياسته ولمكانته من رسول الله ﷺ وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمي بذي النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء، وكان في استطاعته أن يقضي عليهم ولكنه امتنع خوفًا من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ﷺ، فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه، ولذلك كان مقتله سببًا لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن، ولقد كان مقتله عظيمًا على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نسب إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه، بإذن الله، ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عمومًا:

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

(١) السبئية حقيقة أم خيال حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة عمر بن سيف التميمي وذلك لانتقاد

(١) عثمان بن عفان للصلابي ص(٣١١ – ٣٤٠).

بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علماً بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر أن عبد الله بن سبأ ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند[1]، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبدالله بن سبأ[2] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم، وهي محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة، وتجدر الإشارة أن من أنكر عبدالله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والانساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبدالله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة ودور ابن سبأ فيها لم يكن قصراً على تاريخ الإمام الطبري، واستناداً على روايات **سيف بن عمر التميمي** فيه، إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبدالله بن سبأ إلا من طريق عمرو بن سيف حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها عمرو بن سيف كما أسلفنا، إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزييف الحقائق

---

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، للعودة ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

(٢) تحقيق موقف الصحابة (١ : ٢٨٤) ذكر تفصيلات مهمة وكذلك عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للعودة.

التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضربًا من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحًا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟ [١]، وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[٢] المتوفى عام ٨٣هـ وقد هجى المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف[٣]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد كذب عبدالله بن سبأ[٤]، وتحدث ابن حبيب[٥] المتوفى عام ٢٤٥هـ (٨٦٠م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[٦]، كما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣هـ خبر إحراق علي -رضي الله عنه- لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة[٧]، ويعتبر الجاحظ[٨] المتوفى سنة ٢٥٥هـ من أوائل من أشار إلى عبدالله بن[٩] سبأ، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروى الدكتور جواد علي [١٠] وخبر إحراق علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[١١]، ولفظ الزندقة ليس غريبًا عن عبد الله بن سبأ وطائفته، ويقول ابن

---

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٧٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمداني، المعروف بأعشى همدان،

(٣) ديوان أعشى همدان: ص(١٤٨).

(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٩/ ٣٣١).

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٧).

(٦) عبدالله بن سبأ للعودة: ص(٥٣)، المحبّر، ابن حبيب: ص(٣٠٨).

(٧) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٢٩).

(٨) وفيات الأعيان (٣٠٤، ٤٧٠).

(٩) البيان والتبيين (٣/ ٨١).

(١٠) تحقيق مواقف الصحابة (٨/ ٢٩٠).

(١١) عبد الله بن سبأ للعودة: ص(٥٣).

تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبدالله بن سبأ[١]، ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل[٢] ويقول ابن حجر:

عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[٣]، ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى ٣٥٤هـ: وكان الكلبي - محمد بن السائب الإخباري - سبئيًا، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة.. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[٤]، كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة (السبئية، إلى عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهوديًا وأظهر الإسلام[٥]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره[٦]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق ،وأظهر الغلو في علي يدعو الإمامة والنص عليه، ادعى العصمة له[٧]، وبشير الشاطبي[٨]، والمتوفى عام ٧٩٠هـ إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله - تعالى - وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[٩]، وفي خطط المقريزي المتوفى عام٨٤٥هـ أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي مُحدثًا القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[١٠]، وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ، فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال حدثني سعد بن عبد الله، قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٣).

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٦).

(٣) لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٦٠).

(٤) المجروحين من المحدثين، ابو حاتم (٢/ ٢٥٣).

(٥) الأنساب (٧/ ٢٤).

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٩٨)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص(٥٤).

(٧) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٣٥).

(٨) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطي توفي عام ٧٩٠.

(٩) الاعتصام (٢/ ١٩٧).

(١٠) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧).

إنه ادّعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[١]، والراوية عند الشيعة من حيث السند صحيحة[٢].

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[٣]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[٤].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[٥]، وفان فولتن[٦]، وليفي ديلافيد[٧]، وجولد تسهير[٨]، ورينولد نكلسن[٩]، وداويت رونلدس[١٠].. على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني وبرنارد لويس[١١]، وفريد لندر المتأرجح[١٢]، علماً بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن استقرأ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن

---

(١) رجال الكشي (١/ ٣٢٤).

(٢) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعي محمد علي المعلم: ص(٣٠).

(٣)، (٤) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة: ص(٦٢).

(٥) الخوارج والشيعة، ويوليوس فلهاوزن: ص(١٧٠).

(٦) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات: ص(٨٠).

(٧) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢١).

(٨) العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير: ص(٢٢٩).

(٩) تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية : ص(٢٣٥).

(١٠) عقائد الشيعة: ص(٥٨).

(١١) أصول الإسماعيلية ٨٦.

(١٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).

وجود ابن سبأ كان وجوداً تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين، يبدو أن أول من شك في وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعًا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات[1]، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(٢) دور عبدالله بن سبأ في تحريك الفتنة :

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان -رضي الله عنه- بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة[2]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الإستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ إن هناك أجواءً للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادّعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهوالذي في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- وتفرق الأمة شيعًا وأحزابًا[3]، وخلاصة ما جاء به أن أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).

(٢) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢٧).

مسالك ملتوية لبّس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأوّله على زعمه الفاسد حيث قال: لعجَب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[١]، كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلى -رضى الله عنه- بقوله: إنه كان إلف نبى، ولكل نبى وصى، وكان على وصى محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء[٢]، وحينما استقر الأمر في نفوس اتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان -رضى الله عنه- فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله ﷺ فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه، وأبدءو بالطعن على أمرائكم وأظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوه إلى هذا الأمر[٣]، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار - وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الامصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنّا لفى عافية مما فيه الناس[٤].

ويظهر فى النص الأسلوب الذى اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع فى أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو على، وجعل الثانى مغتصباً وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة فى الكوفة - على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علماً بانه ركزّ فى حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقرّاء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان مثل تحيزه لاقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير

(١)، (٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٧).

(٣)، (٤) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).

ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان -رضي الله عنه- مع براءته، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي(١)، هذا وقد شعر عثمان -رضي الله عنه- بأن شيئًا ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها(٢) على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان -رضي الله عنه-، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله ﷺ يقصد(٣) عليًا، وقد غشهم بكتب ادّعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا، حيث تبرءوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان، (٤) ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك الأشتر النخعي: لعله مُكر به وبكم(٥)، ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيّج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها(٦)، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروي ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر(٧).

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ

---

(١) الدولة الأموية ، يوسف العشي: ص(١٦٨)، مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٠).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

(٦) المصدر نفسه (١/ ٣٣٨).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٦٨، ١٦٧).

ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السبئية المعروفة التى كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وما ترتب على قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما – والذى يظهر من خطط السبئة أنها كانت أكثر تنظيماً، إذ كانت بارعة فى توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة فى تكوين فروع لها سواء فى البصرة أم فى الكوفة أم فى مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالى، عارفة بالمواضع الحساسة فى حياتهم وبما يريدون[١].

ثانياً: اختلاف الصحابة فى الطريقة التى يأخذها القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه:

إن الخلاف الذى نشأ بين أمير المؤمنين على من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين على ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون فى خلافة أمير المؤمنين على وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل علىّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان –رضى الله عنه– على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[٢].

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل علياً، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقرّ بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا علياً وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا[٣]... وقال أيضاً:... وكل فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأن معاوية ليس

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (١/ ٣٣٩).

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٦٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

كفئا لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإن فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[1].

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحًا في خلافة أمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه- وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المومنين علي موافقًا من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجيء الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة[2]، قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه[3].

ثالثا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة - رضي الله عنهم جميعًا - وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريبًا، أي في ربيع الآخر من عام ٣٦ هـ[4]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة، رضي الله عنها، للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا -

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص١٥٨..

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٤) تاريخ الطبري (٥/٤٦٩).

حسب قولهم - إلا الخروج للمطالبة بدمه، علمًا بأن عثمان هو الذى نهى عن كل من أراد أن يدافع عنه فى حياته تضحية فى سبيل الله، فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلومًا والله لأطالبن بدمه[1]، وطلحة يقول: إنه كان منى فى عثمان شيء ليس توبتى إلا أن يسفك دمى فى طلب دمه[2]، والزبير يقول: نُنهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل فإن فى إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب[3]. فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى؛ فشيعه أولاده بالبكاء وسمى يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم[4].

لقد توافرت مجموعة من العوامل فى مكة جعلتهم يفكرون فى طريقة جادة لتحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل: أن بنى أمية قد هربوا من المدينة واستقروا فى مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة فى عهد عثمان - كان فى مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذى خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة فى قتل قتلة عثمان؛ فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، ومادامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التى يتوجهون إليها فقال بعضهم - وعلى رأسهم السيدة عائشة - إن المدينة هى وجهتهم، وظهر رأى آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قرَّ رأيهم على البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضمونًا

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٤٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٤).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/٤٨٧).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/٤٨٧)، دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع: ص (٤١٧).

لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى فى هذه الخطة لأنها أقل البلدان قوة وسلطة ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[١]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلى البصرة وهى: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله[٣]، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدى قتلة عثمان -رضى الله عنه- فسيكون كل إمام معرضًا للقتل من أمثال هؤلاء[٤]، وأما الطريقة التى تصوروها فهى الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الخناق على قاتلى عثمان الموجودين فى جيش علىّ فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[٥].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذى حرك الصحابة من البساطة التى ظهرت للناس كثأر لعثمان، رضى الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قُتِل، فخرجت الجيوش فى الطلب له بثأره، رغم كونه حداً من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعى حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة وقتله بالصورة التى تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هى «الخلافة» التى يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[٦]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[٧].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة، ومن معهم يسعون لإيجاد رأى إسلامى عام فى مواجهة الطغمة السبئية التى قتلت عثمان وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزّاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٤٧٦)، دراسات فى عهد النبوة: ص (٤١٨).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٤٨٩).

(٣) دراسات فى عهد النبوة: ص (٤١٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/٤٨٧).

(٥) دراسات فى عهد النبوة: ص (٤١٩).

(٦) مقدمة ابن خلدون: ص (١٩١).

(٧) دور المرأة السياسى: ص (٣٩١).

الذى كان يرى رأى عائشة – رضى الله عنها – أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود فى جيش علىّ، وانه لأجل ذلك فإن عليًا – رضى الله عنه – يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغى عليهم أن يحاولوا السعى لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر فى دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن عليًا كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التى مرت معنا فى المحاورة بين الزبير وطلحة وعلىّ تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية فى تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعى تام منهم بأساليب السبئية فى اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذى ينخر فى الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لابد من مواجهتها فى ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحًا، وصريحًا فى الروايات الصحيحة[1]، التى تحدثت فيها السيدة عائشة – رضى الله عنها – عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبرى أن عثمان بن حنيف – وهو والى البصرة من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب – أرسل إلى عائشة – رضى الله عنها – عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطى لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا فى دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت فى المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا، وقرأت ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، فنهض فى الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[2]. وروى ابن حبان أن عائشة – رضى الله عنها – كتبت إلى أبى موسى

---

(١) دور المرأة السياسى: ص (٣٩٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٤٨٩).

الأشعري – والي عليّ على الكوفة –: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[1]. ولما أرسل عليٌّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أُمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس[2].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء عليّ إلى عائشة – رضى الله عنها – فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح[3]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة – رضى الله عنها – من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعًا، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين – عائشة – في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[4].

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذه المسألة: فهي – رضى الله عنها – لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة – رضى الله عنها – وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه، في خلافة عمر – رضى الله عنه – وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدت أن

---

(١) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٠).

(٣) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

(٤) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٤).

ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك[1]. ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد[2]. وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها.

١ - هل أُكرهت السيدة عائشة على الخروج؟

زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج[3]، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة[4] وابن أبي الحديد[5]، وكذلك فعل الدينوري[6]، والمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير[7] - ابن أختها أسماء - وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[8]؛ فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة[9] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله - رضي الله عنه - وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردَّني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعِزُّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها[10]،

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٣١٧ - ٥٧٠).

(٢) أحكام القرآن (٣/ ٥٦٩، ٥٧٠).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٨٠، ٢٠٩).

(٤) الإمامة والسياسة (١/ ٥٨، ٦٩).

(٥) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٨).

(٦) الأخبار الطوال: ص (١٤٥).

(٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).

(٨) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٦).

(٩) عائشة أم المؤمنين: ص (١٨٤).

(١٠) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).

ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر[1].

٢ - هل كانت متسلطة على من معها؟

كان فيمن خرج معها - رضى الله عنها - جمع من الصحابة[2]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التى تحرك الناس حيث شاءت - كما زعم بروكلمان -[3]، ولقد أكدت روايات الطبرى تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها فى السعى للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[4]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[5]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[6]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذى زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السفهاء والغوغاء والأوباش[7]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[8]. وسيأتى بيان ذلك أنه لم يكن خروجًا غوغائيًا، تحكمت فيه السيدة عائشة فى أناس غير راشدين بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه بعض الصحابة الكبار[9].

٣ - موقف أزواج النبى ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان:

كان أزواج النبى ﷺ قد خرجن إلى الحج فى هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلوا

---

(١) دور المرأة السياسى: ص (٣٨٣)، تاريخ الطبرى (٥/٤٦٩).

(٢) المصدر نفسه: ص (٣٨٤).

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص (١١١، ١١٤، ١١٧).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/٤٧٥).

(٥)، (٦) تاريخ الطبرى نقلاً عن دور المرأة السياسى: ص (٣٨٥).

(٧) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (١/٥٧).

(٨) تاريخ الطبرى (٥/٥٧٤).

(٩) دور المرأة السياسى: ص (٣٨٥).

ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار، فلما بويع عليّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين[١]، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأى عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة[٢]. كان الخروج فى أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر - رضى الله عنها - وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم[٣] عليها أخوها عبد الله كى لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها[٤]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بينى وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها[٥]. وتكاد الروايات الشائعة تبدى أن أم سلمة - رضى الله عنها - لم تكن ترى رأى عائشة ومن معها فى الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه على[٦]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هى إنها أرسلت إلى عليّ ابنها عمر بن أبى سلمة قائلة: والله لهو أعز على من نفسى، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه[٧]. وهى رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعنى أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين فى القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليا - رضى الله عنه - أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد فى الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين فى أهمية السعى للإصلاح[٨]، وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج فى الإصلاح بين المسلمين

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

(٣) عزم عليها: اقسم عليها.

(٤) دور المرأة السياسى: ص (٣٨٦).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).

(٦) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٤).

(٧) أسد الغابة (٤/ ١٦٩)، الإصابة (٤/ ٤٨٧)، (دور المرأة السياسى ص ٣٨٧)، المستدرك مرويات أبى مخنف: ص (٢٥٧).

(٨) دور المرأة السياسى: ص (٣٨٧).

مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهًا إلى جميع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به، لا على الجميع عمومًا، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تمامًا في السيدة عائشة: مكانة وسنًا وعلمًا وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهًا بإجماع جمهور المسلمين[١]، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله الذى خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها[٢]. وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة[٣]. وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا[٤]. هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة والتشجيع لها على أمرها[٥].

٤ – مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**»[٦] ومن طريق شعبة عن إسماعيل

---

(١)، (٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/١٨٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/١٨٣).

(٥) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٩).

(٦) مسند أحمد (٦/٩٧).

ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب. فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس[1]. وبهذا اللفظ أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم[2]، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[3]. فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة[4] التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على مـــاء الحـــوأب؟ والروايات الدالة على النهي، والتي بهـــا لفظة إياك في الأثر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء»[5] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جديًا في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعي لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظنًا» منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبث إلا يسيرًا ثم عاد هدفها واضحًا بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[6]، لقد كانت ومازالت مسألة ماء الحوأب[7] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصبًا للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها – في زعمهم – لنهي الرسول ﷺ لها عن أن ترد ماء

---

(١) مسند أحمد (٦/ ٩٧).

(٢) المستدرك (٣/ ١٢٠).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٦٧) رقم ٤٧٤.

(٤) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٥).

(٥) قال الذهبي: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٨، ١٦٧).

(٦) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٦).

(٧) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

الحوأب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[1] ويروى الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائي[2]، وهو يروى هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري وهو مجهول[3]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي[4]، ثم أخيرا عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العرني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلي بن أمية[5].

وفي متن هذه الرواية ما يجد القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم على لسان عليٍّ أنه كان – رضي الله عنه – يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماما[6]. وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة[7]، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندا ومتنا، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير – رضي الله عنهما –[8]، كما يريد مفترى هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرءون، على انتهاك حرمات الله؛ فهم يقسمون ويحلفون لأم المومنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً –

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال (١/٥٢٨) ميزان الاعتدال (١/٤١٣).

(٢) تقريب التهذيب (١/٦٩٧).

(٣) تقريب التهذيب (٢/٣٩٢)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/٤٣٤)، لسان الميزان (٣/٢٢٥).

(٥) أسد الغابة (٥/٤٨٦)، دور المرأة السياسي: ص (٤٠٠).

(٦) دور المرأة السياسي: ص (٤٠٢).

(٧) تاريخ الطبري (٥/٤٨٣).

(٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٨٣) ضعيفة السند منقطعة، وانساب الأشراف من (٢/٤٧) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

وفى رواية بخمسين نفساً – يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل – كما افترى المسعودى الشيعى الرافضى – أول شهادة زور فى الإسلام[١]. وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين – رضى الله عنهم – ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة – رضى الله عنها – بجانب طلحة – رضى الله عنه – وفى قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمى مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافسا داخليا بين طلحة والزبير وحرصا من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوى، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين القادحين[٢]. ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا فى نشرها، وهى لا أساس لها، كالعقاد فى عبقرية على، وطه حسين فى على وبنوه[٣] وغيرهما من الكتاب المعاصرين.

٥ - أعمالهم فى البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة – رضى الله عنهم – ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة[٤]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين فى البصرة وغيرها، يودون ويرغبون فى القود من قتلة عثمان – رضى الله عنه – إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج فى هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقا، ومطلبهم الشرعى لا غبار عليه ولاينكره صحابى واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير الى الأحنف بن قيس السعدى التميمى يستنصره على الطلب بدم عثمان والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفا هول الموقف: .. فأتانى أفظع أمر أتانى قط فقلت: إن خذلانى هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله ﷺ

---

(١) مروج الذهب (٢/٣٦٧).

(٢) تاريخ الطبرى وفى إسنادها مجهولان، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص (١٣٣).

(٣) خلافة على بن أبى طالب: ص (١٣٢).

(٤) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقتها ١١٤ – ١٢٢ العلمى.

لشديد[1] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[2] ويذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم[3] وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[4] وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[5] وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[6].

٦ - مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء :

أقبل حُكَيم بن جبلة، بعدما خطبت عائشة - رضي الله عنها - في أهل البصرة، فانشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم طلحة والزبير وعائشة كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر[7] خيله ويركبهم بها[8]، وعلى الرغم من ذلك، فإن عائشة - رضي الله عنها - ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم[9]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة - رضي الله عنها - ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[10]، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/٤٥٦) له شواهد تقويه.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً.

(٤) الطبقات (٦/٣٣٣).

(٥) فتح الباري (١٣/٢٦)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٧).

(٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٣٧، ١٣٨).

(٧) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.

(٨)، (٩) تاريخ الطبري (٥/٤٩٤).

(١٠) المصدر نفسه (٥/٤٩٥).

اغتُمر[١] منهم، فقالوا الحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا لندعنك حتى يقيدك الله[٢]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديداً[٣]، وظل منادى عائشة - رضى الله عنها - يناديهم ويدعوهم إلى الكفّ فيأبون[٤]، وجعلت - رضى الله عنها - تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيمًا لم يُرَع[٥] للمنادى، وظل يُسَعِّر القتال، عندئذ وبعدما تبينت للزبير وطلحة - رضى الله عنهما - طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا فى إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذى جمع لنا ثارنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان - رضى الله عنه - فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحداً، فاقتتلوا أشد القتال[٦]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادى الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[٧].

وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها فى بيتها فى الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها - رضى الله عنها - فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[٨]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا فى ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم،

---

(١) اغتمر: اغتمس.

(٢) يقيدك الله: القَوَد: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.

(٣)، (٤) تاريخ الطبرى (٥/٤٩٩).

(٥) لم يرع: لم يبال.

(٦) تاريخ الطبرى (٥/٤٩٩).

(٧) تاريخ الطبرى (٥/٥٠١).

(٨) المصدر نفسه (٥/٥٠٣).

وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى على[1] وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين – رضى الله عنهم – على البصرة وقتلوا عدداً كبيراً ممن شارك فى الهجوم على المدينة، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذى كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال؛ فقد بويع على ذلك[2].

٧ – رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة – رضى الله عنها – حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذى يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتْهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص بن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله – سبحانه – فى أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عز وجل وتلقونه، وقد أعذرنا وقضينا الذى علينا[3].

٨ – الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبرى عن أبى مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها فى أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردوا أباناً، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[4]،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٤٩٣)، خلافة على، عبد الحميد: ص (١٣٨).

(٢) أنساب الأشراف (٢/٩٣) بسند حسن، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص (١٣٩).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/٥٠١).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/٤٩٧).

وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة. والذى يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك وأن طلحة والزبير - رضى الله عنهما - استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[1]، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهى لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويرى وابن كثير[2]، وذكر الذهبى أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف[3]، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر[4].

رابعًا: خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة - رضى الله عنهم - فى المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ علىّ بالنهوض إلى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأى معاوية وما هو صانع[5]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعُد تمتلك المقومات التى تملكها بعض الأمصار فى تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[6]، فلما علم أبو أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت..، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[7]. ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التى أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٤٩٧).
(٢) نهاية الأرب (٢٠/٣٨)، البداية والنهاية (٧/٢٣٣).
(٣) تاريخ الإسلام للذهبى، مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص (٣٥٩).
(٤) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص (٢٥٩).
(٥) الثقات لابن حبان (٢/٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى: ص (١٦١).
(٦)، (٧) المصدر نفسه (٢/٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى: ص (١٦١).

للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا من أهل الشام[1]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[2]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء فى جيش على، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلابد من التروى حتى تنجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندرى كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضىء لنا ويسفر. وروى الطبرى أن عليا - رضى الله عنه - خرج فى تعبئته التى كانت تعبى بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى سبعمائة رجل[3]، والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة، منها: خطب الخليفة التى شكا فيها من هذا التثاقل[4]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[5]. وقد عبر أبو حميد الساعدى الأنصارى - وهو بدرى - عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك على أن لا أضحك حتى ألقاك[6].فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة فى تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق فى الفتنة التى يخشون عواقبها[7]، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[8]، وما سبق ذكره لا يعنى أنه لم يشارك أحد من الصحابة فى مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلاً، قال الشعبى: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير على وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب[9]، وفى رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدراً أكثر من أربعة نفر فكذبه؛ كان على وعمار فى ناحية وطلحة

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (١٨٣).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٥٠٧).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/٤٨١).

(٤) الطبقات (٣/٢٣٧)، الأنصار فى العصر الراشدى: ص (١٦٣).

(٥) البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار فى العصر الراشدى: ص (١٦٤).

(٦) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين.

(٧)، (٨) الأنصار فى العصر الراشدى: ص (١٦٤).

(٩) تاريخ ابن خياط: ص (١٦)، مصنف ابن أبى شيبة (٨/٧١٠).

والزبير في ناحية[١]، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[٢]. وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً؛ فسميا حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة[٣]، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[٤]. إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٥]. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[٦].

١ - نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين عليّ عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبداً. كان عليّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمراً هيناً لا يرون به بأساً، وفي قولهم وتهجمهم هذا ما يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن علياً - رضي الله عنه - نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[٧].

---

(١) العثمانية للجاحظ: ص (١٧٥)، الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥).

(٢)، (٣) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان: ص (٣٥٦).

(٤) الأنصار في العصر الراشدي: ص (١٦٥).

(٥) تاريخ الطبري (٥/٤٨١).

(٦) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف: ص (٣٨٨).

(٧) مسند أبي يعلى (١/٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.

٢ - نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة[١] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[٢]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن - رضي الله عنهما - وهو باكٍ لا يخفى حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن[٣] خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان - رضي الله عنه - أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[٤]، ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم تُخرجُ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بني[٥]. كان موقف أمير المؤمنين علي حازماً في هذه المشكلة وواضحاً ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[٦]، فارسل

---

(١) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلو مترات.

(٢) أنساب الأشراف (٢/ ٤٥) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٣).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢) خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

(٤) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.

على بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم[1].

٣ - استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار[2]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار فعسكر بها بعد ثمان ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريبًا[3]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[4]. وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق،... والقول الذي هو القول إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع[5]، وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيبًا في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[6] أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[7]. ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريبًا[8] وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعننتم حوزتكم، واغتنم الناس

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٤) عبد الحميد، سير أعلام النبلاء (٣/٤٨٦).

(٢) ذو قار، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، معجم البلدان (٤/٢٩٣).

(٣) تاريخ الطبري (٥/٥١٩ - ٥٢١).

(٤) فتح الباري (١٣/٥٣)، التاريخ الصغير (١/١٠٩).

(٥) تاريخ الطبري (٥/٥١٦).

(٦) أولو النهى: أصحاب العقول.

(٧) تاريخ الطبري (٥/٥١٦).

(٨) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٦)، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد علي.

على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجوا فذاك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وباينّاهم حتى يبدءونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[1].

٤ - اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة فمع اختلافهم فى الرأى، لم يدخل قلب أحد الضَّغن على أخيه، وإليك هذه القصة التى حدثت بالكوفة، فقد روى البخارى عن أبى وائل قال: دخل أبو موسى الأشعرى، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصارى على عمّار حين بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك فى هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندى من إبطائكما فى هذا الأمر. وفى رواية فقال أبو مسعود - وكان موسراً -: يا غلام هات حلتين فاعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عمّاراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[2]. فأنت ترى أبا مسعود وعماراً كان وكلاهما يرى الآخر مخطئاً ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة فى تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيباً، فعمار يرى إبطاء أبى موسى وأبى مسعود عن تأييد على عيباً، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار فى تأييد أمير المؤمنين على عيباً، وكلاهما له حجته التى اقتنع بها؛ فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال فى الفتنة، تمسكًا بالأحاديث الواردة فى ذلك وما فى حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمّار على رأى عليٍّ فى قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩] وحمل الوعيد الوارد فى القتال على من كان متعدياً على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصًا على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال[3].

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٥١٩).

(٢) البخارى، ك الفتن.

(٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/٣٠٤).

٥ - تساؤلات على الطريق:

أ - ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصارى لما أراد الخروج من الرّبذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أى شىء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذى نريد وننوى فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال امتنعنا منهم، قال: فنعم إذًا. فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسْمُ بنا نحو الصوت

لا وَأَلَتْ نفسى إن هبت الموت[١]

ب - أهل الكوفة يسألون عليًّا بمن فيهم الأعور بن بنان المنقرى:

لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضى الله عنه فى ذى قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المِنْقرىّ فقال له على رضى الله عنه: علىَّ الإصلاح وإطفاء النائرة[٢]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابونى، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم[٣].

ج - أبو سلامة الدّألانى، ممن سأل أمير المؤمنين رضى الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشىء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعًا، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إنى لأرجو ألاّ يُقتل أحد نقّى قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[٤].

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٠).

(٢) النائرة: العداوة.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٩).

(٤) المصدر نفسه (٧/ ٢٥٠).

د - وسأل مالك، حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكفّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه(١).

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس واردًا في تدابيره، لأنّه إن حصل، فهو داء لا يُرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيّته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان - رضي الله عنه - يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم(٢).

خامسًا: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أيامًا، وكان غرضه - رضي الله عنه - القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر، منهم:

١ - **عمران بن حصين رضي الله عنه**: فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعًا، ثم أرسل إلى بني عدي - وهم جمع كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشيًا مجدعًا يرعى أعنزًا في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فامسكوا فدى لكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك، فإنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء(٣) أبدًا.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢)، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي: ص (٤٠٦).

(٢) الإنصاف، د. حامد: ص (٤٠٦).

(٣) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧)، خلافة علي، عبد الحميد: ص (١٤٨).

٢ - كعب بن سور: أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح[(١)].

٣ - القعقاع بن عمرو التميمي: أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: الْقَ هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الاختلاف والفرقة. ذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة - رضي الله عنها - وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

*** محاورة القعقاع لطلحة والزبير:**

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن انكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان، رضي الله عنه، ولابد أن يُقتلوا، فإن تُركوا دون قصاص كان هذا تركًا للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستُّمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًّا به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم واديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقوّيتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع علي، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

---

(١) الطبقات لابن سعد (٧/ ٩٢) من طريقين صحيحة الإسناد، وخلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص (١٤٩).

* **الحل عند القعقاع: التأني والتسكين ثم القصاص:**

تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة؛ فقالت له: فماذا تقول أنت ياقعقاع؟ قال: أقول: «هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًا[1] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة». اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله. عاد القعقاع إلى علي في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًا بما جرى معه، فأُعجب علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[2].

* **بشائر الاتفاق بين الفريقين:**

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل عليّ رضي الله عنه رسولين[3] إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًا، بأن على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم، فارتحل عليّ حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[4]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني

---

(١) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان.

(٢) البداية والنهاية (٧/٧٣٩)، تاريخ الطبري (٥/٥٢١).

(٣) تاريخ الطبري (٥/٥٢٥).

(٤) المصدر نفسه (٥/٥٣٩).

راحل غداً فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[1].

سادساً: نشوب القتال:

١ - دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[2] وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[3]. فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع عليّ إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان - رضي الله عنه - فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلا الصّلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط؛ إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأى الناس فينا - والله - واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[4]. وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ - وهو المشير فيهم - فقال: يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فابصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[5] فاجتمعوا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٥٢٥).

(٢) المصدر نفسه (٥/٥٢٦).

(٣) المصدر نفسه (٥/٥٢٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٢٠).

(٤) تاريخ الطبري (٥/٥٢٦).

(٥) المصدر نفسه (٥/٥٢٧).

على هذا الرأى بإنشاب الحرب فى السّر، فغدوا فى الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريّهم إلى مضريّهم، وربيعيهم إلى ربيعيّهم، ويمانيهم إلى يمانيّهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم فى وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة فى وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا فى القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: ما علمنا أن عليًا غير منته حتى يسفك الدّماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم[1]، فسمع على وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريبًا من على ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم، وقال علىّ لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشابا[2]. وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرويّة حتى تتضح الحقيقة، فعلى ومن معه يتفقون على ألا يبدءوا بالقتال حتى يبدءوا طلبًا للحجة واستحقاقًا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرًا، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا[3]، وفى الجانب الآخر ينادى طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع[4]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجرى حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» فى المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالاً للشك - حرص الصحابة - رضى الله عنهم - على الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذى تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[5]. وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية فى معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه

(١)، (٢)، (٣) تاريخ الطبرى (٥/٥٤١).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٢).

(٥) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام: ص (١٩٢، ١٩٣).

العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[١].. وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ - جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبَّة أن الذي نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فانشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[٢].

ب - **قال الإمام الطحاوي**: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[٣].

ج - **وقال الباقلاني**:... وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[٤].

د - **ونقل القاضي عبد الجبار** أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[٥].

هـ - **ويقول القاضي أبو بكر بن العربي**: وقدم عليّ البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء

---

(١) عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: ص (١٩٤).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ص (٥٤٦).

(٤) التمهيد: ص (٢٣٣).

(٥) تثبيت دلائل النبوة للهمداني: ص (٢٩٩).

على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنَّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[١].

و - ويقول ابن حزم: .. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن - ولا شك - أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ، فانصرف ومات من وقته - رضي الله عنه - وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم البصرة، فهكذا كان الأمر[٢]. ويقول الذهبي: كان وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[٣]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس[٤]. وفي كتاب «دول الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[٥]. يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرِّحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول إن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[٦]؟!

---

(١) العواصم من القواصم: ص (١٥٦، ١٥٧).

(٢) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

(٣) العبر (١/ ٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

(٤)، (٥) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

(٦) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٥).

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دوراً في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأى العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التروى والإبصار[1]، ولا نبعد كثيراً؛ فهذا الأحنف بن قيس – وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل – يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة[2]، فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: **إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**، فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **إنه كان قد أراد قتل صاحبه**[3]. إن القتال مع عليّ كان حقًا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة – رضي الله عنه – حمل حديثًا ورد في غير الحالة التي قاتل فيها على علي حالة قتال الباغين، وهو فهم منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًا رضي الله عنه في معركته مع الآخرين، منها أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثراً عن فتوى تصيب محلها[4]. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي – رضي الله عنهما، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[5]، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه – وهو طرف أساسي في المعركة – يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك؛ إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر[6]. ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً[7]. وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب على رضى

---

(١) عبد الله بن سبأ للعودة: ص (١٩٦).

(٢) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين، وقيل إنه نفيع ابن مسروح وبه جزم ابن سعد وقيل اسمه مسروح وبه جزم ابن إسحاق. وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل في سبب كنيته أنه تدلى من حصن الطائف لبكرة فاشتهر بها. توفي بالبصرة ٥٢ هـ.

(٣) مسلم (٤/ ٢٢١٣)، ك الفتن.

(٤) الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية (٤/ ١٧١١).

(٥) صحيح مسلم على شرح النووى (١٨/ ١٠).

(٦)، (٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٠٦).

الله عنه على الفتنة فيقول عمار - رضى الله عنه - فى الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم[1].

٢ - الجولة الأولى فى معركة الجمل:

زاد السبئيّون فى الجيشين من جهودهم فى إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهى معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة، رضى الله عنها، كانت فى المعركة فى الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذى قدمه لها يعلى بن أمية فى مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة فى السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، فى منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن علىّ لما جرى، ونادى مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس. ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه[2]، كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة[3]، ونادى على فى جيشه، كما نادى طلحة والزبير فى جيشهما: لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا لها[4]. وقد كان الزبير، رضى الله عنه، وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لا أرانى إلا سأقتل مظلومًا، وإن أكبر همى دَيْنى[5]. وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليًا، وذلك بأن يندس مع جيشه ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان قيَّد الفتك[6]، فالزبير، رضى الله عنه، ليس له غرض فى قتل على أو أى شخص آخر برىء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين علىٌّ الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٥١٦).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٥٤١).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/٥٤١، ٥٤٣)، الخلفاء الراشدون للخالدى: ص (٢٤٥).

(٤) المصدر نفسه (٥/٥٤١).

(٥) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٧٩)، الطبقات (٣/١٠٨) صحيح الإسناد.

(٦) مسند أحمد (٣/١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الله ﷺ يقول له – أى الزبير – لتقاتلنه وأنت له ظالم[1] وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[2]، وبعض الروايات ترجع السبب في انصراف الزبير – رضى الله عنه – قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ: تقتل عمار الفتنة الباغية[3]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[4]، وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه[5] من هذه الفتنة – كما يسميها – وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى أن ابن عباس، رضى الله عنهما، ذكره بالقرابة القوية من على؛ إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك على ابن أبى طالب بن عبد المطلب[6] فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[7] كما سيأتى تفصيله بإذن الله، فالزبير، رضى الله عنه، كان على وعى لهدفه – وهو الإصلاح – ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك على بن أبى طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل[8]؟ وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة أسهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثانى لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملنى، وابحث لى عن مكان مناسب، فادخل البصرة، ووضع فى دار فيها ليعالج، ولكن جرحه مازال ينزف حتى توفى فى البيت، ثم دفن فى البصرة، رضى الله عنه[9]، وأما الرواية التى تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠١) خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/٢٤٤)، المطالب العلية رقم ٤٤٦٨.

(٣) مسند أحمد (١/٤٧ – ٤٩)، (١١/٣٨) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.

(٤) خلافة على بن أبى طالب: ص (١٥٤).

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٤، تاريخ الطبرى (٥/٥٠٦).

(٦) الطبقات (٣/١١٠) إسناده صحيح، خلافة على: ص (١٥٥).

(٧) الطبقات (٣/١٠)، تاريخ خليفة: ص (١٨٦).

(٨) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/٢٤٨).

(٩) البداية والنهاية (٧/٢٥٣).

الرواية لا تصح[١]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة، رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير، رضي الله عنه، مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير، رضي الله عنه، كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، وفيه أن الزبير، رضي الله عنه، سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال[٢]، وكذلك طلحة؛ فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة – رضي الله عنه – فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[٣].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة، رضي الله عنهما، وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الاولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان علي رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل عليٌّ على ابنه الحسن، وضمّه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بنُي، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. فقال الحسن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يرُجى بعد هذا؟[٤].

٣ – الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الازدية، ومعها كعب الذي دفعته إليه مصحفًا يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[٥]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش علي قائلاً: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٥٤٠).

(٢) المستدرك (٣/٣٦٦)، استشهاد عثمان: ص (٢٠٠).

(٣) تاريخ خليفة ص ١٨٥، استشهاد عثمان: ص (٢٠٢).

(٤) البداية والنهاية (٧/٥٢١).

(٥) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦)، بسند صحيح إلى الزهري.

البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه. وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده[1]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عاليا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضجّ جيش علي بلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم[2] وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل[3]. اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[4]، ودنا الناس بعضهم من بعض[5]، ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل[6]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[7]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغماً عنها، وأصبحت في وسط

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٥٨) رجاله رجال الصحيح.

(٥) الطبقات (٥/ ٩٢) بسند حسن.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣)، تاريخ خليفة: ص (١٩٠) بسند حسن.

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٤).

المعمعة، وصارت تنادى بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيرى ابنى آدم - أى كف يدك - فاغمد سيفه بعد أن سله فقتل رحمه الله[1]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذى حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه؛ وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعًا، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلونى[2] ومالكًا، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز فى تحريض الناس على عثمان، رضى الله عنه، ولكن الأشتر لم يكن معروفًا بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة[3]، وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف فى الركابين فضربه على رأسه ظانًا أنه قتله[4]، واستحر القتل أيضًا فى بنى عدى وبنى ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربى الضبى برجزه:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل

الموت عندنا أحلى من العسل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[5]

أدرك أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - بما أوتى من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة - أن فى بقاء الجمل استمرارًا للحرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين فى الميدان، كما ان فى بقائها خطرًا على حياتها؛ فالهودج الذى هى فيه أصبح كالقنفذ من السهام[6]، فامر على نفرًا من جنده منهم محمد بن أبى بكر «أخو أم المؤمنين» وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة -، أى يضربا قوائم الجمل بالسيف - فعقروا

(١) نسب قريش: ص (٢٨١)، التاريخ الصغير للبخارى (١/١١٠) بسند صحيح.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٢٨)، مرويات أبى مخنف ص ٢٦٨ إسناده صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: ص (١٥٩).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٢٨) بسند صححه ابن حجر فى الفتح (١٣/٥٧، ٥٨).

(٥) تاريخ خليفة: ص (١٩٠) بسند حسن، خلافة على، عبد الحميد: ص (١٥٩).

(٦) انساب الأشراف للبلاذرى (٢/٤٣) بسند متصل.

الجمل[1]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي، فأمر به علي، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل[2]، وصدق حدس علي - رضي الله عنه- العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة نادى علي أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئًا من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحمًا في قدر له فأخذ منهم القدر وكفى ما فيها حنقًا عليهم[3].

٤ - عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[4].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفًا[5]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيراً - بحكم ميوله - وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفًا هم من أهل البصرة فقط[6]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة، رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[7]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره،

---

(١) اعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦١١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).

(٤)، (٥) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٦ بسند مرسل.

(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٢ - ٥٥٥).

وفيهما مبالغة أيضاً، ويذكر عمر بن شبه بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً[1]، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً؛ إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين ألفاً[2]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً، وكان من أسباب المبالغة:

أ - رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

ب - إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

ج - إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم[3].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

- قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح[4]، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.
- الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.
- تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.
- قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد»، ومعركة القادسية «ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد»، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٦ إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/٥٤٦)، فتح الباري (١٣/٦٢).

(٣) الإنصاف: ص (٤٥٥).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٧/٥٤٦) فتح الباري (١٣/٦٢).

● أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريبًا من المائة[1]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعنى أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذى ترجَّح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته «استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبرى – دراسة نقدية»[2].

٥ - هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟

أشار كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، هو مروان بن الحكم[3]، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

أ – قال ابن كثير: ويقال إن الذى رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذى رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندى أقرب وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم[4].

ب – قال ابن العربى عمَّن قال إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله: ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت[5].

ج – قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[6].

د – بطلان السبب الذى قيل إن مروان قتل طلحة، رضى الله عنه، من أجله، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان، رضى الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحدًا من الصحابة قد أعان على قتل عثمان رضى الله عنه.

---

(١) تاريخ خليفة: ص (١٨٧، ١٩٠).

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢١٥).

(٣) الطبقات (٣/٢٢٣)، تاريخ المدينة (٤/١١٧٠) تاريخ خليفة: ص (١٨٥).

(٤) البداية والنهاية (٧/٢٤٨).

(٥)، (٦) العواصم من القواصم: ص (١٥٧ – ١٦٠).

هـ- كون مروان وطلحة، رضى الله عنهما، من صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[1].

و- أن معاوية، رضى الله عنه، قد ولى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية، رضى الله عنه، على رقاب المسلمين وفي أقدس البقاع عند الله.

ز - وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[2]- مع ما عرف عن البخارى رحمه الله من الدقة وشدة التحرى فى أمر من تقبل روايته - فلو صح قيام مروان بقتل طلحة، رضى الله عنه، لكان هذا سببًا كافيًا لرد روايته والقدح فى عدالته[3].

٦ - نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادى على: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلوا دارًا، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن،وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادى أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[4]، وقد ظن بعض الناس فى جيش على أن عليًا سيقسم بينهم السبى، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم على رضى الله عنه، حين أعلن فى ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأى امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا، فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال على: كذلك السيرة فى أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوه على عائشة فهى رأس الأمر وقائدهم، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضى الله عنه من بيت المال خمسمائة خمسمائة[5].

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

(٢) فتح البارى (٢/ ٥٢٠) استشهاد عثمان: ص (٢٠٣).

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص (٢٠٢).

(٤) خلافة على بن ابى طالب: ص (١٦٨) عبد الحميد، مصنف ابن ابى شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صحيح.

(٥) مصنف لبن أبى شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣/ ٥٧).

٧ - تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا.. ودعا للقتلى بالمغفرة، وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[١] وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[٢].

٨ - مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه حريصًا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ فى مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين على، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى فى مساء يوم الجمل فى موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخى وأتنا فى الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علىٍّ رضى الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[٣]، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفنى عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضى الله عنهم ليكلموا عليًا فقال على: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[٤]، كما أن مروان– رضى الله

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦١)، المستدرك (٣/ ١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره، خلافة على بن أبى طالب، ص (١٦٩).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦٨ – ٢٦٩) خلافة على ص: (١٦٩) عبد الحميد.

(٣) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٤) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

عنه – أثنى على فعال أمير المؤمنين على فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولّينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[1]. وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين على، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد على رضى الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكًا (الأشتر) أعجله عن ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع فى أن يلى ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولى إمارة البصرة غضب وسار فى قومه، فخشى على رضى الله عنه منه شرًا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئًا[2].

٩ – **حديث أبى بكرة عن رسول الله ﷺ**: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار»[3]. قال القرطبى: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبى بكرة – فى أصحاب النبى ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغى لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: «القاتل والمقتول فى النار» ليس فى أصحاب النبى ﷺ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبرى: لو كان الواجب فى كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبى نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدى والهرب منها[4].

وقال النووى: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه فى النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله

---

(١) كتاب أهل البغى من الحاوى الكبير للماوردى: ص (١١١)، فتح البارى (١٣/ ٦٢).

(٢) فتح البارى (١٣/ ٥٧)، خلافة على، عبد الحميد: ص (١٧٤).

(٣) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٢٣).

(٤) التذكرة (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق.. وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه الحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ في الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو الحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم(١).

١٠ - تاريخ معركة الجمل: اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ - أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة(٢).

ب - أخرج عمر بن شبّة أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين(٣).

ج - أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين(٤).

د - ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى(٥)، غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٨/٢٢٧، ٢٢٨).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٨٤، ١٨٥).
(٣) فتح الباري (١٣/٦١).
(٤) استشهاد عثمان: ص (٢٠٦) نقلاً عن تاريخ الطبري.
(٥) مروج الذهب (٢/٣٦٠).

١١ - أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التى فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء فى دار بنى خلف يبكين على من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع على، فلما دخل على قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادى. فلم يرد عليها على شيئًا، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضًا فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات(١)؟!

١٢ - اعتذار أبى بكرة الثقفى عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفى إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له على: أين المريض؟ - يعنى أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامى، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد(٢).

١٣ - موقف أمير المؤمنين على ممن ينال من عائشة:

قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر على القعقاع ابن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن ويخرجهما من ثيابهما(٣)، وقد قام القعقاع بذلك.

١٤ - دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند على، فجاء عمار فقال: من هذا الذى يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحًا منبوذًا مذمومًا مدحورًا(٤). وجاء فى

---

(١)، (٢) البداية والنهاية (٧/٣٥٧).

(٣) المصدر نفسه (٧/٢٥٨).

(٤) فضائل الصحابة (٢/١١٠) إسناده ضعيف، ضعيف سنن الترمذى رقم ٨١٥ للألبانى.

رواية: اغرب مقبوحًا أتؤذى حبيبة رسول الله ﷺ[1]؟! وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند على رضى الله عنهما فقال: حليلة رسول الله ﷺ[2].

سابعًا: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين على بن أبى طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبى بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبى وهى بنت ست ودخل بها وهى بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب أزواج النبى ﷺ إليه ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة، رضى الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفى عنها النبى ﷺ وهى في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضى الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه ودفنت في البقيع رضى الله عنها وأرضاها[3]، ومناقبها، رضى الله عنها، كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وأرضاهن منها:

١ - مجيء الملك بصورتها إلى النبى ﷺ في سرقة[4] من حرير قبل زواجها به ﷺ، فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: أريتك في المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه[5].

٢ - أحب أزواج النبى ﷺ، وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخارى بإسناده إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل[6]، قال: فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٧٩) حديث حسن قاله الذهبى.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٧٦) حديث حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥ - ٢٠١) طبقات ابن سعد (٨/٥٨)، البداية والنهاية (٨/٩٥).

(٤) أى في قطعة من جيد الحرير: انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٣٦٢).

(٥) مسلم رقم ٢٤٣٨.

(٦) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافى من الماء، النهاية لابن الأثير (٢/٣٨٩).

قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها[١]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل، فاحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حرى أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً[٢].

٣ - نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام، فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها[٣]. وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وان ذلك الأمر من أسباب حبه لها[٤].

٤ - أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ: فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى - تريد رسول الله ﷺ -[٥].

٥ - بدأ النبي ﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير، وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه ﷺ، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة، رضي الله

---

(١) البخاري رقم ٤٣٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٣) البخاري رقم ٣٧٧٥، ك فضائل الصحابة.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٥) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٦٨.

عنها، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله ــ جل ثناؤه ــ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩] قالت فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت[١].

٦ – **نزول آيات من كتاب الله بسببها، فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة**، فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جلا وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦]. قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شانها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيالها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها[٢]، فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ[٣] قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان

---

(١) البخاري، ك التفسير رقم ٤٧٨٩.

(٢) البخاري رقم ٤١٤١.

(٣) جلاء الأفهام: ص (١٢٤، ١٢٥).

غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على الزمان.. وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[١]. وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً[٢].

٧ - **كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض في بيتها**: فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفي يومها وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها[٣]، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: أين أنا غداً؟ حرصاً على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[٤]، وعند مسلم عنها أيضاً قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: أين أنا اليوم أين أنا غداً؟ استبطاء ليوم عائشة قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[٥]، وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً، أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٨/٩٥)، تفسير القرآن العظيم (٣/٢٦٨).

(٢) البخاري، رقم ٣٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/١٨٩) والبداية والنهاية (٨/٩٥).

(٤) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٧٤.

(٥) مسلم، ك الصحابة رقم ٢٤٤٣.

(٦) البخاري، رقم ٤٤٥٠، ٤٤٥١.

٨ - **إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة**، فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، رضى الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله من من أزواجك في الجنة؟ قال: أما إنك منهن؟ قالت: فخيل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيرى[١]، وروى البخارى بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبى بكر[٢]، وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة، رضى الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[٣].

٩ - **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**: ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[٤]. قال النووى: قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[٥].

هذه بعض الأحاديث التى أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها وعلو شانها فى الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلقة، وآثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوّلوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب « ثم اهتديت » وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض وطعن فى أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم

---

(١) المستدرك (٤ / ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) البخارى، رقم ٣٧٧١.

(٣) فتح البارى، (٧ / ١٠٨)، العقيدة فى أهل البيت: ص (٩٥).

(٤) البخارى، رقم ٣٧٧٠.

(٥) شرح صحيح مسلم (١٥ / ٢٠٨، ٢٠٩).

بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[1]. وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة - رضى الله عنها - بل فيه أعظم فضيلة لها، وهى أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فاى فضل أعظم من هذا؟! وأى شرف أسمى من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة - رضى الله عنها - قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار - رضى الله عنه - الذى كان مُخالفًا لها في الرأى في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ[2]، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبى ﷺ على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال لها: أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قالت: بلى والله، قال: فانت زوجتي في الدنيا والآخرة،[3] فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة - رضى الله عنها - ولذا أورد البخارى الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضى الله عنها[4]، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[5]. فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - وبيان ذلك من وجوه:

أ- أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة - رضى الله عنها - ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر[6].

ب- أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذمومًا حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم انه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسيًا أو متاولاً فلا يؤخذ بذلك.

جـ- أن عمارًا - رضى الله عنه - ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطاها في الاجتهاد نصحًا للامة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها

---

(١) البخارى، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٧٢.
(٢) الانتصار للصحب والآل ص: (٤٤٨).
(٣) المستدرك (٤ / ١٠)، الصحيح المسند لمصطفى العدوى: ص (٣٥٦).
(٤) البخارى رقم ٣٧٧٢.
(٥) البخارى رقم ٣٧٧٢.
(٦) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٤٨).

وفضلها[١]، وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوذًا، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها[٢]، وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبي ﷺ قام خطيبًا، فاشار نحو مساكن عائشة فقال: ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة - رضى الله عنها - بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق وتدليس على من لا علم عنده من العامة وذلك بتفسيره قول الراوى: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأى وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوى قال: أشار نحو مساكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلى، وهذه الرواية التى ذكرها أخرجها البخارى فى كتاب فرض الخمس[٣] وهذا الحديث قد جاء مخرجًا فى كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويغنى عن التكلف فى الرد عليهم بأى شيء آخر، وها هى ذى بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر - رضى الله عنهما -، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان[٤]، وعن عبيد بن عمر قال: حدثنى نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: الفتنة من حيث يطلع قرن [٥] الشيطان قالها مرتين أو ثلاثًا، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان[٦]. وفى هذا الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهى جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة فى الرواية التى ذكرها

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٠، ٤٥١).

(٢) البداية والنهاية (٧/٢٤٨).

(٣) البخارى رقم ٣١٠٤.

(٤) البخارى رقم ٧٠٩٣، مسلم رقم ٢٩٠٥.

(٥)، (٦) مسلم، ك الفتن ٤/٢٢٢٩.

الشيعة الروافض[1]، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فقال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا[2]، فاظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[3]. وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: إن الفتنة تجئ من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان[4]. وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين[5]، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر[6]. فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة (ههنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض[7].

٥- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن:

قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[8].. وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فاجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٣).

(٢) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.

(٣) البخاري رقم ٧٠٩٥.

(٤) مسلم، ك الفتنة من المشرق (٤/٢٢٢٩).

(٥) الفدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.

(٦) البخاري رقم ٣٣٠٢، الانتصار للصحب والآل ص ٤٥٥.

(٧) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٥٥).

(٨) مجموع الفتاوى (٤/٣٩٤).

الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها، [1] وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقى الخلاف بين عائشة وخديجة[2]، وقال فى شرح حديث أبى هريرة أن جبريل أتى النبى ﷺ وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلى: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربى أنه لا خلاف فى أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[3]. وعند التحقيق والنظر فى النصوص الواردة فى تفضيل كل واحدة منهن - رضى الله عنهن - نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضى الله عنهن، وذلك لقوله ﷺ: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتى»[4]، وقال ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية[5]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[6]، وقال ﷺ: حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون[7]. وهذا نص فى أن خديجة رضى الله عنها أفضل نساء الأمة ثم إن اللفظ الوارد فى تفضيل فاطمة رضى الله عنها وهو قوله ﷺ: يا فاطمة ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الامة؟[8]. وفى لفظ: سيدة نساء أهل الجنة[9]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص فى أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها فى هذا التفضيل فهى وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهى وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص[10]، وأما ما ورد فى تفضيل عائشة، رضى الله عنها، فى قوله ﷺ:

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٣).

(٢) فتح البارى (٧/ ١٠٩).

(٣) فتح البارى (٧/ ١٣٩).

(٤) فتح البارى (٧/ ١٣٥)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٣).

(٥) الإحسان لابن حبان (٩/ ٧٣)، صحيح الجامع للألبانى (١/ ٣٧١).

(٦) فتح البارى (٧/ ١٣٥).

(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم ١٣٢٥ وصححه الألبانى فى تخريج المشكاة (٣/ ١٧٤٥).

(٨) البخاري رقم ٦٢٨٥.

(٩) فتح البارى (٧/ ١٠٥).

(١٠) العقيدة فى أهل البيت: ص (٩٧).

فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر[1]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة، رضى الله عنها، على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المئونة وسهولة الإساغة وكان أجلَّ طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى[2]. فالحديث إذًا دال على أفضلية عائشة، رضى الله عنها، على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة، رضى الله عنهما، لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة، رضى الله عنها[3]، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبى ﷺ: أى النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ عائشة[4]. فقد أشار ابن حبان إلى أنه مقيد فى نسائه ﷺ إذ عقد عنوانًا فى صحيحه فقال: ذكر خبر وهم فى تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: إنى لست أعنى النساء وإنما أعنى الرجال، فقال: أبو بكر أو قال أبوها. ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: فأبوها[5]. وبهذا يتبين أن عائشة تلى خديجة وفاطمة فى الفضل، رضى الله عنها، إذًا فكل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضى الله عنها مقيد بالنص الوارد فى خديجة وفاطمة، رضى الله عنهما، ولا ينكر أن لعائشة، رضى الله عنها، من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضى الله عنهن، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شىء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق[6]، وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل فى هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة رضى الله عنهن؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن فى أنهن أفضل نساء الأمة،

---

(١) فتح البارى (٧/١٠٧).

(٢) المصدر نفسه (٦/٤٤٧).

(٣) العقيدة فى أهل البيت: ص (٩٧).

(٤) البخارى رقم ٤٣٥٨.

(٥) الإحسان بترتيب صحيح بن حبان (٩/١١).

(٦) فتح البارى (٧/١٠٨)، العقيدة فى أهل البيت: ص (٩٨).

فما الذى يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة فى الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض؟!(١).

*** هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين فى معركة الجمل؟**

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهرى عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكانى، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً(٢)، وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التى بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقول من الروايات التى وضعتها الشيعة الروافض، والتى شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين على وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم حرباً أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعى من باحثين لا يستقون معلوماتهم فى هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامة والسياسة، والأغانى، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبى، بل وتاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان(٣).

*** هل يصح هذا الحديث: تقاتلين علياً وأنت له ظالمة؟!**

إنه لا يعرف فى شئ من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار(٤).

*** أمير المؤمنين على رضى الله عنه يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:**

جهز أمير المؤمنين على عائشة بكل شيء ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذى

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص (٤٦١).

(٢) المغازى للزهرى: ص (١٥٤).

(٣) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوى الأصيل، محمد جميل، الحزبية السياسية، رياض عيسى، الحريم السياسى، النبى والنساء، الدولة العربية فلهوزن، نقلا عن دور المرأة السياسى، ص (٤٤٢).

(٤) منهاج السنة (٢/١٨٥).

ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار.. وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها[١] يوماً. وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة ﷺ عندما قال له: إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر. قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أنا؟ قال: نعم. قلت فأنا أشقاهم يا رسول الله . قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها[٢]. وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي في فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[٣]. وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأي عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[٤]. قال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[٥]. وعلي رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك[٦]. إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ، ناصحاً: وسل الجارية تصدقك[٧] فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة[٨]، وقد سأل رسول الله ﷺ الجارية التي

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١).

(٢) مسند أحمد (٦/ ٣٩٣) إسناده حسن.

(٣) البخاري رقم ٤٧٨٦ .

(٤) دور المرأة السياسي : ص (٤٦٢) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٦٣٤).

(٦) البخاري رقم ٤٧٨٦ .

(٧) البخاري رقم ٤٧٨٦ .

(٨) دور المرأة السياسي: ص (٤٦٢) .

كانت أكثر التصاقًا بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيراً، وقد خرج رسول الله ﷺ من يومه الذى سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبيٍّ قائلاً: يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهل بيتى، فو الله ما علمت على أهلى إلا خيراً[1]. لقد كانت نصيحة على فى صالح عائشة فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير فى أهله[2]. ولم يكن موقف على فى حادثة الإفك هو الذى جعل عائشة تغضب منه رضى الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذى يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط فى روايات الشيعة الرافضة التى لفقوها ووضعوها.

***ندمهم على ما حصل منهم:**

قال ابن تيمية: .. وهكذا عامّة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعلىٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد فى القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[3].

أ- فأمير المومنين على ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[4].

ب- وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن على، أنه قال لسليمان بن صرد، لقد رأيت عليًا حين اشتد القتال وهو يلوذ بى، ويقول: ياحسن، لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[5].

ج- وعن الحسن بن على قال: أراد أمير المؤمنين على امراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً[6].

د- وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن على أنه سمع عليًا يقول - حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم -: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتنى مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[7].

هـ- وأما عائشة فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أنى كنت جلست كما جلس أصحابى وكان أحب إلىّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبدالله بن الزبير[8].

---

(١) البخارى رقم ٤٧٨٦ .

(٢) دور المرأة السياسى: ص (٤٦٢) .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محيى الدين الخطيب: ص (٢٢٢).

(٤)، (٥) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٦) الفتن (١/ ٨١) نعيم بن حماد.

(٧) أحداث وأحاديث فتنة الهرج . ص (٢١٧).

(٨) الفتن، نعيم بن حمّاد (١/ ٨١).

و- وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. تبكي حتى تبل خمارها[١].

ز- قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولداً من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وأني ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل[٢].

ح- قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثُم تبيّن لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[٣].

ط- قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كليه على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ[٤].

ثامناً: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[٥]، ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهو حواريّ رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى[٦]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة،[٧] ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله[٨]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روى أن عم الزبير كان

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧) الطبقات (٨/ ٨١).

(٢) التمهيد للباقلاني: ص (٢٣٢) (عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من اشرف بني مخزوم، توفي قبل معاوية.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض: ص (٢٢٢، ٢٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

(٥) الإصابة (١/ ٥٢٦ - ٥٢٨).

(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٠) الإصابة (١/ ٥٢٦ - ٥٢٨).

(٧) سير اعلام النبلاء (١/ ٤١).

(٨) سير السلف (١/ ٢٢٦) الرواية مرسلة.

يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً[(١)].

١- أول من سلّ سيفه في سبيل الله:

عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سلّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسول الله قُتِل، فخرج من البيت متجرداً السيف صلْتا، فلقيه رسول الله ﷺ كَفَّةَ كَفَّةَ[(٢)]، فقال: ما شأنك يا زبير؟ قال: سمعت أنك قُتِلْت، قال: فما كنت صانعاً؟ قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير. قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ﷺ[(٣)].

٢- هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار « النجاشي » ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديداً وخافوا أن يظهر ذلك الرجل وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة- رضي الله عنهم- أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل،[(٤)] قالت أم سلمة- رضي الله عنها-: فقال أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدْره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فو الله إنّا لَعلىَ ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو

---

(١) الطبراني في الكبير (١/ ١٢٢).

(٢) كفة كفة: أي مواجهة كان كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٤) رقم ١٢٦٠ إسناده ضعيف حسن لغيره.

(٤) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩)، أصحاب الرسول (١/ ٢٧٤).

يقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده.(١) بعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادىء الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها.

٣- في غزوة بدر :

كان الزبير رضي الله عنه فارسًا مقدامًا، وبطلاً مغواراً، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق(٢)، ولقد بذل الزبير، رضي الله عنه، الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفًا لله - عز وجل - فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدرعمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير(٣). فيالها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله الزبير:

جدّي ابن عمَّة أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارسُ الشقراءِ

وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في اللأمة الصفراء

نُزلت بسيماه الملائك نُصرة ... بالحوض يوم تألب الأعداء(٤)

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينيه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل(٥).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٩).

(٢) أهل الشورى الستة، رياض العبد الله: ص (٦٧).

(٣) الطبراني في الكبير رقم ٢٣٠ مرسل صحيح الإسناد، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦).

(٤) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٠١).

(٥) صحيح البخاري، ك المغازي رقم ٣٩٩٨.

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام فى إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة فى عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه حمى جسمه بالحديد الواقى، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته فى إصابة الهدف(١).

وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة(٢).

٤- فى غزوة أحد:

قال الزبير رضى الله عنه: جمع لى النبى ﷺ أبويه يوم أحد(٣)، وهذا دليل على قتاله وبأسه فى تلك المعركة، فقد اتصف رضى الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة فى سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا رضى الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصارى فى تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيفًا وقال: من يأخذ منى هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا – وكان من ضمنهم الزبير – قال: فمن يأخذه بحقه: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى. قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب – أى يمشى مشية المتكبر – وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا فى هذا الموطن(٤). ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركنى، والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت – وهكذا كانت تقول له إذا تعصب – فخرج وهو يقول:

---

(١) التاريخ الإسلامى (٤/ ١٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦) والرواية مرسلة.

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٨) رقم ١٢٦٧ إسناده صحيح.

(٤) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٠.

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر الكيول[1] أضرب بسيف الله والرسول[2]

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان من المشركين رجل لا يدع جريحا إلا ذفف[3] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم[4]، قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[5]، وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا ابن أختى كان أبواك – يعنى الزبير وأبا بكر – من ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]

لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبى ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء فى آثارهم، حتى يعلموا أنّ بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير فى سبعين، فخرجوا فى آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدوا[6]، ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنه، فى أحُد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها، وقد مثل به المشركون فجذعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يامرك أن ترجعى، قالت: ولم؟ وقد بلغنى أنه قد مثل بأخى، وذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن، إن

---

(١) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(٢) البداية والنهاية (٤/ ١٧).
(٣) ذفف: أجهز عليه.
(٤)، (٥) البداية والنهاية (٤/ ١٨).
(٦) البخارى رقم ٤٠٧٧.

شاء الله، فلما جاء الزبير بن العوام، رضى الله عنه، إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت[1]، واستغفرت له[2]، وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير أنه لما كان أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: «المرأة المرأة». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فادركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فَلَدَمَتْ في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، والأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فاقرعنا بينهما، فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له[3].

٥- في غزوة الخندق: (لكل نبي حواريَ وحواريّي الزبير)[4].

قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: من يأتينا بخبر بني قريظة؟ فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «**لكُلِّ نبي حواريَ،وحواريّي الزبير**»[5]، ومعنى قوله ﷺ: وحواريي الزبير: أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، أي خلصاؤه وأنصاره، فالحواري هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير، رضى الله عنه، ولذلك سمع عبدالله بن عمر، رضى الله عنهما، رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[6]، وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، قال: من يأتيني بخبر القوم؟ فقال:

---

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٠٨).

(٣) مسند أحمد (٣/ ٣٤) الموسوعة الحديثية إسناده حسن.

(٤)، (٥) مسلم رقم ٢٤١٤.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة رقم ١٢٢١٩، صحيح..

أنا وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره(١)،وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبدالله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟قلت: نعم قال: كان رسول الله ﷺ قال: من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فداك أبي وأمي(٢). وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير ،رضى الله عنه، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله، واعتبار بامره، وذلك لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له(٣). لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساماً خالدا باقياً على مر السنين (لكل نبي حواري وحواريي الزبير)(٤). لقد وصف النبي ﷺ الزبير بالحواري، وهو صف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة، لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره(٥)، كما جاء في الحديث: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره(٦). ومن سنن الدعوات أن مسيرتها تمر بالفتن والمحن وتبتلي من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون(٧). فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي

---

(١) عمدة القاري (١٩/ ٢٢٣٩).

(٢) البخاري رقم ٣٧٢٠.

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٤٦).

(٤) مسلم رقم ٢٤١٤.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦، ٢٧).

(٦) دراسات تربوية للأعظمي: ص (٢٠٦).

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦، ٢٧).

والإخلاص والفداء التى هى أبرز صفات الحواريين، فيكون مثالاً حقيقياً لورثة الأنبياء، فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها، ويضحى فى سبيل الله بكل غالٍ ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته فى الوقت الذى يكون ساقطو الهمة لا هم لهم إلا مصلحتهم الشخصية[1] والزبير بن العوام، رضى الله عنه، نموذج فذ فى تجسيد هذه المعانى، فقد تربى فى أحضان الدعوة على يدى النبى ﷺ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير فى غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ﷺ، وأثبتت الأيام أنه كان رضى الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام فكلف بمهمة كشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته[2]. هذا وقد شارك الزبير فى كل غزوات الرسول وكان له مواقف مشرفة، وكان فى عهد الراشدين من أعمدة الدولة فى فتوحاتها الكبيرة رضى الله عنه.

٦- فى غزوة اليرموك:

عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إنى إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعى فى تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبدالله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكَّل به رجلاً[3]، قال الذهبى فى السِّير معلقًا: هذه الوقعة هى يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبدالله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[4]، وذكر ابن كثير أن الموقعة هى «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك فى الموقعتين، فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل

---

(١) دراسات تربوية فى الأحاديث النبوية: ص (٢٠٧).

(٢) المصدر نفسه: ص (٢٠٨).

(٣) البخارى رقم ٣٩٧٥.

(٤) سير اعلام النبلاء (١/ ٦٣).

معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجُرح يومئذ جُرحين بين كتفيه، وفي رواية: جُرح[١]. ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً، فشهد اليرموك، فتشرَّفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم[٢].

٧- في فتح مصر:

ولما قصد عمرُو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام من اثني عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[٣]، وحين قدم الزبير على عمرو، وجده محاصراً حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[٤] وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين. فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبِّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا،

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٦٣).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٦٠).

(٣) فتوح مصر والمغرب: ص (٦١)، قادة فتح الشام ومصر: ص (٢٠٨ – ٢٢٦).

(٤) سير اعلام النبلاء (١/ ٥٥).

وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس(١).

٨- غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - قالت: تزوجني الزبير - رضي الله عنه - وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثُلثي فرسخ قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «إخ إخ»، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملُك النوى كان أشده عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني(٢).

٩- تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء:

من شدة حب الزبير، رضي الله عنه، للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إنّ طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ، وإنيّ أسمي بأسماء الشُّهداء لعلهم يستشهدون: عبدالله بعبدالله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزه، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك(٣).

---

(١) قادة فتح الشام ومصر، ص (٢٠٩- ٢٢٧).

(٢) حياة الصحابة (٢/ ٦٩١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٨١).

(٣) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٠٥، الطبقات (٣/ ١٠١).

١٠- إخفاء الطاعات عند الزبير :

قال الزبير بن العوام - رضي الله عنه -: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل[١].

١١- ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير :

مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبي وهديه ... حواريه والقول بالفعل يُعدل

أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي وليَّ الحقّ والحقُّ أعدلُ

هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجّلُ

إذا كشفت عن ساقها الحرب حَشّها ... بأبيض سباق إلى الموت يُرْقِلُ[٢]

وإن امرؤ كانت صفية أمّهُ ... ومن أسد في بيتها لَمُؤثَّلُ[٣]

له من رسول الله قُربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجد مؤثَّلُ[٤]

فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي فيُجزل

ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل[٥]

١٢- كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه

روى عن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبدالرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم[٦].

---

(١) الزهد لابن المبارك: ص(٣٩٢).

(٢) يرقل: يسرع: وهي سرعة سير الإبل.

(٣) في الديوان وعند الحاكم لمرفل: وهو العظيم المبجل.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٧).

(٦) المصدر نفسه (١/ ١٣١).

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسّم المعانى السامية فى النفس حتى تبقى هى الماثلة فى الضمير الحى، وتبعًا لذلك يُسخّر هذا الضمير الحى كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعانى، وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شىء من الفتور، فأما أن يتكفّل مثل هذا الشهم السخى بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد فى عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقى الأخلاقى لدى الصحابة رضى الله عنهم[١].

١٣- وحان وقت الرحيل.. وشهادة رسول الله له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام، رضى الله عنه، من معركة الجمل فى الجولة الأولى وقد بيّنّا الأسباب فى تركه لساحة المعركة، وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَرْكُ الأمور التى أخشى عواقبها ... فى الله أحسن فى الدنيا وفى الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمت لو أن علمى نافعى ... أن الحياة من الممات قريب[٢]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع فى طائفة من غواة بنى تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لى إليك حاجة، فقال: ادن، فقال مولى الزبير - واسمه عيطه -: إن معه سلاحًا. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة. فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلى بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله. ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادى السباع وهو نائم فى القائلة[٣]، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها، وكانت قبله تحت عبدالله بن أبى بكر الصديق فقتل عنها، فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

---

(١) التاريخ الإسلامى (١٧/ ١٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٠).

(٣) القائلة: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.

غـدَر ابنُ جـرمـوز بـفـارس بـهـمـة	يومَ اللقـاء وكـان غـرُّ مـعـرد[١]
يا عـمـرو لو نبـهـتـه لوجـدتـه	لا طائشًـا رعشَ الجنان[٢] ولا اليـد
ثـكـلـتـك أمُّكَ أن ظفـرتَ بمثلـه	ممن بقى ممن يروح ويغـتـدى
كمْ غـمـرة قـد خـاضـهـا لـم يثنه	عنهـا طرادك يا ابن فـقـع العـردد[٣]
والله ربى إن قـتـلـت لمسلمـا	حلت عليك عـقـوبة المتـعـمـد[٤]

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى عليّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال على: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال على: سمعت رسول الله يقول: لكل نبى حوارى وحواريّ الزبير[٥]، ولما رأى على سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[٦]، وفى رواية: منع أمير المؤمنين على ابن جرموز من الدخول عليه، وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار[٧]، ويقال إن عمرو بن جرموز قتل نفسه فى عهد على، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ههنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[٨] للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[٩].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيداً، فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضى الله عنهم[١٠]، قال النووى: وفى هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها

(١) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.

(٢) الجنان: القلب.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١) العردد: الصلب الشديد.

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(٧) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، خلافة على: ص (١٦٤) عبدالحميد.

(٨) أقيد: قود: القتل بالقاتل.

(٩) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

(١٠) مسلم رقم ٢٤١٧.

إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم - غير النبي ﷺ وأبي بكر - شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - قُتلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلومًا فهو شهيد(١) قال الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون عليٌّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة(٢).

١٤- حرصه على أداء دَيْنه عند الموت:

عن عبدالله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدَيْنه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين، فبعتها - يعني وقضيت دينه - فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف(٣)، وقول البخاري، رحمه الله، محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة(٤)، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير(٥)، وبارك الله له في أراضيه بعد موته فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير، وفي هذه القصة درس وعبر وفوائد:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٧١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢).

(٣) البخاري رقم ٣١٢٩.

(٤) شذرات الذهب (١/ ٢٠٩).

(٥) الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٦١).

أ- قول الزبير لابنه: يا بنى إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاى؛ وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوى الذى ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه فى قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازمًا بأن كل شيء بيد الله جل وعلا، فإذا وقع فى ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يُشكلون طرفًا آخر فى قضيته إنما هم فى قبضة البارئ جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدِّر هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدى إلى نتائجها[1] المعروفة.

ب- هل كان الزبير رضى الله عنه من الأثرياء؟

نرى النصَّ السابق ينطق بأن الزبير، رضى الله عنه، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما فى ذمته من أموال وديون، وكان يخشى ألا تفى أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضًا بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه فى توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يُبقى ديننا من مالنا شيئًا؟ فلا يجد عبد الله جوابًا لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئنًا إياه فى هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدِّر ويتوقَّع، بل تجده يجارى أباه صراحة فى توقعه، فيسأله- عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه-: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطًا بثروة أبيه، عارفًا بأملاكه، فإن عبد الله كان فى ذلك الوقت فى سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن فى مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيرًا لأبيه عالمًا بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: افتُرى يبُقى ديننا من مالنا شيئًا؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هينًا، فيقول: فوالله ما

---

(١) التاريخ الإسلامى (٢٠/٣٠٩).

وقعت فى كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه فيقضيه[١]. ومما يشهد أيضًا بأن الزبير لم يكن معدوداً من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان فى موضعه، ومحله أن حكيم بن حزام رضى الله عنه- وهو ابن عم الزبير - تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذى عليكم من الديون فإن عجزتم عن شىء منه، فاستعينوا بى[٢]، ودليل رابع: يأتى عبدالله بن جعفر رضى الله عنه لعبد الله بن الزبير - وكان له عند الزبير أربعمائة ألف - فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله بن الزبير: لا. قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم[٣]، فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعدانه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وهو يتعامل معه أخذاً وعطاء واقتراضًا وائتمانًا، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير، رضى الله عنه، ما كان من أصحاب الثروات[٤]. وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله؛ ففى بعض المصادر أنه كان له ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحداً، يتصدق بذلك جميعه[٥]. لكن المستشرق الذائع الصيت «ول ديورانت» جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد. ثم أضاف إليها الف جواد[٦]، وبالطبع حذف المستشرق (الذكى) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه[٧]، وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخارى، إذ جاء فيها «فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهما، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، وداريـن بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر[٨]، فالرواية واضحة، وهى بأسلوب الحصر، وفى مقام الحديث عن هَم الدين، والكُرب التى

---

(١)، (٢)، (٣) البخارى رقم ٣١٢٩.

(٤) الزبير بن العوام، والثورة والثروة، عبدالعظيم الديب ص ٩.

(٥) سير السلف الصالحين (١ / ٢٢٧) فى إسناده ضعف.

(٦) الزبير بن العوام، الثروة والثورة ص ١١.

(٧) المصدر نفسه ص ١٣.

(٨) البخارى ٣١٢٩.

كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم [1]، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً؟! هذا كله على فرض أنها كانت ألفًا فقط، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها- مهما كان بخسا- أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لَدَيْني. ولا أن يسأله: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي[2].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان سيرتهم، وأخلاقهم وصفاتهم، واجب علينا، وحتى يخرج القارىء بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي أسهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارىء من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين .

تاسعًا: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[3]، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء[4]، وأمه – رضي الله عنه – الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن

---

(١) الزبير بن العوام، الثروة والثورة: (ص ١٤).

(٢) البخاري رقم ٣١٢٩.

(٣) الإصابة (٢/ ٢٢٠)، الاستيعاب لابن عبدالبر على حاشية الإصابة (٢/ ٢١٠).

(٤) فتح الباري (٧/ ٨٢).

الحضرمي[١]، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة[٢]، وطلحة -رضي الله عنه- أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى[٣].

١- إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخْل، وحرّة[٤] وسباخ[٥]، فإياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت سريعًا حتى قدمتُ مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبدالله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتّبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير. وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ، بما قال الراهب؛ فسر رسول الله ﷺ، فلما أسلم أبوبكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية، فشدّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش ولذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرينين[٦]، هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذىً كبيراً من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة - رضي الله عنه - صابراً على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة لقيه طلحة قادمًا من الشام في عير، فكسا رسول الله وأبا بكر من ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى

---

(١) الإصابة (٢/ ٢٢٠).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣٣٧)، فتح الباري (٧/ ٨٢).

(٣) المستدرك للحاكم (٣/ ٣٦٩)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (١/ ٢٢٨).

(٤) حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.

(٥) سباخ: جمع سبخة، وهي ارض ذات نزّ وملح.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

فرغ من حاجته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر؛ فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأولين- رضي الله عنهم[1]، ولما قدم المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري[2]، وقيل كعب بن مالك الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[3].

٢- في غزوة بدر:

كان طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، كلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد، رضي الله عنهما، يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، كان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر فاسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهماً كالمقاتلين، وأجراً كالمجاهدين[4].

٣- في غزوة أحد، أوجب طلحة رضي الله عنه:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولي الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فادركه المشركون، فقال النبي ﷺ: مَن القوم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقاتل حتى قُتل. ثم التفت، فإذا المشركون، فقال: من لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما كنت، فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: أنت فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسّي. فقال رسول الله ﷺ: لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون. ثم رد الله المشركين[5]، وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حيّ في الدنيا[6]، وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[7]،وجُرح في

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨)، فرسان من عصر النبوة: ص (٢٢٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٣) فرسان من عصر النبوة: ص (٢٢٥)، الاستيعاب لابن عبدالبر.

(٤) الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٩) الاستيعاب (٤١٨٨).

(٥) السلسلة الصحيحة رقم ٢١٧١، الحديث حسن بمجموع طرقه.

(٦) فضائل الصحابة رقم ١٢٩٤ إسناده صحيح.

(٧) البخاري رقم ٤٠٦٣.

تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشُلّت أصبعه - أى السبابة والتى تليها[1]، وروى أبو داود الطيالسى عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحُد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[2]، وعن عائشة وأم إسحاق بنتا طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحُد أربعًا وعشرين جراحة، وقع منها فى رأسه شجةٌ مربعة، وقُطع نساه- يعنى العرق- وشُلّت أصبعه، وكان سائر الجراح فى جسده وغلبه الغَشىُ- الإغماء- ورسول الله ﷺ يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[3]، حتى قال عنه ﷺ: أوجب طلحة حين صنع برسول ما صنع[4].

٤- شهيد يمشى على الأرض:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: اسكن حراء فما عليك إلا نبى أوصديق أو شهيد، وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص- رضى الله عنهم[5]- فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ ظل يبحث عن شهادته فى مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ عدا غزوة بدر[6]، فقد كان فى مهمة كلفه بها رسول الله ﷺ كما مرّ معنا، وقال عنه النبى ﷺ: من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله[7].

٥- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابى جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابى فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنى اطلعت من باب

---

(١) البخارى (٧/ ٣٦١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٦٤).

(٢) فتح البارى (٧/ ٣٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٤) صحيح الجامع للألبانى رقم ٢٥٤٠.

(٥) مسلم رقم ٢٤١٧.

(٦) أصحاب الرسول (١/ ٢٦٠)

(٧) رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٥٩٦٢.

المسجد- يعني طلحة- وعليَّ ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال: أين السائل عمن قضى نحبه؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: هذا ممن قضى نحبه[1].

٦- دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم لحديث رسول الله منكم- يعني أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك، وساخبرك: إنّا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله غُدوة وعشية وكان مسكينًا لا مال له- أبو هريرة- إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله مالم يَقُلْ[2].

وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

٧- إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه[3]، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[4]، وعن سُعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يومًا وهو خاثر[5]، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم خليلة

(١) رواه الترمذي بإسناد حسن رقم ٣٧٤٢.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧) إسناده حسن.
(٣) الحلية (١/ ٨٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠).
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠، ٣١).
(٥) خاثر النفس: غير نشيط.

المسلم أنت، ولكن مالٌ عندى قد غمَّنى. فقلت: ما يغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لى قومى، فقسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف[1]، وعن الحسن البصرى أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضا له بسبعمائة ألف فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرقه[2]، وعن علىّ بن زيد قال: جاء أعرابى إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألنى بها أحد قبلك، إن لى أرضًا قد أعطانى بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن فقال: الثمن، فاعطاه وكان رضى الله عنه لا يدع أحداً من بنى تيم عائلاً إلا كفاه وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف[3]، إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود[4]، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذى قرد[5]، فأطعمهم وسقاهم فقال النبى ﷺ: يا طلحة الفياض. فسمى طلحة الفياض[6].

٨- من فرائد أقواله ودُرَر جواهر كلامه:

فمن أقواله: إن أقلّ عيب الرجل جلوسه فى بيته[7]، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النّعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء[8]. ولطلحة – رضى الله عنه– آراء ثاقبة وصحيحة فى الناس، فكان لا يشاور بخيلاً فى صلة، ولا جبانًا فى حرب[9].

---

(١) مجمع الزوائد (٩/ ١٤٨) قال الهيثمى رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣١).

(٤) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٧).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٦) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، النهاية (٤/ ٣٧).

(٧) المستدرك (٣/ ٣٧٤)، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٠٣)، يقصد أن العزلة بعد عن الاهتمام.

(٨)، (٩) فرسان من عصر النبوة، ص (٢٣٧).

٩- شهادة طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه :

لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع على ركبته، وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إليَّ عباد الله، فادركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال إنه مات بالمعركة، وإن عليًا لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب[١]، ثم قال: عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجرى وبُجرى[٢]، وترحم عليه وقال: ليتني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة[٣]، ولاشك أن طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، من أهل الجنة، فقد روى الترمذى بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلى في الجنة وطلحة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبوعبيدة في الجنة وسعيد بن الجراح في الجنة. ثم قال: وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبى ﷺ نحو هذا[٤]، ففى هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة، رضى الله عنه، حيث شهد له النبى ﷺ أنه من أهل الجنة وأكرِمْ بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة[٥].

١٠- حفظ الله له بعد موته :

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عامًا ونقلوه إلى مكان آخر فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقّى لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولنى من هذا المكان فإن النَّزَّ- الرطوبة أو الماء- قد آذانى.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٢) سرائرى وأحزانى التى تموج في جوفى.

(٣) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ٥٢٨.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، الترمذى ٣٧٥٧ حديث حسن.

(٥) عقيدة أهل السنة (١/ ٢٩٣).

فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة(١)، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١- سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعليّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم :

عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعليّ رضي الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطًا لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته(٢) والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك(٣).

---

(١) أصحاب الرسول (١/ ٢٧٠).

(٢) الكركرة: الصدر.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٩).

المبحث الثاني

معركة صفين (٣٧هـ)

أولا: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

(١) أم حبيبة بنت أبي سفيان ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قُتل عثمان، رضي الله عنه، أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان؛ أرسلوا إليّ بثياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجًا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها(١)، وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها(٢)، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية(٣)، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضع معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا على الأخذ بثاره(٤)،وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا(٥) وآلى رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم(٦)، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة، مقتل الخليفة، سيوفًا مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص (٥٣٩).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩).

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية،محمد جميل: ص (٣٩٨).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩) سندها ضعيف.

(٥) الأنساب (٤ / ٤١٨)، تاريخ الدعوة الإسلامية: ص (٣٩٨).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠).

الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة(١)؟!

(٢) دوافع معاوية في عدم البيعة :

كان معاوية، رضي الله عنه، واليًا على الشام في عهد عمر وعثمان، رضي الله عنهما، ولما تولى الخلافة عليٌّ أراد عزله وتولية عبدالله بن عمر، فاعتذر ابن عمر، فأرسل عليٌّ سهل ابن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء، إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له : إن كان بعثك عثمان فحيهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع(٢). لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتصّ علي – رضي الله عنه – من قتلة عثمان ثم يدخلوا البيعة(٣)، وقالوا: لا نبايع من يؤوي القتلة(٤)، وتخوّفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان. وكان معاوية –رضي الله عنه– يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولي دمه، والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات –وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم– واسمه مرة بن كعب– فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم(٥).

---

(١) معاوية بن أبي سفيان للغضبان: ص (١٧٨– ١٨٣).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٦).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٢٩).

(٤) العواصم من القواصم: ص (١٦٢).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٠).

وهناك حديث آخر له تأثير فى طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطا ودافعا قويا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو، عن النعمان بن بشير عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: أرسل رسول الله ﷺ.. فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتابًا(١).

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله فى القتلة السبب الرئيسى فى رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعة على بن أبى طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر فى بقية الستة من أهل الشورى وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر منه(٢)، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

٣- معاوية يرد على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنهما:

بعث على رضى الله عنه كتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان فى صفر، ثم بعث معاوية طُوماراً(٣) مع رجل، فدخل به على علىّ فقال له على: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَود(٤) كلهم موتور(٥)، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال على: اللهم إنىّ أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدى على فهمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد(٦).

---

(١) مسند أحمد رقم ٢٤٠٤٥، حديث صحيح.

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد على: ص (١١٢).

(٣) الطومار: الصحيفة.

(٤) القود: القاتل بالقتيل.

(٥) الموتور: صاحب الثار.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠)..

٤- تجهيز أمير المؤمنين على لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك:

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين على، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبى موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فحثّهم على ذلك، وعزم على التجُّهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قُثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن على فقال: يا أبه دَعْ هذا فإنّ فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبى سلمة على الميسرة، وقيل جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبدالأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى ابن عمر بن الجراح ابن أخي أبى عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[١]، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

٥- بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين على جرير بن عبدالله إلى معاوية:

ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين على إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر[٢]، وروى شهران أو ثلاثة[٣] وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له :انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك فنزل في الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبلا إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد على يبعث إلى معاوية – رضى الله عنه – يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبدالله

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٢) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).

(٣) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٠٢).

البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنّ بيني وبينه وُدًّا، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المومنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه. فبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمّا انتهى إليه جرير بن عبدالله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمّة.

فقام جرير مُغْضبا فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[1]، وهكذا كان الأشتر سببًا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان واليًا على قرقيسياء وعلى غيرها ورأسًا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي وهذا الصحابي جرير بن عبدالله البجلي قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، وقال ﷺ: يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحةُ مَلَك[2].

٦- مسير أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس[3] وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات في تقديره،وكلها روايات ضعيفة[4] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفًا[5].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥).

(٢) مسلم رقم ٢٤٧٥.

(٣) الإصابة (١/ ٢٣، ١٢٤) نقلا عن الحاكم بسند حسن.

(٤) من قال: مائة وخمسون ألفا او يزيدون البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠)، مائة وعشرون ألفا، المعرفة والتاريخ (٣/ ١٣) بسند منقطع، وقدر بتسعين ألفا، تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣).

(٥) تاريخ خليفة: ص (١٩٣) بسند حسن.

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلة[1]، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق[2]، واستعمل أمير المؤمنين عليٌّ أبا مسعود الأنصارى، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثى طليعة فى ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانىء فى أربعة آلاف، ثم خرج على رضى الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه فيها من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفى، ووجه منها طليعة فى ثلاثة آلاف إلى الموصل[3]،وسلك رضى الله عنه طريق الجزيرة الرئيسى على شط الفرات الشرقى حتى بلغ قرب قرقيسياء[4]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم على إلى الرقة[5]، وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين[6].

٧- خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جاداً فى مطاردة قتلة عثمان، رضى الله عنه، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزوا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم، ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعى[7]، ثم كانت له أيد فى مصر وشيعة فى أهل « خربتا » تطالب بدم عثمان، رضى الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبى حذيفة فى عدة مواجهات عام ٣٦ هـ كما استطاع أيضاً أن يوقع برءوس مدبرى ومخططى غزو المدينة من المصريين، مثل عبدالرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة، فحبسهم فى فلسطين، وذلك فى الفترة التى سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم فى شهر ذى الحجة عام ٣٦ هـ[8]، وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن علياً نهد إليكم فى أهل العراق.. فقال ذو الكلاع الحميرى: عليك أمرأى وعلينا الفعال[9]،[10].

---

(١) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، معجم البلدان (٥ / ٢٧٨).

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد: ص (١٨٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٥ / ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعاً.

(٤) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه فى الفرات – معجم البلدان (٤ / ٣٢٨).

(٥) الرقة: مدينة مشهورة – فى سوريا اليوم – على نهر الفرات الشرقى، معجم البلدان (٣ / ١٥٣).

(٦) تاريخ الطبرى (٥ / ٦٠٤).

(٧) المحن لأبى العرب التميمى: ص (١٢٤)، خلافة على، عبدالحميد: ص (١٩١).

(٨) خلافة على، عبدالحميد: ص (١٩١).

(٩) لغة حمير فى إبدال لام (ال) التعريف ميماً؛ أى: عليك الرأى وعلينا الفِعال.

(١٠) الإصابة (١ / ٤٨٠)، خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد: ص (١٩٢).

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان، رضى الله عنه، والقتال[١]، وقد قام عمرو بن العاص، رضى الله عنه، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام فى الجيش خطيباً يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلى قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار فى شرذمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله فى حقكم أن تضيعوه وفى دمكم أن تبطلوه[٢]،وسار معاوية فى جيش ضخم، اختلفت الروايات فى تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهى عين الروايات التى قدرت جيش على رضى الله عنه، فقدر بمائة ألف وعشرين ألفاً[٣]، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير[٤] إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهى وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسى، حمصى من أهل الشام ولد عام (٧٢ هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقاً ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته[٥] والإسناد إليه صحيح[٦]، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالى: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميرى على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمى على المقدمة. هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب فى اختلاف أسماء القادة فى بعض المصادر[٧].

وبعث معاوية أبا الأعور السلمى مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقى من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر فى سهل فسيح، إلى جانب شريعة فى الفرات، ليس فى ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها فى حيزه[٨].

---

(١) أنساب الأشراف (٢ / ٥٢) بسند منقطع، خلافة على: ص (١٩٢).

(٢) تاريخ الطبرى (٥ / ٦٠١) بسند منقطع.

(٣) خلافة على بن أبى طالب: ص (١٩٤)، المعرفة والتاريخ (٣ / ٣١٣)..

(٤) المصدر نفسه فى: ص (١٩٤)، تاريخ خليفة: ص (١٩٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٨٠).

(٦) خلافة على بن أبى طالب: ص (١٩٤).

(٧) امتداد العرب فى صدر الإسلام صالح العلى: ص (٧٣)، خلافة على: ص (١٩٤).

(٨) صفين، نصر بن مزاحم: ص (١٦٠، ١٦١).

٨- القتال على الماء:

وصل جيش على رضى الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجدموضعًا فسيحًا سهلاً يكفى الجيش، فعسكر فى موضع وعر نوعًا ما؛ إذ أغلب الارض صخور ذات كدى وأكمات(١)، فوجىء جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى على رضى الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فارسل على إلى الأشعث بن قيس فخرج فى ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء(٢)، إلا أنه قد وردت رواية تنفى وقوع القتال من أصله مفادها أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية فى أمة محمد ﷺ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذرارى؟ إن الله يقول: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبى الأعور: خل بين إخواننا وبين الماء(٣)، وقد كان القتال على الماء فى أول يوم تواجها فيه فى بداية شهر ذى الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين، إذ استمر القتال بينهما متواصلا طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان على رضى الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة فى اليوم، فى الغداة أو العشى، وفى بعض الأحيان تقتتلان مرتين فى اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب فى جيش على، الأشتر وحجر بن عدى وشبث بن ربعى، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحى، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمى، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال وأملاً فى وقوع صلح بين الطرفيّن، تصان به الأرواح والدماء(٤).

---

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد: ص (١٩٦)، النصر المبين.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٩٤) بسند حسن.

(٣) سير اعلام النبلاء (٣/ ٤١) مرويات أبى مخنف: ص (٢٩٦).

(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد ص ١٩٧، ١٩٨، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦١٤).

٩- الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة – شهر المحرم – وردت من طرق ضعيفة[١]، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها، كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية، رضي الله عنه، يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة والمبايعة، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية[٢]، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[٣]، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة، رضي الله عنهما، الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[٤]، وكذلك حضر مسروق ابن الأجدع – أحد كبار التابعين – فوعظ، وخوف ولم يقاتل[٥]، وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: « ... ثم ذكر أهل السير كلامًا طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك، وأنه قال في ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلومًا ولا ظالمًا؟.. وهذا عندي لا يصح من علي رضي الله عنه»[٦]، وموقف علي رضي الله عنه من قتل عثمان واضح وقد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي هذا الكتاب.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢، ٦١٣)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٩٩).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣)، خلافةعلي بن أبي طالب: ص (١٩٩).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

(٥) سير اعلام النبلاء (٤/ ٦٧) بدون إسناد.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٩).

ثانيا: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذى الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلى إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذكر أنها تسعون[1] إلا أن عليًا أعلن في جيشه أن غداً الأربعاء سيكون الالتحام الكلى لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك[2]، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال[3]، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

١- اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى: قلب وميمنة، وميسرة، فكان جيش على رضى الله عنه على النحو التالى:[4] على بن أبى طالب على القلب، وعبدالله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد ابن الحنفية،حامل الراية، وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة. وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع، وهو أمير الجيش،وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميرى على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهرى على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعى حامل اللواء[5]، وتقابلت الجيوش الإسلامية ومن كثرتها قد سدت الأفق ويقول كعب بن جعيل التغلبى أحد شعراء العرب[6] وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعدادا لهذا اليوم:

---

(١) الأنباء بتواريخ الخلفاء: ص (٥٩)، صفين: ص (٢٠٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣).

(٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٤٠) ضعيف.

(٤)، (٥) تاريخ خليفة بن خياط: ص (١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.

(٦) شاعر تغلب في عصره، مخضرم، شهد صفين مع معاوية وهو شاعر معاوية بن أبى سفيان وأهل الشام، الأعلام للزركلى (٦/ ١٨٠).

أصـبـحـت الأمـة فى أمـر عـجـب والملك مـجـمـوع غـداً لمن غلب
فـقلت قـولا صـادقًـا غـيـر كـذب إن غـدا تهلك أعـلام العـرب[1]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن عليًا خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله[2]، وتذكر أيضًا أن عمرو بن العاص قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها[3]، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها، لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدى به إلى النصر. والتحم الجيشان فى قتال عنيف، استمر محتدمًا إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلى كل فريق في معسكره وبينهما جثث القتلى فى الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش علىٍّ عليًا رضى الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول فى قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[4]. وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحدًا، ولم ير موليا حتى انتهى ذلك اليوم. وفى المساء خرج على رضى الله عنه إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لى ولهم[5].

٢- اليوم الثاني:

فى يوم الخميس تذكر الروايات أن عليًا رضى الله عنه قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم،وغير بعض القيادات، فوضع عبدالله بن بديل الخزاعى على الميمنة بدلاً من الأشعث بن قيس الكندى الذى تحول إلى الميسرة[6]، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا فى قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق فى التقدم وأظهروا تفوقًا على أهل الشام، واستطاع عبدالله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب بن مسلمة ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء)، وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئى، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦٢٦).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٢٢) من طريق أبى مخنف.
(٣) الطبقات (٤/ ٢٥٥) من طريق الواقدى.
(٤) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥) بسند ضعيف.
(٥) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٩٧) بسند ضعيف.
(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٣٠).

بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لي عــفــتي وأبى بلائي	وأخــذي الحـمــد بالثمن الربيح
وإكـــراهي علي المكروه نفـــسي	وضــربي هامــة البطل المشــيح
وقـولي كلمـا جـشـات وجـاشـت:	مكانك تحـمـدي أو تستـريحي[1]

واستحث كتيبته الشهباء واستطاعوا قتل عبدالله بن بديل، فاخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبيد الله بن الخطاب، رضي الله عنهم، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدما، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق وكثرت الجراحات، ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديداً واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال[2].

وكان عمّار بن ياسر، رضي الله عنه، قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستنهض الهمم ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلا بجواره يقول: كفر أهل الشام. فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة[3].

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول رضي الله عنه: من سره أن تكتنفه الحور العين فليتقدم بين الصفين محتسبًا، فإني لأرى صفا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ولعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل[4]، ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد - لكبر سنه - ويشتد على حامل

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٣٦).

(٢) الإصابة (١/ ٤٥٤)، انساب الأشراف (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلا.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠) الإسناد حسن لغيره.

(٤) مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٣)، خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد: ص (٢١٩) إسناده حسن.

الراية هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضًا فيقول: أزفت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا. وكان منظرًا مؤثرًا فهو صحابى جليل مهاجرى بدرى جاوز الرابعة والتسعين يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملاً مهمًا من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفًا وضراوة وتضحية في القتال حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم، وتقدم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وهو يرتجز بقوله:

أعـــور يبـــغى أهله مَـــحَــــلاً قـد عـالج الحـيـاة حـتى مـلاً

لابـد أن يَـفـلّ أو يُـفـــــلاّ[1]

وعـمـار يقـول: تقـدم يا هشـام، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت فى أطراف الأسل[2]،وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليـــوم ألقى الأحـــبـــة مـــحــمّــداً وحــزبه[3]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لى: إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن[4]، ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى فلم يرجعا وقتلا[5] رحمهما الله ورضى ﷺ عنهما.

٣- ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب فى نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الايام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين على قتالاً شديد أو بايع على الموت[6] وذكر أن عليًا رضى الله عنه صلى بجيشه المغرب

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٢).

(٢) الأسل: الرماح.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٢).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣) بسند منقطع.

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٣).

(٦) المستدرك (٣/ ٤٠٢) قال الذهبى ضعيف، خلافة على: ص (٢٢٦).

صلاة الخوف[1]، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير[2]، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نعانق بعضنا بعضاً، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا في يوم الجمعة وارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة وسقطت الألوية والرايات وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحلوق[3].

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان وكل واحد منهما ليهمر على الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فإنا لله وإنا إليه لراجعون، ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام[4].

٤- الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة في أصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غداً، إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ[5].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٢٥٢) قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض إرواء الغليل (٣/ ٤٢).

(٢) تلخيص الحبير (٢/ ٧٨)، خلافة علي بن أبي طالب: ص (٢٢٧).

(٣) شذرات الذهب (١/ ٤٥)، وقعة صفين: ص (٣٦٩).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٣).

(٥) وقعة صفين: ص (٤٧٩).

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا[١]، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمراً شيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركاماً من الروايات المضللة بشأنها، تحيل الحق باطلاً، وتجعل الفضل - كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة - جريمة ومؤامرة[٢] وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين على أقوالا مكذوبة تعارض ما في الصحيح، على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة[٣]،ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة[٤]، ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص - رضى الله عنه - حتى لم تعد تجد كتاباً من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التى لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبرى، وابن الأثير وغيرهما، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل حسن إبراهيم حسن فى تاريخ الإسلام، ومحمد الخضرى بك فى تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار فى تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم كثير، مما ساهم فى تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبى مخنف تفترض أن علياً رفض تحكيم القرآن لما اقترحة أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد[٥]، وهذه الرواية تحمل سباً من على لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين على؟! ويكفى للرواية سقوطاً أن فيها أبا مخنف الرافضى المحترق، فهى رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبى ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال على بن أبى طالب. فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل

---

(١) المصدر نفسه: ص (٨٨١-٨٨٤).

(٢) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين: ص (٣١٦).

(٣) الكامل (٢/ ٣٨٦).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦٢).

(٥) المصدر نفسه (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى عليٍّ المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾. [آل عمران: ٢٣] فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك، فقال القُراء -الذين صاروا بعد ذلك خوارج- بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر، رضي الله عنه، للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺفقال علي: أيها الناس إن هذا فتح قُفْل القضية ورجع، ورجع الناس[1]، وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم[2]، وبين لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا إلى أمر إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خُصمًا إلا تفجر علينا خَصم ما ندري كيف نأتي له[3]. وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار[4] الفتنة. إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين،أبرزت اتجاها جماعيًا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[5].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦)،مسند أحمد مع الفتح الرباني (٨/ ٤٨٣).

(٢)، (٣) البخاري رقم ٤١٨٩.

(٤) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف: ص (٥٣٠).

(٥) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين: ص (٣٨).

إن أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه قبل وقف القتال فى صفين، ورضى التحكيم وعدَّ ذلك فتحًا ورجع[1] إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً فى إزالة الخلاف وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد . إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم والاستجابة له أسهمت فيها عدة عوامل منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التى بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التى بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التى تبودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجد هى الأخرى شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية فى أيام اشتداد القتال حيث كتب إلى على رضى الله عنه يطالبه بوقف القتال فقال: فإنى أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقى منا ما ينبغى أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقى[2].

ب - تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

جـ- الملل الذى أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذى نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش على فى اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة[3]. وهذا ينقض ذلك الرأى المتهافت الذى رُوِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رفع المصحف فى الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضى البصرة بسهم وقتل.

د - الاستجابة لصوت الوحى الداعى للإصلاح قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله على بن أبى طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[4].

---

(١) دراسة فى تاريخ الخلفاء: ص (٣٨).

(٢) الأخبار الطول للدينورى: ص (١٨٧)، دراسات فى عهد النبوة: ص (٤٣٢).

(٣) صفين: ص (٤٨٢ - ٤٨٥)، دراسات فى عهد النبوة: ص (٤٣٣).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (٨/ ٣٣٦).

٥- مقتل عمّار بن ياسر رضى الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله ﷺ لعمار، رضى الله عنه، **«تقتلك الفئة الباغية»**[١]، من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبى ﷺ، وقد كان لمقتل -عمّار رضى الله عنه- أثر فى معركة صفين، فقد كان علمًا لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافًا سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع[٢] حديث رسول الله ﷺ عن عمار: تقتله الفئة الباغية. واستمر فى القتال حتى قتل[٣]، وكان لمقتل عمّار أثر فى معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمى دخل فى معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمى،عند شرعة الماء يسقون. وكانت هى شريعة الماء الوحيدة التى يستقى منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عَمّار بن ياسر ، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية. فقال عمرو لمعاوية لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺما قال. فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض[٤] فى بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[٥]، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار فى الهشيم، وجاء فى رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية. فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شانك؟ فقال: قُتل عمار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: **«تقتلك الفئة الباغية»**. فقال له معاوية: دحضت فى بولك، أونحن قتلناه؟! إنما قتله على وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال بين سيوفنا[٦]. وفى رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان فى رأس عمّار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به

---

(١)، (٢) مسلم رقم ٢٩١٦.

(٣) خلافة على: ص (٢١١)، مجمع الزوائد للهيثمى (٧/ ٢٤٢). وقال فيه: رواه الطبرانى وفيه أبو معشر وهو لين.

(٤) الدحض الزلق، والداحض من لا ثبات له ولا عزيمة فى الأمور.

(٥) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.

(٦) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **تقتله الفئة الباغية**. قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه. فأنا معكم ولست أقاتل[1]. من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابى الفقيه عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار فى مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار -رضى الله عنه- قد أثر فى أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية -رضى الله عنه- أوّل الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح فى أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاءوا به إلى القتال[2]، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعى لإنهاء الحرب[3]، وقد قال رضى الله عنه: وددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[4]، وقد جاء فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبى ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: **«ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»**. قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن[5]، وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبى ﷺ أنه قال: **«تقتل عماراً الفئة الباغية»**، وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[6]، وقال الذهبى بعد ما ذكر الحديث: وفى الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[7].

٦- فهم العلماء للحديث:

أ- قال ابن حجر: وفى هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلى وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن عليا لم يكن مصيباً فى حروبه[8]، وقال أيضاً:

---

(١) مسند أحمد (١١/ ١٣٨، ١٣٩).

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبدالحميد: ص (٣٢٥).

(٣) معاوية بن أبى سفيان، الغضبان، ص (٢١٥).

(٤) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠)، عمرو بن العاص للغضبان: ص (٦٠٣).

(٥) البخارى رقم ٤٤٧.

(٦) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠).

(٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١).

(٨) فتح البارى (١/ ٦٤٦).

دل الحديث: تقتل عماراً الفئة الباغية، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه[١].

ب – **يقول النووي**: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[٢].

ج – **قال ابن كثير**: كان على وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: حدثنى من هو خير منى – يعنى أبا قتادة – أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٣] وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر –رضى الله عنهما– مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب، قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة[٤].

د– **وقال الذهبي**: هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام على، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٥].

هـ– **قال القاضى أبو بكر ابن العربي**: في قوله تعالى: «وإن طائفتان»: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عنى النبى ﷺ بقوله: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[٦].

و– **وقال ابن تيمية**: وهذا يدل على صحة إمامة على ووجوب طاعته، وأن الداعى إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعى إلى مقاتلته داع إلى النار – وإن كان متأولاً – وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال على، وعلى هذا فمقاتله مخطىء – وإن كان متأولاً – أو باغ – بلا تأويل – وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً،

---

(١) فتح البارى (١٣/ ٩٢).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).
(٦) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[1]، وقال أيضاً: مع أن عليا أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[2].

ز- **وقال عبدالعزيز بن باز:** وقال ﷺ في حديث عمار: تقتل عماراً الفئة الباغية. فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[3].

ح- **وقال سعيد حوى:** بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن عليًا كان على حق وأن القتال معه كان واجبًا، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجبًا وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق كما أفتى بذلك الفقهاء[4].

٧- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به:[5].

إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: **«تقتلك الفئة الباغية»**[6]، أن المقصود، جيش معاوية ،رضي الله عنه، مع أنهم - أي معاوية وجيشه - معذورون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه ولكنهم لم يصيبوه، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال ﷺ[7]، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية - كما سأنقل - إلا أنهم عذروه في اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ: يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار[8].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٣) فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٨٧).

(٤) الأساس في السنة (٤/ ١٧١٠).

(٥) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.

(٦) مسلم رقم ٢٩١٦.

(٧) معاوية بن أبي سفيان: ص (٢١٠ - ٢١٤).

(٨) البخاري رقم ٤٤٧.

فإن قيل : كان قتله بصفين وهو مع على، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب : أنهم كانوا ظانين أنهم يدعونه إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم فى اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة على، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذى ظهر لهم(١).

وقال القرطبى : وقال الإمام أبو المعالى فى كتاب الإرشاد، فصل على رضى الله عنه، كان إمامًا حقًا فى توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه(٢)، وقال أيضًا : وقد أجاب على رضى الله عنه عن قول معاوية بأن قال : فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من على رضى الله عنه إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب ابن دحية،(٣)، وقال ابن كثير : فقول معاوية : إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جداً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون فى سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء(٤)، وقال ابن تيمية : وهذا القول لا أعلم له قائلا من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم(٥)، وقال ابن القيم معلقًا على هذا التأويل : نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله ﷺ لعمار : «**تقتلك الفئة الباغية**»،(٦) فقالوا : نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذى قتله هو الذى باشر قتله، لا من استنصر به(٧).

٨- من هو قاتل عمّار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهنى وهو يحدث عن قتله لعمار : فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنه فى ركبته

---

(١) التذكرة (٢/ ٢٢٢).
(٢)، (٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٣).
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٢٢١).
(٥) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).
(٦) مسلم رقم ٢٩١٦.
(٧) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٤، ١٨٥).

بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار قال الراوي: واستسقى أبو الغادية، فأتي بماء في زجاج، فأبى أن يشرب فيها، فأتي بماء في قدح فشرب، فقال رجل: . . .يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار(١)، ويخبر عمرو بن العاص، رضي الله عنه، الخبر فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار وسالبه في النار(٢)، قال ابن كثير: ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل إنه صحابي(٣)، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطيء أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى(٤)، وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجّوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل(٥)، وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة. [عنوان باب (قاتل عمار وسالبه في النار)](٦)، إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهداً، ورسول الله ﷺ يقول: قاتل عمار في النار(٧)، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح(٨) بها، وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبدالبر فقال: اختلف في اسمه: فقيل: يسار بن سَبُع وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) بسند صحيح.

(٢) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨، ١٩).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

(٤) الإصابة (٧/ ٢٦٠).

(٥) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين. ص (٦٥٤).

(٦)، (٧) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨-١٩).

(٨) المصدر نفسه (٥/ ١٩).

سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، روى عنه أنه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ، قوله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[(١)]، وكان محباً لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم[(٢)].

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذا الوقعات من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهراً سيفه وهو يؤمن بقضيته إيماناً كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار؛ فبواعثها في نفوس المشاركين تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معاً إلى مكان الماء فيستقون جميعاً ويزدحمون وهم يغرفون الماءوما يؤذي إنسان إنساناً[(٣)]، وهم إخوة يعيشون معاً عندما يتوقف القتال فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في معسكر هؤلاء وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم[(٤)]، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف[(٥)]، قتالاً مريراً، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يُقْتَل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثْخنا (وهناً وضعفاً) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا[(٦)]، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٧٦) وسنده حسن.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم (٣٠٨٩).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠).

(٤) سير اعلام النبلاء(٢/ ٤١)، مرويات أبي مخنف، ص (٢٩٦).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠)، دراسات في عهد النبوة، ص (٤٢٤).

(٦) تاريخ الطبري، نقلاً دراسات في عهد النبوة، ص (٤٢٤).

أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها[1]، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان[2]، ويقول شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أياما فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم، فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا – وشبك بين أصابعه – وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهداً أخشن في أمر الله[3]، وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام،فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي: مرحبًا وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن[4].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[5].

١٠- معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى، فقد حث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلمًا؟! لا شك إن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته[6]، ولذلك كان علي رضي الله عنه يامر بحبسه، فإن بايع أخلى

---

(١) تاريخ دمشق (١٨/ ٢٣٣٩)، دراسات في عهد النبوة ص (٤٢٤).

(٢) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة، خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد، ص (٢٤١).

(٣) أنساب الأشراف (٦/٥٦) بسند حسن إلى عتبة ، خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد : ص(٢٤١).

(٤) صفين، ص (١١٥)، دراسات في عهد النبوة: ص (٤٢٤).

(٥) دراسات في عهد النبوة، ص (٤٢٤).

(٦) كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير، ص (١٣٣، ١٣٤).

سبيله وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل. وفي رواية يعطيه أربعة دراهم[1]، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة وقد أتى بأسير يوم صفين فقال الأسير: لا تقتلني صبراً. فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبراً إني أخالف الله رب العالمين، فخلى سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع[2]؟ ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

- إكرام الأسير والإحسان إليه.
- يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع خلى سبيله.
- إن أبى البيعة أخذ سلاحه ويحلفه أن لا يعود للقتال ويطلقه.
- إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً[3] وقد أتى رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيراً - ويبدو أنهم جرحي - فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه[4]، ويقول محب الدين الخطيب معلقًا على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء العرب لو يعمل بها في حروبهم، ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة[5]، قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار عليّ فيهم، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين[6].

١١- عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفًا، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا، ومن أهل الشام خمسة

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد، ص (٢٤٣).

(٢) الأم للشافعي (٤/ ٢٢٤)، (٨/ ٢٥٦).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد، ص(٢٤٣).

(٤) تاريخ دمشق، تحقيق المنجد (١/ ٣٣١)، خلافة علي بن أبي طالب ص (٢٤٣).

(٥) العواصم من القواصم، ص ١٦٨، ١٦٩) من تعليق الخطيب في الحاشية.

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب (٣٠٩)، خلافة علي ص (٢٤٥).

وأربعون ألف مقاتل[١]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر[٢]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة[٣]، ومهما كان القتال عنيفًا، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة[٤]، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢- تفقد أمير المؤمنين على القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت عليا على بغلة النبى ﷺ الشهباء، يطوف بين القتلى[٥]، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول - وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام - فقال الأشتر - وفى رواية أخرى عدى بن حاتم -: يا أمير المؤمنين أحابس[٦] معهم؟ عهدى والله به مؤمن، فقال على: فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضى الذى أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتنى، قال: ما هى؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً..﴾ [الإسراء: ١٣]، فانطلق فوالله لا تعمل لى عملاً أبدًا، قال الراوى: فبلغنى أنه قتل مع معاوية بصفين[٧]،وقد وقف علىٌّ على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعًا[٨]، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين على ومعاوية، خرج على فمشى فى قتلاه فقال: هؤلاء

---

(١) الأنباء للقضاعي ص ٥٩ نقلاً عن خلافة علي: ص (٢٤٦).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٧) بدون سند، تحقيق محمد دخيل الله.

(٣) الدولة الأموية، ص (٣٦٠ - ٣٦٢).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٨٨).

(٥) مصنف ابن أبى شيبة.

(٦) حابس بن سعد الطائى، مخضرم، قتل بصفين.

(٧) مصنف ابن أبى شيبة (١١/ ٧٤) بسند منقطع.

(٨) خلافة علي بن أبى طالب، عبدالحميد، ص (٢٥٠).

في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إليّ وإلى معاوية[١]، وكان يقول عنهم هم: المؤمنون[٢]، وقوله رضي الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[٣].

١٣- موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير:.. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة[٤]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص.. فاعترضه علي وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل ... والخصر والأنامل الطفول[٥]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتُثّ. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي[٦]. وذكر القصة -أيضًا- ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف: وقول علي: إنه اتقاني

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٣) بسند حسن.

(٢) تاريخ دمشق (١/ ٣٢٩، ٣٣١)، خلافة علي، ص ٢٥١.

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد، ص ٢٥١، تنزيه خال المؤمنين، ص ١٦٩.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).

(٥) الطفول جمع طفل، بالفتح، وهو الرخص الناعم.

(٦) وقعة صفين، ص (٤٠٦-٤٠٨)، قصص لا تثبت، سليمان الخراشي (٦/ ١٩).

بعورته فاذكرنى الرحمَ إلى أن قال: ... ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع على – رضى الله عنه – يوم صفين، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى رواه ابن الكلبى وغيره:

أفى كل يوم فـارس غـيـر منتـه ... وعـورته وسط العـجـاجـة بادية

يـكـف لهـا عنـه علىّ سنـانـه ... ويضحك منه فى الخلاء معاوية[1]

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتى: فراوى الرواية الأولى، نصر بن مزاحم الكوفى صاحب وقعة صفين شيعى جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبى فى الميزان: نصر بن مزاحم الكوفى رافضى جلد، تركوه، قال عنه العقيلى: شيعى فى حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذابًا[2]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلى: كان رافضيًا غاليًا.. ليس بثقة ولا مأمون[3]. وأما الكلبى؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبى؛ فاتفقوا على غلوه فى التشيع قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدار قطنى: متروك[4]، وعن طريق هذين الرافضيين سارت هذه القصة فى الآفاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخى الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة[5]، وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخى الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكى يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار – رضى الله عنهم – فى غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق فى روايات التاريخ الإسلامى بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصّاص وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخى أهل السنة للأسف[6].

(١) الروض الأنف (٥/ ٤٦٢)، قصص لا تثبت (٦/ ١٩).
(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣- ٢٥٤).
(٣) لسان الميزان (٦/ ١٥٧).
(٤) المجروحون لابن حبان (٣/ ٩١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣)، معجم الأدباء (١٩/ ٢٨٧)، قصص لا تثبت ص (١/ ١٨).
(٥) قصص لا تثبت (١/ ٢٠).
(٦) المصدر نفسه (١/ ١٠).

١٥- مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف علي أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مرّ بمقابر، فقال: «السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكن تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد الله الذي جعل الأرض كفاتًا، أحياءً وأمواتًا، الحمد الله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاف»(١).

١٦- إصرار قتلة عثمان -رضي الله عنه- على أن تستمر المعركة:

إن قتله عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بدا من الخروج على عليّ رضي الله عنه، فاخترعوا مقولة (الحكم لله) وتحصنوا بعيداً عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهراً عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضا اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين(٢).

١٧- نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روى أن عليًا - رضي الله عنه - لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟. قال: بلى وربّ الكعبة المسدّنة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا:اللهم احقن دماءنا

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤٨)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص (٣٢٧).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص (١٤٧).

ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ مَن جهله ويرعوى عن الغيّ من لجج به[1]. وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن فى قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذى نهى عن سباب المسلم ولعنه[2] فقد روى عن رسول الله ﷺ قوله: من لعن مؤمنًا فهو كقتله[3]، وقوله ﷺ: ليس المؤمن بطعّان ولا بلعّان[4]، وقوله ﷺ: لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة[5]. كما أن الرواية التى جاء فيها لعن أمير المؤمنين فى قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضى المحترق الذى لا يوثق فى رواياته كما أن فى أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهى عن سبب الصحابة، فقد أنكر عليٌّ على من سب معاوية ومن معه فقال: إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب فى القول، وأبلغ فى العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[6]. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى على باعتراف أصح كتاب فى نظر الشيعة[7].

---

(١) الاخبار الطوال، ص (١٦٥) نقلا عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٣٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).

(٣) البخارى، ك الادب (٧/ ٨٤).

(٤) السلسلة الصحيحة للالبانى، رقم (٣٢٠)، صحيح سنن الترمذى (٢/ ١٨٩)، رقم (١١١٠).

(٥) مسلم (٤/ ٢٠٠٦)، رقم (٢٥٩٨).

(٦) نهج البلاغة، ص (٣٢٣).

(٧) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

المبحث الثالث

التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكّم كل واحد منهما رجلاً من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكّل معاوية عمرو بن العاص ووكل عليّ أبا موسى الأشعرى، رضى الله عنهم جميعًا، وكتبت بين الفريقين وثيقة فى ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين فى دومة الجندل فى شهر رمضان سنة ٣٧ هـ، وقد رأى قسم من جيش على رضى الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل على رضى الله عنه إليهم ابن عباس، رضى الله عنهما، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم على رضى الله عنه بنفسه فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين عليّ رضى الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة، وسيأتى تفصيل ذلك فى محله بإذن الله تعالى.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات فى تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها فى كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التى شوهت الصحابة الكرام وخصوصًا أبا موسى الأشعرى الذى وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعًا فى القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة ولذلك خدعه عمرو بن العاص فى قضيّة التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص، رضى الله عنه، بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا فى خلاف كبير أدّى إلى قتل كثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التى وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر فى اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه[1].

---

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى: ص (٣٧٨)، تنزيه خال أمير المؤمنين معاوية: ص (٣٨).

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المُقرئ[1] وقد أسلم أبو موسى بمكة قديمًا، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة[2]، وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بخيبر.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فاسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فالقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد[3].

١- أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله على صدر أبي موسى:

أ- لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليّ:

عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رُهْم، وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النَّجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فاقبلنا حين افتتحت خيبر،فقال رسول الله ﷺ: لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ[4]، وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوبًا للإسلام منكم.

فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة ... محمداً وحزبه

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أوّل من أحدث المصافحة[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨١).

(٢) الطبقات (٤/١٠٧).

(٣) فتح الباري (٧/١٨٩)

(٤) مسلم رقم (٢٥٠٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٤) إسناده صحيح.

ب- هم قومك يا أبا موسى:

عن عياض الأشعرى قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]. قال رسول الله ﷺ: هم قومك يا أبا موسى، وأومأ إليه(١).

جـ- اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعرى على جيش أوطاس، فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته(٢). فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ قال: فكفّ، فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين، فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم. فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقرئه مني السلام، وقل له يستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرًا، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم اغفر لعبيد بن أبي عامر. حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك. فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا(٣).

د- إن هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما:

عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة(٤) فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال: أبشر. قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله عليّ وعلى بلال. فقال: إنّ هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما. فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على رءوسكما ونحوركما، ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضلا لأمكما، فأفضلا لها منه(٥).

---

(١) المستدرك (٢/٣١٣) صححه الحاكم ووثقه الذهبي، سير أعلام النبلاء (٤/٢٣٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٥).

(٣) مسلم، رقم (٢٤٩٨).

(٤) الجعرانة: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة.

(٥) مسلم، رقم (٢٤٩٧).

هـ- لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلى، فقال لى: يا بريدة، أتراه يُرائى؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: بل هو مؤمن منيب، لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود. فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعرى؛ فأخبرته[1].

و- يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟

عن أبى موسى الأشعرى قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا أصعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر- أحسبه قال: بأعلى صوته- ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: أيها الناس، إنكم لا تنادون أصمَّ ولا غائبًا، ثم قال: ياعبد الله بن قيس- أو يا أبا موسى- ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟ قلت: بلي يا رسول الله. قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله[2].

ز- يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تُنفرا:

استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن[3] وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبى موسى أن النبى ﷺ لما بعثه ومعاذا إلى اليمن، قال لهما: يَسِّرا ولا تُعسِّرا وتطاوعا ولا تنفرا، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شرابا، يصنع مع العسل يقال له التبغ، ومن الشعير يقال له: المِزْر، قال: كل مسكر حرام، فقال لى معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه فى صلاتى، وعلى راحلتى، وقائماً وقاعداً، أتفوقه تفوقًا، يعنى شيئًا بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكنى أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى، قال: وكان معاذًا فُضِّل عليه[4].

٢- مكانة أبى موسى عند عمر بن الخطاب رضى الله عنهما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة فى عهد عمر، وكان قائداً للجيوش فى فتح قم وقاشان[5] وموقعة تستر[6]، كما كان من مؤسسى المدرسة البصرية فى عهد الفاروق

(١) مسلم، رقم (٧٩٣)، مجمع الزوائد (٩/٣٥٨).
(٢) مسلم، رقم (٢٧٠٤).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص (٩٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٢٦).
(٤) مسلم، رقم (١٧٣٣)، البخارى (٤٣٤٤).
(٥) البداية والنهاية (٧/١١٤).
(٦) البداية والنهاية (٧/٨٨).

وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلّم بها[١]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب، رضى الله عنهما، وكان بينهما مراسلات - سنأتى عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة - وكان أبو موسى، رضى الله عنه، قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد فى الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى، رضى الله عنه، من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبى فى تذكرة الحفاظ فى الطبقة الأولى من الصحابة، رضى الله عنهم، كان عالمًا عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيبًا مباركًا، اقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان رضى الله عنه كثير الملازمة للنبى ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلى وأبىّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب فى أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر فى كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبى واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[٢]، وكان أبو موسى عندما يأتى المدينة يحرص على مجالس عمر، رضى الله عنهما، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبى بكر بن أبى موسى أن أبا موسى رضى الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أباموسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا فى صلاة[٣]. وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعلم كان حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم فى خطبه، فعن أبى المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولايقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[٤]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمى، وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك، بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها فى تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل، رضى الله عنه، الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[٥]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته،

---

(١) تفسير التابعين (١/٤٢٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٩).

(٣) ابو موسى الأشعرى الصحابى العلم المجاهد، محمد طهماز، ص (١٢١).

(٤) الطبقات (٤/١٠٧). (٥) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٨)

وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ ، وكان عمر، رضى الله عنه، إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن(١)، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضى الله عنه كل ما يستطيع من جهد فى تعليم القرآن ونشره بين الناس فى كل البلاد التى نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم فى مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم(٢)، فكان القرآن الكريم شغله الشاغل، رضى الله عنه، صرف له معظم أوقاته فى حله وفى سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثنى الأشعرى إلى عمر، رضى الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعرى؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس(٣)، ولا تُسمعها إياه(٤). حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقّه، فعن حطّاب بن عبد الله الرقاشى قال: كنا مع أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلقًا، فلما حضرت العصر نادى منادى العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث، وأثمرت جهوده العلمية، رضى الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم فى البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكى يكرمهم ويزيد عطاءهم، فكتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلى ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال(٥)، واهتم أبو موسى، رضى الله عنه، بتعليم السنة وروايتها، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبى- رحمه الله-: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلى، وأبو سعيد الخدرى، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق ابن سلمة، وأبو عثمان النهدى وخلق سواهم(٦)، وكان رضى الله عنه شديد التمسك بسنة

---

(١) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم، ص (١٢٥، ١٢٦)، سير اعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٢٧)، سير اعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٣) الطبقات (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات، كيّس: عاقل فطن.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٠).

(٥) أبو موسى الأشعرى، ص (١٢٩).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).

النبي ﷺ، دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر، رضي الله عنه، من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة، رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ، وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس- ما بطأ بهم -؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا ، لكن عُجِّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدّلوا[1]. ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد موقعة تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[2].

٣- ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم:

يعتبر أبو موسى- بحق- أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقدتعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتامينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا؛ منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة، ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيّمة قال فيها عمر: «أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك ان ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها[3]». وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية

---

(١) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، ص (١٣٥).

(٢) تاريخ الطبري (٥/٦٦).

(٣) مناقب عمر لابن الجوزي، ص (١٣٠).

وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية[١]. وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري- رحمه الله- فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[٢]، إذ إن أبا موسى- رحمه الله- كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علَّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[٣]، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس - والتي فتحت في زمنه - تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطًا مباشرًا، وهكذا اعتبر أبوموسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبينت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[٤]، وقد أوصى عمر - رضي الله عنه - في وصيته للخليفة من بعده ألا يقرَّ لي عامل أكثر من سنة، وأقر الأشعري أربع سنين[٥]، وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجًا ومثالاً يفيد كل قاض، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان[٦]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم، والشهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تامله والتفقه فيه[٧]، كما تولى الولاية في عهد عثمان واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضًا، ولما قتل عثمان كان واليًا على الكوفة، ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان واليًا عليها لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[٨].

---

(١) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٣) الولاية على البلدان (١/ ١٢٠).

(٤ المصدر نفسه (١/ ١٢٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

(٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٦٢).

(٧) أعلام الموقعين (١/ ١٨٦)

(٨) فتح الباري (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١١/ ١٠٩).

إن حياة أبي موسى، رضي الله عنه، منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذى اشتهر بقراءته، والجهاد فى سبيل الله والحرص عليه، والفصل فى الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهامّ صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم[١]، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التى ترويها قصة التحكيم؟![٢].

إن اختيار أبي موسى- رضي الله عنه - حكمًا عن أهل العراق من قبل عليّ- رضي الله عنه- وأصحابه ينسجم تمامًا مع الأحداث، فالمرحلة التالية هى مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعرى كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان فى الوقت نفسه محبوبًا، مؤتمنًا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًا هو الذى اختار أبا موسى الأشعرى، يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة ٣٧ هـ- اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعرى من قبل عليّ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية [٣]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين، فحكّم عليٌّ أبا موسى، وحكّم معاويةُ عمرَو بن العاص[٤]، ولهذا يمكن القول إن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسئولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبي موسى حكمًا ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر عليّ- رضي الله عنه- بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب فى الصلح مع أعدائهم التقليديين، ومن جهة أخرى يحملون المسئولية لأعدائهم الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا عليًا على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم[٥].

---

(١) خلافة على بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٦٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/٢٢٧).

(٣) تاريخ خليفة، ص (١٩١، ١٩٢).

(٤) الطبقات (٣/٣٢)

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢١٥).

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالبًا إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص، للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لازمًا علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية، وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

ثانيًا: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله، ويتفق ابن إسحاق[1] والزبير بن بكار[2] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر[3].

١- إسلامه:

نترك عمرو بن العاص، رضي الله عنه، يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرًا، وإني قد رأيت أمرًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم[4]، فجمعنا له أدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥٣) أرسلها ابن إسحاق.

(٢) الإصابة (٣/ ٢) خلافة علي، عبد الحميد، ص (٢٦٣).

(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦).

(٤) الأدم: الجلد.

عمرو بن أمية الضمرى، لو دخلت على النجاشى، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى أجزأت عنها[1]، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبًا صديقى، أهديت إلىّ من بلادك شيئًا؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقًا منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟ قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعنى له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابى، وقد حال رأيى عما كان عليه، وكتمت على أصحابى إسلامى، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2]، وإن الرجل لنبى، اذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله ﷺ، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله: يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت[3] وفى رواية قال: .. فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدى، قال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لى. قال: أما

---

(١) أجزأت عنها كفيتها.

(٢) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٣) صحيح السيرة النبوية، ص (٤٩٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٦٠)، والسيرة لابن هشام (٢/ ٢٧٦)

علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟[1].

٢- عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧ هـ:

جهز النبي ﷺ جيشًا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاعة التي غرها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعًا كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح[2]، وقاتل المسلمون الكفار وتوغل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها[3]، وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ- **إخلاص عمرو بن العاص**: يقول عمرو بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني. فأتيته وهو يتوضأ، فصعد فيّ النظر، ثم طأطأ، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش [4]، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. قال: يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح[5]. فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بين له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا

---

(١) مسلم، ك الإيمان، رقم (١٢١).

(٢) السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٧١)، السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٢٨٠).

(٣) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢ / ٤٣٣)، السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٢٨٠)

(٤) جيش: سرية ذات السلاسل

(٥) رواه ابن حبان في الموارد ٢٢٧٧، صحيح السيرة، ص (٥٠٨) صححه الألباني.

وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر، ويعفّ به نفسه وأسرته(١)، ويغني به المسلمين، ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ﷺ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث، فهو أيضًا مطلوب ومحمود وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

ب- حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله عمرًا في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نارًا، فلما قدم شكوه، قال: يا نبي الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين، فأعجب ذلك رسول الله(٢).

ج- من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا(٣)، وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله(٤)، ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا(٥) منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو- وهذا احتمال وارد- على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (٧/١٣٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٦٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٦٧) إسناده صحيح، صححه ابن حبان، رقم (٢٠٢).

(٤) غزوة الحديبية لأبي الفارس، ص (٢١٠).

(٥) معين السيرة، ص (٣٨١)، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة.

إليه، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجرى الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام(١).

٣- فضائله ومناقبه:

أ- شهادة رسول الله له بالإيمان:

قال رسول الله ﷺ: أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص(٢)، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام(٣)، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبى ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالما احتبى سيفًا فجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذى فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآني وسالمًا، وأتى الناس فقال: أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان(٤)؟

ب- تقديم رسول الله له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحى قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قوله: ما عدل بى رسول الله ﷺ وبخالد أحدًا منذ أسلمنا في حرب(٥). وشهد له رسول الله ﷺ بانه من صالحى قريش، فعن أبى مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن عمرو بن العاص من صالحى قريش(٦). وهنا درس نبوى في معرفة النبى ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها.

جـ- دعاء رسول الله ﷺ له:

عن زهير بن قيس البلوى عن عمه علقمة بن رمثة البلوى قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نعس رسول الله ﷺ ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمراً». فتذاكرنا من اسمه عمراً ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: رحم الله عمراً. ثم نعس ثالثة فاستيقظ، فقال: يرحم الله عمراً. قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن

---

(١) معين السيرة، ص (٣٨١)، مسند أحمد (١/٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٣٨)، رقم (١٥٥) وحسنه..

(٣) الطبقات (٤/١٩١) السلسة الصحيحة (١/٢٤٠)، رقم (١٥٦).

(٤) مسند أحمد (٢٠٣) بسند حسن.

(٥) سنن البيهقي باب إسلام عمرو بن العاص (٤/٤٣)

(٦) سنن الترمذى ك المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص، رقم (٣٨٤٤).

العاص» قلنا: وما باله؟ قال: ذكرته إني كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فاجزل، فاقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيراً كثيراً. قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه(١).

٤- أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمراً إلى دعوة ابني الجلندى «جيفر، وعباد» إلى الإسلام ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبي ﷺ، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عونًا على من خالفه(٢)، وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق خيره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله ﷺ، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به(٣)، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر - رضي الله عنه - أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس.. ثم أرسله بجيش إلى الشام(٤)، وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين، وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين(٥)، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللد، ويُبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو - رضي الله عنه - على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضًا بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أصدر أمره إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه، بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًا: الفرما،

---

(١) المعجم الكبير (١٨/٥) المستدرك (٣/٤٥٥) صححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.

(٢) الطبقات (١/٢٦٢) جوامع السيرة لابن حزم، ص (٢٤، ٢٩).

(٣) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، ص (٥٥).

(٤) فتوح الشام للأزدي، ص (٤٨-٥١).

(٥) تاريخ الطبري (٣/٦٠٥)، الكامل لابن الأثير (٢/٤٩٨).

والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونة، ودقهلة، ودمياط، والإسكندرية، وبلاداً إفريقية أخرى مثل؛ برقة وزويلة وطرابلس(١)، وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً(٢)، وكان في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان، رضي الله عنه، خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله(٣)، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه وبأن الناس بايعوا على بن أبي طالب، قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذا كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف(٤)، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسي على مالك ... وهل يصرف مالك حفظ القدر

أنزع من الحَر(٣) أودى بهم ... فأعذرهم أم بقومي سكر

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه! أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق(٥).

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب(٦)، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فاهووا بعمرو إلى

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠)، القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص (٦٣٤- ٩٤٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠)

(٣) تاريخ الطبري نقلا عن عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٦٤).

(٤) أشاف: جمع اشفى وهو المثقب.

(٥) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.

(٦) تاريخ الطبري نقلا عن عمرو بن العاص، ص (٤٦٤).

الحضيض، كالذى كتبه محمود شيت خطاب(١)، وعبد الخالق سيد أبو رابية(٢)، وعباس محمود العقاد الذى يتعالى عن النظر فى الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضى الله عنهما بأنهما: ... انتهازيان صاحبا مصالح. ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التى استند إليها فى تحليله، فهذا لا يعنى للعقاد شيئًا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: .. وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا فى صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده، ولا نصه، فالذى لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذى آل إلى كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق(٣).

إن شخصية عمرو رضى الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُرًّا حين قتل، فقد كان يدخل فى الشورى فى عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية، رضى الله عنهما، يتعاونان معًا على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد(٤)، لقد كان مقتل عثمان كافيًا لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرءوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأى غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك فى هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التى تصور عَمْرًا همه السلطة والحكم(٥).

ثالثًا: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢- قضية عليّ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

---

(١) سفراء النبى ﷺ، محمود شيت خطاب، ص (٥٠٨).

(٢) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص (٣١٦).

(٣) عمرو بن العاص للعقاد، ص (٢٣١، ٢٣٢).

(٤) عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٨٩، ٤٩٠).

(٥) المصدر نفسه، ص(٤٩٢).

٣- إنّا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضى معاوية بعمرو بن العاص ناظراً وحاكماً.

٥- على أن علياً ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إماماً ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، ومالم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لايتعمّدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على عليّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

٧- وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، لم يَعْدُوَا الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

٨- فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعـ.لة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء لأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

١٠- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١- وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيداً، فإن خالفا وتعديا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢- والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة ، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

١٣- وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام.

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراض منهما.

١٥- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجّلاها، وإن رأيا تأخيرهما إلى آخر الأجل أخَّراها.

١٦- فإن هما لم يحكما بما فى كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهما الأول فى الحرب.

١٧- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه فى هذا الأمر، وهم جميعاً يد واحدة على من أراد فى هذا الأمر إلحاداً أو ظلماً أو خلافاً.

وشهد على ما فى هذا الكتاب الحسن والحسين، ابنا علىّ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب، والأشعث بن قيس الكندى، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن القيس الهمدانى، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصارى، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصارى، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمى، وعقبة بن عامر الجهنى، ورافع بن خديج الأنصارى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، والنعمان بن عجلان الأنصارى، وحجر بن عدى الكندى، ويزيد بن حجية التكرى، ومالك بن كعب الهمدانى، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية، ومن أهل الشام، حبيب بن مسلمة الفهرى، وأبو الأعور السلمى، وبسر بن أرطاة القرشى، ومعاوية بن خديج الكندى، والمخارق بن الحارث الزبيدى، ومسلم بن عمرو السكسى، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسى، ومسروق بن جبلة العكى، ويسر بن يزيد الحميرى، وعبد الله بن عامر القرشى، وعتبة بن أبى سفيان، ومحمد بن أبى سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعَمار بن الأحوص الكلبى، ومسعدة ابن عمرو العتبى، والصباح بن جلهمة الحميرى، وعبد الرحمن بن ذى الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم، كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين[١].

---

(١) انظر: الوثائق السياسية، ص (٥٣٧، ٥٣٨)، الأخبار الطوال للدينورى، ص (١٩٦-١٩٩)، أنساب الأشراف (١/٣٨٢) تاريخ الطبرى (٥/٦٦٥-٦٦٦)، البداية والنهاية (٧/٢٧٦، ٢٧٧)

رابعًا: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل فى سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصاً محققًا، وقد أحسن ابن العربى في ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل، وفى هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ إن جميع متون قصة التحكيم لايمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمى، بل هى باطلة من عدة وجوه[1].

١- أن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبرى بسند رجاله ثقات عن الزهرى مرسلا قال: قال الزهرى: فاصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعرى، واختار أهل الشام عمرو بن العاص فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل باذرح، فلما انصرف علىّ خالفت الحرورية وخرجت- وكان ذلك أول ما ظهرت- فآذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حكم بنى آدم فى حكم الله عز وجل، وقالوا: لاحكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان باذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن - ضر من الناس، فارسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير فى إقبالهما فى رجال كثير، ووفى معاوية باهل الشام، وأبى على وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن ش ىبة لرجال من ذوى الرأى من قريش: أترون أحداً من الناس برأى يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إنى لأظن أنى ساعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرنى عما أسالك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإنا قد شككنا فى الأمر الذى تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأنى ونتثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يساله عن غير ذلك، حتى دخل على أبى موسى فقال له مثل ما قال لعمرو فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأيًا، فيكم بقية المسلمين،

---

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٤٠٤).

فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوى الرأى من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضى به من الحق أن تقضى لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذى واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمى رجلاً يلى أمر هذه الأمة؟ فسمه لى، فإن أقدر على أن أتابعك فلك علىَّ أن أتابعك وإلا فلى عليك أن تتابعنى، قال أبو موسى: أسمى لك معاوية بن أبى سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إنى وجدت مثل عمرو ومثل الذين قال الله عز وجل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبى موسى كمثل الذى قال الله عز وجل: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة:٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذى ضرب لصاحبه إلى الأمصار(١).

والزهرى لم يدرك الحادثة فهى مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة(٢)، كما قرّر العلماء. وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهرى وهى مرسلة وفيها أبو بكر بن أبى سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث(٣)، وفى سنده أيضًا الواقدى، وهو متروك(٤)، وهذا نصها: ... رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظران فى أمور الناس فيرضون بحكمهما، فحكّم على أبا موسى الأشعرى، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس فرجع على إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح فى شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان

---

(١) المصنف (٥/٤٦٣)، مرويات تاريخ الطبرى، ص (٤٠٦).

(٢) المراسيل لابى حاتم، ص(٣)، الجرح والتعديل (١/٢٤٦).

(٣) تهذيب التهذيب (١٢/٢٧)، مرويات تاريخ الطبرى، ص (٤٠٦).

(٤) مرويات تاريخ الطبرى، ص (٤٠٦).

بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع عليا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًا وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين[1] وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى، ضعيف ليس بثقة[2]، وإخباري تالف غالي في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان[3] ضعيفًا، وقال البخاري وأبو حاتم. كان يحيى القطان يضعفه[4] وقال عثمان الدارمي: ضعيف[5]، وقال النسائي: ضعيف[6]. هذه طرق قصة التحكيم المشهور، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفمثل هذا تقوم حجة؟ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفًا فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها[7].

٢- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[8].

٣- وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فائه فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغني عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما[9] وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو

(١) تاريخ دمشق (١٦/٥٣).
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٢٣).
(٣) مرويات أبي مخنف، ص (٤٠٧).
(٤) التاريخ الكبير (٤/٢/٢٦٧)، الجرح والتعديل (٩/١٣٨).
(٥) التاريخ للدارمي، ص (٢٣٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٢٣).
(٦) الضعفاء والمتروكون، ص (٢٥٣).
(٧) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٨).
(٨) المصدر نفسه، ص (٤٠٨).
(٩) التاريخ الكبير (٥/٣٩٨).

ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الإحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غُبنا وأخطأ أو نقص رأيهما، ووالله ما كان مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي، ووالله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قِبلنا[١].

٤- أن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه، فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد[٢]، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا في الخلافة، أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطالب بدمه؟ فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليًا فكلموه فلم يدفعهم إليه[٣]،فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله[٤]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليًا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط[٥]، وفهم الخلاف على هذه الصورة- وهي صورته الحقيقية- يبن إلى أي مدى تخطئ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ماطلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قرارًا في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جدًا[٦].

---

(١) العواصم من القواصم، ص (١٧٨- ١٨٠).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).

(٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٩).

(٥) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٠)

(٦) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٢٥).

٥- أن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون [١] قرشيًا وقد توافرت هذه الشروط في علي رضى الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة - ولا شك في ذلك - وقد بايعه المهاجرون والأنصار؛ أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه بأن «الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى[٢]. وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات؛ كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل على رضى الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله على الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات رضى الله عنه، شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوي والخير[٣].

٦- أن الزمان الذى قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة، لاشك أن الأحوال ستزداد سوءاً، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأى عقلاً ونقلاً.

٧- أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضى المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اعتزل

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى ، الأحكام السلطانية لأبى يعلى، ص (٢٠)، غياث الأمم، ص (٧٩)، وما بعدها.

(٢) غياث الأمم، ص (١٢٨)، مرويات أبي مخنف، ص (٤١٠).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ٢٣٨).

الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره[1].

٨- أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي[2]، أعلم الناس بأمر الشام[3] أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين[4]، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء[5]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع[6]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئًا لعلي بالخلافة ولايجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي - رضي الله عنه-، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه، أبي بكر وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم[7]، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»**[8]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة[9] ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك[10].

---

(١) مرويات تاريخ أبي مخنف، ص (٤١١).
(٢) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام التقريب.
(٣) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).
(٤)، (٥) تاريخ الطبري (٦/ ٧٦).
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٧) الفتاوى (٣٥/ ٧٣).
(٨) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٩) سنن البيهقي (٨/ ١٤٤).
(١٠) مرويات أبي مخنف، ص (٤١٢).

٩- أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب حفظت وعصمت[١]، هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية (رضي الله عنه)، وقال ابن الجوزي إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، ويرى ابن حجر في التحكيم[٢]، ودلالة النص على القولين الأولين أقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم. دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وإئتلاف[٣].

١٠- حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة أو إلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين عليّ ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة، ولا منكرًا حق عليّ فيها كما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته، وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيداً من طاعة الناس له بعد أن بقي واليًا فيها زهاء عشرين سنة[٤]، وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري- الباقلاني- في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه- علي بن أبي طالب - وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما

---

(١) البخاري (٥/ ٤٨).

(٢) فتح الباري (٧/ ٤٦٦)

(٣) مرويات أبي مخنف.

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٣٤).

شرطا في الموافقة بينهما ، أو إلى أن يبينّا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب عليّ– عليه السلام– اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولايحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما.. والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[1].

١١– مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين– كما جاء في الوثيقة– في رمضان في عام ٣٧ هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل[2]، وفي روايات موثقة، وأذرح[3] في روايات أخرى دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثرًا في اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة بين خياط[4].. ويقال بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق[5].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح واستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذي الرمة[6] في مدح بلال بن أبي بردة[7] وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر
فشد إصار الدين أيام أذرح ورد حروبًا قد لقحن إلى عقر[8]

---

(١) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص (١٧٧).

(٢) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(٣) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.

(٤) تاريخ خليفة، ص (١٩١، ١٩٢).

(٥) خلافة علي بن ابي طالب ، عبد الحميد، ص (٢٦٧).

(٦) ذي الرمة، غيلان بن عقبة توفي ١١٧ هـ سير اعلام النبلاء (٥/٢٦٧).

(٧) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، تهذيب تاريخ دمشق (٣/٣٢١)

(٨) ديوان ذي الرمة، ص (٣٦١، ٣٦٢) نقلاً عن خلافة علي، ص (٢٧٢).

١٢- هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟

اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء، سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به[١] فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلمّا أتاه قال: يا أبة، أرضيت ان تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟. فضرب سعد صدر عمر وقال: أسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي[٢].

خامسًا: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعًا مسئولياتهم ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازعين، لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجآ إلى التحكيم الشرعي في الإسلام فيرسل هذا الطرف حكمًا من قبله، وذلك حكمًا آخر من قبله أيضًا، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١- تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لابد منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢- جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول، التي تفصل في مسائل النزاع.

٣- أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام، وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الراهن،

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٧٢).

(٢) المسند (١/١٦٨) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح (٣/٢٦)، خلافة علي بن أبي طالب، للسلمي، ص(١٠٧).

على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعًا.

٤- إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام، وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان- قضى الأمر، وكفى الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطرفين، أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين- اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرعًا على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦- ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق- إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[١] ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أنَّ بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل.. ومن ثم تستغل هذه الفرصة، لكي تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحل الذى يحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط وليعاني المسلمون، بعدئذ،من آثار ذلك الحلّ أسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء، لا، بل إن هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحل المشئوم؛ قلنا: لعل اللجوء إلى التحكيم، على نحو ما سلف بيانه، يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجية التي تبغى في صفوف المسلمين الفساد، هذا، وإن الصفة الإلزامية شرعًا للحل عن طريق التحكيم الذى عرضناه- تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذى نشب بين علي ومعاوية على اللجوء إلى التحكيم، والقبول به.. سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وغيرهما- رضى الله عنهم أجمعين[٢].

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/١٦٦٥).

(٢) المصدر نفسه (٣/١٦٦٥).

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التى وقعت بين الصحابة الكرام رضى الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضى الله عنهم لما يسببه الخوض فى ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذى حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون فى حالتى الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ فى اجتهاده وأن القاتل والمقتول من الصحابةَ فى الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التى تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التى فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هى[1]:

١- قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]

ففى هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لايخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله – عز وجل– مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين، ولم يخرجهم ذلك من الإيمان فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا فى موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل فى اسم الإيمان الذي ذكر فى هذه الآية فهم لايزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار فى إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد[2].

٢- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»**[3]، والفرقة المشار إليها فى الحديث هى

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (٢/ ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق فى مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، ص(٤١).

(٢) العواصم من القواصم، ص(١٦٩،١٧٠)، أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

(٣) مسلم (٢/ ٧٤٥).

ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية، رضى الله عنهما ، وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بانهما مسلمتان، وانهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من إعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور، إن شاء، الله ولكن عليا هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**(١).

٣- وعن أبى بكرة قال: بينما النبى ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبى ﷺ :**ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** (٢) ففى هذا الحديث شهادة النبى ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليًا ومن معه، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان ابن عيينه: قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جداً، قال البيهقى : وإنما أعجبهم لأن النبى ﷺ سماهم جميعًا مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن على بعد وفاة على فى تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبى سفيان(٣).

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع على وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبى سفيان وقد وصفهم النبى ﷺ بأنهم من أمته(٤)، كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسب القتال الذى حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات:٩]. وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم، رضى الله عنهم، أجمعين فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متاولون، وقد بين الحكم فى قتالهم ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه كما مر معنا. فالواجب على المسلم أن يسلك فى

---

(١) البخارى مع شرحه فى فتح البارى (١٣/ ٣١٨).

(٢) البخارى، ك الفتن، رقم (٧١٠٩).

(٣) الاعتقاد للبيهقى، ص (١٩٨)، فتح البارى (١٣/ ٦٦).

(٤) فى صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦) تكون فى أمتى فرقتان.

اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام، رضى الله عنهم، مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم، رضى الله عنهم، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مليئة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها(١).

١- سئل عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى، عن القتال الذى حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدى منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها(٢)، قال البيهقي معلقًا على قول عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب(٣).

٢- سئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا(٤). ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله- عز وجل- إذ كانوا غير متهمين في الدين(٥).

٣- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾(٦) [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد، رحمه الله، بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين على ومعاوية قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى(٧)، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين على ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١].

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/٧٤٦) تكون في امتي فرقتان.

(٢) الإنصاف للباقلاني، ص (٦٩)، الطبقات (٥/٣٩٤).

(٣) مناقب الشافعي، ص (١٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٣٢).

(٥) المصدر نفسه (١٦/٣٣٢).

(٦) الإنصاف للباقلاني، ص (٦٩).

(٧) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى، ص (١٦٤).

٤- وقال ابن أبى زيد القيروانى فى صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغى أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس -لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب(١).

٥- وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم(٢).

٦- قال أبو بكر بن الطيب الباقلانى: ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم، من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثنى عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ونعتقد أن عليا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة -رضى الله عنهم- إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولايفسقون ولا يبدعون والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، وقوله ﷺ **«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»** فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضى الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل على صحة هذاالقول: قوله ﷺ للحسن رضى الله عنه: **«إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**(٣)، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر ٤٧]. إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه (٤).

---

(١) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الدانى، ص (٢٣).

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص (٢٦٨).

(٣) البخارى، الفتن، رقم (٧١٠٩).

(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به، ص (٦٧- ٦٩).

٧- وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون(١).

٨- وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطيء ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضًا: وأما المصيب فله أجران(٢).

٩- وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين(٣).

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، بعد قتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم(٤).

سابعًا: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة» ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب «المعارف».

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧- ٦٩).

(٢) الباعث الحثيث، ص (١٨٢).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٤)

(٤) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠)

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام فى دمشق والمغرب فى حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذى سار عليه المؤلف «الإمامة والسياسة» يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة فى كتبه التى بين أيدينا، فابن قتيبة يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة» فمقدمته قصيرة جداً لاتزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف فى الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده فى مؤلفات ابن قتيبة.

- يروى مؤلف الكتاب عن ابن أبى ليلى بشكل يشعر بالتلقى عنه، وابن أبى ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه: قاضى الكوفة، توفى سنة ١٤٨هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣ هـ، أى بعد وفاة ابن أبى ليلى بخمسة وستين عاماً.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروى عنهم ابن قتيبة عادة فى كتبه لم يرد لهم ذكر فى أى موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيراً ما يجىء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد فى كتاب من كتبه.

- إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يروى عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين[1].

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة فى علمه ودينه، يقول: السلفى: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة فى دينه وعلمه، وتبعه فى ذلك الخطيب البغدادى، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة[2]، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة، على العليانى، ص (٩٠).

(٢) لسان الميزان (٣/٣٥٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٤٤).

مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة» الذى شوه التاريخ والصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[1]؟!.

يقول الدكتور على نفيع العلياني فى كتابه، عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب الإمامة والسياسة: وبعد قراءتى لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح عندى أن مؤلف الإمامة والسياسة رافضى خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب فى كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها ونظراً لكونه معروفًا عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة فى المغرب[2] ومما يرجح أن مؤلف الإمامة والسياسة من الروافض ما يلى:

■ إن مؤلف الإمامة والسياسة ذكر على لسان على رضى الله عنه أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ،ولا تدفعوا أهله مقامه فى الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم.. والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله[3] ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

■ إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح فى صحابة رسول الله قدحًا عظيمًا فصور ابن عمر رضى الله عنه جبانًا، وسعد بن أبى وقاص حسودًا، وذكر محمد بن مسلمة غضب على على بن أبى طالب لأنه قتل مرحبًا اليهودى بخيبر، وإن عائشة -رضى الله عنها- أمرت بقتل عثمان[4]، والقدح فى الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لايقدحون فى عموم الصحابة[5].

■ إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبى عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله ﷺ ولم يذكر خرافاته وإدعاءه للوحى[6]، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبى عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابن

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤)

(٢) الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٣٩١).

(٣) الإمامة والسياسة (١/ ١٢).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٥٤، ٥٥).

(٥) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩١) للعلياني.

(٦) الإمامة والسياسة (٢/ ٢٠).

قتيبة- رحمه الله- ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبيّن أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه[1].

■ إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

■ يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية: ومن مكايدهم- يعني الرافضة- أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال، وعبد الله بن قتيبة رافض غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابا سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال[2] وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[3] والله أعلم.

٢- نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصاً فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل في

---

(١) المعارف، ص(٤٠١).

(٢) مختصر التحفة الإثنا عشرية للألوسي ص (٣٢).

(٣) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩٣).

النهج؟ وأما المتهم – عند المحدثين– فهو أخوه علي[1]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

– قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام عليّ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه ، والله أعلم[2].

– وقال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل[3].

– وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على عليّ، ولهذا لايوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف[4].

– وأما ابن حجر، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ.. وأكثره باطل[5].

– واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلي الإمام علي رضي الله عنه[6].

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على «نهج البلاغة» للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

▪ خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه– متناً ورواية وسنداً.

---

(١) الأدب الإسلامي نايف معروف، ص (٥٣).

(٢) الوفيات (٣/١٢٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/١٢٤).

(٤) منهاج السنة (٤/٢٤).

(٥) لسان الميزان (٤/٢٢٣).

(٦) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (٥٣).

■ كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

– رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير عليّ رضى الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

– اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لايليق به ولا بهم، وتنافي ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ« الشقشقية » التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشف والزهد.

– شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذى عرف به عصر الإمام على رضى الله عنه، مع أن السجع العفوى الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

– الكلام المنمق الذى تظهر فيه الصناعة الأدبية التى هى من وشي العصر العباسى وزخرفه، ما نجد في وصف الطاووس والخفاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

– الصيغ الفلسفية الكلامية التى وردت فى ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا فى القرن الثالث الهجرى، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهى أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[1].

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين على، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣- كتاب الأغانى للأصفهانى:

يعتبر كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن

---

(١) الأدب الإسلامى، ص (٥٤، ٥٥).

يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح والطعن والمعايب وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سمّاه السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني فقد شمّر - جزاه الله خيراً - عن ساعد الجد، ليميز الهزل من الجد، والسّم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي،وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل[1].

ولقد تحدث العلماء فيه قديمًا فقالوا:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئًا كثيراً من الصحف، ثم تكون كل روايته منها[2].

- قال ابن الجوزي: ومثله لايوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر[3] قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله، ويستهول ما يأتي به[4].

٤- تاريخ اليعقوبي : ت٢٩٠ هـ.

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد، مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب

(١) السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي، ص(٩ - ١٤).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨).

(٣) المنتظم (٧/ ٤١، ٤٠).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).

بالكاتب العباسى، وقد عرض اليعقوبى تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فهولايعترف بالخلافة إلا لعلى بن أبى طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ويسمى عليا بالوصى، وعندما ارخ لخلافة أبى بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال تولى الأمر فلان، ثم لم يترك واحداً منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة، رضى الله عنها، أخباراً[١] سيئة وكذلك عن خالد بن الوليد[٢]، وعمرو بن العاص[٣]، ومعاوية بن أبى سفيان[٤] وعرض خبر السقيفة عرضاً مشيناً[٥] ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من على بن أبى طالب الذى هو الوصى فى نظره، وطريقته فى سياق الاتهامات - الباطلة- هى طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وهى إما اختلاق الخبر بالكلية[٦]، أو التزيد فى الخبر[٧]، والإضافة عليه، أو عرضه فى غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بنى العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم فى كتابه البلدان باسم الدولة المباركة[٨]، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل فى كتابة التاريخ الإسلامى وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا فى التاريخ الإسلامى وسيرة رجاله، مع أنه لاقيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثانى كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمى[٩].

---

(١) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٨٠- ١٨٣).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢)
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢، ٢٣٨).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ١١٢٣، ١٢٦).
(٦) منهج كتابة التاريخ الإسلامى ص ٤٣١.
(٧) المصدر نفسه ص٤٣١.
(٨) كتاب البلدان لليعقوبى ص ٤٣٢.
(٩) منهج كتابة التاريخ الإسلامى ص ٤٣٢.

٥- المسعودي: ت٣٤٥هـ: كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر:

هو أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، من ولد عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه[١]، وقيل إنه كان رجلاً من أهل المغرب[٢] ولكن يرد عليه بأن المسعودى صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[٣]، وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق بمصر من بلاد المغرب الإسلامى فلا إشكال[٤] والمسعودى رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً[٥]، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك فى النص والاختيار، فقد رأى الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[٦]، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى كتابه مروج الذهب اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة الرسول ﷺ فى الكتاب المذكور[٧]، وركز اهتمامه بالبيت العلوى وتتبع أخبارهم بشكل واضح فى كتابه مروج الذهب[٨] وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التى نحذر منها، والتى كان لها أثر فى كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين الفتنة الكبرى (على وبنوه)، والعقاد فى عبقرياته فقد تورطا فى الروايات الموضوعة والضعيفة وقامت تحليلاتهم عليها، وبالتالى لم يحالفهم الصواب، ووقعوا فى أخطاء شنيعة فى حق الصحابة، رضى الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار فى كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصاً من روايات الرافضة من كتاب الإمامة والسياسة، وحسن إبراهيم حسن فى كتابه عمرو بن العاص حيث قرر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل

---

(١) الفهرست لابن النديم، ص (١٧١) سير أعلام النبلاء.

(٢) الفهرست، ص (١١٧).

(٣) معجم الأدباء (١٣/ ٩١- ٩٣).

(٤) منهج المسعودى فى كتابة التاريخ ص ٤٤، أثر التشيع، ص (٢٤٣).

(٥) لسان الميزان (٤/ ٢٢٥)، أثر التشيع، ص (٢٤٦).

(٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/ ٣٨).

(٧) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص (٢٤٨).

(٨) المصدر نفسه، ص (٢٤٨).

في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا[1]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامنًا: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثرًا في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهورا، ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري- منحرف- وهم أكثر الطوائف كذبًا على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة- كما سيأتي معنا- فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه، خاصة الشيخين أبي بكر وعمر ويسمونهما الجبت والطاغوت[2]، وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة، أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، مما يسئ لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهدعلماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء، وفي رسم المنهج

---

(١) تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم، ص (٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) الشيعة والسنة، ص (٣٢) إحسان إلهي ظهير.

فى نقد الروايات وقبولها، جهد كبير وموفق، من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة القاضى ابن العربى فى كتاب العواصم من القواصم، والإمام ابن تيمية فى كثير من كتبه ورسائله، خاصة كتابه القيم منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية، وكذا الحافظ الناقد الذهبى فى كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب، سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال، وكذلك الحافظ بن كثير المفسر المؤرخ فى كتابه البداية والنهاية، وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، ولسان الميزان، وتهذيب التهذيب والإصابة فى معرفة الصحابة.

أما الوسائل التى استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية تشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهى كثيرة ونذكر منها:

- الاختلاق والكذب.

- الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

- وضع الخبر فى غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

- إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.

- صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعر العربى ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد فى توثيق الخبر وتأييده.

- وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب الإمامة والسياسة الذى نحلته أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به- كما مرّ معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات فى القرن الماضى علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين- إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية- فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم- بدافع من

عصبيتهم وكرههم للمسلمين- من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه، أو التفسير الخاطئ تبعًا للتصور والاعتقاد الذى يدينون به، ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين فى البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم فى البحث، وأفكارهم وتصوراتهم فى الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، كان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادعوا- كأساتذتهم- اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمى فى البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمى السليم فى إثبات الواقعات التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التى يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشرى وطبائعه[١]، فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمى إلا الأمور الشكلية مثل الحواشى وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمى عندهم[٢]، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضى، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم فى الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضى العروبة والإسلام جريًا وراء المستشرقين فى ارتيابهم حيث تحسن الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت وفى إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون فى أيديهم الدلائل عليه[٣].

ومن أهم الوسائل التى اتبعها المستشرقون وتلاميذهم فى تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامى:

أ- التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذى يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى، محمد صامل، ص (٥٠٢).

(٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامى، ص (٥٠٢).

(٣) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر سنة ١٣٧٤ هـ.

حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذى وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم فى ذلك الوقت، والعقيدة التى تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لابد من ثبوت وقوعها وليس وجودها فى كتاب من الكتب كافيًا لثبوتها[1]، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث فى تفسير الواقعة التاريخية، كما ينبغى أن يكون التفسير متمشيًا مع منطوق الخبر التاريخى، وموضوع البحث، ومع الطابع العام للمجتمع، أو العصر والبيئة التى حدثت فيها الواقعة، كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضًا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما انه لا ينبغى أن ينظر فى التفسير إلى عامل واحد- كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة- وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة فى الحديث وخاصة العوامل العقيدية والفكرية.. ثم إن التفسير التاريخى للحوادث بعد هذا كله لايعدو كونه اجتهادًا بشريًا يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية والفاطمية والزنج وإخوان الصفا، والخوارج كلهم فى نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات لإصلاح الظلم والجور، فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامى ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لايدينون بالإسلام، فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهارًا وسرًا وجهارًا ولا يتوقع من مطموسى الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم فى الضلال، ولكن الأمر الذى قد يحدث استغرابًا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين، ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بنى جلدتهم ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة، والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المتحولة والضعيفة فهذه الكتب هى مستنداتهم فى الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة فى الطبرى والمسعودى، مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها، لقد وقع الاعتداء على التاريخ

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى، ص (٥٠٤).

الإسلامي- خاصة تاريخ الصدر الأول- بالتشويه عن طريق اختيار- مواقف مختارة والتركيز عليها، كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة، رضي الله عنهم، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لارابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماؤنا - رحمهم الله - قد نقدوا كثيراً من الرواة وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيليات، فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان، واضح[1].

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (٥٠٧).

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

المبحث الأول

الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات، منها ما بينه أبوالحسن الأشعرى أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وبين أن خروجهم على عليّ هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذى سموا له خوارج، خروجهم على عليّ بن أبى طالب لما حكم(١).

أما ابن حزم فقد بين أن اسم الخارجى يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه وشاركهم فى معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج فى إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون فى النار، وأن الإمامة جائزة فى غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم فيماعدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً(٢).

وأما الشهر ستانى: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذى اجتمعت عليه الكلمة على إمامته الشرعية خروجا فى أى زمان كان، حيث قال فى تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواءً كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة فى كل زمان(٣).

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢/ ١١٣).

(٣) الملل والنحل.

وقال ابن حجر معرفاً لهم: والخوارج الذين أنكروا على عليّ التحكيم وتبرءوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[1]، وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين[2].

أما أبو الحسن الملطي: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون لاحكم إلا لله ويقولون: عليٌّ كفر، يجعلون الكفر إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله: فرقة الخوارج، سميت خوارج لخروجهم على عليّ رضي الله عنه يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله[3].

أما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور[4].

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب الحرورية[5]، والشراة[6]، والمارقة، والمحكمة[7]، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية[8].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول ﷺ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول ﷺ في قسمة ذهب كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن في جلد مقروظ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله من اليمن بذهبة في أديم

---

(١) هدى الساري في مقدمة فتح الباري، ص (٤٥٩).

(٢) فتح الباري (٢/ ٢٨٣).

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص (٤٧).

(٤) الخوارج، ناصر العقل، ص (٢٨).

(٥) سموا بهذا الاسم لنزولها بحروراء في أول أمرهم.

(٦) سموا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعناها بالجنة.

(٧) سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

(٨) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

مقرظ(١)، لم تحصل من ترابها(٢)، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن كلاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذه من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة(٣)، كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: لا، لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس(٤)، ولا أشق بطونهم، قال ثم نظر إليه وهو مُقف(٥)، فقال: إنه يخرج من ضئضئ(٦)، هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود(٧).

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، في لفظ: أنه قال له اعدل، فقال: ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل(٨)، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٩)، وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة، أبو محمد بن حزم(١٠)، وكذا الشهرستاني في كتابه الملل والنحل(١١)، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت

---

(١) أي: في جلد مدبوغ بالقرظ.

(٢) أي: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.

(٣) أي: مرتفع الجبهة.

(٤) أي: أفتش وأكشف، ومعناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

(٥) مقف: أي مولٍ.

(٦) ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.

(٧) أخرجه البخاري (٢/٢٣٢)، ومسلم (٢/٧٤٢).

(٨) أخرجه مسلم (٢/٧٤٠).

(٩) تلبيس إبليس، ص (٩٠).

(١٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٥٧).

(١١) الملل والنحل (١/١١٦).

بالخروج على عثمان رضى الله عنه بإحداثهم الفتنة التى أدت إلى قتله رضى الله عنه ظلماً وعدواناً، وسميت تلك الفتنة التى أحدثوها بالفتنة الأولى[1]، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعة حدثوا فى الفتنة الأولى[2]، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال فى صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان، رضى الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شئ كثير جداً[3].

الرأى الراجح فى بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوى بين ذى الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على علىّ بسبب التحكيم فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة فى شكل طائفة لها اتجاهها السياسى وآراؤها الخاصة، أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً، بعكس ما سبقها من حالات[4].

ثانياً: ذكر الأحاديث التى تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ فى ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم، فى أخبث المنازل، فمن الأحاديث التى وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشيخان فى صحيحهما من حديث أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه– قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم[5]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٣/١١٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٥٦٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/٢٠٢).

(٤) فرق معاصرة للعواجى (١/٦٧)، خلافة على، عبد الحميد، ص (٢٩٧).

(٥) تراقيهم: جمع ترقوة، وهى العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين.

الرمية[1]، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ، ثم ينظر إلى رصافه[2]، فما يوجد فيه شئ، ثم ينظر إلى نفسه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شئ، وقد سبق الفرث والدم[3]، أيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة، أو مثل البضعة[4] تدردر[5] ويخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، واشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظر إليه على نعت النبى ﷺ الذى نعته[6].

وروى الشيخان أيضا من حديث أبى سلمة وعطاء بن يسار أنهم أتيا أبا سعيد الخدرى فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبى ﷺ يقول: «**يخرج فى هذه الأمة**- ولم يقل منها- **قوم تحرقون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلقوهم- أو حناجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامى إلى سهمه، إلى نصله إلى رصافه فيتمارى فى الفوقة[7]، هل علقت بها من الدم شيء**[8]، وروى البخارى من حديث يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبى ﷺ يقول فى الخوارج شيئاً؟ قال: سمعت يقول: وأهوى بيده قبل العراق :يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، ففى هذه الثلاثة الأحاديث ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يشددون فى الدين فى غير موضع التشديد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعا لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول فى هذه الثلاثة الأحاديث أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ﷺ، وفى قوله ﷺ: لا يجاوز تراقيهم احتمالات:

---

(١) الرمية: الصيد الذى ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية.

(٢) رصافه: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوى على مدخل النصل فيه.

(٣) يعنى: مر مراً سريعاً فى الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم.

(٤) البضعة: القطعة من اللحم. النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٣٣).

(٥) تدردر: أى: ترجرج تجيء وتذهب. النهاية فى غريب الحديث (٢/ ١١٢).

(٦) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

(٧) الفوقة: هى الحجر الذى يجعل فيه الوتر.

(٨) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

١- يحتمل أنه لكون لا تفقه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

٢- يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله[١].

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول ﷺ أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرءون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان[٢] أحداث الأسنان[٣]، سفهاء الأحلام[٤]، يقولون من خير قول البرية[٥] لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٦].

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرى النطق، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[٧]، وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلا الحديثين دلا على أن إيمانهم محصور في نطقهم، وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به[٨].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها عليه الصلاة والسلام أنهم يمرقون من الدين لا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة، فقد روى مسلم رحمه الله من حديث

---

(١) فتح الباري (٦/٦١٨)، ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (٧/١٥٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً، وكانت قصة الخوارج وقتلهم النهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة، فتح الباري (١٢/٢٨٧).

(٣) صغار السن، شرح النووي (٧/١٦٩).

(٤) ضعفاء العقول، فتح الباري (٦/٦١٩).

(٥) أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد المتقدم يقرءون القرآن.

(٦) البخاري (٢/٢٨١).

(٧) فتح الباري (٢/٢٨١).

(٨) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/١١٨٣).

أبى ذر، رضى الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بعدى من أمتى أو سيكون بعدى من أمتى قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة»[1]، وروى من حديث أبى سعيد أن النبى ﷺ ذكر قوما يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحالف قال: هم شر الخلق أو من شر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق.

ومن صفاتهم التى ذُم بها الخوارج على لسان رسول الله ﷺ أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء فى صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع على بن أبى طالب، رضى الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال على: كلمة حق أريد بها باطل[2]، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إنى لأعرف صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليهم، منهم أسود إحدى يديه طبى شاه[3]، أو حلمة ثدى، فلما قتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: انظروا فلم يبدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فو الله ما كذب ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه فى خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول على فيهم[4].

ومن صفاتهم القبيحة التى كانت ذماً لهم على رسول الله ﷺ أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه[5]، فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أسير بن عمرو عن سهيل بن حنيف عن النبى ﷺ قال: يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم[6]، قال النووى: قوله ﷺ: يتيه قوم قبل المشرق، أى: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم[7].

---

(1) مسلم (2/750).

(2) معناه: ان الكلمة أصلها صدق، قال تعالى: «إن الحكم إلا لله» لكنهم أرادوا بها الإنكار على علىّ فى تحكيمه. شرح النووى (7/173، 174).

(3) المراد ضرع الشاة.

(4) مسلم (2/749).

(5) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (3/1184).

(6) مسلم (2/750).

(7) شرح النووى (7/175).

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي ﷺ أنها واقعة فيهم أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام، وترك عبدة الأوثان والصلبان[1]، فقد روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[2]، ناتيء الجبين[3]، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: فمن يطع الله إن عصيته، أيامنني على أهل الأرض ولا تأمنوني، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[4].

وفي هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى[5]، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذماً وعاراً مشيناً للخوارج أن الرسول ﷺ حرض على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب بمقاتلتهم وقتلهم إذ إن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه، على وفق ما وصفهم به رسول الله ﷺ من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه، ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم، وحسبنا هنا

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/١١٨٤).

(٢) مشرف الوجنتين: أي غليظهما، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.

(٣) ناتيء الجبين: أي بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع.

(٤) البخاري (٢/٢٣٢)، ومسلم (٢/٧٤١، ٧٤٢).

(٥) عقيدة أهل السنة والصحابة الكرام (٣/١١٨٥).

من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة[1]، وسيأتي الحديث في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين عليّ على تبصيرهم وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها وعن أحوال الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجي لازالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفاً، وحدد في رواية باثني عشر ألفاً[2]، وفي رواية بثمانية آلاف[3]، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفاً[4]، كما ذكر أنهم عشرون ألفاً[5]، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفاً، قد جاءت بدون إسناد[6]، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي وهالهم، وسار علي بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعدما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عزوجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالهم فعلياً عن جماعة المسلمين، وكان أمير المؤمنين علي حريصاً على إرجاعهم بجماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة، فيقول: .. فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما

---

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (3/118).
(2) تاريخ بغداد (1/160).
(3) البداية والنهاية (7/280، 281) إسناده صحيح، مجمع الزوائد (6/235).
(4) مصنف عبد الرزاق (10/157،160) بسند حسن.
(5) تاريخ خليفة، ص (192).
(6) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (303).

يكون من الحلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبى من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبى ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم ومنهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لى نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال فى أمر الله، إن الحكم إلا لله، ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة، وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال فى أمر الله، فإنى أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥]، وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال فى صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو فى أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، وفى المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال فى صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم فى بضع امرأة، خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهى أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، أن نبى الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال

لعلي: اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرين والأنصار[1]، ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

١- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين على ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر الأئمة وترجمان القرآن، لأن القوم كانوا يعرفون بالقرآن، ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بان ابن عباس، رضى الله عنه، هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكلام الخصوم، وتجنب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢- الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وكذلك كان عبد الله بن عباس، رضى الله عنه، حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترضون؟ ومع هذا فإن عبدالله بن عباس – رضى الله عنهما – يستوثق منهم بداية المناظرة.

٣- معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤- تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضى الله عنه في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال أخرجت من هذه؟.

---

(١) خصائص أمير المؤمنين على بن أبي طالب للنسائي، تحقيق احمد البلوشي، ص (٢٠٠) إسناده حسن.

٥- التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق: فإن عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، قال فى بداية الأمر وقبل مناظرة: أتيتكم من أصحاب النبى ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم[١].

٦- إظهار احترام رأى الخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج[٢].

٧- وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء: إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف- كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى- وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله، ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس من علم وقوة وحجة وبيان، إذ وضح لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التى تأولوها التفسير الصحيح، وبالسنة النبوية المشرفة والتى توضح معانى القرآن الكريم[٣].

٨- قول ابن عباس: وليس فيكم منهم أحد[٤]: هذا نص صريح من ابن عباس فى كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول ﷺ، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج والرواية صحيحة وثابتة، كما انه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة- على حد علمى - قال بان الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأما الزعم بأن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة فذلك عند المذهب الخارجى وليس لهم دليل علمى موثوق على قولهم.

٩- تحديد المرجعية: فى قول ابن عباس: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعوه؟ قالوا: نعم.

ففى كلام ابن عباس هذا درس مهم ألاوهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

---

(١) خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب للنسائى، ص (١٩٧) إسناده حسن.

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، ص (٣٣٩).

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٣٠٧).

(٤) خصائص على بن أبى طالب للنسائى، ص (٢٠٠) إسناده حسن، للبلوشى.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم لهم، خرج أمير المؤمنين على بنفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من على رضى الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته- حسب زعمهم - وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن القيس الكندى إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب على رضى الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس وأمرهم الذى فارقوه فيه[1]، وفى رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحى المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم[2]، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعا إصبعيه فى أذنيه ويقول: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، فرد أمير المؤمنين على بقوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المومنين على سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم إن لكم عندنا ثلاثا:

١- لا نمنعكم صلاة فى هذا المسجد.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفئ ما كانت أيديكم مع أيدينا.

٣- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[3].

فقد سلم لهم أمير المؤمنين على بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة فى إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدى إلى الفرقة وحمل السلاح[4]، ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم

(١) مصنف ابن أبى شيبة ١٥/٣١٢-٣١٣، صححه الألبانى فى إرواء الغليل (٨/١١٨، ١١٩).

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، ص (٤٥٢).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٣٢٧، ٣٢٨) والشافعى فى الأم (٤/١٣٦) وتاريخ الطبرى (٥/٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع غير أن للسند شواهد وقد توبع قاله الألبانى فى إرواء الغليل (٨/١١٧، ١١٨).

(٤) الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد، ص (٤٧).

الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضى الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن فامتلأ الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: ياأمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾ [النساء: ٣٥]، فأمة محمد أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية، كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: كيف تكتب؟ قال: أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ : اكتب، فكتب، فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾[1] [الأحزاب: ٢١].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكما، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى علي عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدراً ونقضا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً** ﴾ [النحل: ٩١].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبةً بليغة زهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها

---

(١) مسند أحمد (٢/٦٥٦) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، فقال حمزة بن سنان الأسدى: يا قوم إن الرأى ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائى وكان من رءوسهم فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبى أوفى العبسى فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة فى الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت[١]، واجتمعوا أيضا فى بيت زيد بن حصن الطائى السنبسى فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ والآية التى بعدها: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤ - ٤٧]، ثم قال: فاشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا فى القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمى، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال فى كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم أطيع الله كما أردتم وأثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأى شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته[٢].

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بنى آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق فى قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف فى الخوارج: إنهم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥] والمقصود أن هؤلاء الضلال، والأشقياء فى الأقوال والأفعال

---

(١) البداية والنهاية (٧/٣١٢)، تاريخ الطبرى (٥/٦٨٩).

(٢) البداية والنهاية (٧/٣١٢).

اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطأوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرهم فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي : إن المدائن لا تقدر عليها، فإن بها جيشا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفطن بكم فكتبوا كتابًا عامًا إلا من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا لئلايعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذى نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم فى أجسادهم متردداث، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة(1).

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب، فأبى(2)، وفى رواية كتبوا إليه أما بعد : فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضى بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم(3).

إن قضية إعلان الخوارج كفر على وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات ولكنها تتفق مع رأى الخوارج فى تكفير على وعثمان وامتحان الناس بذلك(4).

---

(1) البداية والنهاية (٧/٣١٢، ٣١٣).

(2) أنساب الأشراف (٢/٦٣) بسند فيه ضعف وله شواهد.

(3) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٣١٩).

(4) المصدر نفسه، ص (٣١٨).

خامساً: معركة النهروان ٣٨هـ:

١- سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ على الخوارج ألا يسفكوا دمًا ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظراً لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدءوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعوراً يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفونه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي ﷺ؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي ﷺ ذكر فتنة فقال: **«القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»**، فأخذوه وسرية له معهم، فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها في فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه، يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك ماء اندفر بالماء حتى توارى عنهم[١]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصاحب قومًا هم أبغض إلي صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلق[٢]، أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة ولم يكتفوا بهذا، بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًّا[٣].

---

(١) أي لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (١/٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٣١٠، ٣١١) بسند صحيح.

(٣) مجمع الزوائد (٦/١٣٧، ١٣٨) إسناده صحيح.

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين على إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار كلنا قتلة[1]، فسار إليهم بجيشه الذى قد أعده لقتال أهل الشام فى شهر محرم من عام ٣٨هـ[2]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[3].

٢- تحريض أمير المؤمنين على جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله ﷺ في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقد كان رضى الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»** لو يعلم الجيش الذى يصيبونه ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ ولما اتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعيرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم، والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا فى سرح الناس، فسيروا على اسم الله[4].

وقال رضى الله عنه فى يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين، وهؤلاء المارقون[5].

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٣٠٨، ٣٠٩) بسند صحيح.

(٢) أنساب الأشراف ٢/٦٣ بسند فيه مجهول، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٣٢٢).

(٣) تاريخ بغداد (١/٢٠٥، ٢٠٦).

(٤) مسلم (٢/٧٤٨، ٧٤٩).

(٥) السنة لابن أبى عاصم، تحقيق الألبانى، وقال المحقق: حديث صحيح، إسناده ضعيف، وللحديث شواهد. خلافة على، ص (٣٢٣).

وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه ألا يبدءوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب -رضي الله عنه- يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا[1]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر[2]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال[3]، فجعل على ميمنته حجر بن علي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي، ومعقل بن قيسي الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وكانوا في سبعمائة قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على عليٍّ وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبيسي وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه[4].

٣- نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدءوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي[5]، وقال

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٩٧)، خلافة علي، عبد الحميد، ص (٣٢٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٣٢٥- ٣٢٧).

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٣٢٤).

(٤) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص (٤٢٥) مختصر من البداية والنهاية.

(٥) المصدر نفسه، ص (٤٢٥).

أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فانفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صليّاً[1]، وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبى، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن فى اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب على رضى الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجى: حبذا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب: ما أدرى إلى الجنة أم إلى النار[2]، فقال رجل من بنى سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعى: إنما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك؟ فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبى أيوب الأنصارى، وجعل الناس يتسللون[3]، وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩ / ٢ / ٣٨ هـ[4]، واسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى فى صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تماما فى جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، فقتلى أصحاب على فيما رواه مسلم فى صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[5] وفى رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب على اثنا عشر أو ثلاثة عشر[6] وجاء فى رواية صحيحة أن أبا مجلز[7] قال: ولم يقتل من المسلمين يقصد جيش على إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبى برزة[8]، فاساله فإنه شهد ذلك[9]، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعا[10]، ويذكر المسعودى أن عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة[11].

---

(١) تاريخ الخلافة الراشدة، ص (٤٢٥).

(٢) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، ص (٢١)، خلافة على، ص (٣٢٥).

(٣) أخبار الخوارج، ص(٢١)، خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد، ص (٣٢٥).

(٤) أنساب الأشراف (٢/٦٣) بسند فيه مجهول.

(٥) مسلم (٢/٧٤٨).

(٦) مصنف ابن أبى شيبة (٥/٣١١)، تاريخ خليفة، ص (١٩٧) بسند حسن.

(٧) لاحق بن حميد السدوسى البصرى ثقة من كتاب الثالثة.

(٨) نهنلة بن عبيد الأسلمى صحابى مشهور بكنيته، مات سنة ٦٥هـ.

(٩) المعرفة والتاريخ (٣/٣١٥)، تاريخ بغداد (١/١٨٢).

(١٠) أخبار الخوارج من الكامل، ص (٣٣٨).

(١١) خلافة على بن أبى طالب، ص (٣٢٩)، تاريخ خليفة، ص (١٩٧).

٤- ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش على رضى الله عنه:

ظهرت روايات مختلفة فى تحديد شخصية ذى الثدية، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوى، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذى الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة[١]، وفى رواية حبشى، وأنه مخدج اليد، أى ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهى من المنكب إلى العضد فقط، أى بدون ذراع، وفى نهاية عضده مثل حلمة الثدى وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ أنها "تدردر" أى تتحرك تذهب وتجئ، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد[٢]، وأما اسمه فقد أخطأ من قال إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدى[٣]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور فى الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان، رضى الله عنه، وقد فر إثر معركة "الجمل الصغرى" التى قتل فيها الزبير وطلحة، رضى الله عنهما، قتله عثمان بالبصرة وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[٤]، إلا أنه قد ورد فى رواية أن اسمه "حرقوس" أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء فى رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال على: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هذا مالك، هذا مالك، فقال على: ابن من[٥]؟ فلم يعرف أحد أباه، وقد ورد فى رواية صححها الطبرى أن اسمه نافع ذو الثدية كما قد جاء عند ابن أبى شيبة وأبى داود، إلا أن طريقهما واحد، فبعدما جاء فى المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد[٦]، كان على رضى الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيراً ما كان يتعرض إلى ذكر ذى الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر على رضى الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن عليا رضى الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على على وأصحابه وجد أمير المؤمنين على جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم فإذا

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/١٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢١/١٢، ١٣) فتح البارى (١٢/٢٩٤، ٢٩٥).

(٣) الملل والنحلل (١/١١٥).

(٤) فتح البارى (١٢/٢٩٢)، الإصابة (١/١٣٩).

(٥) الفتح الربانى على مسند الإمام أحمد (٢٣/١٥٥) بإسناد حسن، والبداية والنهاية (٧/٢٩٤، ٢٩٥).

(٦) خلافة على بن ابى طالب / عبد الحميد، ص (٣٣٤).

المخدج تحتهم جميعا مما يلي الأرض فكبر علي ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا(١).

٥- معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعده معاملة المسلمين فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بان لا يتبع مدبراً، أويذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بابى وائل- أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حرورية-: لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان(٢)، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئا فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة(٣)، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن بمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء(٤)، وكان سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال سألت أبي عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، أهم الحرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية... ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] وكان سعد يسميهم الفاسقين(٥)، وفي رواية عن سعد -رضي الله عنه- أنه قال لما سئل عنهم: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم(٦).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٧-٣١٩) بسند صحيح.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٨٢). بسند صحيح.
(٣) التخليص الحبير (٤/ ٤٧).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٣٠٠، ٣٠١)، نيل الأوطار (٨/ ١٨٢).
(٥) صحيح البخاري، فتح الباري (٨/ ٤٢٥).
(٦) مصنف ابن ابي شيبة (١٥/ ٣٢٤، ٣٢٥)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).

وقد سئل على رضى الله عنه أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل: فما هم؟ قال بغوا علينا فقاتلناهم، وفى رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفى رواية قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا(١)، كما أنه رضى الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إماما عادلا فقاتلوهم وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً(٢)، والملاحظ فى قتال أمير المؤمنين على رضى الله عنه للخوارج وقتاله فى الجمل وصفين، أن علياً رضى الله عنه ندم وحزن على قتاله فى واقعة الجمل وصفين، أما فى قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتلهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله ﷺ، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر(٣).

سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين على:

تمكن أمير المؤمنين على رضى الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعد وأحكاما، وهى ضوابط شرعية فى قتال أهل البغى، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته فى البغاة، واستنبطوا من هديه الراشد الأحكام والقواعد الفقهية فى هذا الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب على لمن خالفه لما عرفت السنة فى قتال أهل القبلة(٤)، وروى هذا عن على نفسه فى قوله: أرأيتم لو أنى غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة(٥)؟ وقال الأحنف لعلى: يا على إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غدا أنك تقتل رجالهم وتسبى نساءهم، فقال: ما مثلى يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناء على ذلك فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٠)، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٣٢) بسند صحيح.
(٢) مصنف ابن ابى شيبة (١٥/ ٣٢٠) فتح البارى (١٢/ ٣٠١) له سند صحيح عند الطبرى.
(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١٦).
(٤) التمهيد للباقلانى ص (٢٢٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٥).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢٤).

١- أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يعتمد به قتلهم، لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم، لا القتال بينما يجوز أن يعتمد قتل المشركين والمرتدين[١].

٢- إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعا حكم الرجل البالغ الحر، يقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين، لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين[٢].

٣- إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم، وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن[٣]، وفي رواية عبد الرزاق، أن علياً أمر مناديه فنادى يوم البصرة، لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئا[٤]، وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها، هو وعقبه ومن بعده[٥]، وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه- قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليا، ولا يسلبون قتيلاً[٦].

٤- يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة، فمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق، ولم يجب أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر[٧].

---

(١) المغني (٨/١٠٨-١٢٦).

(٢) المغني (٨/١١٠) الأحكام السلطانية، ص ٦٠.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٣٦)، الفتح (١٣/٥٧) إسناده صحيح.

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/١٢٣، ١٢٤)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٩٦).

(٥) نصب الراية ٣/٤٦٣، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٩٧).

(٦) المستدرك (٢/١٥٥) سنده صحيح ووافقه الذهبي.

(٧) الأحكام السلطانية، ص (٦٠).

٥- ألا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمى، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب[١].

٦- ألا يهادنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن هادنهم إلى مدة لم يلزمه، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن أودعهم على مال بطلت الموادعة ونظر فى المال، فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات فى أهلها والفئ فى مستحقه، وإن كان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم[٢]، فإن علياً رضى الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

٧- إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بينها، كما بين على رضى الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة [٣]، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين[٤].

٨- إن لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود [٥].

٩- لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المساكن ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين، لان دار الإسلام تمنع ما فيها وإن بقى أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة فى حالة ما إذا تحصنوا ولم ينهزموا، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعى وأبى حنيفة[٦].

١٠- لا يجوز غنيمة أموالهم وسبى ذريتهم لقول النبى ﷺ: لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه [٧]، وروى عن على رضى الله عنه يوم الجمل قوله: من عرف شيئاً من ماله مع أحد فليأخذه [٨]، وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن حلت له دماؤهم فقد حلت له أموالهم، وإن حرمت عليه

---

(١) الأحكام السلطانية ،ص (٦٠) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢ /٢٩٨).

(٢) الأحكام السلطانية، ص (٦٠) للماوردى.

(٣) السنن الكبرى للبيهقى (٨ /١٨٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٤ /٤٥٠).

(٥) الأحكام السلطانية، ص (٥٨) للماوردى.

(٦) المغنى لابن قدامة ٨ /١٠.

(٧) سنن الدارقطنى (٣ /٢٦) صححه الألبانى فى إرواء الغليل رقم (١٤٥٩).

(٨) المغنى (٨ /١١٥).

أموالهم فقد حرمت عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس – رضى الله عنهما – فى مناظرته لهم: أفتسبون أمكم؟ -يعنى عائشة – أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم: ليست أمكم كفرتم، وإن قلتم: إنها أمكم واستحللتم سبيها فقد كفرتم [١]، ويعقب ابن قدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع كالصائل وقاطع الطريق، وبقى حكم المال والذرية على أصل العصمة [٢]، والظاهر من المأثور عن على – رضى الله عنه – جواز الانتفاع بسلاحهم، فقد روى ابن أبى شيبة عن أبى البخترى قال: لما انهزم أهل الجمل قال على: لا تطلبوا من كان خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم[٣]، وفى رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم فى عسكرهم[٤].

١١- من قتل من البغاة غسل وكفن وصلى عليه لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعى وأصحاب الرأى [٥].

١٢- إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم فى التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء فى الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعى، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فسّاق [٦].

١٣- يجوز للعادل قتل ذى رحمه الباغى لأنه قتله بحق، فأشبه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك [٧].

١٤- إذا غلب أهل البغى بلداً فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود لم يطالبوا بشىء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر على رضى الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشىء مما جبوه[٨].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٨/١٧٩)، خصائص أمير المؤمنين للنسائى، ص (١٩٧) إسناده حسن.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/٣٠٠).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/٢٦٣).

(٤) تاريخ الطبرى، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/٣٠٠).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/٣٠١).

(٦)، (٧) المغنى (٨/١١٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٣٠١).

(٨) المغنى(٨/١١٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٣٠٢).

١٥- حكم وراثة الباغي من العادل:

لا يرث باغ قتل عدلاً، ولا عادل قتل باغياً لقوله ﷺ: «**القاتل لا يرث**»[١]، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي ولا أورث الباغي من العادل، وقال أبو يوسف: أورث كل منهما من صاحبه لأنه متأول في قتله[٢]، وبهذا قال النووي[٣].

١٦- إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم جاز قتلهم، ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات:٩]، فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه[٤]، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي[٥]، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة أن لا يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجمت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن[٦]، وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً كثير، فاجتمع رأيهم على ألا يقيموا على أحد حداً في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه[٧].

سابعاً: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها:

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الديات ٢/٨٨٣ صحيح سنن ابن ماجة، رقم (٢١٤٠).

(٢) الأحكام السلطانية، ص (٦١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/١٧٠).

(٤) المغني (٨/١١٢).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٧/١٧٠.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٧٤) بسند صحيح، تحقيق مواقف الصحابة (٢/٣٠٣).

(٧) مصنف عبد الرزاق (١٠/١٢١).

١- الغلو فى الدين:

مما لاشك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع فى أى معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة فى هذه الطائفة لا يدانيهم فى ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله ﷺ: **«يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء»**(١)، وقال ابن عباس، رضى الله عنهما، يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن(٢) الإبل، وعليهم قمص مرحضة(٣)، مشمرين مسهمة وجوههم من السهر(٤)، وعن جندب الأزدى قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على بن أبى طالب رضى الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن(٥)، فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، وسيأتى مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى، ومنهم من بالغ فى ذلك حتى على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صغيراً فإنه كافر مشرك مخلد فى النار(٦)، وكان من نتيجة هذا التشدد الذى خرج بهم فى حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم(٧)، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً(٨)، ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامى تشويهاً غريباً، فإن هذا الإغراق فى التأويل

---

(١) مسلم، كتاب الزكاة، شرح النووى، (٧/ ١٧١).

(٢) الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.

(٣) مرحضة: مغسولة، النهاية فى غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٨).

(٤) تلبيس إبليس، ص (٩١).

(٥) المصدر نفسه، ص (٩٣).

(٦) الفصل لابن حزم، (٤/ ١٩١) الخوارج، ناصر السعوى، ص (١٨٣).

(٧) الخوارج للسعوى، ص (١٨٣).

(٨) تلبيس إبليس، ص (٩٥) الخوارج للسعوى، ص (١٨٤).

والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام، وجماله واعتداله وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمد ﷺ، ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العمياء، والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلواً أخرجهم عن الحد الصحيح[1]، ولذلك حذر النبي ﷺ من التعمق والتشدد في الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**هلك المتنطعون** قالها ثلاثاً»[2]، فبهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا**»[3].

٢- الجهل بالدين:

إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[4]، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم[5]، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، وهذا ما طالبوا به علياً رضي الله عنه إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة[6]، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي، وهو والله عين الجهل والضلال[7]، ومن جهالتهم الشنيعة أنهم وجدوا عبد الله

---

(١) الخوارج للسعوي، ص (١٨٤).

(٢) مسلم، كتاب العلم، شرح النووي (١٦/ ٢٢٠).

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، شرح الباري (٩٣١).

(٤) ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم، ص (١١٤).

(٥) الاعتصام (٢/ ١٨٣، ١٨٤).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٢، ٣١٣)، الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨، ١١٩)، تلبيس إبليس ص (٩٣).

(٧) الخوارج للسعوي، ص (١٨٦).

بن خباب، رضي الله عنه ،ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي، رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيراً، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة[1]، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام[2]، لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان[3]، قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفي أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة[4]، وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل[5]. وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده[6].

٣- شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها[7]، هذا وقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي،حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره[8]، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ، كل من خالفهم في أمر

---

(١) تلبيس إبليس، ص (٩٣).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٨٥).

(٣) الخوارج للسعوي، ص (١٨٧).

(٤) فتح الباري (١٢/ ٣٠١).

(٥) منهاج السنة (٣/ ٤٦٤).

(٦) نوادر الأصول، محمد حكيم الترمذي، ص (٥٤)، الخوارج للسعوي، ص (٨٨١).

(٧) الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧).

(٨) الخوارج للسعوي، ص (١٩١).

عادوه ونبذوه حتى إنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضاً، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات[1].

٤- التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة.. فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول ﷺ: وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كفراً[2]، وقد تميز الخوارج بآراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا في ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم[3].

فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم[4]، وقال ابن كثير: فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[5]، وقال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا:وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك؛ ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم[6].

---

(١) الخوارج للسعوي، ص (١٩٢).

(٢) الفتاوى (١٩/ ٧٣).

(٣) منهاج السنة (٣/ ٦٢).

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص (٥٧)، الخوارج للسعوي، ص (١٩١).

(٥) البداية والنهاية (٣/ ٢٩٤).

(٦) الفتاوى (١٣/ ٣٠، ٣١).

٥- تجويزهم على النبي - ﷺ - مالا يجوز في حقه «كالجور»:

قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف - بزعمهم - ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه... وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارةً في الإسناد، وتارةً في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن(١).

٦- الطعن والتضليل:

من أبرز صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى ﷺ، حيث قال ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل(٢)، فقد عد ذو الخويصرة نفسه أورع من رسول الله ﷺ، وحكم على رسول الله ﷺ بالجور والخروج على العدل في القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال(٣).

٧- سوء الظن:

هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى ﷺ بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله(٤)، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله ﷺ قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصاً وأن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ﷺ،

---

(١) الفتاوى (١٩/ ٧٣).

(٢) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (١٢/ ٢٩٠).

(٣) ظاهرة الغلو في الدين، ص (١٠٦).

(٤) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (١٢/ ٢٩٠).

لكفى به داعياً إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتبهاً لحيل إبليس لأنه كثيراً ما يزين العمل السيئ بغلاف حسن براق، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقاية نفسه، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المزلق[1].

٨- الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حداً فظيعاً، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم وادعوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل[2]، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين وموادعة ولطف[3]، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج[4]، قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم[5]، هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

---

(١) ظاهرة الغلو في الدين، ص (١٠٦، ١٠٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (١١٠).

(٣) المصدر نفسه، ص (١١١).

(٤) فتح الباري (١٢/ ٣٠١).

(٥) ظاهرة الغلو في الدين، ص (١١١).

أهم مظاهر الغلو فى العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو فى العصر الحديث كثيرة منها:

١ - التشدد فى الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو فى هذا العصر الخروج عن منهج الاعتدال فى الدين، الذى كان عليه النبى ﷺ، وقد حذر النبى ﷺ من ذلك فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»(١) والتشدد فى الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه فى الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج، أعنى التشدد فى الدين وقلة الفقه، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين(٢)، ومن مظاهر الغلو التعسير وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما لا يطيقون، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقاتهم واستطاعتهم، وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون، ومن أسباب التعسير الورع الفاسد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصوره وأشكاله، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع(٣).

٢ - التعالم والغرور وما يؤدى إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة فى ظاهرة الغلو فى الوقت المعاصر، التعالم والغرور، وادعاء العلم فى حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعى، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ورأى سديد، ويظن انه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل الناس(٤)، وأدى التعالم والغرور إلى

---

(١) البخارى، كتاب الإيمان، فتح البارى (١/٩٣).

(٢) الخوارج، ناصر العقل، ص (١٣٠).

(٣) ظاهرة الغلو فى الدين، ص (٢٤١-٢٤٩).

(٤) الخوارج، ناصر العقل، ص (١٢٩).

تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤساء جهالاً، فافتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأى، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأى، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعى والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم، ومن اعتبارهم وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم[1].

٣- الاستبداد بالرأى وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثًا التعصب للرأى، وعدم الاعتراف برأى الآخرين، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأى، ومن الأسباب التى تولد التعصب للرأى، والانحياز له، قلة العلم، مصادفة الرأى لذهن خال، الإعجاب بالرأى، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأى والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذى هوى بذى الخويصرة الجهول، يقول ابن الجوزى: وآفته أنه رضى برأى نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ[2]، والذى هوى بأصحاب ذى الخويصرة غير إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه وهذا مرض صعب[3]، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها، لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية بنجيع الدماء وشنوا الغارة في كل مكان[4]، إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين على - رضى الله عنه وناظرهم ابن عباس -رضى الله عنهما- وأزالوا أعذارهم، ودحضوا

---

(١) الخوارج، د. ناصر العقل، ص (١٢٩).

(٢) تلبيس إبليس، ص (٩٠).

(٣) المصدر نفسه، ص (٩١).

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص (٦١).

شبهاتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحموهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين[1]، إن التعصب للرأى وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة فى الإسلام كالشورى والتناصح.

٤- الطعن في العلماء العاملين:

يشهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة ألا وهى الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشقاق الغائر، ولا شك أن للطعن فى العلماء أسبابا منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطئ لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء فى الطعن فى العلماء قديمًا وحديثًا ممن يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بنى صهيون وعابدى الأوثان، وإن هذا المسلك المشين الذى يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين، ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب[2]، يقول ابن تيمية -رحمه الله- وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرب من الطعن فى الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقى الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم فى مذهب الرافضة وأهل الإلحاد[3]، إن الذين يطعنون فى علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواء شعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون فى علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذى

---

(١) ظاهرة الغلو فى الدين، ص (١٨٥).

(٢) ظاهرة الغلو فى الدين، ص: (٢١٥-٢٢٣).

(٣) الفتاوى (٣٢/ ١٣٧).

يقول: وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[١]، وليعلم الذين يطعنون فى علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله فى هتك منتقصهم معلومة، وما يدرى هذا المتعلم أن الاعتبار فى الحكم على الأشخاص بكثرة الفضائل، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذى له فى الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته فى قلوب المسلمين[٢]، فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن فى علمائهم؟ أيبقى شباب أحداث، يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة فى كثير من علوم الشرع؟

إن أسلوب الطعن فى العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

إن أسوأ ما فى الأمم السابقة علماؤها وأحبارهم فقد كثر فيهم الضالون المضلون، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وأفضل ما فى الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبى: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماؤها خيارهم[٣]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم[٤].

٥- سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره فى عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجاهل لا يتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى

---

(١) شرح الطحاوية (٢/٧٤٠).

(٢) أعلام الموقعين (٣/٢٨٣).

(٣) الفتاوى (٧/٢٨٤).

(٤) الفتاوى (٧/٢٨٤).

ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصًا إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، ومنها الهوى؛ وهو آفة الآفات، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه ومبتغاه.. يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيئ الحبال، ويرخى له العنان فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكى نفسه ويحتقر غيره فهو الصواب والكل خطأ وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناسا بلغ بهم سوء الظن مبلغًا غريبًا عجيبًا، حتى خرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتًا، فرموهم بالزيغ والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون، إن الظن السيئ آفة، ولكل آفة آثار وخطورة، والسيئ لا يلد إلا سيئًا.

● إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، لأن ذلك من صفات مرض القلوب الذى توعدهم رسول الله ﷺ بالفضيحة فقال: « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته**(١) ».

● كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفى فيهم.

● وأخيراً فالظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء.

ولما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسمًا، فقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجرى وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة(٢)، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ**

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٢١-٤٢٤).

(٢) ظاهرة الغلو فى الدين، ص (٢٠١ - ٢١١).

إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن كثير: يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا[١]، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه: ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها فى الخير محملاً[٢].

٦- الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثًا الشدة والعنف فى التعامل مع الآخرين، واستخدامهما فى غير محلهما، وكأن الأصل فى التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هى الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف فى أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة، نستطيع أن نجملها فيما يلى:

- **المحن**: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت فى نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- **الجهل بفقه الاحتساب**: فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم الواجبات التى كلف الله بها هذه الأمة، وينبغى للقائم بها أن يكون فقيهًا فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغى فقهها والعلم بها لمن يؤدى هذا الواجب منها: إن هذا الواجب قد يؤدى تارة بالقلب وتارة باللسان، وتارة باليد، والقلب واجب فى كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا فى خطأ فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقًا، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر فيأتى بالأمر والنهى معتقدًا أنه مطيع فى ذلك لله ولرسوله، وهو معتد فى حدوده[٣]، فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢).

(٣) الفتاوى (٢٨/ ١٢٧، ١٢٨).

ولابد من العلم بحال المأمور والمنهى، ومن الصلاح أن يأتى بالأمر والنهى بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود ولابد فى ذلك من الرفق ولابد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، والعلم قبل الأمر والنهى، والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحبًا فى هذه الأحوال، وقد ذكر القاضى أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه[1]، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف فى الدعوة.

- **ولقد استخدم بعض الشباب** أسلوب الغلظة والقسوة فى إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طرق الشدة هى المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل، ولا يترك إلا بعد أن تستنفد وسائله، لأنه هو المجدى النافع، المؤثر فى النفس، أما الشدة فإنها تنفر فى غالب الأحيان، وتحمل المخالف على الإصرار، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم والجاهل الذى لا يدرى، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه، **ومن الأسباب الغليظة** التى يسلكها بعض هؤلاء الخشونة فى معاملة الوالدين، فلا يقيم لهم حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسى هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس، لا سيما فى دعوتهم وإرشادهم ولا يعنى ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاء لهواهم.. كلا.. كلا.. إنما نريد الأدب فى المعاملة، واللين فى القول، وحسن العشرة، والصبر عليهم والشفقة والرحمة بهم، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ١٣٦، ١٣٧).

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهؤلاء فى نظرهم لا يستحقون أى خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كل منهما، فيطغى عندهم البراء على الولاء ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، لأنها عملية، فهى أبلغ تأثيراً فى النفس من القول ونسوا أن خشونتهم فى المعاملة، وتخليهم عن المساعدة، يعمق الهوة بينهم، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم، دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل، وأخيراً فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيراً ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحيانًا الأيادى، وذلك ليس بغريب إذا راجع الإنسان قليلاً دراسة أحوال الفرق التى تركت كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها وضلل بعضها بعضًا وكفر بعضها بعضًا، وهكذا مصير من ترك المنهج الذى جاء به خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة فى الدعوة ومعاملة الناس، قال تعالى -آمراً موسى وأخاه هارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، تلك هى توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين فى بيان الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

إن الداعية قد يلقى فى طريقه ما يغضبه ويضايقه وهو لاقيه لا محالة فلابد ان يوطن نفسه بالصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وينبغى للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**[1].

والرفق هو الأصل في الدعوة، وليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا فالشدة مواضعها بعد استنفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كل في منزله، وعصمه من هواه[2].

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٦٢).

(٢) ظاهرة الغلو في الدين، ص (٢٣١-٢٣٧).

المبحث الثانى

أمير المؤمنين على وفكر الشيعة

أولاً: الشيعة فى اللغة والاصطلاح، الرفض فى اللغة والاصطلاح:

١ - الشيعة فى اللغة:

شيعة الرجل: اتباعه وأنصاره ويقال: شايعه كما يقال: والاه من الولى... وتشيع الرجل أى: ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعضهم فهم شيع، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤]، أى بأمثالهم من الأمم الماضية[١] وجاء فى المصباح المنير: والشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة -نبرا- أى وصفًا- بجماعة مخصوصة والجمع شيع مثل سدرة وسدر والأشياع جمع الجمع، وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها[٢] فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوى تعنى: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى فى بعض آيات القرآن الكريم كما فى قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣]، فلفظ الشيعة فى الأولى تعنى القوم، وفى الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأى والمنهج ويشاركون فيهما.

٢- تعريف الشيعة فى الاصطلاح:

إن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدى لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها فى تغير وتطور مستمر، فالمتشيع فى العصر الأول غير المتشيع فيما بعده، ولهذا كان فى الصدر الأول لا يسمى شيعيًا إلا من قدم عليًا على عثمان، ولذلك قيل: شيعى وعثمانى، فالشيعى من قدم عليًا على عثمان[٣]، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة فى الصدر الأول: أنهم الذى يقدمون

---

(١) الصحاح للجواهرى، ولسان العرب، شيع.

(٢) المصباح المنير: شيع.

(٣) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٦٤).

عليا على عثمان فقط(١)، ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد على كانوا يفضلون أبا بكر وعمر(٢) وقد منع شريك بن عبد الله -وهو ممن يوصف بالتشيع- إطلاق اسم التشيع على من يفضل عليًا على أبى بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما تواتر عن على فى ذلك، والتشيع يعنى المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة(٣)، وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعى الكوفة، قال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك، فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ولا والله ما أدرى ما يقولون(٤)، قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخى عظيم يحدد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها(٥). ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمر حتى توفى سنة ١٢٧هـ، وكان طفلاً فى خلافة أمير المؤمنين على، وهو يقول عن نفسه: رفعنى أبى حتى رأيت على بن أبى طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبى بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًا ويخالفونه فيما كان يؤمن من يؤمن به، ويلعنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبى رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته فى أنقى وأطهر أزمانها(٦)، وقال ليث بن أبى سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحداً(٧)، وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا فى وقت خلافة الأمير رضى الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محله، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ عن إكفاره وسبه(٨)،

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٣/١٥٣)، فتح البارى (٧/٣٤).

(٢) منهاج السنة (٢/٦٠).

(٣) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/٦٥).

(٤) المنتقى، ص (٣٦٠).

(٥) انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٨/٦٣ الخلاصة، ص (٢٩١).

(٦) حاشية المنتقى، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٧) المنتقى، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٨) مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص (٣).

ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، السلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعًا وصار التشيع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين.. ولهذا نسمى الطاعنين بالشيخين الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع[1]، ومن عرف التطور العقدى لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من اعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونون من أعلام السنة، لأن للتشيع فى زمن السلف مفهومًا وتعريفًا غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة، ولهذا قال الذهبى فى معرض الحديث عمن رمى ببدعة التشيع، أو قال: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير فى التابعين، وأتباعهم مع الدين الورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضًا فما استحضر الآن فى هذا الضرب رجلاً صادقًا، ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من حاله، حاشا وكلا، فالشيعى الغالى فى زمان السلف وعرفهم هو من تكلم فى عثمان والزبير، وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليًا -رضى الله عنه- وتعرض لسبهم والغالى فى زمننا وعُرفنا هو الذى يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر[2]، إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة فى معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول فى التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع على... الخ.

وهذا يؤدى إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، هذه النتيجة أن يكون على شيعيًا يرى ما يراه الشيعة، وعلى -رضى الله عنه- برىء مما تعتقده الشيعة فيه وفى بنيه، ولذلك لابد من وضع قيد واحتراز فى التعريف رفعًا للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون اتباع على، حيث إنهم لم يتبعوا عليًا على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون[3]، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلى، أو الرافضة، ولذلك عبر عنهم،

---

(١) اصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٦، ٦٧).

(٢) ميزان الاعتدال للذهبى (١/ ٥، ٦)، لسان الميزان (١/ ٩، ١٠).

(٣) اصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٨).

بعض أهل العلم بقوله: الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي[1]، فهم أيضًا ليسوا على منهج شيعة على المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة[2].

٣- الرفض في اللغة:

هو الترك، يقال رفضت الشيء: أي تركته[3]، فالرفض في اللغة معناه الترك والتخلي عن الشيء.

٤- الرافضة في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم[4] قال الإمام أحمد رحمه الله: الرافضة: هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم[5]، وقال عبد الله بن أحمد رحمه الله، سألت أبي عن الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون -أو يسبون- أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما[6]، وقال أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- ورضي عن محبهما[7]، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله[8]، يقول ابن تيمية، رحمه الله -فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف[9]، وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهم جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدرازي عن محمد بن علي بن موسى قال كتبت

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٠٦).

(٢) أصول الشيعة الإمامية الإثنى عشرية (١/ ٦٩).

(٣) القاموس المحيط للفيروز ابادي (٢/ ٤٢٢).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٥).

(٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٣).

(٦) السنة للخلال رقم: (٧٧٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٧) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨).

(٨) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٦).

(٩) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٥).

إلى علي بن محمد عليه السلام[١] عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[٢]، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب من كان على هذا فهو ناصب[٣].

٥- سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة، لرفضهم زيداً بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الله الملك، في سنة إحدى وعشرين ومائة وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك، يقول أبو الحسن الأشعري: وكان زيد بن علي يفضل علياً بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: رفضتموني. فيقال إنهم سموا، رافضة لقول زيد لهم رفضتموني[٤]، وبهذا القول قال قوام السنة[٥]، والرازي[٦]، والشهرستاني[٧] وابن تيمية[٨] -رحمهم الله- وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[٩].

٦- رافضة اليوم:

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبز به من يقدم علياً

---

(١) هو أحد الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢).

(٢) يعنون بهما: أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- كما جاء ذلك في تفسير العياشي (١/ ٢٤٦)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥٠].

(٣) المحاسن النفسانية لمحمد آل عصفور الدرازي، ص (١٤٥).

(٤) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٧).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨).

(٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص (٥٢).

(٧) الملل والنحل (١/ ١٥٥).

(٨) منهاج السنة (١/ ٨)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦).

(٩) مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩).

-رضى الله عنه- في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام[1]، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة إن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع عليًا -رضى الله عنه[2]-، وقد ذكر أصحاب الفرق المقالات انهم ثلاثة أصناف:

أ- **غالية**: وهم الذين غلوا فى على وادعوا فيه الألوهية أو النبوة.

ب- **ورافضة**: وهم الذين يدعون النص على استخلاف على ويتبرءون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة.

جـ- **وزيدية**: وهم أتباع زيد بن على، الذين كانوا يفضلون عليًا على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر[3]، فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية[4]، وهم يتولون أبا بكر وعمر، رضى الله عنهما، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا فى عهد على -رضى الله عنه- ومن بعدهم فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على على -رضى الله عنه- وإنما كانوا يرون تفضيل على على عثمان وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل، ويقول ابن تيمية، -رحمه الله-، ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليًا، أو كانوا فى ذلك الزمان، لم يتنازعوا فى تفضيل أبى بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم فى تفضيل على وعثمان[5]، ولذا فإن تسمية «الرافضة» بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التى وقع فيها بعض المعاصرين تقليداً للرافضة فى سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهًا وتدليسًا على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة

---

(١) أعيان الشيعة (١/ ٢٠).

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، الملل والنحل للشهرستانى (١/ ١٤٤).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٦٦، ٨٨، ٣٧)، المصدر نفسه (١/ ٢٥).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٢٩).

(٥) منهاج السنة (١/ ١٣).

وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه ينزل على الرافضة، في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم[1]، وعليه فإن من الواجب، أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإبهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح «التشيع» فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة، كأن يقال «الشيعة الإمامية» أو «الشيعة الاثنى عشرية» على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم[2] والله تعالى أعلم.

ثانياً: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم:

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبري في تاريخه قال -كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، امه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب من يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: «من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟» ثم قال لهم بعد ذلك: «إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وأبدءوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر.» فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوه في السر إلى ما عليه رأيهم[3]، وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٠).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٢).

(٣) تاريخ الطبري (٣٤٧/٥).

العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذى النورين عثمان ابن عفان -رضى الله عنه- على يد هذه الشرذمة الفاسدة حتى إذا ما جاء عهد عليّ بن أبى طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذى قبل إلى أن بلغت عليًا -رضى الله عنه -فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، ومما صح فى ذلك عن على رضى الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهنى قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملببه يعني -ابن السوداء- وعلى على المنبر فقال على ما شأنه؟ فقال يكذب على الله ورسوله[1]، وعن زيد بن وهب عن على قال: مالى ولهذا الحميت[2] الأسود[3]، ومن طريق يزيد بن وهب أيضًا عن سلمة عن شعبة قال على بن أبى طالب: مالى ولهذا الحميت الأسود -يعنى عبد الله بن سبأ- وكان يقع فى أبى بكر وعمر[4]، وهذه الروايات ثابتة عن على رضى الله عنه بأسانيد صحيحة[5]، وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات: أن ابن سبأ ادعى الربوبية فى على رضى الله عنه- فأحرقه على- هو وأصحابه بالنار[6]، يقول الجرجانى: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: على رب العالمين، فأحرقه على وأصحابه بالنار[7]، ويقول الملطى فى معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ. قالوا لعلى رضى الله عنه: أنت. قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق البارى فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد هم نارًا ضخمة وأحرقهم وقال مرتجزًا:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت نارى ودعوت قنبرًا[8]

---

(١) تاريخ دمشق، الانتصار للصحب والآل، ص (٣٥).

(٢) الحميت: هو وعاء سمن الذى متن بالرُّب، ويطلق على المتين من كل شيء، وفى حديث وحشى: كانه حميت قال ابن حجر: «اى زق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءًا» فتح البارى (٧/٣٦٨).

(٣) فتح البارى (٧/٣٦٨).

(٤) فتح البارى (٧/٣٦٨).

(٥) عبد الله بن سبأ للعودة، ص (٩٨)، الأسانيد حكم عليها الألبانى.

(٦) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٦).

(٧) التعريفات، ص (١٠٣).

(٨) التنبيه على أهل الأهواء والبدع، ص (٨).

وذهب بعض المؤرخين إلى أن عليًا -رضى الله عنه- لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن. ثم ادعى بعد موت على -رضى الله عنه- أن عليًا لم يمت، وقال لمن نعاه: لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته[1]، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخارى، وعن عكرمة قال: أتى على -رضى الله عنه-: بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ: **«لا تعذبوا بعذاب الله»**، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[2]، قال ابن حجر في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرقين وفيها: أنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها أنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفرايينى في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم على طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًا أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن يكون أصله: ما رويناه .... من حديث أبى طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامرى قال: قيل لعلى إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا[3]، ثم ساق بقية الرواية وفيها أن عليًا -رضى الله عنه- استتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا ... أججت نارى ودعوت قنبرًا

قال ابن حجر وهذا سند حسن[4]، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة في الغلو في على -رضى الله عنه- في تلك الفترة الزمنية، وإمعان على رضى الله عنه- في عقوبتهم حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار على -رضى الله عنه- لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده، وانتظمت في سلك التشيع له- كتفضيله على عامة الصحابة وتقديمه على الشيخين، وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم

---

(١) الفصل لابن حزم (٥/٣٦)، التبصير في الدين للإسفرايينى.

(٢) البخارى، كتاب استتابة المرتدين رقم: (٦٩٢٢).

(٣) فتح البارى (١٢/ ٢٧٠).

(٤) المصدر نفسه، (١٢/ ٢٧٠).

بين أولئك الضلال، قال ابن تيمية -رحمه الله- ولما أحدثت البدع الشيعة فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب -رضى الله عنه- ردها وكانت ثلاث طوائف غالية وسبابة، ومفضلة، فأما الغالية، فإنه حرقهم بالنار، فإنه خرج ذات يوم من باب كنده فسجد له أقوام فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فأمر فى الثالث بأخاديد فخدت وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها... وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبى بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلم فيه، وكان على يدارى أمراءه، لأنه لم يكن متمكنًا، ولم يكن يطيعونه فى كل ما يأمرهم به، وأما المفضلة: فقال لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين: فقال وروى عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر(١)، وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها فى عهد على -رضى الله عنه- إلا أنها بقيت محصورة فى أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضى عهد على رضى الله عنه وهى على تلك الحال، وقد أفرد الدكتور سعدى الهاشمى عقيدة ابن سبأ والبدع التى نادى بها فى رسالته ابن سبأ حقيقة لا خيال، وذكرها فى كتابه الرواة الذين تأثروا بابن سبأ وأهم البدع التى نادى بها ابن سبأ، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلى، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء على رضى الله عنه بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بالوهية وربوبية على رضى الله عنه، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة على رضى الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله ﷺ، وأول من ادعى أن عليًا رضى الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذى خلق الخلق وبسط الرزق، وقالت السبئية: إنهم يموتون، وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة، وقال قوم منهم -السبئية- بانتقال روح القدس فى الأئمة، وقالوا: بتناسخ الأرواح، وقالت السبئية، هدينا لوحى ضل عنه الناس، وعلم خفى عنهم، وقالوا: إن عليًا فى السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، هذه أبرز البدع التى كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه وصاروا بها من الغلاة(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٤، ١٨٥).

(٢) الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د. سعدى الهاشمى ص (١٩، ٢٠).

إن فرق الشيعة الرافضة، كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنيًا، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن عليًا وصي محمد -كما مر- وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي كما يراه شيوخ الشيعة الروافض، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصية علي عليه السلام[(١)]، وشهدت كتب الشيعة الروافض- كما سيأتي تفصيله بإذن الله- بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه -رضي الله عنهم- والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض في الصحابة كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي[(٢)]، والرجعة من أصول الشيعة الروافض كما سيأتي بإذن الله، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد بن الحنفية[(٣)] في رسالة الإرجاء[(٤)]، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن عليًا -رضي الله عنه- سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو مما ليس عند الناس؟ فنفى ذلك نفيًا قاطعًا[(٥)]، هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الرافضة[(٦)]، وقد وجدت إثر مقتل عثمان -رضي الله عنه- وفي عهد علي -رضي الله عنه- ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه كما مر معنا، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحًا لظهور هذه العقائد، وتمثله في جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسن، كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٣٧)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٧١).

(٢) المقالات والفرق للقمي، ص (٢١)، فرق الشيعة للنوبختي، ص (٢٣)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٩٦).

(٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢).

(٤) رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان لمحمد العدني ص (٢٥٠- ٢٩٤).

(٥) البخاري، كتاب العلم مع الفتح (١/ ٢٠٤).

(٦) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية، (١/ ٩٧).

إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية أكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرافضة اليوم(١).

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي ثم الحسين... الخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث... لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على عليٍّ رضي الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة... الخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، دخيلة على المسلمين -رجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم، ولهذا ذهب ابن تيمية، رحمه الله، إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع(٢).

ثالثاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة:

مرت الشيعة الرافضة في نشأتها بعدة مراحل حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

---

(١) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٩٨).

(٢) منهاج السنة (٤/ ١٤٧)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٠٩).

١- المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ على ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي، في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ- اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته، حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر في كلام الطبري[١]، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله تعالى، وذلك لقرب عهدها بالإسلام فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر، رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم.

ب- إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيداً لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ: فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السير إلى ما عليه رأيهم[٢] يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون[٣].

٢- المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانشغال الصحابة -رضوان الله عليهم- بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ممن أصلهم ابن سبأ، وليست

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).

(٢) المصدر نفسه (٥/٣٤٧).

(٣) المصدر نفسه (٥/٣٤٨).

لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلى بمصيبتهم فى مقتل عثمان، رضى الله عنه، وشاركهم فى دمه من الخوارج المارقين، ومما يدل على ذلك ما نقله الطبرى: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم فى خلطة الناس فصانعوهم[1]، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان فى إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها، يقول ابن حزم مقرراً ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيوف فيهم، فدافع القوم عن أنفسهم[2].

٣- المرحلة الثالثة:

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين -رضى الله عنه- للأخذ بثار الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبرى فى حوادث سنة أربع وستين للهجرة: «وفى هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن على وتكاتبوا فى ذلك[3]» وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبرى من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى أنه قال: ما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم فى مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشيعة: إلى سليمان بن صُرد الخزاعى، وكانت له صحبة مع النبى ﷺ، وإلى المسيب بن نجبة الزارى، وكان من أصحاب على وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى، وإلى عبد الله وال التيمى، وإلى رفاعة بن شداد البجلى، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صُرد وكانوا من خيار أصحاب على، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم[4]، وكان هذا الاجتماع عاما يشمل كافة

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/٥٢٦).

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/٢٣٩).

(٣) تاريخ الطبرى (٦/٤٨٧-٥٠١).

(٤) المصدر نفسه (٦/٤٨٧-٥٠١).

الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفًا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فارسل حكيم بن منقذ فنادى فى الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا[1]، ثم إنه فى هذه الأثناء قدم المختار بن أبى عبيد الثقفى إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيمًا زائدًا، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدى محمد بن على بن أبى طالب وهو محمد بن الحنفية، ولقبه بالمهدى فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، ليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة[2]، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة واقتتلوا قتالاً عظيمًا لمدة ثلاثة أيام، يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل[3]، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد -رحمه الله- وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، ودعوة من بقى من أصحابه إلى الكوفة[4]، وأما المختار بن أبى عبيد الثقفى فلما رجع من بقى من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: «وبعد فانا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فاعدوا واستعدوا وأبشروا[5]» يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه، الذى كان يأتى إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتى إليه شيطان فيوحى إليه قريبًا مما كان يوحى شيطان مسيلمة له[6]، ثم إن

---

(١) البداية والنهاية (٨/٢٥٤).

(٢) المصدر نفسه (٨/٢٥٤).

(٣) المصدر نفسه (٨/٢٥٧).

(٤) المصدر نفسه (٨/٢٥٦، ٢٥٧).

(٥) المصدر نفسه (٨/٢٥٨).

(٦) المصدر نفسه (٨/٢٥٧).

المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات... ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله[1].

٤- المرحلة الرابعة:

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك[2]، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية[3]، **يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة**[4]، وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديًا لانتسابهم إليه[5]، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فاصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها[6]، والله تعالى أعلم.

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها: السبئية، والغرابية، والبياتية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية، والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وبعض هذه الفرق غالت غلوًا عظيمًا، والبعض الآخر أقل غلوًا، ومن أراد الاستزادة فليراجع مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق لأبي الطاهر البغدادي، وفرق معاصرة للدكتور غالب بن علي عواجي وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين.

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٧١).

(٢) تاريخ الطبري (٧/ ١٦٠)، الانتصار للصحب والآل، ص (٤٧).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٤٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦).

(٥) منهاج السنة (١/ ٣٥).

(٦) الانتصار للصحب والآل، ص (٤٨).

المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضة «الإمامة»

يعتقد الشيعة الرافضة الاثنى عشرية أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذى بدأ يشيع القول بأن الإمامة هى وصاية من النبى ومحصورة بالوصى، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم[١]، لأنه كان يهودى الأصل، يرى أن يوشع ابن نون وصى موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب[٢]، وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، فابن بابويه القمى يسجل عقائد الشيعة فى القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبى وصيًا أوصى إليه بأمر الله تعالى[٣]، ويذكر أن عدد الأوصياء مائة ألف وصى، وأربعة وعشرون ألف وصى[٤]، كما ذكر المجلسى فى أخباره: أن عليًا هو آخر الأوصياء[٥]، وجاء فى بعض عناوين الأبواب فى الكافى «باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد[٦]» وباب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً[٧]، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التى يعدونها من الأدلة التى لا يرقى إليها الشك.

ولهذا قال شيخهم، مقداد الحلى «ت ٨٢١» بأن مستحق الإمامة عندهم لابد أن يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أى شخص اتفق[٨]، ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثنى عشرية فى هذا العصر: أن الإمامة منصب

(١) رجال الكشي، ص (١٠١)، المقالات والفرق للقمي، ص (٢٠).

(٢) رجال الكشي، ص (١٠١)، أصول الشيعة (٢/٧٩٢).

(٣) عقائد الصدوق، ص (١٠٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار (٣٩/٣٤٢).

(٦) أصول الكافى (١/٢٢٧).

(٧) المصدر السابق (١/٢٨٦).

(٨) النافع يوم الحشر، ص (٤٧.

إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده[1]، فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحي إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه.. أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ولذلك قال المجلسي: إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال[2]، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة[3]، هذا قولهم في مفهوم الإمامة، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي[4].

أولاً، منزلة الإمامة عندهم وحكم من جحدها:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم[5].. ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر، ففي الكافي روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا -يعني الولاية-[6]، فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، كما يدل عيه قولهم: ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت «الراوي»: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل[7].

---

(١) أصول الشيعة وأصولها، ص (٥٨).
(٢) بحار الأنوار (٢٦/ ٨٢).
(٣) المصدر نفسه (٢٦/ ٨٢).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٩٤).
(٥) غاية المرام للآمدي، ص (٣٦٣)، الاقتصاد للغزالي، ص (١٣٤).
(٦) أصول الكافي (٢/ ١٨)، رقم ٣.
(٧) المصدر نفسه (٢/ ١٨).

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن(١).

ويقول المظفر -وهو من علمائهم المعاصرين-: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين، مهما عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة(٢)، بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عرج بالنبي ﷺ بالولاية لعلي و الأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض(٣).

هذه الروايات الشيعية الرافضية ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضًا للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة، **يقول ابن بابويه القمي** في رسالته الاعتقادات: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد ﷺ(٤)، ويقول يوسف البحراني في موسوعته الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين(٥)، **ويقول المجلسي**: أعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار(٦).

---

(١) مرآة العقول ٧/١٠٢).

(٢) عقائد الإمامية، ص (١٠٢).

(٣) بحار الأنوار (٢٣/٦٩).

(٤) الاعتقادات، ص (١٠٣)، ثم أبصرت الحقيقة، محمد الخضر، ص (١٢٧).

(٥) الحدائق الناظرة (١٨/ ١٥٣.

(٦) بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩٠).

وقال ابن المطهر الحلى: الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبى حى بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص[١].

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفراً من اليهود والنصارى، وقد بنى على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذى أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الرافضة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر[٢]، وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب فى تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من انكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار[٣]، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائرى أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبى ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذى كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعد أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبى، بل نقول: إن الرب الذى خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبى نبينا[٤].

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهى أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من انكر إمامة واحد من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود فى النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية، فتناول تكفيرهم:

١- الصحابة رضوان الله عليهم:

كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رضى الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثنى منهم إلا النزر اليسير الذى لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التى لا تحجب بالتقية[٥]، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية، قال القاضى عبد الجبار: وأما

(١، ٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٦٧).

(٣) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسى فى البحار (٨/٣٦٦).

(٤) الأنوار النعمانية (٢/٢٧٩).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٦٨).

الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثنى عشر النص الجلى، الذى يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفروا لذلك صحابة النبى عليه السلام[1]، وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادى: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم[2] أن الصحابة ارتدت بعد النبى ﷺ سوى على وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم[3]، ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفراً قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب الاثنى عشرية أن الصحابة بسبب توليتهم لأبى بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة على، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون على ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه الأسطورة فى المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك فى أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس[4]، ثم تتابعت كتبهم فى تقرير ذلك وإشاعته، وعلى رأسها الكافى أوثق كتبهم الأربعة، ورجال الكشى[5]، عمدتهم فى كتب الرجال وغيرها من مصادرهم[6]، وسيأتى الحديث عن موقف الشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى.

٢- تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التى تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالى الفريد، ولا تستثنى منهم جميعًا إلا سبعة فى أكثر تقديراتها، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء على فقط، وهى رواية الفضيل بن يسار عن أبى جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: على، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شىء فهؤلاء الثلاثة[7]، فالحكم بالردة فى هذه النصوص شامل للصحابة وأهل البيت

---

(١) شرح الأصول الخمسة، ص (٧٦١).

(٢) تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.

(٣) الفرق بين الفرق، ص (٣٢١).

(٤) كتاب سليم بن قيس، ص (٧٤، ٧٥).

(٥) رجال الكشى، ص (٦، ٧، ٨، ٩، ١١).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٨٠).

(٧) تفسير العياشى (١/ ١٩٩)، البرهان (١/ ٣١٩)، تفسير الصافى (١/ ٣٨٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١).

النبوى من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة[1]، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله، كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذى خصصوه باللعن وبأنه سخيف العقل[2]، كما جاء فى الكافى، وفى رجال الكشى: اللهم العن ابنى فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما[3]، وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوى فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[4]، وبنات النبى ﷺ يشملهن سخط الشيعة الاثنى عشرية وحنقهم، فلا يذكرون فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبى ﷺ ما عدا فاطمة[5] رضى الله عنهن، فهل يحب رسول الله ﷺ من يقول فيه وفى بناته هذا القول[6]؟ وقد نص صاحب الكافى فى رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثنى عشر فهو كافر، وإن كان علوياً فاطمياً[7]، وهذا يشمل فى الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة الإثنى عشر التى لم توجد إلا بعد سنة ٢٦٠هـ، كا باءوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن فى نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[8]، وحفصة، رضى الله عنهن أجمعين، بالذم واللعن والتكفير[9]، وقد عقد شيخهم المجلسى باباً بعنوان «باب أحوال عائشة وحفصة» ذكر فيه سبع عشرة رواية[10]، وأحال

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٩١).

(٢) أصول الكافى (١/٢٤٧).

(٣) رجال الكشى ص (٥٢).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٩٢).

(٥) كشف الغطاء لجعفر النجفى، ص (٥)، أصول الشيعة (٢/٨٩٢).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٩٢).

(٧) أصول الكافى (١/٣٧٢-٣٧٤).

(٨) أصول الكافى (١/٣٠٠)، رجال الكشى، ص (٥٧-٦٠).

(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٩٣).

(١٠) بحار الأنوار (٢٢/٢٢٧-٢٤٧).

فى بقية الروايات إلى أبواب أخرى[١]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺ فى أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا فى أخبارهم من برأها الله من سبع سماوات، عائشة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء فى أصل أصول التفاسير عندهم، تفسير القمى[٢] قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير فى تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذى ذكر فى الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن[٣]، وقال القرطبى: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر[٤].

٣- تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

فى دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكلينى هذا المعنى فى عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثنى عشر حديثًا عن أئمتهم[٥]، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث[٦] وكل خلفاء المسلمين ما عدا عليًا والحسن طواغيت -حسب اعتقادهم- وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحسنون لأهل البيت، ويقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم[٧] رضى الله عنه صاحبها طاغوت[٨]، قال شارح الكافى: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق[٩]، وحكم المجلسى على هذه الرواية بالصحة[١٠]حسب مقاييسهم[١١].

(١) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٥).
(٢) تفسير القمى (٢/ ٣٧٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٩، ٢٩٠)، الصارم المسلول، ص (٥١).
(٤) تفسير القرطبى (١٢/ ٢٠٦).
(٥) الكافى (١/ ٣٧٢-٣٧٤).
(٦) المصدر السابق (١/ ٣٧٤-٣٧٦).
(٧) هو: المهدى المنتظر.
(٨) الكافى: بشرحه للمازندرانى (١٢/ ٣٧١)، بحار الأنوار (٢٥/ ١١٣)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).
(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).
(١٠) مرآة العقول (٤/ ٣٧٨).
(١١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

٤- الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم «يعني شر من النصارى»، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[١]، وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفًا[٢]، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا -ولا سيما في القرون المفضلة- يتأسون بأثر رسول الله أكثر من سائر الأمصار، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[٣]، وقالوا أيضًا عن مصر وأهلها: أبناء مصر لعنوا على لسان داوود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير[٤]، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها(٥)، وقالوا بئس البلاد مصر، إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل[٦]، وقالوا: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة[٧]، وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهـ [٨]، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهله بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين

---

(١) أصول الكافي (٢/٤٠٩).
(٢) المصدر السابق (٢/٤١٠).
(٣) الفتاوى (٢٠/٢٩٩، ٣٠٠).
(٤) بحار الأنوار (٦٠/٢٠٨)، تفسير القمي، ص (٥٩٦).
(٥) تفسير العياشي (١/٣٠٤)، والبرهان (١/٤٥٦).
(٦) تفسير العياشي (١/٣٠٥)، البرهان (١/٤٥٧).
(٧) بحار الأنوار (٦٠/٢١١)، أصول الشيعة (٢/٩٠٠).
(٨) بحار الأنوار (٥/٢٠٨).

العبيديين على يد صلاح الدين الذى طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة فى مصر وأهلها من الباب الذى عقده مسلم فى صحيحه «باب وصية النبى بأهل مصر»[1] وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[2]، ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم وهى قليلة فى تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[3].

٥- قضاة المسلمين:

تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة، بزعمهم، فقد جاء فى الكافى عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة فى دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء: أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم فى حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به[4]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة فى عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم فى قضاة المسلمين فى القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم[5]؟

٦- أئمة المسلمين وعلماؤهم:

حذروا من التلقى عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنا نأتى هؤلاء المخالفين[6]، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة[7]، وجاء فى الكافى عن سدير عن أبى جعفر قال: ... يا سدير

---

(١) مسلم (٢/٢٩٧٠).

(٢) بحار الأنوار (٦٠/٢٠٦)، أصول الشيعة ٢/٩٠١).

(٣) بحار الأنوار (٦٠/٢٠٦)، أصول الشيعة ٢/٩٠١).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٠٢)، أصول الكافى (١/٦٧).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٠٢).

(٦) هذا اللقب يطلق على أهل السنة، وقد يتناول كل مخالف.

(٧) بحار الأنوار (٢/٢١٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٠٥).

فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم، فجال الناس، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله(١).

وقد بين ابن تيمية -رحمه الله- موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين فيكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وغير هؤلاء، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى، لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محققيهم -عندهم- يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي ﷺ مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله.. ومنهم من يرى أن فرج النبي ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطئ الكوافر على زعمهم، لأن وطء الكوافر حرام عندهم(٢).

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعاً ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان في قلبه على المسلمين أغل(٣).

---

(١) أصول الكافي (١/٣٩٢، ٣٩٣)، أصول الشيعة (٢/٩٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٦١، ٢٦٢).

(٣) الإبانة لابن بطة، ص (٤١).

فإذا لم يرض عن أبى بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار، وهم فى الذروة فى الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟ ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة، رضوان الله عليهم، أنكروا النص، وسيأتى بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة -بإذن الله- وما بنى على الباطل فهو باطل، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه[1]، ولذلك قال أحمد الكسروى الإيرانى والشيعى الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبى ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبى آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى فى خلافة أبى بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأى الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوى الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب[2].

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شىء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول واصفًا كتابه بأنه لم يفرط فى قضية يقوم عليها الدين بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم «القرآن الكريم» يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثنى عشرية أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية الرافضة أعظم أركان الدين!! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ويُصنّف أنواع المحرمات من الطعام والشراب ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم تارةً أخرى ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة الاثنى عشر التى يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهى كالنبوة»؟! إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط فى قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط فى قضية الإمامة النصية التى تذكرها الشيعة الإمامية ثم يتركها لعلمائهم لكى يصيغوها ويحددوا معالمها مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم[3].

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩١٦).

(٢) التشيع والشيعة، ص (٦٦)، أصول الشيعة (٢/٩١٦).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم، ص (١٣٠).

ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة، وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي، ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بان كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان(١)، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتاديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب(٢)، وقال ابن المطهر الحلي: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً وخالف فيه جميع الفرق(٣).

وقد نص عل ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية، رضي الله عنهم، اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمداً ولا نسيانًا ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه(٤).

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس -كذبًا وزورًا- انه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون(٥)، وقال أيضًا في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لا يذنبون، لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،

---

(١) دراسات عن الفرق، د. أحمد جلي، ص (٢٠٣)، مسالة التقريب (١/ ٣٢٢).

(٢) أوائل المقالات للمفيد، ص (٣٥).

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص (٩٠).

(٤) بحار الأنوار (٩/ ٢٠٥).

(٥) إكمال الدين للصدوق، ص (٤٧٤).

ومن نفى عنهم العصمة فى شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر[1].

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون فى ذلك، وفى ذلك يقول محمد رضا المظفر: «ونعتقد أن الإمام كالنبى يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان[2]» وقد نص على ذلك الزيجانى فى عقائد الإمامية[3]، كما نص عليه أيضًا على البحرانى فى منار الهدى[4]، والسيد مرتضى العسكرى فى معالم المدرستين[5]، إلا أن هناك آثارًا فى المذهب الشيعى الإمامى تخالف ما ذهبوا إليه، ولذلك احتار المجلسى، وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة فى غاية الإشكال، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز[6]، وهذا اعتراف من المجلسى بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعى واعتراف صريح فى أنهم يجمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم[7].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة، أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم فى تحديدها –فى أول الأمر– فمثلاً فى عصر أبى جعفر بن بابويه القمى ت ٣٨١ هـ وشيخه محمد بن الحسن القمى، كان رأى جمهور الشيعة أن أول درجة فى الغلو هى نفى السهو عن النبى ﷺ[8]، فكانوا يعدون من ينفى السهو عن النبى ﷺ من الشيعة الغلاة، ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفى السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم، وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفى السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة فى الكوفة، ففى البحار للمجلسى: أنه قيل للرضا –إمام الشيعة الثامنة– إن فى الكوفة قومًا يزعمون أن النبى

---

(١) نقل ذلك عن الزنجانى فى عقائد الإمامية الإثنى عشرية (٢/١٥٧).

(٢) عقائد الإمامية، ص (١٠٤).

(٣) العقيدة فى أهل البيت، ص (٣٧١).

(٤) منار الهدى، ص (١٠٢).

(٥) معالم المدرستين، ص (١٥٩).

(٦) البحار (٢٥/٣٥١).

(٧) مسألة التقريب (١/٣٣٠).

(٨) شرح عقائد الصدوق للمفيد، ص (١٦٠، ١٦١).

ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا، لعنهم الله، إن الذى لا يسهو هو الله لا إله إلا هو[١]، فهذا يدل على أن عقيدة نفى السهو كانت معتقد قوم غير معنيين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وانهم كانوا ينفون السهو عن النبى ﷺ الذى هو أفضل الائمة، ولم يقولوا بذلك للائمة، ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الاثنا عشر وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وآيتها العظمى عبد الله المقانى: يؤكد ان نفى السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعى[٢]، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلواً، لكنه يقول إن ما يعتبر غلواً فى الماضى أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعى[٣]، وإذ كان دعوى عصمة الأئمة تعنى مضاهاتهم للرسول فإن نفى السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن على الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمى وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم[٤]، وإذا كان شيخهم المعاصر الممقانى يرى أن نفى السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعى، ومنكر الضرورى كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين[٥]، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقانى يرى أن نفى السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعى، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك[٦] فإننا نجد فى بعض الكتابات الموجهة لديار السنة[٧]، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة[٨]، وهكذا يكفر بعضهم بعضاً، ويناقض بعضهم، وكل يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة[٩]، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية –كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى– وذلك أن وقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم، فإذا

---

(١) البحار (٢٥/ ٣٥٠).

(٢) تنقيح المقال (٣/ ٢٤٠).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٤٠)، مسالة التقريب (٢/ ٩٧).

(٤) مسالة التقريب (٢/ ٩٨).

(٥) كشف الارتياب المقدمة الثانية ومهذب الأحكام (١/ ٣٨٨، ٣٩٣).

(٦) صراط الحق (٣/ ١٢١)، مسالة التقريب (٢/ ٩٨).

(٧) مسالة التقريب (٢/ ٩٨).

(٨) الشيعة فى الميزان، محمد جواد ص (٢٧٢، ٢٧٣).

(٩) مسالة التقريب (٢/ ٩٨).

حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة(1).

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم ان ما يصدر عن أئمتهم الاثنى عشر هو كقول الله ورسوله، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله ﷺ، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع(2).

١- استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للاثنى عشر أصلاً -كما مر- فضلاً عن عصمتهم، إلا أن الاثنى عشر تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب ... لزوم عصمة الإمام(3) وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين(4)، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة(5)، ويتولى صاحب مجمع البيان سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على ان الإمام لا يكون إلا معصومًا من القبائح؛ لأن الله -سبحانه- نص أن لا ينال عهده - الذي هو الإمامة(6)- ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالمًا، إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل إنما نفى أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالمًا فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالمًا، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بانه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت

---

(١) مسألة التقريب (١/ ٣٢٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٢٤).

(٣) بحار الانوار (٢٥/ ١٩١).

(٤) اعيان الشيعة (١/ ٤٥٨).

(٥) اصول الشيعة، ص (٥٩).

(٦) اختلف السلف في معنى العهد -كما سيأتي - ولكن الروافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.

دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد(١).

نقد استدلالهم:

أ- اختلف السلف في معنى العهد على أقوال:

قال ابن عباس والسدى: إنه النبوة، قال: «لا ينال عهدى الظالمون» أى نبوتى، وقال مجاهد: الإمامة، أى لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعى وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمين فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم، فآمن به وأكل وعاش.. قال الزجاج: وهذا قول حسن، أى لا ينال أمانى الظالمين، أى: لا أؤمنهم من عذابى، والمراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذى عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.. وروى عن ابن عباس -أيضًا-: لا ينال عهدى الظالمين قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه(٢)، فالآية كما ترى، اختلف السلف فى تأويلها فهى ليست فى مسألة الإمامة أصلاً فى قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة(٣).

ب- لو كانت الآية فى الإمامة فهى لا تدل على عصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو.. إلخ كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة، إذ يكون قياس مذهبهم من سها فهو ظالم ومن أخطأ فهو ظالم... وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام، فبين إثبات العصمة، ونفى الظلم فرق كبير؛ لأن نفى الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية(٤).

جـ- لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلمًا ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه، ولا تجدى التوبة فى رفعه، فإن أعظم الظلم الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم

---

(١) مجمع البيان للطبرسى (١/٢٠١)، التبيان للطوسى (١/٤٤٩).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٥٠)، أصول الشيعة (٢/٩٥٣).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٥٣).

(٤) المصدر نفسه (٢/٩٥٣).

بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ثم فسر الظلم بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، لكن قياس قول هؤلاء أن من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك لأن الظلم هو الشرك[١]، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة؛ أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم.. وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ. وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس وأيضًا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافرًا قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به[٢]، ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم ممن لم يقع فيه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل[٣]، كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين، وكذلك الشيعة وأهل البيت -إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم- جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظلم اسم ذم فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

د- ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة الاثني عشرية بهذه الآية، حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه -تعالى- من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا[٤].

---

(١) هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك، والشرك لم ينفك عنهما بعد إيمانهما في زعمهم، ولذلك قال الكليني: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم، أصول الكافي (١/١٩٩).

(٢) روح المعاني للألوسي (١/٣٧٧).

(٣) منهاج السنة (١/٣٠٢، ٣٠٣).

(٤) الثمرات اليانعة، يوسف بن أحمد الزيدي، مخطوطة نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٥٥).

٢- آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]، وقد تعمد علماء الشيعة الاثنى عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذى جاءت فيه والذى خاطب الله به نساء النبى ﷺ إغفالاً لنساء النبى ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين عائشة[١]، قالت: خرج النبى ﷺ غداةً وعليه مرط[٢] مرحل[٣] من شعر أسود فجاء الحسن بن على، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير[٤]. لتثبيت المعنى الذى يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[٥]، ويرى علماء الشيعة الاثنى عشرية أن فى آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء على وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها، بل ومن الخطأ والسهو البشرى[٦].

● **نقد لاستدلالهم من وجوه:**

أ- حديث أم سلمة المذكور آنفًا قد ورد بعدة صيغ:

فروى عن أم سلمة أنها قالت: كان النبى ﷺ عندى وعلى وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال:

---

(١) عائشة التى يدعون أنها تبغض عليا هى التى تروى هذا الفضل لعلى وفاطمة.

(٢) مرط: يعنى كساء.

(٣) مرحل: وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل.

(٤) سنن الترمذى، كتاب المناقب رقم: (٣٧٨٨).

(٥) ثم أبصرت الحقيقة. ص: (١٧٦).

(٦) المصدر نفسه، ص: (١٧٦).

اللهم هؤلاء أهل بيتي، اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رءوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل بيتي.، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[1]، وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير[2]، وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[3]، ولعل التعليل في ذلك انه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وائتني بابنيه، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفه رسول الله ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت يا رسول الله: ألست من أهلك قال: بلى فادخلي

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص: (١٧٧).

(٢) فضائل الصحابة (٢/٢٢٧)، رقم: (١٩٩٤)، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص: (١٧٧).

في الكساء، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[1]، فيشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[2].

ب- ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب- في الآيات- كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين – رضي الله عنهم- أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [هود: ٧٣]، والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت[3].

---

(١) فضائل الصحابة (٢/٨٥٢)، رقم: (١١٧٠)، إسناده حسن.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص: (١٧٨).

(٣) الإمامة والنص، فيصل نور، ص: (٣٨٦).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]، والمخاطب هنا أيضًا زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة -رضي الله عنها- على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية[١].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٤]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ أي زوجتك، وهذا بين[٢].

جـ- إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى العصمة: يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس، الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]. والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجسًا من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] قيل الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: أو لحم خنزير فإنه رجس وبالجملة فلفظ «الرجس» أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولم يثبت أن استخدام

---

(١) الإمامة والنص، ص (٣٩١).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٩٣).

القرآن لفظ «الرجس» بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته(١).

د- التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة «الرجس» لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله -عز وجل- يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]. وقال عز من قال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيره، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ [الأنفال: ١١]، ولم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وبين قوله في أهل بدر: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى، والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية(٢)، ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور.

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨١).

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨٢).

هـ- الإرادة فى الآية إرادة شرعية، وهى غير الإرادة القدرية، يعنى يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

- **إرادة شرعية دينية**: وهى تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].

- **إرادة قدرية كونية خلقية**: وهى التى بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة فى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، فالمعاصى إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التى تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التى لا يلزم منها المحبة والرضا(١)، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى وزوجات النبى ﷺ، ولكن الإرادة فى هذه الآية، إرادة شرعية، ولذلك جاء فى الحديث أن النبى ﷺ لما جللهم بالكساء قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس(٢).

و- دعاء النبى ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: اللهم إن هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس(٣)، بل فى هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت فى نساء النبى ﷺ، وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الربانى عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم(٤)، فطهرهم كما طهر الله نساء النبى بنص الآية.

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد بن عبد الله، ص (٣٨٧)

(٢) سنن الترمذى، كتاب مناقب أهل البيت رقم (٣٧٨٧).

(٣) سنن الترمذى، كتاب مناقب أهل البيت (٣٧٨٧)، صححه الألبانى.

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص(٨٢).

ز- من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين، رضي الله عنهم، من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة، رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة، رضي الله عنها، كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم(١).

٣- أدلتهم من مروياتهم:

إن الاثنى عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب الكافي، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء الاثني عشرية العصمة المزعومة، وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثًا وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل، أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخباراً بسنده عن الاثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون، بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية، وتجد ذلك في الكافي في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة الاثني عشر كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكاليف، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله ﷺ ما لرسول الله ﷺ(٢)، ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله ﷺ إلى مقام رب العالمين، حيث تقول بأن عليًا قال: أُعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا.. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني(٣)، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، والذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته شيء هو الخالق -جلا وعلا- قال تعالى: ﴿لا

---

(١) الإمامة والنص، ص (٣٨٧).

(٢) أصول الكافي (١/ ١٩٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٩٧).

﴿يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ومن تتبع أبواب الكافي في هذا المعنى، يلاحظ بأنها لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار[١].

٤- أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا: إن الأمة لابد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه.. الخ[٢].

والحقيقة غير هذا تمامًا، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيًا يبين الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن لأحد منهم أن يبدل شيئًا من الدين إلا أقام الله من يبين خطاه فيما بدله، ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فعصمة الأمة وحفظها من الضلال -كما جاءت بذلك النصوص الشرعية- تخالف تمامًا من يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين- إذا لم يكن فيهم معصوم- الخطأ[٣]، وكل ما سطروه وملئوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ﷺ ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ولا ترد إلى الإمام ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال العلماء: إلى كتاب الله، وإلى نبيه ﷺ، فإن قبض فإلى سنته[٤]، وهي بهدى الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها

---

(١) أصول الشيعة الإمامية ٢/٩٥٨.

(٢) كشف المراد لابن المطهر ص: ٣٩٠-٣٩١ نهج المسترشدين ص: ٦٣، الشيعة في عقائدهم، ص (٣٦٨، ٣٦٩).

(٣) المنتقى، ص: (٤١٠)، أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٥٨، ٩٥٩).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٤/٢٦٤).

لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة، ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، إلى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يقل - سبحانه: «والأئمة» وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة[١]، كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين، لما فى ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذى سلطان كما كان النبى ﷺ بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذى يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا على -رضى الله عنه-، ومن المعلوم أن المصلحة واللطف الذى كان المؤمنون فيه زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذى كان فى خلافة على زمن القتل والفتنة والافتراق[٢] أما من دون على فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان على بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان فى زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوى الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل، وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه فى الإسلام والدين ما فى أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.. ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة[٣].

٥- نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهى المشاركة فى النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه فى كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف فى شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما

---

(١) الفتاوى (١٩/٦٦).
(٢) منهاج السنة (٢/١٠٤).
(٣)منهاج السنة (٣/٢٤٨).

أنزل إليهم فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون، فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون.. فمن جعل بعد الرسول معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها(١)، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

- **أما القرآن فقال سبحانه:** ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه؛ فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ﷺ(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، فدل القرآن -في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص -سوى الرسول ﷺ- فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى(٣).

- **والسنة المطهرة دلت على ذلك**، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقض مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في نهج البلاغة الذي تعتمده الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين -كما يرى صاحب النهج-: «لا تخالطوني بالمصانعة،

---

(١) منهاج السنة (٣/ ١٧٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٠٥).

(٣) المصدر نفسه (٣/١٧٥).

ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي[1]». فهو هنا لم يدع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ، بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية، بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، كل فرد لوحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة[2]، وجاء في نهج البلاغة -أيضًا-: «لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوى[3]» فانت تر أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لابد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل أنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية -كما تقول كتب الشيعة- ولم يحصر الإمارة في الاثنى عشر المعصومين عند الشيعة ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر[4]؟!.. لأن الإمامة الشرعية محصورة في الاثنى عشر؟! **وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها**، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في نهج البلاغة: «اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت[5] من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، وهفوات اللسان[6]»، فانت ترى الإقرار بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان.. كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من

(١) نهج البلاغة، ص (٣٣٥).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٦٤).
(٣) نهج البلاغة، ص (٨٢).
(٤) فصل الغيبة والمهدية، ص (٨٢٤).
(٥) وأيت: وعدت.
(٦) نهج البلاغة ص (١٠٤).

العصمة، إذ لو كان على والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثًا، فكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله، سبحانه، من الذنوب والمعاصى، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب[1]، ولقد احتار شيوخ الشيعة فى توجيه مثل هذه الأدعية والتى تتنافى ومقرراتهم فى العصمة[2].

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف، بل يصدق بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض، والاختلاف ناقض للعصمة التى هى شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالى لأصل الإمامة نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف فى أعمال الأئمة كانت سببًا مباشرًا لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع حيث رابهم أمر هذا التناقض ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمى والنوبختى من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين، رضى الله عنهما، لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قتل وقتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب، لأن الحسين كان أعذر فى القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن فى القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا فى إمامتهما ورجعوا فدخلوا فى مقالة العوام[3]، وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض فى أقوال الأئمة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة من التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسى، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وعد ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعى، ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب، كتابا التهذيب

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٦٥).

(٢) المصدر نفسه (٢/٩٦٦).

(٣) المقالات والفرق للقمى، صط (٢٥)، فرق الشيعة للنوبختى، ص (٢٥، ٢٦).

والاستبصار -وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة- يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة، وقد حاول الطوسى درء هذا الاختلاف ومعالجته هذا التناقض بحمله على التقية فما أفلح إذ زاد الطين بلة، علماً بأن الطوسى هو الذى كان يوجه الروايات فيقول هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل، والمتفق عليه أن الطوسى نفسه ليس بمعصوم، وبالضرورة سوف يخطئ فى توجيه بعض هذه الروايات فيجعل ما ليس بتقية تقية والشيعة يتبعونه فى توجيه هذا، وبالتالى يتضح أن الشيعة يتبعون فى تدينهم أمثال الطوسى، ولا يتبعون المعصوم فى دينهم، وقد أوجد الشيعة الرافضة عقيدة التقية والبداء -وسيأتى بيانهما بإذن الله- لتغطية هذا الاختلاف فى أخبار الأئمة وأعمالهم.. فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً، وهما القول بالبداء وإجازة التقية.

- **وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة** وهو أن المعصوم الذى يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف فى أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين يكفر بعضهم بعضاً لاختلافهم فى عدد الأئمة، وفى تحديد أعيانهم، وفى الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضى إلى إمام آخر... هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة فى الكثير من أمور الدين -أصوله وفروعه- فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف.. وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم فى عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلى منذ عام ٢٦٠هـ.. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود، إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم فى واقع الشيعة، ويتمثل فى جوانب منها:

١- عملهم بما يؤثر عن الأئمة الاثنى عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة.

٢- غلوهم فى قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو فى عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو فى قبورهم ومشاهدهم فيطاف بها وتدعى من دون الله.

٣- أن المجتهد الشيعى أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.

٤- حمل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به[١] الذى ليس له علاقة بأمير المؤمنين على وأولاده وأحفاده الأطهار رضى الله عنهم.

ثالثا: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية:

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتى بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات فى ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر، رحمه الله، أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهى إلى صاحبها[٢].

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١- على بن أبى طالب رضى الله عنه المرتضى ت٤٠ هـ.

٢- الحسن بن على رضى الله عنه الزكى ت٥٠هـ.

٣- الحسين بن على رضى الله عنه سيد الشهداء ت٦١هـ.

٤- على بن الحسين زين العابدين ت٩٥هـ.

٥- محمد بن على الباقر ت١١٤هـ.

٦- جعفر بن محمد الصادق ت١٤٨هـ.

٧- موسى بن جعفر الكاظم ت١٨٣هـ.

٨- على بن موسى الرضا ت٢٠٣هـ.

٩- محمد بن على الجواد ت ٢٢٠هـ.

١٠- على بن محمد الهادى ت٢٥٤هـ.

١١- الحسن بن على العسكرى ت٢٦٠هـ.

١٢- محمد بن الحسن المهدى ت ٢٦٥هـ.

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٩-٩٧٣).

(٢) الإمامة والنص، فيصل نور، ص (٨).

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه، ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[1]، إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية وهي أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي» من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله ﷺ وكان عليًا عليه السلام[2]، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا في خلافة أبي بكر ولا في عمر، رضي الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة قد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي -وقد مر ذلك معنا- ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة -رضي الله عنهم- ومنهم علي رضي الله عنه نفسه، والأدلة كثيرة منها:

١- ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي[3].

وتصريح عائشة، رضي الله عنها ،أن النبي ﷺ لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي ﷺ وآله توفى في حجرها ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[4].

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).

(٢) أصول الكافي ٢/ ١٦، ١٧.

(٣) البخاري، رقم: (٤٧١)، كتاب الوصايا.

(٤) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١/ ١٩٠).

٢- وعن ابن عباس قال: إن عليًا بن أبي طالب -رضي الله عنه- خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ(١)، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة -رضوان الله عليهم- على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه، ولما عبرت الأنصار عن رأيها -في السقيفة- بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير(٢)، ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله ﷺ في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يدعي من النص دعوة لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على عليٍّ مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة(٣).

٣- سئل علي رضي الله عنه أخصكم رسول الله ﷺ بشيء فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: « **لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا**»(٤). قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته، وبعد وفاته من أن يفتأتوا عليه فيقدموا غير من قدمه،

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم (٤٤٤٧).

(٢) البخاري، كتاب الحدود، رقم (٦٨٣٠).

(٣) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي ناصر فقيهي، ص (٢٣٨).

(٤) مسلم (٣/١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨).

ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا؟ ومن ظن بالصحابة- رضوان الله عليهم- ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم من حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[1]، قال النووى: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلى وغير ذلك من اختراعاتهم[2].

٤- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر على يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر، فاقام واستقام حتى مضى لسبيله[3].

٥- روى أبو بكر البيهقى بإسناده إلى شقيق ابن سلمة، قال: قيل لعلى بن أبى طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ، فاستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[4]، فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضى الله عنه أنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لاصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم على وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[5].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة، وأن ما أعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ، الذى هو أول من أحدث الوصية ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتانًا إلى النبى ﷺ، وهدفهم من ذلك الطعن فى الصحابة، رضوان الله عليهم، بمخالفتهم أمر الرسول ﷺ وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[6]، قال ابن تيمية -رحمه الله- فى رده على الحلى: وأما النص على على فليس فى شىء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم،

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٢١).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٥١).

(٣) الاعتقاد، ص (١٨٤)، وقال البيهقى فى دلائل النبوة: سنده حسن.

(٤) الاعتقاد، ص: (١٨٤)، إسناده جيد.

(٥) عقيدة اهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٢٠).

(٦) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٦٥).

ما وجدنا قط روايه عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكن أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق[1]، وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[2]، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين على ثم عمموها على آخرين من سلالة على والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[3]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن على بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إمامًا مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك على بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق على من حر اللقمة، ولا يشفق على من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة[4]، وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[5]، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩هـ[6]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[7]، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعى الصلة بأهل البيت. أمثال شيطان الطاق وهشام

---

(١) المنهاج ٨/٣٦٢، الفصل (٤/١٦١).

(٢) المنهاج (٧/٥٠).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٠).

(٤) رجال الكشي، ص (١٨٦).

(٥) مجلة الفتح، ص (٥)، العدد (٨٦٢)، عام ١٣٦٧هـ.

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٣).

(٧) بحار الأنوار (١٠٠/٢٥٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٥).

بن الحكم[١]. ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة. قال في مختصر التحفة: أعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم سبعة، وبعضهم: ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر[٢].

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشيء الأكبر، أو الزينة لأبي حاتم الرازي، أو من كتب الاثني عشرية مثل، المقالات والفرق للأشعري القمي، وفرق الشيعة للنوبختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم، ولذلك يكفر بعضهم بعضاً، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً[٣] إما الاثنا عشرية فقد استقر قولها - فيما بعد- بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، ولم يكن في العترة النبوية بنو هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم- من يقول بإمامة الاثني عشرة[٤] إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري[٥].

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها، في كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول[٦]، وإن الآفاق قد اغامت[٧]، والمحجة[٨] قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت لكن ما اعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لك

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٦).
(٢) مختصر التحفة، ص (١٩٣).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٧).
(٤) مناهج السنة (٢/١١).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٨).
(٦) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.
(٧) أغامت: غطيت بالغيم.
(٨) المحجة: الطريق المستقيمة.

منى أميراً[١] فلو كانت إمامة على منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلى بن أبى طالب تحت أى ظرف من الظروف أن يقول للناس «دعونى والتمسوا غيرى ويقول (أنا لكم وزيراً خير منى أميراً) كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[٢]. ويقول فى النهج كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول: «إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[٣]». وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

أ- الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسو الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.

ب- اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

جـ- لا تنعقد الإمامة فى زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

د- لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغى المتبع غير سبيل المؤمنين. فاين هم الشيعة الاثنا عشرية عن هذه التصريحات الهامة[٤].

إن مسألة النص لا تثبت باى وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثنى عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم فى حدود النيابة[٥] وفى هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذى هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق

---

(١) نهج البلاغة خطبة، رقم ٩٢، ص (٢٣٦).

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٥٨).

(٣) نهج البلاغة: كتاب إلى معاوية، رقم (٦) ص (٥٢٦).

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٦١).

(٥) الحكومة الإسلامية للخمينى، ص (٦٨)، أصول الشيعة (٢/٨١٤).

الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[1].

ما يحتج به الاثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم في قريش[2]، وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة**». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال: فقال: **كلهم في قريش**»[3]. وفي لفظ: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة[4] وفي لفظ آخر: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً[5]، وعند أبي داود: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الامة[6]. وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج[7].

يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة[8]، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثنى عشر وصفوا بانهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعى الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثنى عشر -في نظر الشيعة أنفسهم- بل ما زال أمر الأمة فاسداً..

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني، ص ٢٤٨، أصول الشيعة (٢/٨١٤).

(٢) البخاري، ك الأحكام، باب الاستخلاف (٨/١٢٧).

(٣) مسلم، ك الإمارة، باب الناس (٢/١٤٥٣).

(٤) المصدر نفسه (٢/١٤٥٣).

(٥) المصدر نفسه (٢/١٤٥٢).

(٦) سنن أبي داود، ك المهدي (٤/٤٧١).

(٧) سنن أبي داود (٤/٤٧٢)، فتح الباري (١٣/٢١١).

(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٥).

ويتولى عليهم الظالمون، بل الكافرون[١]، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية[٢]، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[٣]، فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري[٤]، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى[٥]. فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نبوة، منه بأن الإسلام لا يزال عزيزًا في عصر هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة[٦]، ولهذا قال ابن تيميه: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش. ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك[٧].

ثم إنه قال في الحديث: كلهم من قريش[٨]، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده: ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، الا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل، ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقًا علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم وبنو عدى، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[٩]، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء[١٠].

---

(١) منهاج السنة (٤/٢١٠)، المنتقى، ص (٥٣٣).
(٢- ٦) اصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٦).
(٧) منهاج السنة (٤/٢٠٦).
(٨) مسلم (٢/١٤٥٣).
(٩) منهاج السنة (٤/٢١١).
(١٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٨).

أدلتهم من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص، عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين على رضى الله عنه، وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة الشنيعة، وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم فى ذلك، وما أوردوه فى هذا الشأن واضح البطلان، واستدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ- إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى، كآية التطهير والمباهلة، وحديث الراية، وحديث خم وغيرها من الأحاديث.

ب- أو أن تكون أحاديث موضوعة، والموضوع لا تقوم به حجة ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام، وقد ذكر ابن تيمية: اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب[1]، وإليك بعض الأمثلة فى استدلالهم بالقرآن:

١- آية الولاية، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥]. ذكروا فى تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها فى إمامة على، قال شيخ الطائفة -كما يلقبونه- الطوسى: وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥][2]. وقال الطبرسى: وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة على بعد النبى ﷺ بلا فصل[3] ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم حيث يجعلون له الصدارة فى مقام الاستدلال فى مصنفاتهم[4]، وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت فى على لما تصدق بخاتمه

---

(١) منهاج السنة (١/ ٥٩).

(٢) تلخيص الشافى (٢/ ١٠) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٢).

(٣) مجمع البيان (٢/ ١٢٨) نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية.

(٤) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٨١، ٨٢)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣).

على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة[1]، و«إنما» للحصر باتفاق أهل اللغة، والولى بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة[2]، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روى في سبب نزولها، لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم، يتبين هذا بالوجوه التالية:

أ- أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في على هو من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في على بخصوصه، وأن عليًا لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع[3]. وقوله: إنها مذكورة في الصحاح[4] الستة، كذب، إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة، وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في على حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها[5]، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق على بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الركوع فإنما هو للثعالبي[6]، فقط وهو متفرد به ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعلبي قدر شعيرة، ولقبوه بحاطب ليل، فإنه لا يميز الرطب من اليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من أوهى ما يروى في التفسير عندهم[7]، وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما

---

(1) أصول مذهب الشيعة (2/823).

(2) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (1/81، 82)، نقلاً عن المرجع السابق (2/823).

(3) منهاج السنة (4/4).

(4) أصول مذهب الشيعة (2/824).

(5) تفسير ابن كثير (2/76، 77).

(6) مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص (141، 142).

(7) المصدر نفسه، ص (141، 142)، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص (473).

وانظر: أسباب النزول للواحدي تحقيق أيمن شعبان، ص (163).

* اليهود في السنة المطهرة (1/282)، ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد، وانظر مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير لأحمد محمد شاكر (1/701) فقد قال أحمد شاكر فيمن قال نزلت في على رضي الله عنه، بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، أى والحال أنهم خاضعون فى كل شئونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى فى أول الآيات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول، لأنه كان مواليًا لبنى قينقاع ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبى ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم، وذهب إلى النبى ﷺ يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت - رضى الله عنه وأرضاه - فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت فى عبادة بن الصامت(١).

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهى عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضًا - بعد معرفة سبب النزول الحقيقى - بوضوح من سياق الآيات، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فهذا نهى صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنفرة.. ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التى نهى عنها فى الأولى هى بعينها التى أمر بها المؤمنون فى هذه الآية بحكم المقابلة كما هو بين جلى من لغة العرب(٢)، قال الرازى: لما نهى فى الآيات المتقدمة عن

(١) رواه هشام فى السيرة فى أمر بنى قينقاع (٢/٤٩) عن عبادة بن الوليد ورواه ابن جرير فى تفسيره فى تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾ (تفسير الطبرى ٦/١٧٨) ورجال إسناده من طريق ابن جرير موثوقون، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل، فإن عبادة بن الوليد تابعى جليل روى عن أبيه وحده وغيرهما وهو ثقة (التهذيب ٥/١١٤).

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/٨٢٦).

موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته[1] وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفًا عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين[2].

ب- إن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحبًا لفعله الرسول ﷺ ولحض عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة لشُغْلا، وإعطاء السائل لا يفوت، إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم[3].

جـ- أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال: لا وليَّ إلا الذين يتصدقون في حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي، قيل له: أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟ وجمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة[4].

د- وقولهم: إن عليًا أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه فنزلت الآية مخالفة للواقع، ذلك أن عليًا رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي ﷺ، فإنه كان فقيرًا، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً وعلي لم يكن من هؤلاء[5].

هـ- إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟ لا شك أن الأول الأفضل[6].

و- قولهم: (إن المراد بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الإمارة -لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متول على عباده،

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١٢/٢٥).

(٢) منهاج السنة (٤/٥).

(٣) المصدر نفسه (١/٢٠٨) (٤/٥).

(٤) المصدر نفسه (٤/٥)، أصول مذهب الشيعة (٢/٨٢٥).

(٥) أصول مذهب الشيعة (٢/٨٢٥).

(٦) حقبة من التاريخ، ص (١٩٣).

وأنه أمير عليهم، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولى مثل على وغيره أمير المؤمنين[1]، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليًا فقد بارزه بالمحاربة[2]، فهذه الولاية هى المقصودة فى الآية، وقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أى خاضعون لربهم منقادون لأمره، والركوع فى أصل اللغة بمعنى الخضوع، أى يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فى حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله[3]، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وهو خر ساجدًا، وإنما سمى راكعًا للذل والخضوع لله تبارك وتعالى، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، أى اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى[4].

ز- وأما استدلالهم بأداة الحصر (إنما) وأن المراد على رضى الله عنه بالخصوص، فهذا الدليل كما يدل على نفى إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية فى بعض الأوقات أعنى وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده، وافقوا أهل السنة فى أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إمامًا لا قبله[5]، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم -كما يقول شيوخهم- تبين أنهم ليسوا على شيء، ذلك أن الأصل أن يستعمل فى هذا الأمر العظيم- والذى هو عند الروافض أعظم أمور الدين، ومنكره فى عداد الكافرين- صيغة واضحة جلية، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم، يدركها العامى، كما يدركها العالم، ويفهمها اللاحق، كما يفهمها الحاضر، ويعرفها البدوى، كم يعرفها الحضرى، فلما لم يستعمل مثل ذلك فى كتاب الله دل أنه لا نص كما يزعمون[6]، وهذه أقوى آية يستدلون بها

---

(١) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٧).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٨٢٧).

(٣) الكشاف للزمخشرى (١/ ٦٢٤)، تفسير الرازى (١٢/ ٢٥).

(٤) حقبة من التاريخ، ص (١٩٤).

(٥) أصول مذهب الشيعة، ص (٨٢٥).

(٦) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٩).

من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية، ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عنها ابن تيميه بأجوبة جامعة(١).

٢- آية المباهلة:

إن آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليلاً آخر عند الشيعة الاثني عشرية على الإمامة، وهي قول الله عز وجل ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦١]. ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقوله: ﴿ **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ لأنه أراد بقوله: ﴿ **أَبْنَاءَنَا** ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام وبقوله: ﴿ **وَنِسَاءَنَا** ﴾ فاطمة وبقوله: ﴿ **وَأَنْفُسَنَا** ﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام.. وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد(٢).

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثنا عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب.

أ- إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفسي) التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي ﷺ بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافقاً للدين، قال الزبيدي:

---

(١) وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك، مع الشيعة الاثني عشرية (١/٥٥ إلى ١١١).

(٢) تفسير التبيان للطوسي (٣/٤٨٥).

قال ابن خالويه: النفس: الأخ، قال ابن برى: وشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وفسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أى بأهل الإيمان وأهل شريعتهم[١]، قال الدهلوى: معنى (ندع أنفسنا) نحضر أنفسنا، وأيضًا لو قررنا الأمير -أى الإمام على- من قبل النبى ﷺ لمصداق ﴿أَنفُسَنَا﴾ فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فى أنفس الكفار مع أنهم مشتركون فى صيغة ﴿نَدْعُ﴾ ولا معنى لدعوة النبى إياهم وأبناءهم بعد قوله تعالوا[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]. نزلت فى أم المؤمنين عائشة فى حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، أى يقتل بعضكم بعضًا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، أى لا يُخرج بعضكم بعضًا، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما فى النسب وإما فى الدين[٣]. وقد قال الله عز وجل فى رسوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وفى هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى: ﴿أَنفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذى يقول بأن نفس رسول الله ونفس كفار مكة -عياذًا بالله سواء؟!![٤].

وهنا تظهر المزاجية فى تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص، ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون فى معناها إلى حد قولهم بأن عليًا هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أن إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف

---

(١) تاج العروس (١٦/ ٥٧٠)، ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨٨).

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص (١٥٦).

(٣) مختصر منهاج السنة (١/ ١٦٧، ١٦٨).

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨٨).

عليه بين العرب، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، وقال: وأنا أول ما أخاصمكم فيه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي؟[١].

ب- اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضي أن قوله تعالى: ﴿أَنفُسَنَا﴾ لا يعني أن عليًا رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة، يقول الشريف الرضي: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، أراد تعالى: ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب، وقال الشاعر: كأنا يوم قرى إنما نقتل إيانا. أراد كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيط الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة، ويتحرك من الأعراق الوشيجة، فأما قول الله تعالى في النور ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، فيمكن أن يجري هذا المجرى، لأنه جاء في التفسير: أن معنى ذلك فليسلم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة، للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس[٢].

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أن في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب، فإطلاقه على القريب من باب أولى وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد[٣].

(١، ٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (١٨٩).

(٣) المصدر نفسه، ص (١٩٠).

جـ- إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال ما لا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك(1)، فكونه ﷺ يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه دليل واضح على صحة نبوته، ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته ولكن الروافض المبتدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز(2).

د- قول الشيعة الإمامية إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ إن النبي ﷺ لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟

إن أمير المؤمنين عليا نفسه لا يرضى بما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح(3)، فمقام النبوة له هيبته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ- إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى لابد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، على التوحيد، ودلالة ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: 29]، على نبوة محمد ﷺ، ودلالة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [البقرة: 110]، على فرضية الصلاة ومشروعيتها(4).. إلخ.

3- قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23]. وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبي ﷺ حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهما، الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم(5).

والإجابة على ما سبق كالآتي:

أ- إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة(6)، ومن المعلوم أن عليًا إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر، والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في

---

(1) منهاج السنة (7/125، 126).
(2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (2/564، 565).
(3) ثم أبصرت الحقيقة، ص (191).
(4) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني، ص (5).
(5) مجمع البيان للطبرسي (25/49-51)، مختصر التحفة الاثني عشرية، ص (153 - 155).
(6) تفسير البغوي (4/119)، العقيدة في أهل البيت، ص (364).

السنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة، فكيف يفسر النبى ﷺ بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد(1).

ب- إن تفسير الآية الذى فى الصحيح يناقض ذلك، فقد روى البخارى بإسناده إلى ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عجلت، إن النبى ﷺ لم يكن بطن فى قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة(2)، قال ابن تيمية - رحمه الله -: فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد على، يقول ليس معناها مودة ذوى القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجراً، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التى بينى وبينكم، فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه(3).

جـ- أن الحديث الذى جعلوه مفسراً للآية: كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم فى هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية(4)، وقد تتبع ابن كثير أيضاً الأحاديث الواردة فى تفسير هذه الآية، وبين أن الأحاديث التى تنص على أن أولى القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد، وأورد عن ابن أبى حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، الآية قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولداها (رضى الله عنهم). وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف، عن شيخ شيعى محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره فى هذا المحل، وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة، رضى الله عنها، أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلى إلا بعد بدر السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضى الله عنه وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح(5).

---

(١) منهاج السنة (٧/٩٩)، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، جلى، ص (١٩٠).

(٢) البخارى، ك التفسير، رقم (٤٨١٨).

(٣) منهاج السنة (٧/١٠٠).

(٤) المصدر نفسه (٧/١٠٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/١١٢)، فتح البارى (٨/٥٦٤).

* **أدلتهم من السنة:**

١- خطبة غدير خم:

غدير خم هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة[١]، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ ميلاً، ويسمونه اليوم الغربة[٢]، ويذكر أنه في هذا الموقع خطب النبي ﷺ في الناس، وذكر فضل على رضي الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساسًا يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة[٣]، حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً وهو كتاب الغدير ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة، والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم – رضي الله عنه – أنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: **«أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به،** فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»**، قال له حصين – أي الراوي عن زيد بن أرقم–: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نعم، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة؟ قال: نعم[٤]. وجاء عند غير مسلم كالترمذي[٥]، وأحمد[٦]، والنسائي في الخصائص[٧]، والحاكم[٨]،

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٣٨٩).

(٢) على طريق الهجرة، عاتق البلاد، ص (٦١).

(٣) أثر التشيع على الروايات التاريخية، عبد العزيز محمد نور ولي، ص (٢٩٩).

(٤) مسلم رقم، (٢٤٠٨).

(٥) سنن الترمذي، رقم (٣٧١٣).

(٦) مسند أحمد الموسوعة الحديثية، رقم (٦٧٠) صحيح لغيره.

(٧) خصائص علي، رقم (٧٩) صحيح رجاله ثقات.

(٨) المستدرك (٣/ ١١٠).

وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ﷺ «من كنت مولاه فعلي مولاه»[١]، وأما الزيادات الأخرى كقوله: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح وأما زيادة: انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ﷺ[٢].

وخطبة النبي ﷺ في غدير خم لها سبب وجيه، فعن بريدة بن الحصيب - رضي الله عنه - قال: بعث النبي ﷺ عليًا إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمس الغنائم ويقبض الخُمس، فلما خمس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخُمس، ثم أن عليًا خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرى بها. فكره البعض ذلك منه. وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ﷺ وكان ممن يبغض عليًا فصدق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فسأله النبي ﷺ: لا تبغضه فإن له في الخُمس أكثر من ذلك[٣]، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ وساق معه الهدي[٤]، وقد تعجل علي ليلقى الرسول ﷺ بمكة واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البزّ[٥]، الذي كان مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول ﷺ، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي[٦]، فلما اشتكى الناس عليًا قام رسول الله في الناس خطيبًا، قال ابن كثير: إن عليًا رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة

---

(١) حقبة من التاريخ، ص (١٨٢).

(٢) انظر: السلسة الصحيحة للألباني، رقم (١٧٥٠).

(٣) مجمع الزوائد (٩/١٢٧) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية وهو ثقة صرح بالسماع وفيه لين.

(٤) مسلم، رقم (١٢٨١).

(٥) البزّ: الثياب، أو متاع البيت من الثياب.

(٦) البداية والنهاية (٥/٩٥)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٥٩) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي (دلائل النبوة ٥/٣٩٨) رغم أنه قال عن رواية البيهقي هذا إسناد جيد على شرط النسائي.

واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع الرسول ﷺ من حجته وتفرغ من مناسكه، وفي طريقه إلى المدينة مر بغدير خم فقام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ونبَّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس[1].

إن النبي ﷺ أخّر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة في حجة الوداع، أو في يوم عرفة، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة، فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مائتين وخمسين كيلو متراً، والذي يقول إنه مفترق الحجيج فهذا غير صحيح، لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مائتين وخمسين كيلو متراً أبداً، فإن أهل مكة يبقون في مكة وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف وأهل اليمن إلى اليمن وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه، فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها، فلم يكن مع النبي ﷺ إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي ﷺ، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة الروافض في مفهوم قول النبي ﷺ لا في الثبوت، فالروافض يقولون: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أي من كنت وليه فعلي وليه، وأهل السنة يقولون: إن مفهوم قول النبي ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أي الموالاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة وذلك لأمور:

أ - للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي ﷺ: اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه[2]. والمعاداة هي شرح لقوله: فعليّ مولاه، فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ب - كلمة مولاه تدل على معان متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصهر[3]، كل هذه تطلقه العرب على كلمة مولى.

---

(١) البداية والنهاية (٥/٩٥).

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم (١٧٥٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث (٥/٢٢٨).

جـ - الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة، لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحتمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير، والنبي ﷺ هو أفصح العرب، ولكان يقول: علي خليفتي من بعدي، أو علي الإمام من بعدي، أو إذا أنا متُّ فاستمعوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب، ولكن لم يأت النبي ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً، وإنما قال: من كنت مولاه فعلي مولاه(١).

د - قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥]، فسماها مولى لشدة الملاصقة مع الكفار والعياذ بالله.

هـ - الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، وبعد وفاة علي رضي الله عنه، فعليّ كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه، فهو الآن مولانا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] . وعلي رضي الله عنه من سادة الذين آمنوا.

و - قال الإمام الشافعي رحمه الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] (٢). فالحديث لا يدل على أن عليًا رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وإنما يدل على أن عليًا من أولياء الله تبارك وتعالى تجب له الموالاة وهي المحبة والنصرة والتأييد(٣).

وعمومًا فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة علي رضي الله عنه، ورفع مكانته والتنبيه على فضله ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول ﷺ لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج، لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يُمكن المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكايدهم(٤)، ومما يدل على أن النبي ﷺ أراد من خطبته هذه بيان فضل

---

(١) حقبة من التاريخ، ص (١٨٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/٢٢٨).

(٣) حقبة من التاريخ، ص (١٨٧).

(٤) أضواء على دراسة السيرة النبوية، صالح الشامي، (ص ١١٣، ١١٤)، أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص (٣٠٤).

على للذين لم يعرفوا فضله، وأنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص فى على - وكان قد رأى من على جفوة - تغير وجه النبى ﷺ وقال: **يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: **«من كنت مولاه فعلى مولاه»**[1].

وهناك بحث قيم فى هذا الموضوع قام به الدكتور محمد على السالوس، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة وناقشها وحكم عليها ثم قال: مما سبق نرى أن أحاديث الثقلين التى صح سندها صح متنها، وأن الروايات الثمانى التى تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف فى السند[2]، وفى متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يرد الحوض على رسول الله ﷺ، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التى كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستاراً يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خُمس ما يغنمه الأتباع.

إن عدم الضلال يأتى من التمسك بالكتاب والسنة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم، كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أى أئمة نقتدى بمن قبلنا، ويقتدى بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة، فالروايات التى ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك، وهذا ضعف آخر، ومع هذا كله فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثنى عشر وأحقيتهم للخلافة[3].

قال العلامة المناوى فى فقه روايات الحديث: إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدى عترتى، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا[4].

---

(١) السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٣٦) قال الألبانى: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) ومع هذا الضعف جاء فى كتاب المراجعات للموسوى بأنها متواترة، ص (٥١) ونسب للشيخ سليم البشرى أنه تلقى هذا القول بالقبول، ص (٤٥) وأنه طلب المزيد، وذكر صاحب المراجعات روايات أخرى أشد ضعفاً، مع الشيعة الاثنى عشرية (١/ ١٣٦).

(٣) مع الشيعة الاثنى عشرية (١/ ١٣٦).

(٤) فيض القدير (٣/ ١٤).

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة. قالوا: ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضاً: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة(١).

إن حديث الثقلين، في قوله ﷺ: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله(٢) وعترتي. فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي ﷺ، والثابت عند مُسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم، فاوصى بكتاب الله وحث على التمسك به ثم قال: **«وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»**، فالذى أمر بالتمسك به كتاب الله وأما أهل بيت النبي ﷺ فامر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله تبارك وتعالى إياها،(٣) ورداً على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

أ - إن عترة الرجل هم أهل بيته، وعترة النبي ﷺ هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عترة النبي ﷺ، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول ﷺ، وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم، وإنما هي كتب وجدوها وقالوا: ارووها فإنها حق(٤)، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الروافض: إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد(٥)، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي ﷺ؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي ﷺ وأعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا، كما قال النبي ﷺ في حق نفسه: **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله»**(٦).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/١٠٥).

(٢) سنن الترمذي، ك المناقب رقم ٣٧٨٦ وفيه زيد الأنماطي والحديث له أكثر من طريق لا يخلو طريق منها من كلام مع اختلاف المتون.

(٣، ٤، ٥) حقبة من التاريخ، ص (٢٠٣).

(٦) البخاري، رقم (٣٤٤٥).

ب - إمام العترة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعده يأتي في العلم عبد الله بن عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنه، بل إن عليّ بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر[1]، فعلي يقر بفضل الشيخين وهو إمام العترة[2].

جـ - هذا الحديث مثل قوله ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسُنتي»**[3] وقال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»**[4]، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال ﷺ: **«اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر»**[5]. وقال: **«اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»**[6]، ولم يدل هذا على الإمامة أبداً، وإنما دلَّ على أن أولئك على هدى الرسول ﷺ، كما أن عترة الرسول ﷺ لا تجتمع على ضلالة أبداً[7].

د - إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس[8]، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي[9]، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[10]، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي ﷺ وعترته بل أولياءُ النبي وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[11].

هـ - فهم صحابة رسول الله ﷺ للنص: فهم الصحابة، رضي الله عنهم، إن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد

---

(١) البخاري، رقم (٣٦٧١).

(٢) حقبة من التاريخ، ص (٢٠٤).

(٣) مستدرك الحاكم (١/ ٩٣).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١) الترمذي حسن صحيح.

(٥) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٠).

(٦) سنن الترمذي، رقم (٣٨٠٥).

(٧) حقبة من التاريخ، ص (٢٠٥).

(٨) رجال النجاشي ص ٥٢ نقلاً عن حقبة من التاريخ، ص (٢٠٥).

(٩) بحار الأنوار (٤٦/ ١٩٤) اتهموه أنه كان يشرب الخمر، حقبة من التاريخ، ص (٢٠٥).

(١٠) الكافي (١/ ٥٠٤) اتهموه بانه فاجر ماجن شريب للخمور، حقبة من التاريخ، ص (٢٠٥).

(١١) حقبة من التاريخ، ص (٢٠٥).

أهل البيت على بن أبى طالب بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى على بالرحبة فقالوا: السلام عليكم يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول يوم غدير خم: **«من كنت مولاه فهذا مولاه»** قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصارى[١].

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن على بن أبى طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين علياً قد استنكر منهم مناداته بـ(يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين على العربى الفصيح يراها مرادفة يا أميرنا أو يا إمامنا لما استنكر على القائلين تلك المناداة[٢].

و - روت كتب الشيعة الاثنى عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة على من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فقد قيل للإمام الحسين بن على الذى كان كبير الطالبين فى عهده وكان وصى أبيه وولى صدقة جده: ألم يقل رسول الله: **«من كنت مولاه فعلى مولاه؟»** فقال: بلى ولكن -والله- لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به، وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا فى هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس فى أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله، وكان ينفى أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله[٣]، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء على والناصرون له، فما ترى غيرهم يقولون[٤]؟.

٢- حديث استخلاف على المدينة فى تبوك:

كان فى رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة فى السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر فى نفوس المسلمين والعرب، ومجرى

---

(١) فضائل الصحابة (٢ / ٧٠٢) حديث، رقم ٩٦٧.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٢٠٠).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٢٠١)، كذلك الرواية فى كتب أهل السنة، الاعتقاد للبيهقى، ص (١٨٢، ١٨٣)، ومن كتب الشيعة، بصائر المؤمنين للصفّار، ص (١٥٣ - ١٥٦).

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٢٠١).

الحوادث في تاريخ الإسلام[1]، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عليًا، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا القول منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[2].

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»**[3] وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله ﷺ والرد عليه من وجوه:

أ- الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يغفل وأن يفهم الحديث دونه، فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب- من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام، والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله ﷺ بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله ﷺ النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى، لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى، عليه السلام، لكن ذكر رسول الله ﷺ لهارون، عليه السلام، الذي كان خليفة موسى، عليه السلام، في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول ﷺ له في المدينة مستخلفًا علي الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة ،فبيّن له النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه كما استخلف موسى -عليه السلام- أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى فاستخلافي لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون -عليهما السلام- استخفافًا به وتنقيصًا له، وإنما ائتمانًا له وثقة به، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب، رضي الله عنك.

---

(1) المرتضى للندوي ص (55).

(2) مسلم.

(3) البخاري، رقم (2404).

جـ- هارون عليه السلام لم يكن وصيًا لموسى عليه السلام بل كان نبيًا ووزيرًا بنص القرآن، وقياس حال أمير المؤمنين على رضى الله عنه الذى هو عند الشيعة وصى وليس بنبى قياسًا مع الفارق علمًا بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د- الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيرًا لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله ﷺ أعجب من الأولى، ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام، قال فى محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٣٢]، فهل يرى من يدّعى التطابق بين الاثنين كون على رضى الله عنه مشاركًا لرسول الله ﷺ فى نبوته، كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام فى أمره؟!! من يعتقد ذلك فلا شك فى كفره وخروجه من ملة الإسلام[1].

هـ- لقد استخلف النبى ﷺ علي المدينة غير علي بن أبي طالب، ففى غزوة بدر استخلف عبدالله بن أم مكتوم، واستخلف فى غزوة سليم، سباع بن عُرفطة الغفارى، أو ابن أم مكتوم علي اختلاف ذلك، واستخلف فى غزوة السويق، بشير بن عبدالمنذر، واستعمل علي المدينة فى غزوة بني المصطلق، أبا ذر الغفارى، وفى غزوة الحديبية، نُمَيْلة بن عبدالله الليثى كما استعمله أيضًا فى غزوة خيبر، وفى عمرة القضاء استعمل عويف بن الأضبط الديلى، وفى فتح مكة، كلثوم بن حصين بن عتبة الغفارى، وفى حجة الوادع، أبا دجانة الساعدى، ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السير[2]، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبى ﷺ على المدينة فى حجة الوداع غير على، وهذا منهج النبى ﷺ في تربية القادة كما حدث عندما أمر أبا بكر على الحج، واختصه أيضًا بإمامة الصلاة وحده[3].

و- وأما تشبيه النبي ﷺ لعلى بهارون فهذه فضيلة، كما أن النبى ﷺ شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون، ففى غزوة بدر، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبى ﷺ أبا بكر، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوا قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال النبى ﷺ

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٢١٥).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢، ٦٥٠، ٨٠٤، ٨٠٦).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٢١٥).

لأبي بكر: إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثلك كمثل عيسى إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، ثم التفت إلى عمر فقال: يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ومثلك كمثل موسى لما قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[1] [يونس: ٨٨]، فشبه أبو بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بنوح وموسى، وأولئك من أولي العزم وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون تكريم له كما كرّم النبي ﷺ أبا بكر وعمر عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح[2] عليهما السلام.

ز- من أقوال العلماء في شرح الحديث:

● **قال النووي -رحمة الله-** وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة[3].

● **وقال ابن حزم - رحمه الله** - بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده، لأن هارون لم يل - أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى - عليه السلام - يوشع ابن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن علي نبيًا كما كان هارون نبيًا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل

(١) مسند أحمد (١/ ٣٨٣) إسناده صحيح.
(٢) حقبة من التاريخ، ص (٢٠٠).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٧٤).

فصح أن كونه- رضى الله عنه- من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو فى القرابة فقط، وأيضًا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك.. ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعد تبوك فى أسفاره رجالاً سوى على- رضى الله عنه- فصح أن هذا الاستخلاف لايوجب لعلى فضلاً على غيره، وولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين(١).

■ **وقال ابن حجر - رحمه الله-**: واستدل بحديث الباب على استحقاق على للخلافة دون غيره من الصحابة، فإن هارون كان خليفة موسى وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا فى حياته، لا بعد موته لأنه مات قبل موسى باتفاق، أشار إلى ذلك الخطابى(٢).

■ **وقال ابن تيمية- رحمه الله-** فى سياق رده على الشيعة الرافضة فى استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشىء بالشىء يكون بحسب ما دل عليه السياق، لا يقتضى المساواة - المطلقة- فى كل شىء، وكذلك هنا بمنزلة هارون، وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص على، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف من هو على أفضل منه فى كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المستخلف على على إذا قعد معه، فكيف يكون موجبًا لتفضيله على على؟ قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف علىّ بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك، وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعزّ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو، ولهذا لم يدع النبى ﷺ عند على أحداً من المقاتلة، كما كان يدع النبى ﷺ بها فى سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة(٣) كلهم.

ح- الحكمة فى عدم تخصيص رسول الله من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة: إن الحكمة فى عدم تخصيص رسول الله ﷺ أحداً ليتولى أمر الأمة تتضح فى إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين ربانى للبشرية، وأنه لو حدد الرسول ﷺ رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى

---

(١) الفصل (٤/ ١٥٩، ١٦٠)

(٢) فتح البارى (٧/ ٧٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٥٤٠).

(٣) منهاج السنة (٧/ ٣٠٠- ٣٣٢)، مجموع الفتاوى (٤/ ٤١٦).

المسوغ الشرعي ليدعي المدعون - وقد فعلوا بدون برهان- بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ أراد- وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى- أن يترك هذا الأمر مطلقًا للمسلمين أن يختاروا أصلحهم وأخيرهم، وإن كان لمح بعض التلميحات إلى أبي بكر - وكان بمقدوره عليه السلام أن يصرح، ولكنه لم يفعل هذا القصد- إلا أن التلميح لا يعطي قوة شرعية التولية المباشرة، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين.. إلخ ولو كانت المسألة وراثية لكان بنو هاشم أول من يناولون هذا الأمر[1].

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح، بأي حال من الأحوال أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثًا، كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بني أمية، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة، فهو طارئ وغريب على دين الله، وينبغي أن ينحى هذا المفهوم القاصر كلية من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعًا نقيًا[2].

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة:

١- حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي، روى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير. قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: افتح، فدخل، فقال رسول الله ﷺ: **ما حبسك يا علي؟** فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل قد يحب قومه»**[3]. روى هذا

(١، ٢) دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص (٢٧٠).

(٣) المستدرك (٣/ ١٣٠، ١٣١) ضعيف من حيث السند والمتن.

الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك، رضى الله عنه، وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فأين أصحاب أنس من هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أى واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم فى الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصرى، وثابت البنانى، وحميد الطويل، وحبيب بن أبى ثابت، وبكر بن عبد الله المزنى، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة، وغيرهم كثير ممن يروى عن أنس ولا يُعرف كثير: ثم وقفت على مجلد كبير فى رده وتضعيفه - أى حديث الطير- سنداً ومتناً للقاضى أبى بكر الباقلانى[1]، وقال ابن الجوزى: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقًا كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك[2]، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل[3]، وقال الزيلعى: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف[4].

٢- حديث الدار:

ومن الأحاديث التى يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نص على إمامة على منذ بداية البعثة، وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهّار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دعانى رسول الله ﷺ فقال: يا على إنّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتك؛ الأقربين، فضقت بذلك ذرعًا وعرفت أنى متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت علىَّ حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك؛ فاصنع لنا صاعًا من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسًا من لبن، ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أوينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٤)

(٢) العلل المتناهية (١/ ٢٢٥- ٢٣٤)

(٣) منهاج السنة (٤/ ٩٩)

(٤) تحفة الأحوذى (١٠/ ٢٢٤).

والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذى صنعت لهم فجئ به، فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وايم الله الذى نفسي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلي ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي. فقال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، ثم تكلم رسول الله، فقال: يا بني عبدالمطلب، إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعًا وقلت: وإني لأحدثهم سنًا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطنًا وأحمشهم ساقًا[1]، أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر (... فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، قال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانيًا، فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثًا فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال اجلس أنت أخي[2].

وهذا الحديث باطل سندًا ومتنًا، أما سندًا ففي سنده عبدالغفار بن القاسم وعبدالله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بين معين: ليس بشيء وروى عباس بن يحيى:

---

(١) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات.

(٢) المراجعات المراجعة (١ / ٣٥٠) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات أبو مريم بن محمد الأعظمي.

ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوى عندهم - أي عند علماء الجرح والتعديل - وقال عنه ابن حبان: يقلّب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين[1]، وقال النسائي: متروك الحديث[2]، وليس عبدالله بن عبدالقدوس بأحسن حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضًا عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف[3].

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ- هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ١٤]، صعد النبي ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: **أرأيتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ**، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾**[4] [المسد: ١، ٢].

ب- الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم، إذ فيه أن النبي ﷺ دعا قومه لنصرته وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده، ولم يخص عليًا بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصرًا غير عليّ قال له ما قال، وهذا يدل على أنّ عليًا لا يستحق هذا المنصب ابتداء، وأن النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن عليًا منصوص عليه من قبل السماء[5].

---

(١) المجروحين لابن حبان، ص (١٤٣).

(٢) الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص (٢١٠).

(٣) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٧).

(٤) البخاري رقم (٤٤٩٢).

(٥) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٢٢٤).

٣- حديث: أنا مدينة العلم وعلى بابها، وأحاديث أخرى موضوعة:

والأحاديث الموضوعة فى هذا الباب كثيرة جداً، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبدالله عن النبى ﷺ أنه قال: أنا مدينة العلم وعلى بابها. فهذا الخبر مطعون فيه، إذ أنكره البخارى وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات، وقال النووى والذهبى أنه موضوع(١)، ويقول الألبانى: وحديث: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، موضوع رواه العقيلى فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل، والطبرانى فى الكبير والحاكم عن ابن عباس ورواه ابن عدى والحاكم عن جابر رضى الله عنه(٢)، وكذلك حديث من ناصب علياً بالخلافة فهو كافر، فلا أثر له بوجه فى كتب أهل السنة(٣) أصلاً، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص على رضى الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص إنما هى نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفهم جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم(٤)، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التى تتعلق بها الرافضة، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها(٥).

ويعترف الكاتب الشيعى ابن أبى الحديد بأثر الشيعة فى وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم فى الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلقة فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنّيين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها (أبى بكر) أحاديث فى مقابلة هذه الأحاديث... فلما رأت الشيعة ما قدوضعت البكرية، أوسعوا فى وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان فى غنية عما اكتسباه، ولقد كان فى فضائل على الثابتة الصحيحة وفضائل أبى بكر المحققة المعلومة ما

---

(١) الفوائد الموضوعة فى الأحاديث الموضوعة، ص (٧١) رقم (٢٥٧) الفتاوى (٤/ ٤١٠).

(٢) ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٣)، رقم (١٤١٦).

(٣) منهاج السنة (٤/ ١٠٧، ١٠٨) دراسة عن الفرق، جلى، ص (١٩٥).

(٤) المقدمة ابن خلدون، ص (١٩٧).

(٥) الفصل (ابن حزم) (٤/ ١٤٨).

يغني عن تكلف العصبية[١]، ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لازالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليًا خليفة من بعده[٢]، ويقول: إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل الله إليه، فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر، فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين عليًا للخلافة[٣]، وقولهم هذا يناقض كل ما يدّعونه من آيات وأحاديث يستدلون بها بالإمامة لأنه يلزم من قولهم هذا إلى واقعة حديث غدير خم لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله نصًا على إمامة علي.

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ﷺ، ومحصورة بالوحي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم[٤]، لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هي وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥].

رابعًا: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساسًا لمذهبهم وركنًا من أركان الدين، وأصبح الإمام عندهم جزءًا من العقيدة، وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهًا، إن مات على هذا الحال مات ميتة جاهلية[٦]، ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافًا كليًا عن تصور المسلمين جميعًا لخليفتهم؛ إذ إن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصًا عاديًا في تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف،

(١) شرح نهج البلاغة (١١/ ٤٨-٥٠) نقلاً عن دراسة عن الفرق، لشيخي الدكتور أحمد جلي، ص (١٩٥، ١٩٦).

(٢) دراسة عن الفرق، ص (١٩٦).

(٣) الحكومة الإسلامية للخميني، ص (٤٢، ٤٣)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص (١٩٦).

(٤) رجال الكشي، ص (١٠٨، ١٠٩)، أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٧٩٢).

(٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٩٢).

(٦) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين، ص (١٩٧).

كما يعرض لسائر الناس فيقوم ويعارض إذا خالف أمر الله، وفوق هذا، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقًا لمبدأ الشورى(١)، وخلافًا لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية، وقد نسبوا إلى رسول الله حديثًا أسندوه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه(٢)، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام، لا يعني تجرده من منزلته التى هى له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبى مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (عليهم السلام)، كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل – كما ورد فى روايات المعراج – لو دنوت أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبى مرسل(٣).

وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله، بل له هيمنة على شئون الكون ومجرياته، فعلى عندهم الحاكم المهيمن الشرعى على شئون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق فى قيامه وقعوده، وفى كلامه وصمته وفى خطبه وصلواته وحروبه(٤)، وقد أثر اعتقاد الشيعة فى الأئمة على عقيدتها فى توحيد الله سبحانه بسبب الغلو وإليك بيان ذلك:

١- نصوص التوحيد جعلوها فى ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التى تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة على والأئمة، والنصوص التى تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك فى ولاية الأئمة، ففى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

---

(١) النظام السياسى للدولة الإسلامية، ص (١٤٧- ٢٣٦).

(٢) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين، ص (١٩٨).

(٣) الحكومة الإسلامية، آية الله الخمينى، ص (٩٣، ٩٤).

(٤) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين، ص (٢٠٠).

جاء في الكافي[1] – أصح كتاب عندهم في الرواية – وفي تفسير القمي[2] – عمدة تفاسيرهم – وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة[3]، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره[4]، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك[5]، وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[6]، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقيم عليًا للناس علمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] شكا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبونني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله وتآمرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها، وتتبع ذلك بيان معناها قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦]، فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلا، فكأنهم جعلوه هو و المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا (العبادة) هي الولاية، والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة[7]، قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك[8]، والمعنى: قل يا محمد للمشركين قومك: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله ولا تصلح العبادة لشيء

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٢٧)، رقم (٧٦).

(٢) تفسير القمي (٢/ ٢٥١).

(٣) البرهان (٤/ ٨٣) وتفسير الصافي (٤/ ٣٢٨).

(٤) هذا لفظ الكليني في الكافي، أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).

(٥) أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).

(٦) البرهان (٤/ ٨٣)، أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).

(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٠).

(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧)، تفسير البغوي (٤/ ٢٨٤).

سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٤]، ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ [الزمر: ٦٦]، لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان[١]. فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق.. فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تخبط في هذا الأمر خبط عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلا عن الشرع والدين، كما يظهر في النص الإساءة للنبي ﷺ بتصويره في مواقف الخائف الوجل من قومه، المتردد في تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله[٢].

٢- الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا: إن الله عز وجل نصب عليًا علمًا بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئًا كان مشركًا، ومن جاء بولايته دخل الجنة[٣]، وقالوا: فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدى الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئا من أعماله[٤]، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعًا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني هناك

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤)، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٦، ٢٧٧)، فتح القدير (٤/ ٤٧٤)، روح المعاني للألوسي (٢٤/ ٢٣، ٢٤).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٢).

(٣) أصول الكافي (١/ ٤٣٧).

(٤) أمالي الصدوق، ص (١٥٤، ١٥٥).

منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لاكببته في سقر[1]، والروايات من هذا المعنى كثيرة، وكلها باطلة لا يصح منها شيء، وكل هذه الروايات ليست من الإسلام في شيء، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد، وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها آيات القرآن، فالله سبحانه يقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢] ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة:٦٩]، وهم يزعمون أن ولاية الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعاً، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد جل شأنه ضلال عباده، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه سبحانه، هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥]، وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ أو غافلاً ينتبه، أو نائماً يستيقظ، ولإقامة الحجة على المعاند من كتبه، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض..

جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله يقول: لما نزلت ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعاً وبنياناً، وإن أصل الدين، ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه[2]. فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية وبعد محبة أهل البيت هو الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه[3].

---

(١) أمالي الصدوق، ص (٢٩٠)، بحار الأنوار (٢٧/ ١٦٧).

(٢) تفسير فرات، ص ١٤٨، ١٤٩)، بحار الأنوار (٢٣/ ٢٤٧).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٣٥).

٣- اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثنى عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه، قال المجلسي عن أئمته: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق[١]، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وانه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم[٢]، وجاء في كتاب عقائد الإمامية ان الأئمة الاثنى عشر هم: أبواب الله والسبل إليه.. إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٣]، ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم، والتي هي تصب في هذه المعاني:

أ- قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله – على حد زعمهم – بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[٤]، وتقول أخبارهم: قال ابو جعفر: بنا عُبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله[٥]، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الامة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة، والحق أن الهداية، بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون.. والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد تجعل لائمتها مشاركة الله في هذه الهداية، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له[٦]، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ويقول لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن بعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثنى عشر ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله[٧].

---

(١) بحار الأنوار (٢٣/ ٩٧).

(٢) المصدر نفسه (٢٣/ ٩٧).

(٣) عقائد الإمامية للمظفر، ص (٩٨، ٩٩).

(٤) أمالي الصدوق، ص (٣٦٣)، أصول الشيعة (٢/ ٥٣٩).

(٥) بحار الأنوار (٢٣/ ١٠٣).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٠).

(٧) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٠).

ب- قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

قالوا: لا يفلح من دعا بغير الائمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، جاء فى أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك[1]، وبلغت جرأتهم فى هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم، صلوات الله عليهم أجمعين[2]، هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتفتريه، ولكن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يقل سبحانه :فادعوه بأسماء الائمة ومقامات الائمة أو مشاهدهم. كما قال جل شأنه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الائمة لقال: ادعونى بأسماء الائمة استجب لكم، بل إن هذا الأمر الذى تدعيه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله، لان الإخلاص فى الدعاء لله أصل فى الإجابة والقبول. قال تعالى ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤]، ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وهؤلاء الائمة من سائر البشر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه فى عبادته ودعائه وليًا صالحًا ولا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢]. وقوله: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهى دعوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى وأنت أرحم الراحمين ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ

---

(١) وسائل الشيعة (٤/ ١١٤٢)، أصول الشيعة (٢/ ٥٤١).

(٢) وهذا احد ابواب بحار الأنوار (٢٦/ ٣١٩).

أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره[١].

جـ- إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله، قال ابن تيمية: حدثني الثقات أن فيهم، من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت[٢]، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة[٣]، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول: من أتى قبر الحسين عارفًا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفًا بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل[٤]، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في روايتهم، إن زيارة قبر الحسين: أفضل ما يكون من الأعمال[٥]، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين[٦].

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٥).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١٢٤).

(٣) ثواب الأعمال، ابن بابويه، ص (٥٢)، تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٦)

(٤) فروع الكافي (١/ ٣٢٤) للكليني، من لا يحضره الفقيه، بابويه (١/ ١٨٢).

(٥) كامل الزيارات، ص (١٤٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١).

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله(١).

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية – رحمه الله – وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذى جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يامر إلا بحجه(٢)، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التى تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدى الرسول ﷺ، ومن أراد التوسع فلينظر إلى كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية(٣).

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها فى صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة(٤)، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهى عنه سواء كان فاعله منتسباً إلى السنة أو إلى التشيع، وقد علم بالضرورة من دين الله أن النبى ﷺ لم يامر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذى قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون إليها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت(٥)، وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – لأبى الهياج الأسدى: ألا أبعثك

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٧٥)، مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٩٨).

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٥٥٠ إلى ٥٨٦).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٠).

(٥) البخارى، فتح البارى (٨/ ٦٦٧) موقوف على ابن عباس من حكم المرفوع قاله الألبانى فى شرح العقيدة الطحاوية، ص (٨٠).

على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته[1]، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبدالله، قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته[2]، وعن أبي عبدالله قال: نهى رسول الله ﷺ وآله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[3]، وعن أبي عبدالله قال: لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله ﷺ كره ذلك[4]، وعنه أيضًا عن آبائه عن رسول الله ﷺ نهى أن تجصص المقابر[5]، وقد زعم الحر العاملي أن هذ النهي يشمل كل قبر غير قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وأن هذا النهي لمجرد الكراهة[6].

وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات، كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بمن فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين[7].

٤ – قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء:

تزعم الشعية الإمامية في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى خلق محمداً وعليًا وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون[8]، وشرح شيخهم المجلسي النص السابق، فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر

(١) مسلم، ك الجنائز، رقم (٩٦٩).

(٢) فروع الكافي (٢/ ٢٢٧)، وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩).

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي (١/ ١٣٠)، وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩).

(٤) تهذيب الأحكام (١/ ٣٠)، المحاسن للبرقي، ص (٦١٢).

(٥) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٩٤) ابن بابويه، وسائل الشيعة (٢/ ٨٧٠).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٨٤).

(٧) تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد، ص (٣٠٥).

(٨) أصول الكافي (١/ ٤٤١)، بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤٠).

وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع[1].. وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص، والمجلسي في البحار، وغيرهما من أبي جعفر قال: من أحللنا له شيئًا أصابه من أعمال الظالمين[2] فهو حلال، لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام[3]، ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده، سبحانه، يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إمامًا يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هو مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يامرهم الله به، ويوحيه إليهم وقد قال الله جل شانه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية[4] عبادة لهم، حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل[5].

٥- قولهم: إن الدنيا والآخرة للإمام يتصرف بهما كيف يشاء:

عقد صاحب الكافي لهذا باباً بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام[6]، ومما جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء جائز له ذلك من الله[7].

---

(١) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٢) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين عليًا وابنه الحسين رضي الله عنهما، لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يومًا واحداً وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم

(٣) الاختصاص، ص (٣٣٠)، بحار الأنوار (٢٥/ ٣٣٤).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١١٣ - ١١٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣، ٣٧٤).

(٥) تفسير ابن عطية (٨/ ١٦٦).

(٦) أصول الكافي (١/ ٤٠٧ - ٤١٠).

(٧) المصدر السابق (١/ ٤٠٩).

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه، لأن الله جل شانه يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، ويقول جل شانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم: ٢٥]، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك[١].

٦- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام[٢]، يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شانه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]، أليست هذه هي السبيئة قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركًا في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي، ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخًا يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر، والكفر المبين، ويبرئ أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل، وينقي ثوب التشيع ممن لطخه به شيعة الدولة الصفوية

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٢).

(٢) الاختصاص للمفيد، ص (٣٢٧)، بحار الأنوار (٢٧/ ٣٣).

من كفر وضلال، أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروى، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود[1]؟

٧- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي[2]، قال أبو عبدالله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا[3]، ولكن الله خلطنا بنفسه[4]، وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة - وتبلغ مئات الروايات - يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين - تعالى وتقدس عما يقولون - في الإحياء والإماتة والخلق والرزق[5]، إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى ﷺ - كما أمره ربه- ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨].

ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروى ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون وموقوفون ومسئولون، ويلهم، ما لهم لعنهم الله، فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم.. أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٢٨).

(٣) أصول الكافي (١/ ٤٤٠).

(٤) أصول الكافي (١/ ٤٣٥).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٨).

عذابًا شديدًا[1]، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة[2].

٨- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء:

عقد لذلك صاحب الكافي بابًا بعنوان «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء[3]، وضمه طائفة من رواياتهم. وعقد بابًا آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا[4]، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب[5]، قال أبو عبدالله كما يكذبون: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون[6]، وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبدالله -رضي الله عنه- جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وآله وراثة[7].

فهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة وهذا بعض ما عندهم، فالغلو أساس مذهبهم وأصله، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديمًا وحديثًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تجاوز الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم

---

(١) رجال الكشي، ص (٢٢٥، ٢٢٦).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٣٠).
(٣) أصول الكافي (١/ ٢٦٠ - ٢٦٢).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٥٨).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٧٩).
(٦) أصول الكافي (١/ ٢٦١).
(٧) المصدر نفسه (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

في المسيح وهو نبي من الانبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله، وما هذا إلا لاقتدائكم بشيوخكم؛ شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧]، أي خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال(١)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ [النساء: ١٧١]، فالله عز وجل في هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد، وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة، وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يبين للناس أنه لا يملك لنفسه شيئًا، وأن النفع والضر بيد الله وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الانعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل، ولا اطلاع على شيء من ذلك(٢). كل ذلك سداً للطرق الموصلة إلى الغلو فيه ﷺ وتحذيراً لأمته أن يغلوا فيه كما غلت اليهود والنصارى في أنبيائهم، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى.

وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب، ويعلمون ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء لله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضًا في غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ٨]، وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الانعام: ٥٩]، وقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٧٣).

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وغير ذلك من الآيات الواردة فى هذا الباب والتى تثبت تفرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئًا من ذلك إلى أحد من المخلوقين فقد نازع الله فى ربوبيته وألوهيته وهوى فى الشرك، فأنى له الإسلام مع ذلك؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أى ليوحدوه، فارسل الرسل وانزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والغلو ينافى تحقيق العبادة[١]، وكما حذر الله -عز وجل- من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبى ﷺ أيضًا حماية لتوحيد الله وسدًا لكل ذريعة تكون سببًا فى نقص توحيده، لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته، وما دب فى أمة إلا أهلكها، فقال ﷺ محذرًا أمته من هذا الداء: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين**»[٢]، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع عمر -رضى الله عنه- يقول على المنبر سمعت النبى ﷺ يقول: «**لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله**»[٣]، فالنبى ﷺ يحذر أمته من الغلو ومجاوزة الحد فى مدحه، كما فعلت النصارى فى عيسى عليه السلام، ويأمر ﷺ أن يوصف بصفة العبودية، والتى قد وصفه الله بها فى الإسراء فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: ١]، كما وصفه بذلك فى مقام الدعوة إليه فقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، وكذلك وصفه عن إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، فتلك ثلاثة مقامات من أشرف المقامات وصفه ومدحه ربه -جل وعلا- فيها بصفة العبودية له، فأين الشيعة الرافضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة فى النهى عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟

---

(١) العقيدة فى هل البيت، ص (٣٩٨).

(٢) صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ١٧٧) صححه الالبانى.

(٣) البخارى، ك أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٤٥).

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين على وأبنائه، رضى الله عنهم، يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط، وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات وضلالها المنسوبة إليها[1]، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه من حديث أبى الطفيل عامر بن واعلة رضى الله عنه قال: كنت عند على بن أبى طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبى ﷺ يسر إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبى ﷺ يسر إلىّ شيئًا يكتمه للناس، غير أنه قد حدثنى بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: **«لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غيير منار الأرض»**، وفى رواية: أخصكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشىء[2].

وفى رواية عند الإمام أحمد:.. ما عهد إلىَّ رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس[3]. وروى البخارى فى صحيحه عن أبى جحيفة، رضى الله عنه، قال: قلت لعلى: هل عندك كتاب؟ قال: لا.. إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما فى هذه الصحيفة. قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[4]، وفى رواية: هل عندكم شىء من الوحى إلا ما فى كتاب الله؟ قال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله[5].. قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت – لا سيما عليًا – أشياء من الوحى خصهم النبى ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها[6]، وقال ابن تيمية عقب إيراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى على، أو غيره من أهل البيت فى الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجعفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبى ﷺ خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير على من الصحابة، أن النبى ﷺ خصه بشىء من علم الدين الباطن، كل

---

(١) العقيدة فى أهل البيت، ص (٣٩٩).

(٢) مسلم، ك الأضاحى، رقم (١٩٧٨).

(٣) المسند (١/ ١١٩).

(٤) البخارى، ك العلم، رقم (١١١).

(٥) البخارى، ك الجهاد، رقم (٣٠٤٧).

(٦) فتح البارى (١/ ٢٠٤).

ذلك باطل[1] ومما يبين بطلان ذلك، ما روى ابن سعد عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعد بن جبير رحمهما الله: ذلك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق[2]، وجاء عن محمد بن الحنفية محذراً الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله ﷺ حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله ﷺ إلا ما بين اللوحين[3]، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً[4]. وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا، قالوا: إنا عبيد مربوبون[5]، وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً[6].

وروى الكليني بسنده عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبدالله إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي.[7] وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنهم يقولون. قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال: سبحان الله! سبحان الله! لا والله ما يعلم هذا إلا الله[8]. فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة وهم براء مما ترميهم به الشيعة الرافضة، إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق

---

(١) منهاج السنة (٨/ ١٣٦).

(٢) الطبقات الكبري (٥/ ٢١٦).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١٠٥)

(٤) البداية والنهاية (٩/ ١١٠).

(٥) بحار الأنوار (٢٥/ ٢٧٠).

(٤) المصدر السابق (٢٥/ ٢٨٤).

(٧) اصول الكافي (١/ ٢٥٧).

(٨) رجال الكشي، ص (١٩٣)، العقيدة في أهل البيت، ص (٤٠٢).

دينهم والكذب ديدنهم، ولذلك قال ابن تيمية - رحمه الله -: إنهم من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات[1].

إن روايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث.. إلخ والذي يرويه شيوخ الاثني عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة، والذين أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبدالله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه[2].

ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة، وإليك مثالاً على ذلك، فاسمع ما يقوله شارح الكافي تعقيبًا على قول أبي عبدالله الذي نقلناه آنفًا، والذي يتعجب فيه أبو عبدالله من قوم نسبوا له العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختفت في داره فلم يدر أين هي، فكيف يقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون؟! قال شارح الكافي: ... الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال إلهاً، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظًا لنفسه، وإلا فهو، رضي الله عنه، كان عالمًا بما كان وما يكون، فكيف يخفى عليه مكان الجارية؟! فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها، فإن المعنى ما علمت به علمًا غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار[3]، انظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة[4]، وأما شيخهم الآخر الشعراني المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية، ورام ردها بأقصر طريق، وهو الحكم بأن الرواية كذب، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل

---

(1) منهاج السنة (1/ 3).

(2) رجال الكشي، ص (274)، أصول الشيعة الإمامية (2/ 685).

(3) شرح جامع على الكافي (6/ 30، 31) للمازندراني.

(4) أصول الشيعة الإمامية (2/ 686).

شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية.. فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو، ورد الحق والإساءة لأهل البيت[1]، وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفّر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية[2].

٩- الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض، ولهذا قال الرازي: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبدالرحمن القمي وأبي جعفر الأحول[3]، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها[4]، وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء، فقال: وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم[5]، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، يقول عبدالقاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه[6]، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها[7]، فقد كان تشبيه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود، وتسرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدى أثره إلى آخرين عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم[8]، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٦).

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٩، ٧٠).

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص (٩٧).

(٤) أعيان الشيعة (١/ ١٠٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤١).

(٥) منهاج السنة (١/ ٢٠).

(٦) الفرق بين الفرق، ص (٦٥).

(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٢).

(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٣).

فتنتهم، واستطار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها(١)، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجوالقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم(٢)، وكان الأئمة يتبرءون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: إني أقول بقول هشام. قال إمامهم ابو الحسن علي بن محمد: ما لكم وبقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة(٣)، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم(٤)، ينقل لأبي عبدالله - كما تقول الرواية - ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد قطط، فخرّ أبو عبدالله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم(٥).

فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه، لأنه تكذيب لقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال، ويأمر بالالتزام في وصف الله، كما وصفه نفسه، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة(٦)، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم(٨).

١٠- التعطيل عندهم:

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة، حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل البارئ سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه

---

(١) بحار الأنوار (٣/ ٢٩٠- ٢٩٢) دفاع المجلسي عن هؤلاء.
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦).
(٣) التوحيد، ص (١٠٤) ابن بابويه، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦).
(٤) سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقاتهم، الفهرست للطوسي، ص (٢١٤).
(٥) التوحيد، ص (١٠٣، ١٠٤)، ابن بابويه، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٧).
(٦) أصول الكافي (١/ ١٠٤-١٠٦)، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨).
(٧) أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨).

إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوى الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[1] وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن العظيم في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[2]، ولهذا لا يكاد القارئ لكتب متأخرى الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقًا، فالعقل - كما يزعمون- هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون، والفرق الذى قد يلمسه القارئ في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل، فقد جاءوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل ويفترون على أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات، حيث قال - تحت عنوان طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان، بكلمة أمير المؤمنين رضى الله عنه: كمال الإخلاص نفي الصفات عنه[3].

هذا والثابت عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[4]، وهذا أيضًا ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة به سبحانه، وليس هذا بجديد، فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٢٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٦).

(٣) عقائد الإمامية الاثنى عشرية للزنجاني، ص (٢٨).

(٤) منهاج السنة (٢/ ١٤٤).

إن الله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً[1]. قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالنفي جاء مجملاً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالبًا. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي نظير يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه[2]، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا[3]، وقال سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وأما الإثبات فيأتي التفصيل: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وكآخر سورة الحشر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] وشواهد هذا كثيرة[4].

إن الشيعة تروى عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه[5]، ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من «نفايا» الفلسفات البائدة، وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة[6]؟.

أ- مسألة خلق القرآن:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإجماع السلف[7]، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ

---

(١) شرح الطحاوي، ص (٤٩)، التدمرية لابن تيمية، ص (٨).

(٢) التدمرية، ص (٨).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٠٦).

(٤) انظر التدمرية لابن تيمية، ص (٨) وما بعدها.

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٦).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٦).

(٧) الرد على الزنادقة للإمام أحمد، خلق أفعال العباد للبخاري.

الشيعة في زمن المجلسي في البحار في كتاب القرآن بابًا بعنوان: باب أن القرآن مخلوق[1]، أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولكن لشيوخ الشيعة مسلكًا في تأويلها، سنذكره بعد قليل - بإذن الله تعالى- ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة :القرآن مخلوق[2]، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن[3]، هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر[4]، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها في (آل البيت)، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء، فمن ذلك: ما جاء في تفسير العياشي: عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق[5]. وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن؟ فقد اختلف فيه من قبلنا، فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟ فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكن أقول :إنه كلام الله عز وجل[6].

وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[7]، ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فاثبت ان قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مكذوب لا يعني به أنه غير محدث[8]، وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوبًا، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب[9]، وقد قال علماء السلف ردًا عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق

---

(١) بحار الأنوار (٩٢/ ١١٧- ١٢١).

(٢) أعيان الشيعة (١/ ٤٦١).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٥٣).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٨).

(٥) تفسير العياشي (١/ ٨).

(٦) التوحيد / ابن بابويه، ص (٢٢٤).

(٧) البحار (٩٢/ ١١٧- ١٢١)، أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).

(٨) البحار (٩٢/ ١١٩)، أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).

(٩) أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).

خلقه في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف في ذلك مصنفات متعددة(١)، وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم لآيتهم البروجردي نقل نصًا عن ابن بابويه - أيضًا- يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهمًا لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا الاختلاق(٢)، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول (بالتقية) أو ما ماثلها..

وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة(٣)، وهكذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وهدى الصحابة الكرام وعلماء أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا(٤)، ولو أردت أن تطبق هذه النظرية - أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة - لوجدت أن كتب الشيعة روت - كما سبق - روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنة روت مثل هذا، فقد أخرج البخاري في كتاب أفعال العباد (٥) وابن أبي حاتم(٦)، وأبو سعيد الدارمي، والآجري في الشريعة(٧)، والبيهقي في الاعتقاد(٨)، والأسماء والصفات(٩)، واللالكائي في

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٣٠١).

(٢) تفسير الصراط المستقيم (١/ ٣٠٤).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٠).

(٤) رجال الكشي، ص (١٣٥، ١٣٦).

(٥) خلق أفعال العباد، ص (٣٦) تحقيق البدر.

(٦) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٨٧، ١٨٨).

(٧) الشريعة، ص (٧٧).

(٨) الاعتقاد، ص (٣٦).

(٩) الأسماء والصفات، ص (٢٤٧).

شرح أصول اعتقاد أهل السنة[١]، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد[٢]، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن، قال: ليس بخالق ولا مخلوق، قال ابن تيمية: إنه قد استفاض ذلك عن جعفر[٣]، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة (المقدسة) باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد[٤]، ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة.

إن الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[٥]، لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخري الشيعة[٦]، كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[٧]، وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة؟[٨].

إن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو: إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدق المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢).

(٢) مسائل الإمام أحمد، ص (٢٦٥).

(٣) منهاج السنة (١/ ٢٧٨).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٢).

(٥) منهاج السنة (١/ ٢٩٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٤).

(٦) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١١٤).

(٧) منهاج السنة (١/ ٢٩٦).

(٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٨).

فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[١].

ب- مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية، وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب البحار تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فتفترى مثلاً - على أبي عبدالله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.. إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية[٢]، وقال شيخهم وآيتهم جعفر النجفي صاحب كشف الغطا: ولو نسب إلى الله بعض الصفات.. كالرؤية حكم بارتداده[٣]، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك بابًا بعنوان «باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة»[٤]، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضًا خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم[٥] والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة، آية: ٢٢، ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل[٦]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ

---

(١) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، عبدالآخر الغنيمي، ص (١٠٩).

(٢) بحار الأنوار (٤/ ٣١).

(٣) كشف الغطاء، ص (٤١٧)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٠).

(٤) أصول الشيعة (٢/ ٦٧٠).

(٥) الفصول المتهمة في أصول الأئمة، ص (١٢).

(٦) مجمع الفوائد (٧/ ١١٢).

والصحابة بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقّل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»[1].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها، ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فقال الشافعي: لما أن حُجب في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[2]، وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن[3]، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة[4].

١١- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس[5]، وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا نفضل أحداً من الأولياء

(١) مسلم، رقم (١٨١).
(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤١٩) للبيهقي.
(٣) شرح الطحاوية، ص (١٥١).
(٤) المصدر نفسه، ص (١٤٦).
(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٣٨).

على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء [١]، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبدالقاهر البغدادي[٢] والقاضي عياض [٣] وابن تيمية [٤]، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة [٥]، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[٦]، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد باباً بعنوان «باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم [٧]، وهذا المذهب استقر عليه مذهب الاثني عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق - كما يقول الأشعري:

- **فرقة**: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

- **الفرقة الثانية**: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

- **والفرقة الثالثة**: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة [٨].

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهبًا رابعًا لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم [٩]، ثم لا يبوح بذكر المذهب الذي يعتمده من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك [١٠]، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي

---

(١) شرح الطحاوية، ص (٤٩٣).
(٢) أصول الدين، ص (٢٩٨).
(٣) الشفاء، ص (١٠٧٨).
(٤) مناج السنة (١/ ١٧٧).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٥).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٤٥).
(٧) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٦٧).
(٨) مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠).
(٩) أوائل المقالات، ص (٤٢، ٤٣).
(١٠) المصدر السابق، ص (٤٣).

شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم، واستقر المذهب على الغلو في الأئمة، حتى أن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بحبهم صلوات الله عليه[١]، إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثنى عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله، كما أنه يلاحظ: أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب[٢]، وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم[٣]، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، والإجماع حجة، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء[٤]، والعقل يدل صريحًا على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله آمراً وناهيًا وحاكمًا على الإطلاق والإمام نائبًا وتابعًا له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كل نبي مفقوداً في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل[٥]. ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل، وينفي ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال[٦]، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي[٧].

خامساً: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم:

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة، والصحابة، رضوان الله عليهم، فشككوا في

---

(١) بحار الأنوار، ص (٢٦٠ ، ٢٦٧)

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٩).

(٣، ٤) الفتاوى (١١/ ٢٢١).

(٥) مختصر التحفة، ص (١٠١).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٥٣) مختصر التحفة، ص (١٠٠).

(٧) مختصر التحفة، ص (١٠١).

القرآن، وأنكروا كثيراً من الأحاديث الثابتة، وطعنوا في الصحابة، رضي الله عنهم، وجرحوهم ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى.

١ - اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم:

فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حرف وأسقطت منه بعض السور، وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم، ولعنهم. وقد اتهم الشيعة الصحابة، رضوان الله عليهم، بأنهم أسقطوا من القرآن من بين جملة ما أسقطوه «وجعلنا عليًا صهرك» من سورة «الشرح» والتي تشير إلى تخصيص علي بمصاهرة الرسول عليه الصلاة والسلام دون عثمان، وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية، وأنها حين نزلت لم يكن علي صهرًا للرسول ﷺ، إذ إن عليًا تزوج فاطمة بالمدينة وبعد غزوة بدر، كما سبق أن أشرنا. ويذهب الشيعة أيضًا إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت[١].

وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا، إذ إنهم لم ينكروا حكمًا من أحكامه أو قاعدة من قواعده، ولكن تدور آراؤهم حول إسقاط بعض الآيات إلى ولاية علي ومن بعده من الأئمة، وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية، وعلى رأسهم حجتهم المشهور **أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني** ت٣٢٩ هـ صاحب كتاب الكافي الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - طاب ثراه - أنه كان يعتقد أيضًا في التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض بقدح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه[٢]، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٧١].

(١) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، ص (٢٢٦).

(٢) تفسير الصافي، ص (١٣)، الإمام الصادق لأبي زهرة، ص (٣٣٣).

(عن ولاية على والأئمة بعده) ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هكذا نزلت[1]، ويرى أيضًا عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال، قلت له: لم سُمى (على بن أبى طالب) أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه، وهكذا أنزل فى كتابه: «وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم (وأن محمداً رسولى وأن عليًا أمير المؤمنين»[2]، ويرى الكلينى عن أحمد بن محمد بن أبى نصر قال: رفع إلىَّ أبو الحسن عليه السلام مصحفًا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه (لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إلىَّ بالمصحف[3]، وقد زعم الكلينى أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أى الأئمة) يعلمون علمه كله، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده[4]، وقد ردد هذه الفرية التى ربطت جمع القرآن بعلى رضى الله عنه، وقد ذهب صاحب الاحتجاج إلى: أنه لما توفى الرسول ﷺ، جمع على (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ، فلما فتحه أبو بكر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا على اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئًا للقرآن، فقال له عمر: إن عليًا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر على القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر فى قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك[5]، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن، والتآمر على حرمان على من إمامة المسلمين وهو إذ يمدح على يذمه إذ يصفه بالسكوت السلبى حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه، فكيف يتفق هذا مع مواقف على رضى الله عنه البطولية فى سبيل الدفاع عن

---

(١) أصول الكافى (١/ ٤١٤).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤١٢)، السنة والشيعة، إحسان إلهى، ص (١٠٣).

(٣) أصول الكافى (٢/ ٦٣١)، السنة والشيعة، ص (٨٧).

(٤) أصول الكافى (١/ ٢٢٨).

(٥) الاحتجاج للطبرسى، ص (٢٢٥، ٢٢٨)، دراسات عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص (٢٢٨).

الإسلام، ويرد على مثل هذه الترهات قول على رضى الله عنه: أعظم الناس أجراً فى المصحف أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع بين اللوحين[1]، ولم يكتف الكلينى بهذا، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف فى القرآن إلى جعفر الصادق، إذ ينسب إليه أنه قال: إن القرآن الذى نزل به الوحى على محمد سبعة آلاف آية، والآى التى نتلوها ثلاث وستون ومئتان وست آلاف فقط، والباقى مخزون عند آل البيت[2]، وزعم الكلينى أن الصادق قال عن القرآن الذى جمعه على بن أبى طالب فى زعمه: قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[3]، ويقولون: إن فاطمة، رضى الله عنها، مكثت بعد النبى خمسة وسبعين يوماً، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان على يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون[4].

- **ويردد عالم شيعى آخر وهو على بن إبراهيم القمى** نفس المزاعم التى ذهب إليها الكلينى ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشى فى تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذى بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم على فى كثير من المواضع ومنها لفظ (آل محمد) غير مرة، ومنها أسماء المنافقين فى مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس على الترتيب المرضى عند الله ورسوله. وبه - أى بهذا الرأى - قال على بن إبراهيم المسمى بالقمى وله تفسير مليء بهذه الدعاوى والغلو فيه. وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات فى ولاية على حذفت[5].

وقال صاحب كتاب بصائر الدرجات الصفّار بسنده عن أبى جعفر - على حد زعمه- ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء[6]،

---

(1) كتاب المصاحف للسجستانى (1/ 5).

(2) الإمام الصادق، ص (323).

(3) أصول الكافى (1/ 239).

(4) أصول الكافى (1/ 240)، بحار الأنوار (26/ 44)، بصائر الدرجات، ص (43).

(5) دراسات عن الفرق فى تاريخ المسلمين، ص (229، 230).

(6) بصائر الدرجات، ص (213).

وعنه أيضاً: ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[1].

- وفي تفسير العياشي عن أبي عبدالله: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين[2]، وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجا[3]، والروايات في كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جداً، وقد أخبر عن استفاضتها وتواترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان[4].

- ويقول هاشم البحراني[5]- أحد كبار مفسريهم-: أعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغيرات وأسقط الذي جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات[6]، ويقول أيضاً: وعندي في وضوح صحة هذا القول - أي تحريف القرآن - بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة[7].

- ويقول نعمة الله الجزائري[8]: إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد والعلامة المجلسي[9]، فهذه أقوال أئمتهم ومحققيهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبديله، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء

---

(١) بصائر الدرجات، ص (٢١٣).

(٢) تفسير العياشي (١/ ١٣).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٣).

(٤) أوائل المقالات، ص (٩١).

(٥) هشام بن سليمان البحراني توفي سنة ١١٠٧ هـ.

(٦) مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن، ص (٣٦).

(٧) المصدر نفسه، ص (٤٩).

(٨) متوفى سنة ١١١٢ هـ قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر، أمل الآمل (٢/ ٣٣٦).

(٩) فصل الخطاب، ص (٢٤٨)، الانتصار.

في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم، وأهل الاجتهاد فيهم، جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام هنا لا يتسع لنقل كلامهم هنا، وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك: واتفقوا (أى الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ، وأجمعت المعتزلة، والخوارج والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه[1].

– وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة ١٣٢٠هـ بتأليف كتاب ضخم في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب[2]، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة. وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم، حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثنى عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية، هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتذراً عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة[3]، وقال موثقًا هذه الروايات: وأعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معوّل أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية[4]، وقال بعد أن سرد حشداً هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم[5]، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق، والمرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، ولم يعرف من القدماء موافق لهم[6].

---

(١) أوائل المقالات، ص (٤٩).

(٢) الانتصار للصحب والآل ص (٦١).

(٣) فصل الخطاب، ص (٢٤٩)، الانتصار للصحب والآل، ص (٦٢).

(٤) المصدر نفسه، ص (٢٤٩).

(٥) فصل الخطاب، ص (٣٠).

(٦) المصدر نفسه، ص (٣٢).

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحًا إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة[1] ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن بأن الذى حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، قال معتذراً عن الطوسى عما أورده فى كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأمل فى كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة[2].

وقد سبق النورى الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائرى حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم فقد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتى هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة: منها سد باب الطعن عليها، بأنه إذا جاز هذا فى القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه، مع جواز لحوق التحريف لها، كيف هؤلاء الأعلام رووا فى مؤلفاتهم أخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور فى القرآن، وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا[3]، وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن، واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافضة قاطبة، كما حقق ذلك الطبرسى فى فصل الخطاب، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف فى هذه العقيدة أحد من علمائهم، حتى وقت تأليف فصل الخطاب إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، على ما نص على ذلك الطبرسي، ومن قبله نعمة الله الجزائرى. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التى بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة فى كتب هؤلاء المشايخ الأربعة[4] مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقًا وخداعًا لأهل السنة[5].

---

(١) فصل الخطاب، ص (٣٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٤).

(٣) الأنوار النعمانية، (٢/ ٣٢٨ - ٣٥٩).

(٤) الشيعة والقرآن لإحسان إلهى ظهير ص (٦٨- ٧١).

(٥) الانتصار للصحب والآل ص (٦٥).

ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة إذ ظل الكليني موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم، ورغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصاً، فإننا لا نجد أحداً منهم يرد على الكليني رداً صريحاً، أو يظهر عدم الثقة به، أو يرفض ما ذهب إليه، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير[1]. وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرءوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددون في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي ﷺ بضرورة الدين واتفاق المسلمين.

إن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق إليه التحريف والتبديل، وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل، فإن الله لم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما، حكى الشاطبي عن أبي عمر الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلم يجز التبديل عليهم، قال علي: فمضيت إلى أبي عبدالله المحاملي فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلاماً أحسن من هذا[2]. وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو القرآن الموجود الآن بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ولا تغيير فيه أو تبديل، ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعد الله بحفظه وصيانته، ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية، وعقيدتهم هذه باطلة، ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم، وأقوال الأئمة من أهل البيت، والعقل، وإليك بيان ذلك:

(١) أضواء على خطوط محب الدين، ص (٤٢) وما بعدها.

(٢) الموافقات (٢/ ٥٩).

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، وأنه لا يمكن ان يتطرق إليه التحريف أو التبديل، والآيات في هذا الشأن كثيرة منها:

● قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

● قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

● قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

● قوله تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

● قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

● وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

● وقوله تعالى ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾

[القيامة: ١٦، ١٧]

فقد دلت هذه الآيات الكريمة على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لآياته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]. وهذه الآيات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف، والتبديل حيث لا يحتاج إلى شرح أو توضيح، كما أن ثناء الله تعالى في القرآن الكريم على الصحابة، رضوان الله عليهم، مما يؤكد كذب ما نسبته إليهم الشيعة الرافضة من دعوى تحريف القرآن[١] قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) بذل المجهود (١/ ٤٣٤) عبدالله الجميلي..

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وغير ذلك من الآيات فى مدح الصحابة التى سيأتى شرحها وبيانها فى موضعه - بإذن الله تعالى -.

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين نقول للشيعة الرافضة: إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمة، التى أكد الله تعالى فيها أن هذا القرآن لم يحرف، ولن يحرف، لانه هو الذى تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل، كما أثنى على صحابة نبيه ﷺ الذين اتهمتموهم بالتحريف، ووصفهم بالصدق، والإيمان بالله ورسوله، وزكاهم أعظم تزكية فليلزمكم تجاه هذه الآيات، إما أن تعترفوا وتقروا أن هذه الآيات جاءت من الله تعالى، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبولها، واعتقاد ما دلت عليه، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وإما أن تنكروا أنها من الله فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين، إذ من أنكر آية واحدة فى القرآن واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله، فهو كافر بإجماع المسلمين[١].

ب- الأدلة من أقوال أئمتهم:

فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم يحثون فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله وردُ كل شيء إلى الكتاب والسنة، ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى بن جعفر أنه سئل: أكل شيء فى كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[٢]، وجاء عن أبى عبدالله أنه قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ فقد كفر[٣]، وعن أبى جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئًا تحتاج إليه الامة إلا أنزله فى كتابه وبينه لرسوله ﷺ، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه[٤]، وعن أبى عبدالله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة[٥].

---

(١) بذل المجهود (١/ ٣٢٥).

(٢) أصول الكافى (١/ ٦٢).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٧٠).

(٤، ٥) المصدر نفسه (١/ ٥٩).

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائتين مهمتين:

● إن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة، وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

● إن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوها بل هم بُرءاء منها وممن افتراها[1].

ج- الأدلة العقلية:

وكما دل النقل على بطلان دعوى الرافضة في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك، وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من المفاسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى، وفي النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، والأئمة من آل البيت الأطهار، فالقول بتحريف القرآن يستلزم الطعن في الله تعالى واتهامه بعدم الوفاء بوعده بحفظ القرآن من التحريف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ويستلزم الطعن في النبي ﷺ حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل بل خص علياً رضي الله عنه بكثير من الآيات التي لم يطلع عليه غيره، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم - على حد زعم الشيعة الرافضة - إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله وقد توعد الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم للإقلاع على هذه العقيدة والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه ﷺ، وصحابة نبيه الكرام، وأهل البيت الأطهار[2].

(١، ٢) بذل المجهود (١/ ٤٣٧).

٢- اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قال الكليني صاحب أصول الكافي- والذى هو عندهم كصحيح البخارى عند أهل السنة-[١]، يروى ما نصه: ... إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، وأن عليًا كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله[٢]، كما توجد هذه المقالة فى طائفة من كتبهم المعتدة كرجال الكشى[٣]، وعلل الشرائع[٤]، والمحاسن[٥]، ووسائل الشيعة[٦]، وغيرها. وكيف يقال مثل هذا فى كتاب أنزله الله سبحانه ليكون هداية للناس ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

قال الخليفة الراشد علىّ - رضى الله عنه -: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم[٧]،وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ثم قرأ هذه الآية ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣][٨].

وقد جاء فى كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة فى بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها:.. فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٥٥).

(٢) أصول الكافى (١/ ١٨٨).

(٣) رجال الكشى، ص (٤٢٠).

(٤) الصدوق، علل الشرائع، ص (١٩٢).

(٥) المحاسن للبرقى، ص ٢٦٨.

(٦) وسائل الشيعة للحر العاملى (١٨/ ١٤١).

(٧) فضائل القرآن لابن كثير، ص (١٥) موقوف على أمير المؤمنين على.

(٨) تفسير الطبرى (١٦/ ٢٢٥).

إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل[1]. وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي -رضي الله عنه- وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع- جاء النص التالي: فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه[2].

ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم، فرواياتهم - كما ترى - يعارض بعضها بعضاً، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً وهو الأخذ بما خالف العامة - وهم أهل السنة عندهم - والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثنى عشر، لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثنى عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثنى عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أوعدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال، لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، وحسبك بهذا الضلال، والإضلال عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التآمر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل[3].

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن الكريم لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد ﷺ ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثنى عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل[4]، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن

---

(١) تفسير العياشي (١/ ٢)، البحار (٩٢/ ١٧).

(٢) نهج البلاغة، ص (٢٦٥)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٠).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦١).

(٤) المصدر نفسه (١/ ١٦٢).

بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ فهو القائل: بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي[1]، وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات.

أ- جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبدالله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله ﷺ فسره لرجل واحد، وفسر للأمة ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب[2]، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أنزل عليَّ القرآن، وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغ علمه عند غير علي هلك[3]، وزعمت أيضا كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر - رضي الله عنه -: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم - إلى أن قال -: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[4].

ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً، وربما تستغرق مجلداً وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن، وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء[5]، والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق الرسول: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغ علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى ﷺ، أو من صحابة رسول الله ﷺ بمن فيهم علي فقد اهتدى، والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي ﷺ أحداً من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم، ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله ﷺ بعلم دون الناس[6]، وقد خاطب النبي ﷺ

---

(١) أحوال الرجال، ص (٣٨) للجوزجاني، أصول الشيعة الإمامة (١/ ١٦٢).

(٢) أصول الكافي (١/ ٢٥)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣١).

(٣) أمالي الصدوق، ص (٤٠)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣٨).

(٤) بحار الأنوار (٢٤/ ٢٣٧، ٢٣٨) أصول الشيعة (١/ ١٦٣).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٦).

(٦) مسلم رقم (١٩٨٧).

الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم، فقال ﷺ: «نضّر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[1]. وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية المعتمدة[2]، فيكون حجة عليهم، وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثنى عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم - إنما يعرف القرآن من خوطب بهـ[3] وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا - على حد زعمهم - بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه مالا يعرفه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الله[4]، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل، فمما يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبدالرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا[5]، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام المقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٨٩، ٦٩٠).

(٢) أصول الكافي (١/ ٤٠٣)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١٨/ ٦٣).

(٣) بحار الأنوار (٢٤/ ٢٣٧، ٢٣٨)، أصول الشيعة (١/ ١٦٣).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٧٦) كلام لابن عباس.

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنى عشر، بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الإخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة فى الدعوة لتدبر القرآن وفهمه(١).

إن دعوى أن القرآن لم يفسر إلا لعلى مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، فالبيان للناس لا لعلى وحده - كما سبق - فليس لمن قال بهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزله إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهى مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم. وكان على - رضى الله عنه - يثنى على تفسير ابن عباس(٢)، وقال ابن تيمية - رحمه الله-: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس فى شىء منها ذكر على، وابن عباس يروى عن غير واحد من الصحابة، يروى عن عمر، وأبى هريرة، وعبدالرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبى بن كعب، وأسامة بن زيد، وغير واحد من المهاجرين والأنصار وروايته عن على قليلة جداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئًا من حديثه عن على، وخرجوا حديثه عن عمر وعبدالرحمن بن عوف وأبى هريرة وغيرهم.. وما يعرف بأيدى المسلمين تفسير ثابت عن على، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذى منها عن على قليل جداً، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر(٣)، وقد تحدث جعفر بولع الناس بالكذب عليه أن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله على يفضى إلى الطعن فى تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال، لأنه لم ينقلها - على حد زعمهم - عن رسول الله إلا واحد وهو على - رضى الله عنه - فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها

---

(١) البيان للخوئى، ص (٤٦٣)، أصول الفقه للمظفر (٣/ ١٣٠).

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ١٩)، تفسير ابن جزى (١/ ٩).

(٣) منهاج السنة (٤/ ١٥٥).

الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده، فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم بالانتفاع به، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد، لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وخوطب به الناس أجمعون ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه،ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من البيان والكلام[1]، وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله والسلف والأئمة، فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة، لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثني عشر، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها[2]، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم -كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان وكتب الحديث كالكافي والبحار- تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني - كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله -، وبناء على هذه العقيدة فإن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت وفي ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم[3].

٣- اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن استقى منهم، وبمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٢).

(٢) الشيعة والرجعة، ص (١٩) محمد رضا النجفي.

(٣) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٧٦).

جميعًا الكيد له وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون. وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة -رضى الله عنهم- وتجريحهم في الوقت الذى يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة فى هذا الباب بآراء تخالف كل ما أثر فى تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق[1].

إن جذور التأويل الباطنى نبت فى أروقة السبئية، لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجفة مستنداً من كتاب الله بالتأويل الباطل، وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2] [القصص: ٨٥]، وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم، فقد تحدث الإمام الاشعرى[3]، والبغدادى[4]، والشهرستانى[5]، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة والذى تنسب إليه الطائفة المغيرية أنه ذهب فى تأويل الشيطان فى قوله الله جل شأنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]، بعمر بن الخطاب - رضى الله عنه. وهذا التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية، ودونته فى مصادرها المعتمدة، حيث جاء فى تفسير العياشى[6]، والصافى[7]، والقمى[8]، والبرهان[9]، وبحار الأنوار[10]، عن

(١) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، ص (٢٣٣، ٢٣٤).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٧).
(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣).
(٤) الفرق بين الفرق، ص (٢٤٠).
(٥) الملل والنحل (١/ ١٧٧).
(٦) تفسير العياشى (٢/ ٢٢٣).
(٧) تفسير الصافى (٣/ ٢٢٣).
(٨) تفسير القمى (٣/ ٨٤).
(٩) البرهان (٢/ ٣٠٩).
(١٠) بحار الأنوار (٣/ ٣٧٨).

أبى جعفر فى قول الله: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، قال: هو الثانى، وليس فى القرآن شىء، فكانت كتب الإثنى عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف فى كتاب الله قاعدة مطردة(١).

فهذه الروايات التى تسندها كتب الشيعة الاثنى عشرية إلى أبى جعفر الباقر هى من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبى عن كثير النواء(٢)، أن أبا جعفر قال: برىء الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت(٣)، وروى الكشى فى رجاله عن أبى عبدالله قال: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا(٤)، وساق الكشى روايات عديدة فى هذا الباب(٥)، ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعرى، والبغدادى وابن حزم، ونشوان الحميرى على أن جابر الجعفى الذى وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطنى كان خليفة المغيرة بن سعيد(٦) الذى قال بأن المراد بالشيطان فى القرآن هو أمير المؤمنين عمر – رضى الله عنه – فهى عناصر خطرة يستقى بعضها من بعض عملت على فساد التشيع(٧).

وحين احتج شيخ الشيعة فى زمنه – والذى إذا أطلق لقب العلاّمة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلى) – على استحقاق على للإمامة بقوله: (البرهان الثلاثون قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩]، قال: على وفاطمة ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ النبى ﷺ ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ الحسن والحسين، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية – رحمه الله –: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (١ / ٢٠٦).

(٢) كثير النواء: شيعى وروى أنه رجع عن تشيعه.

(٣) ميزان الاعتدال (٤ / ١٦١).

(٤) رجال الكشى، ص (١٩٥).

(٥) المصدر نفسه، ص (١٩٥).

(٦) مقالات الإسلاميين (١ / ٧٣)، الفرق بين الفرق ص ٢٤٢، المحلى (٥ / ٤٤) أصول الشيعة (١/ ٢٠٧).

(٧) أصول الشيعة (١ / ٢٠٨).

والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه[1]، وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الرافضة لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم التفسير الباطنيّ للقرآن الكريم على مصراعيه.

أ- تحريفهم معنى التوحيد الذى هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية الإمامة:

فعن أبى جعفر أنه قال: ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا[2]، وذلك قول الله فى كتابه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

ب- تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام:

ففى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١] قال ابو عبدالله: يعنى بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[3].

ج- تحريفهم معنى الرب فى القرآن إلى معنى الإمام:

ففى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ [الفرقان: ٥٥] قال القمى فى تفسيره: الكافر: الثانى (يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه)، (كان على أمير المؤمنين عليه السلام ظهيرًا)[4]، وقال الكاشانى فى البصائر عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها فى بطن القرآن: على هو ربه فى الولاية[5].

د- تحريفهم معانى الكلمة إلى معانى الأئمة:

فقالوا فى تفسير قول الله: ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٢١]. الكلمة: الإمام[6]، وقوله سبحانه: ﴿ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [يونس: ٦٤]، قالوا: لا تفسير للإمامة[7].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٦٦).
(٢) تفسير العياشى (٢/ ٢٦١)، البرهان (٢/ ٣٧٣).
(٣) البرهان (٢/ ٣٧٣)، اصول الشيعة (١/ ٢٠٩).
(٤) تفسي القمى (٢/ ١١٥).
(٥) تفسير نور الثقلين (٤/ ٢٥).
(٦) تفسير القمى (٢/ ٢٧٤)، بحار الأنوار (٢٤/ ١٧٤).
(٧) تفسير القمى (١/ ٣١٤)، بحار الأنوار (٢٤/ ١٧٥).

هـ- تحريفهم معانى المسجد والكعبة والقبلة إلى معانى الأئمة:

فقالوا فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]. قال: يعنى الأئمة[١]، وفى رواية ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. قال: يعنى الأئمة[٢] وفى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إمامًا[٣]، ويقول الصادق عنهم: ... نحن البلد الحرام كعبة الله ونحن قبلة الله[٤]، والسجود: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، حيث قالوا: يدعون إلى ولاية على فى الدنيا[٥].

و- تحريفهم معانى التوبة فى القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبى بكر وعمر وعثمان إلى ولاية على وحده:

ففى قوله سبحانه: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] جاء تأويلها عندهم فى ثلاث روايات، تقول الأولى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية فلان وفلان (يعنون أبا بكر وعمر وبنى أمية)، وتقول الرواية الثانية: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية الطواغيت الثلاثة (يعنون أبا بكر وعمر وعثمان) من بنى أمية، ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعنى ولاية على، وتقول الثالثة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية هؤلاء وبنى أمية ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ هو أمير المؤمنين[٦]، وكل الروايات الثلاث المذكورة منسوبة لأبى جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه ينفيان صحة ذلك[٧]. وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم فى التفسير - غالبًا - على هذا المنهج الباطنى فى التأويل الذى استقته من أبى الخطاب وجابر الجعفى والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة، ويلاحظ أنه فى القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك

---

(١) تفسير العياشى (٢/ ١٢)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

(٢) تفسير العياشى (٢/ ١٢)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

(٣) البرهان (٤/ ٣٩٣)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

(٤) بحار الأنوار (٢٤/ ٣٠٣).

(٥) تفسير القمى (٢/ ٣٨٣)، مرآة الأنوار، ص (١٧٦).

(٦) تفسير الصافى (٤/ ٣٣٥)، تفسير القمى (٢/ ٢٥٥).

(٧) أصول الشيعة (١/ ٢١٨).

النزعة المغرقة في التأويل الباطني، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ) يؤلف لهم كتاباً في التفسير، ويحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة[1].

سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام:

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي ﷺ موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم؛ كفرهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم، على ما جاء مصرحًا بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم، **فقد روى الكليني عن أبي جعفر** أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع[2].

- **وقال نعمة الله الجزائري**: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله[3]، وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين[4].

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٤٦).

(٢) الروضة من الكافي (٨/ ٢٤٥، ٢٤٦) الانتصار للصحب والآل، ص (٧٦).

(٣) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٤٤).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٧٧).

- **يقول محمد باقر المجلسي**: وعقيدتنا في التبرؤ: إننا نتبرأ من الأصنام الأربعة، أبي بكر وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم[1]. وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي ﷺ: استباحة لعنهم، بل تقربهم إلى الله بذلك أمراً يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي افتراء على زين العابدين -رحمه الله- أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك قال: هات يا ثمالي، فاعدت عليه الحديث فقال: نعم يا ثمالي. أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح[2]، ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما أبا بكر وعمر) وينسبون هذا الدعاء ظلما وزوراً لعلي - رضي الله عنه - وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك،وقلبا دينك، وحرفا كتابك... إلى أن جاء في آخره -: اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعناً كثيراً أبداً، دائماً سرمداً، لا انقطاع لأمره ولا نفاد لعدده، لعناً يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم، (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار، آمين رب العالمين[3].

---

(١) حق اليقين، ص (٥١٩) (فارسي) وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبدالستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة، ص (٥٣).

(٢) اجمع الفضائح لملا كاظم، ص (٥١٣) نقلا عن الشيعة وأهل البيت، ص (١٥٧).

(٣) مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار، ص (١١٣ - ١١٤)، وتحفة عوام مقبول، ص (٢١٤، ٢١٥) وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر اسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.

هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى إنهم رووا فى فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن عليًا -عليه السلام- كان يقنت بهذا الدعاء فى صلواته، وقال إن الداعى به كالرامى مع النبى ﷺ فى بدر، وأحد وحنين، بألف ألف سهم[1]، ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم، حتى أن أغا بزرك الطهرانى ذكر أن شروحه بلغت العشرة[2].

فهذا ما جاء فى كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون، وبها متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخمينى - يقول فى كتابه كشف الأسرار: «إننا هنا لا شان لنا بالشيخين، وما قام به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللا وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبى ﷺ وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين[3]»، ويقول عن الشيخين - رضى الله عنهما -: وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك[4]، ويقول متهما لهما بتحريف القرآن: «لقد ذكر الله ثمانى فئات تستحق سهمًا من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئًا[5]»، ويقول: «الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره.. الرسول الذى كدّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفى أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة[6]».

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنيزى وأحمد مغنية والرفاعى، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم فى تقديمهم للصحابة فى الأوساط الشيعية، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعى من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهذون فى هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء فى كتبهم

---

(١) علم اليقين فى أصول الدين لمحسن الكاشانى (٢/ ١٠١).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٨/ ١٩٢).

(٣) كشف الأسرار، ص (١٢٦).

(٤) المرجع نفسه، ص (١٣١).

(٥) المرجع نفسه، ص (١٣٥).

(٦) المرجع نفسه، ص (١٣٧).

قديمًا وحديثًا وما يجرى فى واقعهم من عوامهم وشيوخهم، وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم[1].

إن عقيدة الشيعة الرافضة فى الصحابة موجودة فى أصول كتبهم التى يقوم عليها المذهب من مطاعن وسباب، وشتائم بذيئة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم فى حق أصحاب رسول الله وخلفائه ووزرائه وأصهاره، ويعدون ذلك دينًا يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة، وفى الحقيقة أن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لا بد له من موقفين:

أ- موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، الأمر الذى يستوجب شكر الله على ذلك.

ب- موقف الاتعاظ والاعتبار، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبى بكر وعمر صباحًا ومساء، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه، وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكًا ضروريًا من دين الله، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان من أكفر الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحًا ومساء، فى أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبى بكر وعمر. بل إنى لا أعلم[2] فيما اطلعت عليه من كتب الرافضة - أنفسهم - أنها تضمنت دعاء مخصوصًا، أو غير مخصوص فى لعن أبى جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة الذين هم أشد الناس كفرًا بالله وتكذيبًا لرسوله ﷺ، بل ولا فى لعن إبليس، فى حين أن كتبهم تمتلىء بالروايات فى لعن أبى بكر وعمر، كما فى دعاء صنمى قريش وغيره، ففى هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفًا من منكر، ولا يميز حقًا من باطل، بل يتخبط فى الظلمات، ويعيش سكرة الشهوات، وهذا ما أخبر الله عنه فى كتابه وبين حال أصحابه[3] فى قوله: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ**

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٣/ ١٣١٩ - ١٣٤٢).

(٢) هو الدكتور إبراهيم الرحيلى صاحب كتاب الانتصار للصحب والآل، ص (٨٥).

(٣) الانتصار للصحب والآل، ص (٨٥).

أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: ٧٥].

١- نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة: المتعلقة بردة الصحابة - على حد زعمهم - والرد على باطلهم:

أ- آية آل عمران:

استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٣، ١٤٤]، أن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله ﷺ وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة، فما ثبت من الصحابة قلة قليلة، وهي الفئة التي ترى الشيعة الرافضة ثبوتها على الإسلام وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون، ولا يكونون إلا قلة، كلما قال تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله في المدينة وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل(١)، وقد حولوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق، رضي الله عنهم، والرد على هذا الكذب كالآتي:

- روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله ﷺ، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤](٢).

وروى أيضا عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والارتياب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبي ﷺ: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول فنزلت هذه الآية(٣)، فالمقصود

---

(١) ثم اهتديت للتيجاني، ص (١١٤، ١١٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٨).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٤٥٨).

بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله ﷺ قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ وإن كانت هي حجة عليهم، مع أنها لو كانت فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي ﷺ من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على ردته، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم[1]، ولهذا ثبت عن علي - رضي الله عنه - أنه كان يقول في قوله تعالى ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه[2]، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله[3].

لقد كانت لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقًا لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطبًا الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات[4]، وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الكفر بالإيمان، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا: نصلي ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين[5]، وقد

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٢٢).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٥).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٤٥٥).
(٤) البخاري، فضائل الصحابة، رقم (٣٦٦٨).
(٥) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٣٠٢).

وقف أمير المؤمنين على بجانب الخليفة الراشد الصديق فى جهاده ضد المرتدين ومانعى الزكاة، أما التيجانى وشرف الدين الموسوى وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثنى عشرية فمازالوا يدندنون حول قضية مانعى الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ورمى أبى بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأى ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون فى أصحاب رسول الله ﷺ، ويجعلون من الذين جاهدوا[1] فى سبيل الله لرفعة هذا الدين رموزاً للكفار والردة والنفاق ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن أبى طالب لأبى بكر الصديق، يذكر الأربلى فى كتاب، «كشف الغمة فى معرفة الأئمة» عن عروة بن عبدالله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن على عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، سيفه، قلت: فتقول الصديق؟ فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً فى الدنيا ولا فى الآخرة[2]. فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التى طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم[3].

ب- آية سورة المائدة:

وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [المائدة: ٥٤].

إن هذه الآية التى بين أيدينا والتى يستدل بها علماء الشيعة الاثنى عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهى أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم فى الدفاع عن الإسلام لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم[4]، فقد روى الطبرى بسنده عن على رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى: **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** بأبى بكر وأصحابه، وعن الحسن البصرى قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام، وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير[5].

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) كشف الغمة (٢/ ١٤٧).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٣٠٤).

(٤) المصدر نفسه، ص (٣١١).

(٥) تفسير الطبرى (٤/ ٦٢٣، ٦٢٤).

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين، فينالوا العزة والكرامة، بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيىء وتغشاهم الزلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة، وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبو بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسى وسجاح وخيبتهم[1].

إن هذه الصفات المذكورة فى هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات، فالله سبحانه وتعالى ذكر بأنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات فى كتابى «الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر الصديق»[2] فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

ج- آية سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨- ٣٩]، فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة فى أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنهم متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدال غيرهم من المؤمنين الصادقين، وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم فى العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد فى مرات عديدة، فقد جاء فى قول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] عند صاحب كتاب «ثم اهتديت»: ومن البديهى المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبى ﷺ واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التى سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم[3]، والرد على هذا

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص (٣١٢).

(٢) الانشراح ورفع الضيق فى سيرة أبى بكر الصديق، ص (٢٨٨ - ٢٩١) للمؤلف.

(٣) ثم اهتديت، ص (١١٥).

الشيعي الرافضي كالآتي: أنه ليس في هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبي ﷺ، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن عسرة وفاقة من أصحاب النبي ﷺ مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله والتحذير من التثاقل عنه، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم. قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وهذه الآية حث من الله -جل ثناؤه- للمؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وتلك غزوة رسول الله ﷺ تبوك.[١] ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا عتابًا من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعًا لا يرد على عامة أصحاب النبي ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله، وهم غالب الصحابة وأكثرهم[٢]، وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك[٣]. ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين[٤]، وهم كعب ابن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحيًا يتلى في كتابه في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]، وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٢)

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢)

(٤) البخاري، رقم (٤١١٨)، مسلم (٢٧٦٩).

التمر بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليه حتى تأتى على آخرهم[1]، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ فى تلك الغزوة بعد هجر النبى ﷺ ،وندمهم ندمًا عظيمًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[2]، فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد فى النيل من أصحاب النبى ﷺ أو غمزهم بشيء مما قد يقع منهم، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم فى كتابه وتزكية الرسول ﷺ لهم فى سنته - رضى الله عنهم-[3]، وأما اقتتال الصحابة رضى الله عنهم فقد نشأ فى عهد على رضى الله عنه، وقد تقدم الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة، وبيان وجهة كل فريق، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه، وإنما الإمساك عما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل، والمنهج الأقوم فى حقهم، فرضى الله عنهم أجمعين[4].

د- حديث المذادة عن الحوض:

قال رسول الله ﷺ : «**بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم**[5]، فقال ﷺ : **إنى فرطكم على الحوض من مر علىّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علىّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم، فأقول: أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدى**»[6].

يقول بعض الشيعة: فالمتمعن فى الأحاديث العديدة التى أخرجها علماء أهل السنة فى صحاحهم ومسانيدهم لا يتطرق إليه الشك فى أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأى حال

---

(١) تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٢)، تفسير البغوى (٢/ ٣٣٣).

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٢٩).

(٣) المصدر نفسه، ص (٣٢٨).

(٤) المصدر نفسه، ص (٣٣٠).

(٥) البخارى، ك الرقاق، رقم (٦٥٨٤)، (٦٥٨٧).

(٦) مسلم، ك الفضائل (٤/ ١٧٩٣).

من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث: وهم المنافقون لأن النص يقول: فأقول أصحابي، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمنًا[1]. والرد على هذه الشبهة كالتالي: إن أصحاب النبي ﷺ مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه، وتزكية رسوله لهم في سنته، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء، ووصفهم بأحسن الصفات، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ – ويأتي بيان ذلك بإذن الله–.

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث، وأنها لا توجب قدحًا فيهم، قال ابن قتيبة – في معرض رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة–: فكيف يجوز أن يرضى الله – عز وجل – عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم، وهذا هو شر الكافرين[2]، وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد من جفاة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين، ويدل القول: (أصيحابي) على قلة عددهم[3]، وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: **«هل تدري ما أحدثوا بعدك»**: هذا مما اختلف العلماء فيه، المراد به على أقوال:

أ– إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب– إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده، فيناديهم النبي ﷺ إن لم يكن عليكم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

جـ– إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون

---

(١) ثم اهتديت، ص (١١٩).

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص (٢٧٩).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٨٥).

بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله، سبحانه وتعالى، فيدخلهم الجنة بغير عذاب[1]، ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر -رحمهما الله تعالى-[2].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي ﷺ: فأقول أصحابي أو أصيحابي - بالتصغير - وفي بعضها يقول: سيؤخذ أناس من دوني فأقول: يا ربي مني ومن أمتي، وفي بعضها يقول: ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني[3]. وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب[4]، وإذا كان النبي ﷺ قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أدبارهم، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[5]، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قال ابن عبدالبر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم[6]، وقال القرطبي في التذكرة: قال علماؤنا - رحمة الله عليهم أجمعين -: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه مالا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون[7].

---

(١) شرح صحيح مسلم (٣/ ١٣٦، ١٣٧).

(٢) المفهم للقرطبي (١/ ٥٠٤)، فتح الباري (١١/ ٣٨٥).

(٣) الروايات في البخاري، ك الرقاق، فتح الباري (١١/ ٤٦٣ - ٤٦٥).

(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٥٤).

(٥) مسلم ك الفضائل، إثبات الحوض (٤/ ١٧٩٢ - ١٠٨٢).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٧).

(٧) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٤٨).

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ، على ما روى الطبري في تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم[١].

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً، وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة – رضي الله عنهم –، وكذلك أهل البدع كان الصحابة – رضوان الله عليهم – أشد الناس إنكاراً عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرءوا منها ومن أهلها، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء، فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات[٢]، ويقول البغوي ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف علي معاداة أهل البدع: وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معادة أهل البدع ومهاجرتهم[٣].

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي ﷺ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي ﷺ: **«ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»**[٤]، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ، فهؤلاء في علم

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٥٦) نقلا عن تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥).

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد (٢/ ٤٢٠).

(٣) شرح السنة للبغوي (١/ ١٩٤).

(٤) البخاري، رقم (٦٥٨٢).

النبي ﷺ من أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته، ولذا يقول له: **إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**، وفي بعض الروايات: «**إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[١]. فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام[٢].

وأما قول النبي ﷺ: «**فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**»[٣]، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة لهم فيه، أن الضمير في قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: «**بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، فقلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم؟ قالوا: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم**»[٤]، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل[٥]، قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: (**فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم**: يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل لأن الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره)[٦]، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم[٧].

---

(١) مسلم، الفضائل، (٤/ ١٧٩٦).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧).

(٣) البخاري، رقم (٦٥٨٤ - ٦٥٨٧).

(٤) المصدر نفسه، رقم (٦٥٨٤).

(٥) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٥٩).

(٦) فتح الباري (١١/ ٤٧٤، ٤٧٥).

(٧) الانتصار للصحب والآل، ص (٣٦٠).

٢- عدالة الصحابة:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة فى الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة فى النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهى، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق، ولم تتحقق العدالة فى أحد تحقيقها فى أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم، رضى الله عنهم، عدول تحققت فيهم صفة العدالة[١]، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب فى الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوى: ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبى ﷺ أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير[٢].

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام، رضى الله عنهم، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب فى تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٣].

أ- قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة، رضى الله عنهم، أن وسطًا بمعنى: عدولا خيارًا[٤]، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

ب- قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة، رضى الله عنهم، أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٧٩٩).

(٢) ظفر الأمانى فى مختصر الجرجانى للكنوى، ص (٥٠٦، ٥٠٧).

(٣) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٨٠٠).

(٤) الكفاية للخطيب البغدادى، ص (٦٤).

في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام رضى الله عنهم، وذلك يقتضى استقامتهم فى كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونون أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك(١).

جـ- قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم، رضى الله عنهم، أن الله تعالى أخبره فيها برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة فى أموره كلها عدلاً فى دينه، ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء. كيف لا يكون عدلاً، وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين(٢).

د- قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩]، فهذا الوصف الذى وصفهم الله به فى كتبه، وهذا الثناء الذى أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم. قال القرطبى، رحمه الله، عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، وقد ذهبت شرذمة، لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم فى بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من من البحث وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلى وطلحة والزبير وغيرهم، رضى الله عنهم، ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضى عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٨٠٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٨٠٤)..

القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد(١).

هـ- قوله تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٨، ٩]، فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبًا الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة فى هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول، فهذه الآيات التى أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة، رضى الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم(٢).

● **وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:**

فقد وصفهم النبى ﷺ في أحاديث يطول تعدادها وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم ومن تلك الأحاديث:

أ- ما رواه الشيخان فى صحيحهما من حديث أبى بكرة أن النبى ﷺ قال:.... **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**(٣)، وجه دلالة الحديث على عدالتهم، رضى الله عنهم، أن هذا القول صدر من النبى ﷺ فى أعظم جمع من الصحابة فى حجة الوادع، وهذا من

---

(١) تفسير القرطبى (١٦/ ٢٩٩).

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٨٠٧).

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).

أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم، حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثنى منهم أحداً[1]. قال ابن حبان: وفى قوله ﷺ: **«ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»**: أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى فى قوله ﷺ وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم فى الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً[2].

ب- روى البخارى بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم: **«لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[3]. وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضى الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لاسيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[4]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليه، وثناء رسول الله ﷺ، عليهم فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق[5].

ولو لم تكن عدالتهم منصوصًا عليها فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم، استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة، والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله فى سبيل نصرة الحق ورفع رايته، وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار، رضى الله عنهم أجمعين، والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع فى الذنوب والخطايا، فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم[6]، قال ابن الأنبارى: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلى أن يثبت ارتكاب قادح، ولم يثبت

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٨٠٧).
(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(٣) البخارى (٢/ ٢٩٢).
(٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٠، ١١١).
(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٨٠٩).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٨٠٩).

ذلك ولله الحمد والمنة، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه(١).

● **الإجماع على عدالتهم:**

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها ولا يفرقون بينهم، الكل عدول إحسانًا للظن بهم ونظرًا لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة إليه، والجهاد بين يديه والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

أ- **قال الخطيب البغدادي - رحمه الله -**: بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب جميع العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء(٢).

ب - **وقال أبو عمر بن عبدالبر - رحمه الله -**: ونحن وإن كان الصحابة، رضي الله عنهم، قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم(٣).

ج - **وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين - الجويني رحمه الله -** وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ، ولما استرسلت على سائر الأعصار(٤).

ح - **ذكر ابن الصلاح** أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع

---

(١) فتح المغيث (٣/ ١١٥).

(٢) الكفاية، ص (٦٧).

(٣) الاستيعاب على حاشية الإصابة (١/ ٨).

(٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٢)، وذكره السيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٢١٤).

من يعتد به الإجماع من الأمة، وقال أيضا: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم فى الإجماع إحسانًا للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكان الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة[1]. والله أعلم.

هـ - **قال الإمام النووى - رحمه الله** - بعد أن ذكر أن الحروب التى وقعت بينهم: كانت عن اجتهاد، وأن جميعهم معذورون - رضى الله عنهم - فيما حصل بينهم، وقال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم، رضى الله عنهم[2]، وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به[3].

و - **وقال الحافظ ابن كثير**: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم فى كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية فى المدح لهم فى جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدى رسول الله ﷺ، ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل[4].

ز - **وقال العراقى في شرح ألفيته**، بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم، وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضًا فى الإجماع على تعديلهم وإحسانًا للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد[5].

ح - **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى** - مبينًا أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة[6]. فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص (١٤٦، ١٤٧).

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٣) تقريب النواوى مع شرح تقريب الراوى (٢/ ٢١٤).

(٤) الباعث الحثيث، ص (١٨١، ١٨٢).

(٥) شرح ألفية العراقى المسماة بالتبصرة والتذكرة (٣/ ١٣، ١٤).

(٦) الإصابة (١/ ١٧).

واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك(١).

٣- وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ علي ذلك كله، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]، هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظًا فى الفئ ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً فإنه لا حق له فى الفئ، روى ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فيء المسلمين، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾(٢). وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لى عائشة: يا ابن أختى أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبى ﷺ فسبوهم(٣).

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: حدثنا عبدالله عبدالله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت ثم قرأ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٨١٣).

(٢) تفسير القرطبى (١٨/ ٣٢).

(٣) مسلم (٤/ ٢٣١٧).

عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم[١]. ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم، بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم، فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم ان يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه[٢].

وقد قال ابن تيمية - رحمه الله -: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة[٣].

٤- تحريم سب الصحابة - رضي الله عنهم - في الكتاب والسنة:

أ- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وهذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه - جل وعلا - بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله[٤]، يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى[٥]، ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه، وقد أخبر ﷺ أن إيذاءهم إيذاء له، ومن آذاه فقد آذى الله[٦] وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم، والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

---

(١) منهاج السنة (١/ ١٥٣)، المستدرك (٢/ ٤٨٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٠).

(٣) منهاج السنة (١/ ١٥٣)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٢).

(٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٢).

(٥) تفسير السعدي (٦/ ١٢١).

(٦) مسند أحمد (٤/ ٨٧).

ب- قوله تعالى: ﴿ والَّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم[١]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة، رضى الله عنهم، أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ ومثل قوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ في جميع القرآن، فالآية دلت على تحريم سب الصحابة لأن لفظ المؤمنين هم أول ما ينطبق عليهم لأن الصدارة في المؤمنين لهم، رضى الله عنهم، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم دينًا له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه[٢].

قال ابن كثير: - رحمه الله -: عن هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله - عز وجل - قد أخبر أنه قد رضى عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن، ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين[٣].

ج- قوله تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ [الفتح: ٢٩]، ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة، رضى الله عنهم، أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٥).

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢ / ٨٣٣).

(٣) عقيدة أهل السنة نقلاً عن تفسير ابن كثير.

د – وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(١) فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة، رضي الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم(٢)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

نهي السلف عن سب الصحابة:

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة، ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم، كثيرة جداً، منها:

أ- قال أحمد بن حنبل – رحمه الله-: إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله بسوء فاتهمه على الإسلام(٣).

ب- قال أبو زرعة الرازي – رحمه الله –: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(٤).

ج- وقد ذكر الإمام الشوكاني: إجماع أهل البيت، رضي الله عنهم، على تحريم سب الصحابة، رضوان الله عليهم، من اثني عشر طريقًا(٥)، وقد روى أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قومًا بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أني آمرهم بذلك، فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم وممن

---

(١) مسلم (٤/ ١٦٩٧، ١٦٩٨).

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٨).

(٣) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص (١٦٠).

(٤) الكفاية في علم الرواية، ص (٦٧).

(٥) إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي، ص (٥٠ – ٦٤).

تبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما[١]. وروى أيضًا بسنده إلى عبدالله بن الحسن بن على أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبداً[٢].

٥- حب أمير المؤمنين على وأبنائه الصحابة:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى، وما سواها يزول، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثنى عشرية نهج البلاغة، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين على يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله ﷺ كما رآهم وعاينهم، إذ يقول: «لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء الثواب[٣]». وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أى محب فارق من يحبه فيقول: «أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فاحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفًا وصفًا صفًا، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخوانى الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدى على فراقهم[٤]».

فيا أحباب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، تأملوا فى نظرته إلى أصحاب رسول الله ﷺ.

* وأما الإمام على بن الحسين – زين العابدين – رحمه الله: فكان يذكر أصحاب رسول الله ﷺ ويدعو لهم فى صلاته بالرحمة والمغفرة، لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد، وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: «فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان،

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ٣٤٩).

(٢) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٨٥١).

(٣) نهج البلاغة، ص (١٨٢-١٨٩)، ثم ابصرت الحقيقة، ص (٣٢٤).

(٤) نهج البلاغة، ص (٢٣٥)، ثم ابصرت الحقيقة، ص (٣٢٥).

اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ أعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن كثره في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم، مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم[1]».

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة لا ما يدعيه المندسون من الرافضة والمتسترون بستار التشيع أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعًا: موقف الشيعة من السنة النبوية:

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين، ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[2]. ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبذلوا جهوداً عظيمة من أجل حمايتها من الوضع والوضاعين، وقد بذلوا جهداً لا مزيد عليه، وقد سلكوا طرقًا هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا، رحمهم الله، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

---

(١) صحيفة كاملة لزين العابدين، ص (١٣) نقلاً عن ثم أبصرت الحقيقة، ص (٣٢٩).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص (٤٧).

وقد سار علماء السنة على الخطوات التالية فى سبيل النقد حتى أنقذوا السنة مما دُبّر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال[1].

١- إسناد الحديث: لم يكن صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم فى بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أى حديث يرويه صحابى عن رسول الله ﷺ، حتى وقعت الفتنة وقام اليهودى الخاسر عبدالله بن سبأ بدعوته الآثمة التى يتبناها وتقوم على فكرة التشيع الغالى القائل بالوهية على رضى الله عنه، وأخذ الدس على السنة يربو عصراً بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم. وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، وقد ابتدأ هذا التثبت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيراً العدوى جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالى أراك لا تسمع لحديثى، أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف، ثم أخذ التابعون فى المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب، يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم، ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ويقول ابن المبارك أيضا: بيننا وبين القوم القوائم. يعنى الإسناد[2].

٢- التوثق من الأحاديث: وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مدّ فى أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ليكونوا مرجعًا يهتدى الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين، بل بعض الصحابة أيضًا من مصر إلى مصر ليسمعوا الأحاديث

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص (٩٠).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٠).

الثابتة من الرواة الثقات ولذلك سافر جابر بن عبدالله إلى الشام وأبي أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣- نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق وكذب: وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب والقوى من الضعيف، وقد أبلوا فيه بلاءً حسنًا، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم، وما خفى من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم فى الله لومة لائم[١].

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب، ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

أ- الكذّابون على رسول الله: وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ، حديث من كذب على النبى ﷺ، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر، واختلفوا فى كفره، فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله واختلفوا في توبته: هل تقبل أم لا؟

ب- الكذّابون فى أحاديثهم العامة: ولو لم يكذبوا على رسول الله، وقد اتفقوا على أن من عُرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه.

ج - أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟ قال ابن كثير: فى ذلك نزاع قديم وحديث، والذى عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره[٢]، والذى يظهر لى أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث فى سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا راية الرافضة، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان[٣].

د - الزنادقة والفساق والمغفلون: الذين لا يفهمون ما يحدثون، وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص (٩١).

(٢) المصدر نفسه، ص (٩٣).

(٣) المصدر نفسه، ص (٩٤).

وقد وضع علماء السنة القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع وذكروا له علامات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي ﷺ وغيرها من العلامات(١).

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثاني مصادرها التشريعية، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم فأُقصي عنه كل دخيل، ومُيز بين الصحيح والحسن والضعيف، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدساسين، وتآمر الزنادقة والشعوبيين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها: تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث(٢).

● **موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة:**

كانت لنظرة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة، رضي الله عنهم، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي، وعمّار وأبو ذر والمقداد بن الأسود، وقد شنوا هجومًا عنيفًا على رواة الحديث كأبي هريرة وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب(٣). واعتبر الإمام عبدالقاهر البغدادي الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى - عليه الصلاة والسلام(٤). فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتباعهم سنة المصطفى ﷺ(٥)، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروي عن أئمتها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، ص (٩٤ - ٩٨).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٠٣).

(٣) أضواء على الشيعة محب الدين، ص (٤٨، ٦٥، ٦٨).

(٤) الفرق بين الفرق، ص (٣٢٢، ٣٢٧، ٣٤٦).

(٥) منهاج السنة (٢/ ١٧٥).

حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[1]، وبهذا المعنى روايات أخر[2] عندهم. وهو يفيد أن الشيعة لا تنكر سنة رسول الله ﷺ، بل تعتمد عليه، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم والدارس لنصوص الشيعة ورواياتها ينتهي إلى الحكم، بأن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاهاً مجانفاً للسنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون ويتبين ذلك فيما يلي:

١- قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير[3]، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدي مجانبتهم للسنة في هذا القول، إذ إن المعصوم هو رسول الله ﷺ، ويجعلون كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمة الاثنا عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[4]، فهم: ليسوا من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى علي لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي[5].

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي، إذ إنهم - في نظرهم - لا يخطئون عمداً ولا سهواً ولا نسياناً طوال حياتهم - كما مرّ معنا في مسألة العصمة - ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة[6]، فالسنة عندهم ليست سنة النبي فحسب، بل سنة الأئمة، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة

---

(١) صحيح الكافي (١/ ١١)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣).

(٣) الأصول العامة للفقه المقارن، ص (١٢٢)، محمد تقي الحكيم، ص (١٢٢).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٤).

(٥) أصول الفقه المقارن (٣/ ٥١)، أصول الشيعة (١/ ٣٧٤).

(٦) تاريخ الإمامية، ص (١٤٠) عبدالله فياض.

المطهرة قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثنى عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة[1].

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم فى هذه المسألة، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما حينما ذكر أن قول الإمام عندهم مجرى قول النبى ﷺ، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هى، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين: من طريق الإلهام كالنبى من طريق الوحى، أو من طريق التلقى عن المعصوم قبله[2].

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه، وقد عقد صاحب الكافى باباً بهذا بعنوان: باب أن الأئمة - عليهم السلام - ولاة أمر الله وخزنة علمه[3]، وضمن هذا الباب ست روايات فى هذا المعنى، وباباً آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم[4]، وفيه سبع روايات، وباباً ثالثاً بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التى خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل - عليهم السلام -[5]، وفيه أربع روايات[6]، وقد توسع الشيعة الرافضة فى هذا الباب ونكتفى بهذا القدر من المصادر الوهمية التى تزعمها الرافضة، والتى يغنى فى بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها. ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة، فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة، وفى الوقت الذى رفض فيه الشيعة صحيحى البخارى ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة، اعتمدوا فى أحاديثهم على ما نقله الكلينى الذى سبق أن أوردنا أقواله فى كثير من عقائدهم واعتبروه حجة، ويعتبر كتابه الكافى[7] من أقدم كتب الشيعة فى الحديث وأوثقها

---

(١) سنة أهل البيت، محمد تقى الحكيم، ص (٩٠).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٧).

(٣) أصول الكافى (١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٢٣ - ٢٢٦).

(٥) أصول الشيعة (١/ ٣٨٥).

(٦) المصدر نفسه (١/ ٣٨٥، ٣٨٦).

(٧) أثر الإمام فى الفقه الجعفرى وأصوله للسالوس، ص (٢٧٤، ٢٧٥).

عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبره والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الذى عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث، علمًا بأن جل ما فى الكافى -كما يقول أبوزهرة- أخبار تنتهى عند الأئمة، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سنداً متصلاً بالنبى ﷺ، ولا أن يدعى أن هذه أقوال النبى ﷺ، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هى أقوال النبى ﷺ، وأنها دين الله تعالى.. وأكثر ما يروي في الكافي واقف عند الصادق وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين على رضى الله عنه، ونادراً ما يقف عند النبى ﷺ[١]، كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبوجعفر محمد بن على بن موسى بن بابويه، الذى يلقبونه بالشيخ الصدوق، وهو أيضًا من أكبر علمائهم بخراسان (توفى ٣٨١هـ)، ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة كتابا (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسى، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التى لا يمكن إثبات صحتها، بل معظمها موضوع مختلق[٢]، مثل ما سبق أن أشرنا إليه، من الأحاديث التى اعتمدوا عليها فى دفاعهم عن أحقية على بالإمامة من هذا العرض لآراء الشيعة ومعتقداتهم، والشيعة يعترفون، أو على الأقل بعض منهم، بأن فى تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة، كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواتهم، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما قال: «... الزموا دينكم، واهتدوا بهدى نبيكم واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن، فالزموه، وما أنكره فردوه[٣]»، وقوله رضى الله عنه: «واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[٤]»، وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعانى الآيات، فيلتزمون بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد،

---

(١) الإمام الصادق، أبوزهرة، ص (٤٢٩).

(٢) الخطوط العريضة، ص (٤٩).

(٣) البداية والنهاية (٧/٢٤٦).

(٤) البداية والنهاية (٧/٣١٩).

وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين على رضى الله عنه كيف يحترمون مقام النبوة، ويتعاملون مع سنة الرسول ﷺ وفق هديه الذى بينته فى هذا الكتاب، ثم يعرضون رواياتهم التى فى كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوه وما خالفهما ينبذونه، ويحذرون أتباعهم منه، وخصوصًا تلك الروايات التى تسئ إلى أئمتهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]، ورسول الله ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه وامتثل أمر ربه فى قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد بلغ النبى ﷺ البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشئ من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا**﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، وقال: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [النحل: ٦٤]. فالدين قد تم وكمل لا يزاد فيه، ولا ينقص منه ولا يبدل[١]، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم[٢]، وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله، وبين جميعه كما أمره ربه، قال ﷺ: «**تركتكم على مثل المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك**»[٣]، وقال أبوذر رضى الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علمًا[٤].

---

(١) المحلى (١/٢٦).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/٣٩٨).

(٣) هذا المعنى صحح الألبانى رحمه الله معظمها.

(٤) مسند أحمد (٣٥/١٥).

ثامناً: التقية عند الشيعة:

١- وأما تعريفها:

فعند الشيعة الرافضة يقول شيخهم المفيد: التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا(١). ويقول يوسف البحراني - أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر - المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفاً(٢). ويقول الخميني: التقية معناها: أن يقول الإنسان قولاً مغايراً للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة وذلك حفظاً لدمه أو عرضه أو ماله(٣). فهذه ثلاثة تعريفات للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاءوا في فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسية عندهم وهي:

* أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.
* أن التقية تستعمل مع المخالفين ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.
* أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.
* أن التقية إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال. وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة التقية عندهم(٤).

٢- وأما مكانتها عند الشيعة الرافضة:

فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت عليها روايات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم، فقد روى الكليني وغيره عن جعفر الصادق أنه قال: التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقيه له(٥).

وعن أبي عبد الله أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شئ إلا في النبيذ والمسح على الخفين(٦).

---

(١) تصحيح الاعتقاد، ص (١١٥).

(٢) الكشكول (١/ ٢٠٢).

(٣) كشف الأسرار، ص (١٤٧).

(٤) بذل المجهود (٢/ ٦٣٨).

(٥) أصول الكافي (٢/ ٢١٩)، المحاسن، ص (٢٥٥).

(٦) أصول الكافي (٢/ ٢١٧)، بذل المجهود (٢/ ٢٣٦).

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيءٌ أحب إليّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، ياحبيب من لم يكن له تقية وضعه الله[1].

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق أنه قال: «ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية[2].

وفي الأصول الأصيلة: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال: قال لي: ياداود لو قلت لك إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا[3].

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس؟ قال: أعلمهم بالتقية وأقضاهم لحقوق إخوانه[4].

وعنه أيضًا أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية[5].

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم، ومنزلتها العظيمة في دينهم؛ إذ التقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقية له والتارك للتقية كالتارك للصلاة، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم، وسائر أركان الإسلام وفرائضه تمثل العشر الباقي[6]، وقد ذكر صاحب الكافي أخبارها في (باب التقية)[7]، و(باب الكتمان)[8]، و(باب الإذاعة)،[9] وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مائة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمداراة)[10].

---

(١) المحاسن للبرقي، ص (٢٥٧).
(٢) أمالي الطوسي، ص (٢٨٧).
(٣) الأصول الأصيلة، عبد الله شبر، ص (٣٢٠).
(٤) المصدر نفسه، ص (٣٢٤).
(٥) المصدر نفسه، ص (٣٢٣).
(٦) بذل المجهود (٢/٦٣٧).
(٧) أصول الكافي (٢/٢١٧).
(٨) المصدر نفسه (٢/٢٢١).
(٩) المصدر نفسه (٢/٣٦٩).
(١٠) بحار الأنوار (٧٥/٣٩٣ - ٤٤٣).

٣- وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أ- أن الشيعة الرافضة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليا - رضي الله عنه، بايعهم وصلى خلفهم، وجاهد معهم وزوج عمر ابنته أم كلثوم، وتسرى من جهاده مع أبي بكر، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئًا مما فعله أبوبكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية(١)، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم، فذهبوا إلى سكون علي عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم جميعًا - كان تقية، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية كان تقية، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية(٢).

ب- أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، حتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي(٣)، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة، روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام-: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيه بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان(٤). قال شارح الكافي: أي زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها.. ولم يكن ذلك مستنداً إلى النسيان والجهل، بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم، إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع وصار ذلك سببًا لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام(٥).

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٤).

(٢) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، ص (٢١٧).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٥).

(٤) أصول الكافي (١/ ٦٥).

(٥) شرح جامع للمازندراني (١/ ٦٥).

جـ- تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت، بحيث يوهمون الاتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم، وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحيلة أقوال الأئمة، والدس عليهم وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذى قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى فى كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفى بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه فى كلامه، وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن على وهو من أهل البيت يروى عن علي - رضى الله عنه - كما تنقله كتب الاثنى عشريه نفسها، أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ(شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يورد الحديث فى الاستبصار عن زيد بن على عن جده على بن أبى طالب قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء - إلى أن قال - وغسلت قدمي، فقال لى: يا على خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار[1]، فأنت ترى أن علياً كان يغسل رجليه فى وضوئه، وأن رسول الله ﷺ أكد عليه بان يخلل أصابعه، والشيعة تخالف سنة رسول الله ﷺ وهدى على رضى الله عنه فى ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت فى كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر فى أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة[2] «التقية».

ولهذا قال الطوسى: هذا خبر موافق للعامة - يعنى أهل السنة - وقد ورد مورد التقية لأن المعلوم الذى لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا - عليهم السلام - القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به[3] لا يعمل به. وفى النكاح: جاءت عندهم روايات فى تحريم المتعة، ففى كتبهم عن زيد بن على عن آبائه عن على - عليه السلام - قال: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة[4]، وقال شيخهم الحر العاملى أقول: حمله

---

(١) الاستبصار (١/٦٥، ٦٦).

(٢) اصول الشيعة الإمامية (٢/٩٨٧).

(٣) الاستبصار (١/٦٥، ٦٦).

(٤) تهذيب الاحكام للطوسى (٢/١٨٤).

الشيخ[١] وغيره على التقية، يعني في الرواية، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية[٢]. وفي قسمة المواريث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئًا[٣]، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئًا؟ أو يكون في ذلك منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئًا؟ فقال: يرثها وترثه من كل شئ ترك وتركت،[٤] قال الطوسي: نحمله على التقية، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجرى هذا المجرى يجوز التقية فيه[٥].

د- وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين: لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط يقول إمامهم (أبوعبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس ففيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه[٦]. وقد كان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة[٧]، ووضعوا لهم ميزانًا، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد[٨].

وقد اعترف صاحب الحدائق بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية، حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية، كما قد اعترف بذلك محمد بن يعقوب الكليني في جامعه الكافي، حتى إنه تخطأ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار[٩]. وتطبيق التقية عندهم خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة

---

(١) إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة فالمراد به شيخهم الطوسي.

(٢) وسائل الشيعة (٧/٤٤١).

(٣) الاستبصار للطوسي (٤/١٥١، ١٥٥).

(٤) المصدر نفسه (٤/١٥٤).

(٥) المصدر نفسه (٤/١٥٥).

(٦) بحار الأنوار (٢/٢٥٢).

(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٨٩).

(٨) المصدر نفسه (٢/٩٨٩).

(٩) الحدائق الناضرة يوسف البحراني (١/٥١)

الضرورة، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة: يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين[1].

٥- مفهوم التقية عند أهل السنة:

إن مفهوم التقية في الإسلام غالباً، إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال ابن جرير الطبري: التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم[2]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة[3].

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين، ولا سيما أهل السنة حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفراً من اليهود والنصارى، لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة[4].

والتقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها - سبحانه - من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال - سبحانه-: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران: ٢٨]. فنهى الله - سبحانه - عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي من يرتكب ما نهى الله عنه فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: ﴿**إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ أي: إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته[5].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر أجمعوا على من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أن لا يحكم عليه بالكفر[6]. ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن

---

(١) الحدائق الناضرة (١/٥).

(٢) تفسير الطبرى (٦/٣١٦).

(٣) تفسير القرطبي (٤/٥٧)، فتح القدير (١/٣٣١).

(٤) المصدر نفسه (٢/٩٧٨).

(٥) تفسير ابن كثير (١/٣٧١).

(٦) فتح الباري (١٢/٣١٤).

بطال :وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله[1]، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك فهى عندهم ليست رخصة بل هى ركن من أركان دينهم[2].

والتقية فى دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجًا عامًا فى سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامى، بل هى - غالبًا - حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه أما فى المذهب الشيعى فتعد طبيعة ذاتية فى بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوك جماعى دائم[3]، وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة أن تقيتهم إنما هى الكذب والنفاق ليس إلا، وقد فرق ابن تيمية - رحمه الله - بين تقية النفاق والتقية فى الإسلام، فقال : .... لست بأن أكذب وأقول بلسانى ما ليس فى قلبى فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه... فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس فى قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون، حيث لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه شيئًا، وإظهار الدين الباطل شئ آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أتيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك، والمنافق والكذاب لا يعذر بحال، ثم إن المؤمن الذى يعيش بين الكفار مضطراً ويكتم إيمانه، يعاملهم بمقتضى الإيمان الذى يحمله بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير فى أهل مصر وكانوا كفارا، وبخلاف الرافض الذى لا يترك شراً يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه[4].

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافضة فقال : إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت، وينتهى العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب

---

(١) فتح البارى (١٢/٣١٧).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٧٩).

(٣) المصدر نفسه (٢/٩٨١).

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٩٥).

الداعي إليها، أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبداً، وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب، وقد تكون مع الفساق الظلمة، أما تقية الشيعة فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة، إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضاً واطمئنان إليها، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير والكثير[1].

تاسعاً: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة:

١- عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتلئ بها كتبهم عقيدة المهدي المنتظر، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة، كما يطلقون عليه القائم[2]، ويزعمون أنه و لد سنة ٢٥٥هـ واختفى في سرداب (سر من رآى[3])، سنة ٢٦٥ هـ وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم[4]، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج[5]، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم ولا وجود له، فالحسن العسكري الذي ينسبون به إليه المهدي مات ولم يعقب أحداً، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عن الشيعة الرافضة، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين[6]، ويروون العجائب في ولادته[7] ويقولون: عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان[8]، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم[9]، ويقتل العرب،

---

(١) العزلة والخلطة، سلمان بن فهد العودة ص (١٤٩).

(٢) الإرشاد للمفيد، ص (٣٦٣)، كشف الغمة الاربلي (٢/ ٤٣٧)، بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(٣) بذل المجهود (١/ ٢٣٧)، معجم البلدان (٣/ ١٧٣).

(٤) المفيد ص٣٤٦، كشف الغمة (٢/ ٤٤٦)، بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(٥) مصابيح الجنات، محسن العصفور ، ص (٢٥٥).

(٦) الغيبة، ص (١١٥)، بذل المجهود (١/ ٢٣٨).

(٧) بذل المجهود (١/ ٢٣٩).

(٨) بحار الانوار (٥٢/ ٢٩١).

(٩) المصدر نفسه (٥٢/ ٣٨٦).

وقريش[1]، ويهدم الكعبة والمسجد النبوى وكل المساجد[2]، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد[3]، ويستفتح المدن بتابوت اليهود[4]، وتنبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلاً ويمد لهم فى أسماعهم وابصارهم، ويحكم بحكم آل داود[5].

وعقيدة الشيعة الرافضة فى مهديهم المنتظر باطلة وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

أ- ثبوت عدم ولادة هذا المهدى: فقد اقتضت حكمة العلى القدير ان يموت الحسن العسكرى الإمام الحادى عشر عند الرافضة وليس له ولد، فكانت فضيحة كبيرة وخذلان عظيم للشيعة الرافضة، إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه فى الإمامة، فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذى يخلف الإمام بعد موته ولده، ولا يجوز أن تكون الإمامة فى الإخوة بعد الحسن والحسين[6]، وعدم ولادة المهدى ثابتة فى كتب الشيعة أنفسهم[7].

ب- لا معنى لاختفاء المهدى: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدى، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة فى السرداب، وإذا ماسئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه فى السرداب وعدم خروجه للناس، فإنهم يعللون ذلك بانه يخشى على نفسه القتل[8]، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة ادلة منها، انه قد جاءت فى كتبكم أنه سيكون منصوراً ومؤيداً من الله تعالى، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام[9]، كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدى لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه من القتل، وعندئذ لا حاجة فى خروجه، وهذه

---

(١) بحار الأنوار (٥٢/ ٣٥٥).

(٢) الرجعة للإحسائى، ص (١٨٤).

(٣) الغيبة، ص (١٥٤).

(٤) بذل المجهود (١/ ٢٤٧).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٤٩).

(٦) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص (٤١٤).

(٧) اصول الكافى (١/ ٥٠٥)، بذل المجهود (١/ ٢٦٧).

(٨) الغيبة، ص (١٩٩).

(٩) بحار الأنوار (٥٢/ ١٩١).

الدول تستطيع أن تحمى المهدى لو خرج فلماذا لم يخرج؟ إن من لا يستطيع أن يحمى نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره، فإن فاقد الشئ لا يعطيه، فكيف تنتظرون -من هذه صفته- أن ينقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصراً مؤزراً، وبهذا تكون قد بطلت دعواهم، بأن العلة من عدم خروج المهدى هو: الخوف من القتل، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدى أصلاً إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسى[١]، فتكون دعوى وجود المهدى باطلة بشهادة علمائهم، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله[٢].

جـ- أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدى: ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة فى المهدى المنتظر، أن هذا المهدى الذى تدعيه الرافضة لم تحصل به مصلحة فى شئ من أمور الدين أو الدنيا، ولم ينتفع منه المسلمون بشئ لا الرافضة ولا غيرهم، قال ابن تيمية - رحمه الله -: إن هذا المعصوم الذى يدعونه فى وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمائة وخمسين سنة[٣] فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين، وله خمس سنين عند بعضهم، وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شئ مما يفعله الإمام المعصوم، فأى منفعة للوجود فى مثل هذا لو كان موجوداً؟! فكيف إذا كان معدوماً؟! والذين آمنوا بهذا المعصوم أى لطف وأى منفعة حصلت لهم به نفسه فى دينهم أو دنياهم؟ إلى أن قال: وهذا الذى تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معدوم عند العقلاء، وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به فى دين ولا فى دنيا[٤]. والشيعة الاثنا عشرية فى هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عملياً من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه وهى تجويز الحكم والولاية للمسلم العادى غير المعصوم، أو عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

٢- عقيدة أهل السنة والجماعة فى المهدى:

بينت الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يُخرج فى آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلاً وسلامًا كما ملئت جوراً وظلمًا،

---

(١) الغيبة، ص (١٩٩)، بذل المجهود (١/ ٢٧١).

(٢) بذل المجهود (١/ ٢٧١).

(٣) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومائة وخمسين عاماً.

(٤) منهاج السنة (٨/ ٢٦١، ٢٦٢).

تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد، ومن هذه الأحاديث:

أ- عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحًا[1]، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعًا أو ثمانيًا»**[2]، يعني حججًا[3].

ب- عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي، يملؤها قسطًا، وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»**[4].

جـ- وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، تلطع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم»** - ثم ذكر شيئًا لا أحفظه فقال: - **«فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي»**[5]

قال ابن كثير - رحمه الله -: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح و لا استحسان إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سودًا أيضًا، وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها العقاب إلى أن قال: والمقصود

---

(١) بمعنى الصحيح، النهاية لابن الأثير (٣/١٢).

(٢) المستدرك (٤/٥٥٧، ٥٥٨) قال الألباني: سنده صحيح ورجاله ثقات سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٧١١).

(٣) المهدي وفقه أشراط الساعة، محمد إسماعيل، ص (٣٣).

(٤) السلسلة الصحيحة (١٥٢٩) وحكم الألباني بتواتره.

(٥) سنن ابن ماجة (٢/١٣٦٧)، مستدرك الحاكم (٤/٤٦٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

أن المهدى الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت، كما دلت على ذلك بعض الأحاديث[1].

د- وعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**[2].

هـ- وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»** إلى أن قال: **«فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»**[3].

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلاً منهم.

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة، وصلاته للمسلمين، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أنه يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه،وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمي: محمد بن عبد الله، ويقال له المهدى، والسنة يفسر بعضها بعضاً.

و- فعن أبي سعيد الخدرى، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«منا الذى عيسى بن مريم يصلي خلفه»**[4].

ز- وعن أبي سعيد الخدرى، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المهدى مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا و جوراً، ويملك سبع سنين»**[5]. ولا توجد أى صلة أو علاقة بين مهدى السنة ومهدى الشيعة الرافضة، وهناك بعض الفوارق بينهما منها:

---

(١) البداية والنهاية، الفتن والملاحم (١/ ٣١).

(٢) البخارى، ك أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٩١) مع الفتح.

(٣) مسلم ك، الإيمان (٢/ ١٩٣) مع شرح النووى.

(٤) رواه أبونعيم في أخبار المهدى، صححه الالبانى صحيح الجامع (٥/ ٧١٧٠).

(٥) سنن أبي داود، ك المهدى رقم (٤٢٦٥).

* أن المهدى عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبى ﷺ، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدى الشيعة الرافضة، فاسمه محمد بن الحسن العسكرى.

* أن المهدى عند أهل السنة من ولد الحسن رضى الله عنه، ومهدى الشيعة الرافضة من ولد الحسين.

* أن المهدى عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية، ولم يوجد فى الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشئ من ذلك، أما مهدى الشيعة الرافضة، فإن حمله وولادته كانت فى ليلة واحدة ودخل فى السرداب وعمره تسع سنوات، ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومائة وخمسين سنة وهو فى السرداب.

* أن المهدى عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين ولا يفرق بين جنس وجنس، وأما مهدى الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة، والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقريشاً فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربى، كما دلت على ذلك رواياتهم.

* أن مهدى السنة يحب صحابة النبى ﷺ، ويترضى عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل، أما مهدى الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبى ﷺ ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم ثم يحرقهم - على حد زعمهم -، وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحد أحب نساء النبى ﷺ الصديقة بنت الصديق عائشة رضى الله عنها، على حد زعمهم.

* أن مهدى أهل السنة يعمل بسنة النبى ﷺ، فلا يترك سّنة إلا اقامها، ولا بدعة إلا قمعها، أما مهدى الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.

* أن مهدى السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدى الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبى ﷺ ولا يبقى مسجداً واحداً على وجه الأرض - كما صرحوا بذلك فى رواياتهم.

* أن مهدى السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أم مهدى الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود.

* أن مهدى السنة يخرج من المشرق، أما مهدى الشيعة الرافضة، فيخرج من سرداب سامراء.

* أن مهدى السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبى ﷺ، وأقوال العلماء قديمًا وحديثًا، أما مهدى الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام، لم يخرج، ولن يخرج فى يوم من الأيام[1].

عاشراً: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعى، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا،[2] وقال ابن بابويه فى الاعتقادات: واعتقادنا فى الرجعة أنها حق[3]، وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[4]، وقال الطبرسى والحر العاملى وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[5]، وأنها من ضروريات مذهبهم،وأنهم: مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتجديد الاعتراف بها فى الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت، كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[6]، ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت[7]. وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم، ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرهما، ولكنها صارت عند الاثنى عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الألوسى إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان فى القرن الثالث[8]، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثنى عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

---

(١) بذل المجهود (١/ ٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٣/ ١١٠٣).

(٣) الاعتقادات، ص (٩٠).

(٤) أوائل المقالات، ص (٥١).

(٥) مجمع البيان (٥/ ٥٢)، الإيقاظ من الهجعة، ص (٣٣).

(٦) الإيقاظ، ص (٦٤).

(٧) القاموس (٣/ ٢٨)، مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).

(٨) روح المعانى (٥/ ٢٧)، ضحى الإسلام (٣/ ٢٣٧) أحمد أمين.

١- الأئمة الاثنى عشر، حيث يخرج المهدى من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقى الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

٢- ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - فى نظرهم - من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثنى عشر) فيبعث خلفاء المسلمين وفى مقدمتهم أبوبكر وعمر وعثمان.. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة الرافضة - للاقتصاص منهم بأخذ الخلافة من أهلها، فتجرى عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

٣- عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً، ولأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم، ومن محض الكفر محضاً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[(١)].

ولهذا قالوا فى تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[(٢)]، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت[(٣)] فى صورهم التى كانوا عليها[(٤)].

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التى يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطنى، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف فى هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلاً على زيف معتقدهم، وبرهاناً على بطلان مذهبهم. وإليك مثالاً على تفسيرهم للآيات، يرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة، لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم - يرجعون - يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك[(٥)]، ومع أن الآية حجة عليهم، فهى تدل على نفى الرجعة إلى الدنيا، إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٠٥).

(٢) أوائل المقالات، ص (٥١).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٠٥).

(٤) أوائل المقالات، ص (٩٥).

(٥) تفسير القمى (٢/٧٦) وضع عنواناً فى أعلى الصفحة اعظم دليل على الرجعة.

يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة[1]، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]. وقوله: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]، وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى النفى من (حرام) وهذا من أساليب الترتيل البديعة النهاية فى الدقة. وسر الإخبار بعد الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم، وفوات أمنيتهم الكبرى وهى، حياتهم الدنيا[2]، إذن المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب[3]، أى ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء[4].

إن فكرة الرجعة عن الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح فى نفى الرجعة مطلقًا[5].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

فهؤلاء جميعًا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق فى قضائه أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو فى بدعة التشيع[6]. وقد جاء فى مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة وكان من أصحاب على رضى الله عنه – قال للحسن بن على: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب، أولئك الكذابون، ولو

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٠٥).

(٢) تفسير القاسمى (١١/٢٩٣).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١١٢).

(٤) فتح القدير (٣/٤٢٦).

(٥) مختصر التحفة، ص (٢٠١).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٢٢).

علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[1]، والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقد كان لابن سبأ اليهودى دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلى، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الاثنى عشرية مع مهديهم الذى يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافرًا أو ظالمًا إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بانه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[2].

الحادى عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى:

من أصول الاثنى عشرية القول بالبداء على الله سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشئ مثل البداء[3]، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء[4]، ولو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه[5]، وما بعث الله نبيًا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء[6]، ويبدو أن الذى أرسى هذا المعتقد عند الاثنى عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام وهو شيخهم الكلينى (ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ) حيث وضع هذا المعتقد فى قسم الأصول من الكافى، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له بابًا بعنوان (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثًا من الأحاديث المنسوبة للأئمة[7].

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعريف معنى البداء تجد أن القاموس يقول: بدا بدوًا بدواة: ظهر. وبدا له فى الأمر بدوًا وبداء و بداة: نشأ له فيه رأى[8]، فالبداء فى اللغة له معينان:

---

(١) مسند أحمد (٢/٣١٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٢٤).
(٣) أصول الكافى (١/١٤٦).
(٤) المصدر نفسه (١/١٤٦).
(٥) المصدر نفسه (١/١٤٨).
(٦) المصدر نفسه (١/١٤٨).
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٣٣).
(٨) القاموس المحيط (٤/٣٠٢).

١- الظهور بعد الخفاء، تقول بدا سور المدينة أى ظهر.

٢- نشأة الرأى الجديد. قال الفراء :بدا لى بداء أى: ظهر لى رأى آخر، قال الجوهرى: بدا له فى الأمر بداء أى: نشأ له فيه رأى[١]. وكلا المعنيين وردا فى القرآن، فمن الأول قوله تعالى ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ومن الثانى قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٥]. وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه، ومن أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات، وتدعى أنه ما عظم الله وعز وجل بمثل البداء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم[٢].

وهذا المعنى المنكر يوجد فى كتب اليهود، فقد جاء فى التوراة التى حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[٣]، ويبدو أن ابن سبأ اليهودى قد حاول إشاعة هذه المقالة، التى أخذها من (توراته) فى المجتمع الإسلامى الذى حاول التأثير فيه باسم التشيع وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية على رضى الله عنه، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء، وأن الله تبدو له البداوات[٤]، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى وهى الفرقة التى اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة[٥].

وكان شيوخ الشيعة يمنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حددوا ذلك بسبعين سنة فى رواية نسبوها لأبى جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شئ من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المازق بالقول بانه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد[٦].

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة

---

(١) الصحاح (٦/٢٢٧٨)، لسان العرب (١٤/٦٦).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٣٥).

(٣) المصدر نفسه (٢/١١٣٦).

(٤) التنبيه والرد للملطى، ص (١٩).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٣٦).

(٦) تفسير العياشى (٢/٢١٨)، بحار الأنوار (٤/٢١٤).

الرافضة من عقيدة البداء لله التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى: والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٥٩، ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج، الثاني: أن ذلك مستلزم لإرادة المشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: إنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق، خبير، يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم، بالأشياء مستغن بنفسه عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته[١]، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شئ يخرج عن تقديره، ولا تدبيره، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ووجود الكائنات ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[٢].

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى، روى البخاري أن رسول الله ﷺ

---

(١) الفتاوى (٢/ ٢١١).

(٢) بذل المجهود (١/ ٣٤٠).

قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم فى غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة**»(١)، وهذه الأمور التى جاءت فى الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها، وقال النبى ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»(٢) وقد جاءت فى كتب الشيعة فى ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام - يكون اليوم شئ لم يكن فى علم الله تعالى بالأمس؟ قال: من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس فى علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق(٣).

الثانى عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة:

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة فى موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذمًا ومقتًا لهم، وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت فى ذم الشيعة الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم فى براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة(٤).

١- ما ثبت عن على - رضى الله عنه - وتواتر عنه أن قال وهو على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر - رضى الله عنهما(٥)، وعنه - رضى الله عنه - قال: لا يفضلنى أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفترى(٦)، وفى الصحيحين أنه قال فى حق عمر عند تشييعه: ما خلق أحد أحب إلىَّ من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم

(١) البخارى، رقم (٤٦٩٧).
(٢) مسلم، رقم (١٦).
(٣) التوحيد لابن بابويه، ص (٣٣٤)، أصول الكافى (١/ ٤٨)، رقم ١٠.
(٤) الانتصار للصحب والآل، ص (١١٢).
(٥) اللالكائى (٧/ ١٣٦٦-١٣٩٧).
(٦) السنة لا بن أبى عاصم، ص (٥٦١).

الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبوبكر وعمر وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما»[1].

وهذه الآثار الثابتة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الشيعة في الشيخين، كما تقدم، وتدل على براءة علي – رضي الله عنه – من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي ﷺ وحبه لهم – كما بينا سابقًا – وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضّله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر، فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة والخوارج المارقين، ثم من بعد علي – رضي الله عنه– جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة[2].

٢– قول الحسن بن علي – رضي الله عنه–: عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل يوم القيامة قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله[3].

وروى أبو نعيم: قيل للحسن بن علي – رضي الله عنهما –: إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء محمد ﷺ[4].

٣– قول الحسين بن علي – رضي الله عنهما– كان يقول في شيعة العراق – الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه –: اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عدداً[5]، ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده – رضي الله عنه – هو وعامة من كان معه

---

(١) البخاري، رقم (٣٦٨٥).

(٢) الانتصار للصحب والآل، ص (١١٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٣).

(٤) حلية الأولياء (٢/٣٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/٣٠٢)

من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله - رضي الله عنه - مصيبة عظيمة، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم[1].

٤- قول علي بن الحسين - رحمه الله -:

ثبت عنه أنه قال: «يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً[2]»، وعنه رحمه الله، أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا قال: فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه، فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا، قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠]، اخرجوا فعل الله بكم[3]!!.

٥- قول محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول[4]. وعنه - رحمه الله - أنه قال لجابر الجعفي: إن قوماً بالعراق يزعمون أني أمرتهم بذلك؛ فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم، والله بريء منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت، لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما[5]، وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: والله إني لأتولاهما، وأستغفر لهما، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا هو يتولاهما[6].

---

(١) سير اعلام النبلاء (٤/ ٣٠٢).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٩٠).

(٣) الحلية (٣/ ١٣٧).

(٤) سير اعلام النبلاء (٤/ ٤٠٦).

(٥) الاعتقاد للبيهقي، ص (٣٦١).

(٦) سير اعلام النبلاء (٤/ ٤٠٣).

٦ - قول زيد بن علي - رحمه الله -:

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين، ثم تلا ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي[١] - رضي الله عنهما - فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر[٢].

٧- قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني، أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوا عني من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء[٣]، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء. وعن سالم بن أبي بكر قال جعفر: يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[٤]. وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئًا، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، لقد ولدني مرتين[٥].

وعنه - رحمه الله - أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة[٦]، وعنه أنه قال: بريء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[٧]، قال الذهبي معقبًا على هذا الأثر: قلت هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة[٨].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٠٢).

(٢) النهي عن سب الأصحاب للمقدسي، ص (٧٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٩).

(٤) المصدر نفسه (٦/٢٥٨).

(٥) المصدر نفسه (٦/٢٥٥).

(٦) الانتصار للصحب والآل، ص (١١٩).

(٧) سير أعلام النبلاء (٦/٢٦٠).

(٨) المصدر نفسه (٦/٢٦٠).

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين الطاهرين، الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم، موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الرافضة، ومن دينهم، وبراءتهم منهم، ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة، ظاهراً وباطناً، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، عليها يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب[1].

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع، وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجالات التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمناً الاعتراف بهذه الكتب التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي، وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتآمره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة بل تشابها تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشرين وآراء الشيعة والروافض - وليس هذا بجديد - وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة، فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (آراء) الشيعة الروافض تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحًا في يد الأعداء وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازرتهم للأعداء، ومن أبرز الأسباب في ذلك، أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية أي حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرناً، ولهذا وجد

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص(١٢٠).

الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق[1]، قال ابن تيمية: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين، وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، وكانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك بالشام وحلب وغيرهما كانت الرافضة من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم، فهم دائمًا يوالون الكفار – من المشركين والنصارى– ويعاونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم[2]، ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها:

١ – مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦هـ:

وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيرًا للخليفة العباسي المستعصم، وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

أ – **المرحلة الأولى**: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس، حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين، وضعفتهم. قال ابن كثير: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في أخر أيام المستنصر قريبًا من مائة الف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف[3].

ب – **المرحلة الثانية**: مكاتبة التتار، يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال[4].

---

(١) مسالة التقريب (٢/ ٢٦١– ٢٧٨).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١٠٤).

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢).

(٤) المصدر نفسه (١٣/ ٢٠٢).

جـ- المرحلة الثالثة: النهى عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم(١)، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه فى سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أى جهد من التتار وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء وأن لا يصالح الخليفة وقال الوزير ابن العلقمى: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال إن الذى أشار بقتله الوزير ابن العلقمى، ونصير الطوسى(٢)، وثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعه عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتار، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين، وغير العباسيين فهل يكون مواليًا لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين(٣).

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد(٤).

وكان هدف ابن العلقمى: أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده(٥).

---

(١) منهاج السنة (٣/٣٨).

(٢) كان النصير عند هولاكو قد استصحبه فى خدمته لما فتح قلاع الألموات وانتزعها من أيدى الإسماعيلية، البداية والنهاية (١٣/٢٠١).

(٣) منهاج السنة (٣/٣٨).

(٤) البداية والنهاية (١٣/٢٠٣).

(٥) المصدر نفسه (١٣/٢٠٢، ٢٠٣).

٢ – الدولة الصفوية:

فى الدولة الصفوية، والتى أسسها الشاه إسماعيل الصفوى فرض التشيع الاثنى عشرى على الإيرانيين قسراً، وجعله المذهب الرسمى لإيران، وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق[١]، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدى فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثنى عشر[٢]، ولقد تقلد سيفه وأعمله فى أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب فى الشوارع، والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح[٣]، ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين فى الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمى إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم على الكركى[٤]، الذى يلقبه الشيعة بالمحقق الثانى والذى قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل، وجعله الآمر المطاع فى الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسى، والذى شارك السلطة فى التأثير على المسلمين فى إيران حتى يقال بأن كتابه حق اليقين كان سبباً فى تشيع سبعين ألف سنى من الإيرانيين[٥]، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة، فإن الرفض فى إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع[٦].

ولا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك فى حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة وأهلها[٧].

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، على الوردى، ص (٥٦).

(٢) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية، كامل الشيبى، ص (٤١٣).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٣/١٤٧٥).

(٤) المصدر نفسه (٣/١٤٧٦).

(٥) عقيدة الشيعة / دونلدسن، ص (٣٠٢).

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/١٤٧٨).

(٧) المصدر نفسه (٢/١٤٧٨).

هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم فى هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية - رحمه الله - الخالدة والمهمة فى هذا الموضوع والتى إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله - رحمه الله -: فلينظر كل عاقل فيما يحدث فى زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد فى الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة(١)، ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التى لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم(٢).

فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟ مع من يطعن فى قرآننا ويفسره على غير تأويله، ويحرف الكلم عن مواضعه، ويكفر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نساء النبى إليه عائشة -رضى الله عنها- وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة- رضوان الله عليهم- ويخادع المسلمين باسم التقية(٣).

٣ - من التجارب المعاصرة فى التقريب:

أ - تجربة مصطفى السباعى:

بذل الدكتور مصطفى السباعى عدة مساع مع بعض علماء الشيعة فى مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامى لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى من أكبر العوامل فى التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضًا، وأن تصدر الكتب والمؤلفات التى تدعو إلى التقارب، وكان يرى عدم إصدار الكتب التى تثير ثائرة أحد الطرفين، وقام مصطفى السباعى بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار، ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوى، فألفاه متحمسًا لهذه الفكرة ومؤمنًا بها واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامى بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعى بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحًا لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعى، رحمه الله، أو يدور بخلده ما تنطوى عليه نفوس

---

(١) منهاج السنة (٣/٢٤٣).

(٢) المصدر نفسه (٣/٢٤٥).

(٣) مسألة التقريب (٢/٢٨٠).

القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوته التقريب من خطط، حتى فوجيء السباعي - كما يقول - بعد فترة بأن هذا الموسوى المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة -رضي الله عنه-، مليئ بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول بأن أبا هريرة -رضي الله عنه -كان منافقًا كافرًا، وأن الرسول قد أخبر عنه بانه من أهل النار[1]، ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معًا، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي[2]، ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار[3]، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب أنه لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كان المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة[4]، ويذكر السباعي: أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويتسترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب، ولكن كتابًا ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكثر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة لا يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: «أبي هريرة» المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد[5]، هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون[6].

---

(١) مسألة التقريب، ص (٩).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٠).

(٣، ٤) المصدر نفسه، ص (٩، ١٠).

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص (١٠).

(٦) مسألة التقريب (٢/١٩٨).

لقد أصبح التقريب فى مفهوم الشيعة الرافضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم فى ديار السنة، وأن يستمروا فى نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين إن الوحدة فى خطر(١).

ب - تجربة الشيخ موسى جار الله:

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا وهو موسى بن جار الله التركستانى القازانى الروسى، شيخ مشايخ روسيا فى نهاية العصر القيصرى وبداية الحكم السوفيتى، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى أمور مسلمى روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فاصبح بعيداً عن دياره وأهله، قام بتأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعى أن أعد كاتب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أننى تخليت عن إيمانى، ولكننى آثرت أن اشترى الآخرة بالدنيا(٢).

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة وبذل جهوداً فى هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام، كما يذكر أنه طالع «أصول الكافى وفروعه» «ومن لا يحضره الفقيه»، وكتاب «الوافى» و«مرآة العقول» و«بحار الأنوار» و«غاية المرام» وكتباً كثيرة غير هذه الكتب(٣)، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها فى العزاء والمآتم، ويحضر حلقات الدروس فى البيوت، والمساجد وصحونها، والمدارس وحجرتها، وأقام بالنجف أيام الحرم ورأى كل ما تأتى به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء، وخرج هذا العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها، وكان أول مساعيه فى التقريب لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين فى طهران، وجرى بينهما بعض الحديث ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ٢٦/٨/١٩٣٤ وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية،

---

(١) مسألة التقريب (٢/١٩٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/٢٠١).

(٣) الشيعة ،ص (١٩)، مسألة التقريب (٢/١٩٩).

فكتب فيها: أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفة المحقة -يعني على زعمهم[1] - وعامة أهل السنة والجماعة راجيًا إجابة الأساتذة جميعًا أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه ومهره، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الرافضة تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

* تكفير الصحابة.

* اللعنات على العصر الأول.

* تحريف القرآن الكريم.

* حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.

* كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.

* الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا الشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون. ثم قال الشيخ بعد ما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطبا شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقيدة الشيعة فيها يقين، فهل يبقى توحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة؟.

وهل يبقى بعد هذه المسائل، بعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهليها من أثر؟.

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية، ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟ ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

* رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام.

---

(١) مسألة التقريب (٢/ ٢٠٥).

* وما فى كتب الشيعة من أبواب فى آيات وسور نزلت فى الأئمة والشيعة وفى آيات وسور نزلت فى كفر أبى بكر وعمر وكفر من اتبعهما.

* وغلو الشيعة فى التقية.

* ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة فى كتب الشيعة مثل:

- أن عليًا أمير المؤمنين طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.

- أن القائم عندما يقوم يقيم الحد على عائشة انتقامًا لأمه ابنة النبى ﷺ فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام.

- أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

* ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء وأن ما فى كتب الشيعة من حكايات العداء بين الصديق والفاروق وبين على كلها موضوعة.

* وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.

وإن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها لأنها تدين بولاية إمام عادل، وذكر مسائل أخرى ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام، وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التى نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضًا على سبيل الاستيضاح عملاً بأمر الله فى كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧٠] ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جوابًا من أحد إلا من كبير مجتهدى الشيعة بالبصرة، قد قام بوظيفته وتفضل علىَّ بكل أجوبته فى كتابٍ تزيد صفحاته على تسعين بكلمات فى الطعن فى العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه «الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة» بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول: أننى أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضى به حقوق العصر الأول على وعلىَّ كل الأمة[1].

---

(١) الشيعة، ص (٣٩)، مسألة التقريب (٢/٢٠٨).

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب فإن شيوخ الشيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفيناً، ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أى كشف لما في كتبهم من أباطيل أن في ذلك فضحاً لأغراضهم ومآربهم، وكشفاً لاستغلالهم للجمهور والبسطاء من الشيعة دينياً باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، ومالياً باسم خمس هذا المنتظر[1].

٤ - المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف المؤامرات الشيعية الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة، والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان، ولابد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهداً جماعياً مخططاً له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب وسنة رسوله ﷺ وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت كأمير المؤمنين على وأبنائه وأحفاده من العلماء، ولابد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي الذي يشين لأهل البيت الأطهار والذي ينشط اليوم بشكل قوى في العالم الإسلامي، وفي أوروبا وأمريكا، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء،ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا.

وإذا كان لا يجدى مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة في ذلك، فلا يعنى ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار - عقيدة الروافض بين أهل السنة - بإذن الله تعالى -.

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض وتفنيد حججهم ودحض دعاواهم،

---

(١) مسألة التقريب.

ولعل السبب فى ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار، وكانت موضع التداول الخاص بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ونسبت للمتقدمين أو زيد عليها فى العصور المتأخرة «الدولة الصفوية» أيًا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعًا فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة، بل منهم من يصدق أساطيرها التى تمس كتاب الله العظيم، وتزعم الوحى للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف ضلالهم من روايتهم ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم[1].

وقد قامت جهود مشكورة فى هذا المجال وظهرت بعض الكتب، كالإمامة والنص، لفضل نور، ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، وأصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، د. ناصر عبد الله بن على القفارى، ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين للدكتور أحمد جلى. إن هذا المسلك ينبغى أن يدرس بعناية واهتمام فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطًا بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة والموافقة للكتاب والسنة الصحيحة والمنقذة لهم من الضياع والتيه الذى يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع، وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب[2]، كما أنه ينبغى التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامهم وتقديرهم والوقوف معهم فى نصيحة أقوامهم كالذى قام به السيد حسين الموسوى فى كتبه «لله ثم للتاريخ»، «كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار»، وكالجهد العلمى الذى قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً فى كتاب «تطور الفكر السياسى الشيعى من الشورى إلى ولاية الفقيه»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت متقفيًا لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل فى إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة والمطهرة مرجع كل مسلم فى تعريف

---

(١) مسالة التقريب (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) مسالة التقريب (٢/ ٢٩٦).

أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات[١]، وأن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف، رضى الله عنهم، موافقًا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا،[٢] وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها[٣]، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٦٣]، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم، رضوان الله عليهم، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا في حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم[٤]، وزيارة القبور أيًا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها والتمسح بها، والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة[٥]، والعرف الخاطىء لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء[٦]، والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها[٧]، ولا نكفر مسلمًا اقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأى أو معصية إلا أن اقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من

---

(١) النهج المبين لشرح الأصول العشرين د. عبد الله الوشلي، ص (١٢٦).
(٢) المصدر نفسه، ص (١٥٧).
(٣) المصدر نفسه، ص (٢٤٣).
(٤) المصدر نفسه، ص (٢٥٩).
(٥) المصدر نفسه، ص (٢٧٩).
(٦) المصدر نفسه، (٣٠٥).
(٧) المصدر نفسه، ص (٣٢٣).

الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر(١).

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عمومًا في فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج أهل السنة والجماعة، الذى أصل لأصوله رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع -بحمد الله- ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير، لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى، والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدى أمير المؤمنين على وعلماء أهل البيت، رضى الله عنهم جميعًا، وذكر العلماء أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة وإن كان المبتدع متعبداً بها معتقداً صوابها، ولا بأس أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحى وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد، والمصالح المتعارضة بأن نحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصًا على جلب المعروف الأكبر، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة فى وقت من الأوقات، أو فى مكان من الأمكنة سداً للذريعة وخروجًا عن أصل الإنكار، إذا كان الإنكار يؤدى إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة، وأما في الأحوال الاعتيادية التى لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغًا أو واجبًا(٢).

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمى الهادئ فى مناقشة بدع المبتدعة، وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم فى الحدود التى لا خلاف فيها أو نجدتهم فى الملمات وأيام المصاعب، أو نصرهم إذا كانوا فى نزاع مع كافر أو ظالم، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل فى التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتى من

---

(١) المنهج المبين، ص (٣٤٣).

(٢) مسألة التقريب (٢ / ٣٦٠).

الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام، والثانية التي نغلظ لها الكلام إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون من شبهة له، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار من تجاهه أولى. وربما كان الإغلاظ له أوجب[1].

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذى تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار، والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولقد قام رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها.

---

(١) مسألة التقريب (٢ / ٣٦١).

المبحث الثالث

الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين على بن أبى طالب واستشهاده رضى الله عنه

أولاً: فى أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضى الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قوياً وحجة ظاهرة فى أنه مصيب فى قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»(١) فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة فى قتال أهل الشام لما تيقن لديهم هذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر، رضى الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فالذى حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التى رسمها أمير المؤمنين على رضى الله عنه هى الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمين للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن فى العراق من الذرارى أثناء غيابه - كما ذكر ذلك فى خطبته - ولكن تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن، إذ لم يستطع رضى الله عنه، غزو الشام حتى استشهد(٢)، فلقد كان لخروج الخوارج أثر فى إضعاف جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه، كما أن الحروب فى الجمل وصفين والنهروان، تسببت فى ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام فى صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يُتمت أطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذى رحب به أمير المؤمنين على وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامى لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع على رضى الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق(٣)، ومن المعضلات التى أوهنت جانب أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - خروج فرقة تغالى فى

---

(١) مسلم (٢/٧٤٥، ٧٤٦).

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص(٣٤٥).

(٣) المصدر نفسه، ص(٣٤٥).

تعظيم أمير المؤمنين على وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من على ويكفرونه[1]. ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئًا وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة، وليس جيش على فقط[2]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - كما بينا - بحزم وقوة. ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب على كثيرًا، ثم تتابعت الفتوق على على من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد فى قومه من بنى ناجية، وكان من ولاة على على الأهواز، فدعا إلى خلع على، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه جيشًا بقيادة معقل بن قيس الرياحى فهزمه وقتله[3] وطمع أهل الخراج فى ناحية على فى كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولابد أن عليًا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روى عن الشعبى فى هذا الخصوص قوله: (لما قتل على أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الخضرمى البصرة وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج فى كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل على بن أبى طالب من فارس[4].

وفى الجانب الآخر كان معاوية، رضى الله عنه، يعمل بشتئ الوسائل سرًا وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين على رضى الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشًا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص- رضى الله عنه- سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

* انشغال أمير المومنين على - رضى الله عنه - بالخوارج.

* عامل أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - على مصر محمد بن أبى بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدى الأنصارى، فدخل فى حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالى السابق فهزموه.

* اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان فى مصر فى الرأى فساعده فى السيطرة عليها[5].

---

(١) نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، ص(١٥، ١٦) مصطفى حلمى.

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد على، ص (٣٥٠).

(٣) تاريخ الطبرى (٦/ ٢٧ - ٤٧).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).

(٥) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣) خلافة على بن ابى طالب، عبد الحميد على ص(٣٥١) سنده صحيح.

● بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقربها من الشام.

● طبيعتها الجغرافية فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعياً، وقد أضافت مصر لمعاوية، رضى الله عنه، قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين على من يصدها[١] . وعمل معاوية، رضى الله عنه، على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال على - رضى الله عنه - فقد حاول سحب قيس بن سعد، رضى الله عنه، عامل على على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية على ومستشاريه فيه فعزله[٢]، وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل على رضى الله عنه على فارس ففشل في ذلك[٣]، وقد استطاع معاوية، رضى الله عنه، أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر على رضى الله عنه إذ يقول في إحدى خطبه: إلا أن بسراً قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلاناً فغل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت احدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إنى أبغضتهم وأبغضوني فارحهم مني وأرحني منهم[٤].

ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين على همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين على رضى الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشه بكل ما أوتى من علم وحجة وفصاحة وبيان، فخطبه الحماسية المشهورة التى اشتهرت عنه، وتعتبر من عيون التراث لم يقلها من فراغ أو خيال، بل من مر تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التى قالها لما اغير على أطرافه قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه

---

(١) تاريخ خليفة، ص(١٩٨) بدون سند.

(٢) ولاة مصر، ص (٤٥ - ٤٦).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦).

(٤) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهد.

وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنَّتُه(١) الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، ودُيِّثَ بالصَّغار والقَماءَة(٢)، وضرب على قلبه بالأسداد(٣)، وأديل(٤) الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف(٥)، ومنع النصّف(٦). ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم(٧) إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شُنّتْ عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار(٨)، وقد قتل حسّان البكرى، وأزال خيلكم عن مسالحها(٩)، ولقد بلغنى أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة(١٠)، فينتزع حجْلَها وقُلْبها وقلائدَها ورغاثها(١١)، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع(١٢)، والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين(١٣)، ما نال رجل منهم كلمٌ ولا أريق له دم، فلو أن امرأً مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا ما كان به ملومًا بل كان عندى جديراً. فيا عجبًا والله يُميتُ القلب ويَجلبُ الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحًا لكم وتَرَحًا(١٤) حين صرتم غرضًا يُرْمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحرّ قلتم: هذه حمَّارة القيظ(١٥). أمهلنا يسبّخ عنّا الحر، وإذا

---

(١) الجُنة بالضم: الوقاية.

(٢) ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر: القماءة: الذل والصغار.

(٣) الأسداد: الحجب التى تحجب عنه الهدى والرشاد.

(٤) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به الكوارث.

(٥) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال والمهانة.

(٦) منع النصف: النصف: العدل. أى حرم العدل.

(٧) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل منكم أمر الجهاد أى الآخر.

(٨) الأنبار: بلدة شرقى الفرات.

(٩) مسالح: جمع مسلحة وهى الثغر.

(١٠) المعاهدة:الذمية وهى غير المسلمة المقيمة فى بلاد المسلمين.

(١١) الحجل: الخلخل، القلب: السوار، الرِّغاث: جمع رغثة وهو القرط.

(١٢) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء.

(١٣) وافرين: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.

(١٤) ترحًا: همًا أو حزنًا أو فقرًا.

(١٥) القيظ: الحر، حمارة القيظ: شدته، يسبخ: يخفف.

أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القُرّ[1]، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كل هذا فراراً من الحَر والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقرُ تفّرون، فإذا أنتم والله من السيف افرّ يا أشباه الرجال ولا رجال[2]، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال[3]، لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندمًا، وأعقبت سدَمًا[4]، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبى قيحًا[5]، وشحنتم صدرى غيظًا، وجرّعتمونى نُغَبَ التّهام أنفاسًا[6]. وأفسدتم علّى رأيى بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع، ولكن لاعلم له بالحرب.. لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراسًا منّى[7]، وأقدم فيها مقامًا مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهاأنذا قد ذرّفْتُ على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع[8].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين على رضى الله عنه قذائف ساخنة فوق رءوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده، وتحقيق النصر الذى كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبى رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحّرك بألفاظها مكامن النفوس، بعيداً عن الغموض والإبهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية[9].

إن الخطب التى تثبت عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وأعنى بها تتحدث عن خلافته تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهرى لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضى الله عنه تجاه ما يلقيه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التى نسبت إليه رضى الله عنه لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب على رضى الله عنه فى نهج البلاغة أنها من تاليف ووضع الشريف الرضى[10]، فلا بد من إعمال منهج نقدى دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدراً تاريخيًا. هذا ومن

---

(١) صبارة الشتاء: شدة البرد، القر: البرد.

(٢) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

(٣) حلوم: عقول، ربات الحجال: كناية عن النساء.

(٤) سدمٌ: الهم المشوب بالأسف والغيظ.

(٥) القيح: ما فى القرحة من الصديد، شحنتم صدرى: ملأتموه.

(٦) النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة، التهام: الهمّ.

(٧) المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

(٨) البيان والتبين للجاحظ، ص(٢٣٨، ٢٣٩).

(٩) الأدب الإسلامى، نايف معروف، ص(٥٩).

(١٠) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤) وله نقد جيد فى هذا الموضوع، خلافة على بن أبى طالب، ص(٣٥٥).

ناحية أخرى أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان، أن عليًا رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة: من سمع رسول الله يوم غدير خم: **ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، قال: **فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه،** فقام اثنا عشر رجلاً - وفي رواية - ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك[١]. وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه؟ مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد، إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه، وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[٢]، قال الطبري في تاريخه: وفي السنة - ٤٠ هـ - جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[٣].

ثالثًا: دعاء أمير المؤمنين على الله - عز وجل - أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه[٤]، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد، ورأى خذلانهم كره الحياة وتمنى الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته، فمما روي عنه أنه خطب يومًا فقال: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٥) إسناده صحيح.

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٣٥٦).

(٣) تاريخ الطبري (٦- ٥٦).

(٤) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٤١)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٤٣١).

بدم، ووضع يده على لحيته[1]، وقد ألح على رضى الله عنه فى الدعاء فى أيامه الأخيرة، فعن جندب قال: ازدحموا على عليٍّ رضى الله عنه، حتى وطئوا على رجله فقال: إنى قد مللتهم وملونى، وأبغضتهم وأبغضونى، فأرحنى منهم وأرحهم منى[2]. وفى رواية أخرى عن أبى صالح قال: شهدت عليًا وضع المصحف على رأسه حتى تقعقع الورق فقال: اللهم إنى سألتهم ما فيه فمنعونى، اللهم إنى قد مللتهم وملونى وأبغضتهم وأبغضونى، وحملونى على غير أخلاقى، فأبدلهم بى شراً منى، وأبدلنى بهم خيراً منهم ومث قلوبهم ميثة الملح فى الماء[3]. وفى رواية: فلم يلبث إلا ثلاثًا أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله[4]، وقال الحسن بن على: قال لى على رضى الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لى الليلة فى منامى، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد[5]؟، قال: ادع عليهم، قلت: اللهم أبدلنى بهم من هو خيراً منهم، وأبدلهم من هو شر منى لهم، قال الحسن رضى الله عنه: فخرج فضربه الرجل[6].

رابعًا: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبى ﷺ التى تعد من دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن عليًا سيكون من الشهداء، فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد**»[7]. وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليًا سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضًا، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد ﷺ، وبأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحى، وقد أطلع النبى ﷺ عليًا على ما سيحدث له، وقد آمن على بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلى الناس بذلك، فمما حدث

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٤) بإسناد صحيح، الطبقات (٣/ ٤) إسناده صحيح.

(٢) الآحاد والمثانى لابن أبى عاصم (١/ ٣٧) بإسناد حسن، خلافة على، ص(٤٣٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤).

(٤) المحن، ص(٩٩) لأبى العرب، خلافة على، عبد الحميد، ص(٤٣٢).

(٥) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.

(٦) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٤٩).

(٧) مسلم (٤/ ١٨٨٠).

من ذلك في العراق، إذ يروى عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت عليًا يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[1]، وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، على من عاده في مرضه، وهو أبو فضالة الأنصاري البدري، رضي الله عنه، إذ قال علي رضي الله عنه: إني لست ميتًا في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلي النبي ﷺ أني لا أموت حتى تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه - يعني هامته[2]، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه، وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة)[3]، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[4]، وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش، عن مسلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليًا رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقيًا، عهد إلي رسول الله ﷺ لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته، قال: أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي[5]، وقد تمثل رضي الله عنه بأبيات شعر فقال:

اشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من القتل ... إذا حل بواديكا[6]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا، إذ تفيد أن عليًا رضي الله عنه يعرف هذا الشقي الذي سيقتله، فيروى عبيدة السلماني، بسند صحيح إليه يقول: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مرادي[7]

---

(١) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٨).

(٢) خلافة علي بن أبي طالب. عبد الحميد، ص(٤٣٣) طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٨ - ٤٤١) تحقيق عبد المعطي قلعجي.

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٣ - ٣٢٥).

(٥) كتاب الشريعة للآجري (٤/ ٢١٠٥) تحقيق الدميجي إسناده حسن.

(٦) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٦٤٨).

(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣، ٣٤) إسناده صحيح.

وفي رواية أخرى قال علي رضي الله عنه، عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي، قيل: فما يمنعك منه؟قال: إنه لم يقتلني بعد[1]، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول، فاعتذر عن ذلك، فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت عليًا يقول لتُخضبنّ هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبير عترته[2] قال: إذًا تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أترككُم إلى ما ترككم إليه رسول الله، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ - وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ - قال: أقول: اللهمّ تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[3]. وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول: **إنك ستضرب ضربة ههنا - وأشار إلى صدغيه - فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود**[4].

خامسًا: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر وفوائد:

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحًا غائرًا لم تزده الأيام والليالي إلا إيلامًا وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان. وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مشهورة[5] لا تسلم من انتقادات لاحتوائها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات أن هناك إجماعًا على أن عملية قتل علي تمت على أيدي عناصر خارجية انتقامًا لضحايا معركة النهروان، أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدور المزعوم للأشعث الكندي - وسيأتي بيان براءته بإذن الله لاحقًا - وغيرها فيصعب قبولها والتصديق بها وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه.

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٢٧).

(٢) نبير عترته: نهلك ذريته.

(٣) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) الموسوعة الحديثية حسن لغيره.

(٤) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص(١٦٣، ١٦٤)، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي - رحمه الله - بالصحة.

(٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٥)، تاريخ الطبري (٦/ ٥٨ إلى ٦٦) بسند منقطع، مروج الذهب (٣/ ٤٢٣)، الطبراني الكبير (١/ ٥٥ - ٥٨)، مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٩) تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدون للذهبي، ص(٦٤٩)، وفيات الأعيان (٧/ ٢١٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٢٥).

١- اجتماع المتآمرين:

كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه أن ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمى اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسهم فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم على بن أبى طالب - وكان من أهل مصر - وقال البُرَك بن عبد الله: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذى توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذى توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذى صاحبه فيه يطلب[١].

٢- خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجْنة:

فأما ابن ملجم المرادى فكان عداده فى كِنْده، فخرج فلقى أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئًا من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحابًا من تَيْم الربّاب - وكان على قتل منهم يوم النهر عشرة - فذكروا قتلاهم، ولقى من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قَطَام ابنة الشّجنة - وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال - فلما رآها التبست بعقله، ونسى حاجته التى جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفى لى، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل على بن أبى طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل على فلا أراك ذكرته لى وأنت تريدينى، قالت: بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسى، ويهنئك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال: فوالله ما جاء بى إلى هذا المصر إلا قتل على، فلك ما سألت، قالت: إنى أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل على بن أبى طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٩).

شيئًا إدًّا، كيف تقدر على عليٍّ، قال: اكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثارنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير علي لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ﷺ وما اجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه – فجاءوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة – فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي، قالت: فإذا أردتم فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي سنة ٤٠هـ – فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلاً من هَمْدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، قال عليٌّ: علي بالرجل، فادخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك، قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه(١).

٣– محمد ابن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي:

قال ابن الحنفية: كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبًا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدرى أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلي بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب. قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على عليٌ، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[١]. وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أى عدو الله، لا باس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسمَمْته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[٢].

٤- وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى:

عن عبد الله بن مالك، قال: جُمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جُرِح، وكان أبصرهم بالطب أُثير بن عمرو السَّكُوني، وكان صاحب كسرى يتطبَّب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبَّع عِرقًا منها، فاستخرجه فادخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أمّ رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت[٣]. وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على عليٌ فساله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك – ولا نفقدك – فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر[٤].

٥- وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهما:

دعا أمير المؤمنين علي حسناً وحسيناً، فقال: «أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، أغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٦٢).

(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٢٨).

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

ولا تأخذكما في الله لومة لائم» ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[١]؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: «أوصيك أي بُنيَّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغَفْر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش[٢]».

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوِّن الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعُنَّ بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ، مازال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافُنَّ في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولِّي

(١، ٢) تاريخ الطبري (٦/ ٦٣).

الأمر أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله» ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قبض رضى الله عنه فى شهر رمضان سنة أربعين[1]، وجاء فى رواية أنه قتل فى صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[2]، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذى فارق فيه الدنيا، لأنه بقى ثلاثة أيام بعد ضربة الشقى[3].

٦- نهى أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال رضى الله عنه: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[4]. وفى رواية أخرى قال: أطعموه وأسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولى دمى أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[5]، وفى رواية أخرى زيادة، وهى قوله: إن مت فاقتلوه قتلتى ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[6]، وقد كان على نهى الحسن عن المُثْلة، وقال: يا بنى عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلَنَّ. انظر يا حسن، إن متّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»**[7]. وقد جاء فى شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التى فيها أمر على رضى الله عنه بإحراق الشقى بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير فى اتجاه واحد فكلها فيها أمر على رضى الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة. كما أن أمير

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/٦٤).

(٢) التاريخ الكبير للبخارى (١/٩٩) بسند صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٤٣٩).

(٤) فضائل الصحابة (٢/٥٦٠) بسند حسن.

(٥) المحن لأبى العرب، ص (٤)، خلافة على بن أبى طالب، ص (٤٣٩).

(٦) الطبقات (٣/٣٥) تاريخ الإسلام.

(٧) تاريخ الطبرى (٦/٦٤).

المؤمنين على لم يجعله مرتداً، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[1]. وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض على رضى الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك فى خصلة؟ إنى والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إنى كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل عليًا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بينى وبينه، ولك الله على إن لم أقتله - أو قتلته - ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدى فى يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله[2]، ثم أن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[3].

والصحيح من الروايات والذى يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين على فى معاملة عبد الرحمن بن مُلْجم، ولا تثبت الرواية التى تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبوارى، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب: دعُونا نشتفَّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحُل عينى عمّك، وجعل يقرأ: ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع، فجزع، فقيل له فى ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنّى أكره أن أبقى فى الدّنيا فُواقًا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثمّ أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفى جبهته أثر السُّجود[4].

وقال الذهبى عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل على رضى الله عنه، خارجى مُفْتَرٍ.. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممّن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بنى تُدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العبّاد، ويقال: هو الذى أرسل صَبيغًا التميمى إلى عمر، رضى الله عنه، فسأله عمّا سأله مستعجم القرآن

(١) منهاج السنة (٥/٢٤٥) (٧/٤٠٥، ٤٠٦) منهج ابن تيمية فى مسألة التكفير، ص (٣٠٩).

(٢) تاريخ الطبرى (٦/٦٤).

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٤٤٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٣٩) الأخبار الطوال، ص (٢١٥).

.. إلى أن قال الذهبي: ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمّة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطّان الخارجي:

يا ضـــربة من تُقى مـــا أراد بهـــا إلا ليـــبلغ من ذى العـــرش رضـــوانا

إنّى لأذكـــره حـــينًا فـــأحـــسُـبُــه أوفى البَـــريَّة عند الله مـــيـــزانا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار، ونجوِّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل(١).

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها على قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلى الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في إليته، فأخذ، فقال: إن عندى خبرًا أسرك به، فلان أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخًا لي قتل عليًا في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن عليًا يخرج ليس معه من يحرسه، فامر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلى الساعدى - وكان طبيبًا - فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمى حديدة، فاضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر ماوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فامر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤى، فخرج ليصلى، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله(٢).

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (٦٥٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٦/٦٥).

٧- مدة خلافة أمير المؤمنين على، وموضع قبره وسنّه يوم قُتل:

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط، أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال ثلاثة أيام، ويقال أربعة عشر يوماً[١]، والذى يظهر أنها أربعة سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وذلك لأنه بويع بالخلافة فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيداً فى اليوم الحادى والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[٢].

وقد تولى غسل أمير المؤمنين على رضى الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضوان الله عليهم، وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص[٣]، وصلى عليه الحسن بن على، رضى الله عنهما، فكبر عليه أربع تكبيرات[٤]، وفى رواية دون إسناد كبر عليه تسع تكبيرات[٥].

وأما موضع قبره، فقد اختلف فيه، وذكر ابن الجوزى عدداً من الروايات فى ذلك ثم قال: والله أعلم أى الأقوال أصح[٦]، ومن الروايات التى جاءت فى هذا الشأن ما يلى:

- أن الحسن بن على رضى الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة فى الرحبة مما يلى أبواب كنده قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر[٧].
- رواية مثلها، أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً وعمى موضع قبره[٨].
- رواية تذكر أن ابنه الحسن رضى الله عنه نقله إلى المدينة[٩].
- رواية تذكر أن القبر الذى بظاهر الكوفة المشهد الذى بالنجف هو قبر على رضى الله عنه، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعى قاضى الكوفة

---

(١) التاريخ، ص (١٩٩).

(٢) التاريخ الكبير للبخارى (١/٩٩) سند صحيح.

(٣) المنتظم (٥/١٧٥)، الطبقات (٣/٣٧).

(٤) الطبقات (٣/٣٣٧، ٣٣٨).

(٥) المنتظم (٥/١٧٥).

(٦) المنتظم (٥/١٧٨).

(٧) الطبقات (٣/٣٨)، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٤٤١).

(٨) المنتظم (٥/١٧٧)، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء، ص (٦٥١).

(٩) تاريخ بغداد (١/١٣٧).

(ت ١٧٨هـ) ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت ٢٩٧هـ)[١]، وفي الحقيقة إن ابتداع ما يسمى مشهد علي - رضي الله عنه - بالنجف كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم في القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي - رضي الله عنه - بل قيل: هو قبر المغيرة بن شعبة، قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر عليٍّ بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة، إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه - الأعاجم - بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة[٢]، وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه[٣].

واختلف في سنّه يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه[٤].

٨- خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه:

عن عمرو بن حُبنشي، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف[٥] حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[٦].

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٤٤١).

(٢) الفتاوى (٤/ ٥٠٢)، دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص (٢٨٠).

(٣) الفتاوى (٢٧/ ٤٤٦).

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٦٧).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح: فلا ينصرف: فلا يرجع.

(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح.

٩- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على عليٍّ رضي الله عنه:

عن ربيعة الجُرشي: أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد: أتذكر عليًا، إن له مناقب أربعًا لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من كذا وكذا، وذكر حُمُرَ النعم وقوله: لأعطين الراية، وقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه[١].

١٠- عبدالله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن عليٍّ فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النّبي ﷺ، ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق، فاجهد على جَهدك[٢].

١١- استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[٣]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[٤]، وقد طلب معاوية، رضي الله عنه، في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له عليًا، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنَّه، قال: أما إذْ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فَصلاً[٥]، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قُصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدِنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٨) إسناده حسن.

(٢) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ص (١٤٠) للعدوي.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

(٤) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

(٥) المصدر نفسه (٣/ ١١٠٧).

والله – مع تقريبه إيانا وقربه منا – لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين ويُقَرب المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه[1]، وغارت نجومه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليَّ تعرَّضت أم إليَّ تشوَّفتِ! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[2]، وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتًا وأجيف[3] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[4]. وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليًا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فايش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما[5].

١٢– ما قاله الحسن البصري – رحمه الله –:

سئل الحسن البصري عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: كان علي والله سهمًا صائبًا من مرامي الله على عدوِّه، وربَّاني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ، لم يكن بالنَّومة[6] عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعْطيَ القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مُونِقة، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه[7].

---

(١) سدوله: سدلته.

(٢) الاستيعاب (٣/١١٠٨).

(٣) أجيف الباب: رُدَّ وأغلق.

(٤) البداية والنهاية (٨/١٣٣).

(٥) المصدر نفسه (٨/١٣٣).

(٦) النومة: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له.

(٧) الاستيعاب (٣/١١١٠).

١٣- ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمه الله -: كنت بين يدى أبى جالسًا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكَرْخيين فذكروا خلافة أبى بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان فأكثروا، وذكروا خلافة على بن أبى طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبى رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القَول فى على والخلافة، والخلافة وعلى[١]، أتحسبون أن الخلافة تزيّن عليًّا؟ بل زيَّنها على[٢].

١٤- براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه:

ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليعقوبى: إن عبد الرحمن ابن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهرًا يستحدّ سيفه[٣]، وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التى عزم فيها أن يقتل عليًا صبيحتها يناجى الأشعث بن قيس فى مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام عبد الرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التى يخرج منها على[٤]، وهذه روايات ضعيفة[٥].

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره فى خلافة على رضى الله عنه نجده مخلصًا ووفيًا، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذى أبلغ عليًا رضى الله عنه أن الخوارج يقولون: إن عليًا تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم وقاتلهم فى النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلى وآل بيته، فزوج ابنته من الحسن بن على، رضى الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبنى بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطًا

---

(١) تاريخ مدينة السلام (١/ ٤٦٢).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٦٢).

(٣) تاريخ اليعقوبى (٢/ ٢١٢).

(٤) الطبقات (٣/ ٣٦).

(٥) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، ص (٣٥٣).

من بابه إلى باب الأشعث[1]، وقد مات الأشعث من بعد مقتل على بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن على بن أبى طالب[2]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[3]، ولم ينقل عن آل على بن أبى طالب رضى الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة أو كشفوا أحداً من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل على عملاً من تدبير الخوارج جاء فى الأرجح ثأراً لقتلى النهروان[4].

١٥ - خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة على المسلمين:

إن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر فى بلاد الإسلام تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس فى عقيدتهم، وتعيث فى الأرض فساداً وخراباً، وتلك هى حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على على رضى الله عنه وكفّروه، وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بينّا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله، وما عندهم فى ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا فى قتل على - رضى الله عنه - وعرفنا مناهجهم الفاسدة، فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم فى ذلك ليستقر الأمن، وتظهر أنوار السنة، وتخمد نيران البدعة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة البدعة والمبتدعين، وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هى الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجد أن الدول التى قامت على السنة هى التى جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعز به الإسلام قديمًا وحديثًا، وهذا بخلاف الدول التى قامت على البدعة، وأشاعت الفوضى والفُرقة والمحدثات، وفرّقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض[5].

---

(١) تهذيب الكمال (٣/٣٣، ٣٤) الطبقات (٦/٢٣).

(٢) الكامل فى التاريخ (٣/٤٤٤).

(٣) تهذيب التهذيب (٢/٣٠٠).

(٤) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، محمد ضيف الله بطاينة، ص (٥٢).

(٥) سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد السحيبانى، ص (٧٧).

١٦- الحقد الدفين الذى امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين:

الكشف عن الحقد الدفين الذى امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دلّ على ذلك قول عبد الرحمن بن ملجم - يعني سيفه -: والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقى منهم أحد[١].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذى يكنُّه هؤلاء الخوارج، لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال على بن أبى طالب، رضى الله عنه، الذى تجتمع فى شخصه رضى الله عنه أعظم المناقب وأجل السجايا، وانظر - رعاك الله - كيف تورد المناهج الباطلة، والأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء، عندما يقتالون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان[٢].

١٧- تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل ويسعى إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل على بن أبى طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئًا إدًا، كيف تقدر على علىّ! قال: اكمن له فى المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غيرَ على لكان أهون علىّ، قد عرفت بلاءه فى الإسلام، وسابقته مع النبى ﷺ، وما أجدنى أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. تقول رواية الطبرى: فأجابه[٣].

فانظر: رعاك الله - كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شبيبًا لم ينشرح صدره لقتل على لما

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

(٢) سير الشهداء دروس وعبر، ص (٧٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

يعلمه عنه من بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي ﷺ، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكّره بقتل علي- رضي الله عنه- لإخوانه من الخوارج المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، رغم أنهم قُتلوا بالحق لا بالباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلويث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد، ملوثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وإنه لم يرض بهذه السبيل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم[1] كما قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، العالم الرباني، الذي أفنى عمره كله خاشعاً لله تعالى، أواهاً منيباً، وخط لنا طريقًا مباركًا للاقتداء والتأسي به.

سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من رثاء:

١- **ما قاله أبو الأسود الدؤلي**: وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية أولها:

ألا يا عين ويحك أسعدينا	ألا تبكي أمير المؤمنين
تبكي أم كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُرًّا أجمعينا
قتلم خير من ركب المطايا	وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمئينا

---

(١) سير الشهداء.. دروس وعبر، ص (٧٩).

فكل مناقب الخيرات فيه	وحب رسول رب العالمين
لقد علمت قريش حيث كانت	بأنك خيرها حسبًا ودينا
وإذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر فوق[1] الناظرينا
وكنّا قبل مقتله بخير	نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لايرتاب فيه	ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكاتم علمًا لديه	ولم يخلق من المتجبرينا
كأن الناس إذا فقدوا	عليًا نعام حار في بلد سنينا[2]

٢- ما قاله اسماعيل بن محمد الحميري من شعر له:

سائلِ قريشًا به إن كنت ذا عَمَهٍ	من كان أثبتها في الدين أوتادا
من كان أقدم إسلامًا وأكثرها	علمًا وأطهرها أهلاً وأولادا
من وحّد الله إذ كانت مكذّبة	تدعو مع الله أوثانًا وأندادا
من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا	عنها وإن يبخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكمًا وأبسطها	علمًا وأصدقها وعداً وإيعادا
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن	إن أنت لم تلق للأبرار حُسادا
إن أنت لم تلق أقوامًا ذوي صلف	وذا عناد لحق الله جحّادًا[3]

٣- ما قاله بكر بن جماد التاهرتي[4] ردًا على شاعر الخوارج عمران بن حطان[5]:

قال شاعر الخوارج عمران بن حطان:

---

(١) فوق: في رواية راق، الاستيعاب (٣/١١٣٢).

(٢) الاستيعاب (٣/١١٣٢).

(٣) المصدر نفسه (٣/١١٣٣).

(٤) بكر بن حماد التاهرتي نسبة إلى تاهرت المغربية- رحل إلى المشرق وسمع مسند بن مسدد بن مسرهد ورواه عنه في المغرب، وكان معاصراً للبخاري وكان شاعراً، الإصابة (٣/١٧٧).

(٥) عمران بن حطان الدوسي البصري من رؤساء الخوارج ومن الشعراء المفلقين توفي سنة ٨٤ هـ الإصابة (٣/١٧٧)

يا ضــربة من تقى مــا أراد بهـــا ... إلا ليــبلغ من ذى العــرش رضــوانا

إنى لأذكــره حــينًا فــأحــســبــه ... أوفى البـــرية عند الله مـــيـــزانا

فقال بكر بن حمّاد التاهرتى معارضًا فى ذلك:

قل لابن ملجم والأقــدار غــالبــة ... هدمت ويلك للإســـلام أركـــانا

قـتلت أفـضل من يمشى على قـدم ... وأوّل النـاس إســـلامًـــا وإيمانا

وأعـلم النـاس بـالقــــرآن ثم بما ... سنّ الرســول لنا شــرعًـا وتبــيـانا

صــهــر النبى ومــولاه وناصــره ... أضــحت مناقــبــه نورًا وبرهانا

وكان فى الحرب سيفًا صارمًا ذكرًا ... ليــثًـــا إذا لقى الأقـــران أقــرانا

ذكــرت قــاتله والدمع منحــدرٌ ... فقلت سبحان رب الناس سُبحانا

إنى لأحــســبــه مــا كــان من بشــر ... يخشى المعـاد ولكن كـان شيطانا

أشـقى مـرادًا إذا عُــدَّت قـبـائلهـا ... وأخــســر الناس عند الله مـيــزانا

كـعـاقـر الناقـة الأولى التى جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسـرانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قـــبل المنيـــة أزمـــانًا فـــأزمـــانا

فــلا عــفــا الله عنه مــا تحــمّله ... ولا سـقى قـبـر عـمـران بن حطانا

لقـوله فى شـقى ظل مُـجـتـرمًـا ... ونال مـــا ناله ظـلمًـــا وعــدوانا

يا ضــربة من تقى مــا أراد بهـــا ... إلا ليــبلغ من ذى العــرش رضــوانا

بل ضــربة من غــوى أوردته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا

كــأنه لم يرد قــصــدًا بضــربتــه ... إلا ليــصلى عـذاب الخلد نيـرانا[1]

وهكذا خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها. فقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذاً من طراز فريد، كانت همته فى رضا الله تعالى، وكان همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة أحكام الله فى دنيا الناس، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته.

---

(١) الاستيعاب (٣/١١٢٩).

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التى تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله، وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التاسى بذلك العهد الراشدى ومعرفة خصائصه ومعالمه وصفات قادته وجيله، ونظام حكمه ومنهجه فى السير فى دنيا الناس، وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضارى من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ ٧ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، وقال تعالى: **﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [فاطر: ٢].

ولا يسعنى فى نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئًا من حولى وقوتى، فالله هو المتفضل، وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفق، فله الحمد على ما منّ به علىّ أولاً وآخرًا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملى لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبنى على كل حرف كتبته ويجعله فى ميزان حسناتى وأن يثيب إخوانى الذين أعانونى بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه فى ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: **﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾** [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

على محمد محمد الصلابى

٧ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ

الخاتمة

وبعد، فهذا ما يسره الله لى من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب الذى سميته، أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، شخصيته وعصره، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضا، وله الحمد بعد الرضا، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله برئ منه، وحسبى أنى كنت حريصاً أن لا أقع فى الخطأ، وعسى أن لا أحرم من الأجر، وأدعو الله تعالى أن ينفع هذا الكتاب إخوانى المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه فى دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه فى ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر أبو محمد القحطانى:

قل: إن خير الأنبياء محمد	وأجل من يمشى على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد	وكذلك أفضل صحبه العمران[١]
رجلان قد خلقا لنصر محمد	بدمى ونفسى ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا	فى نصره وهما له صهران
بنتاهما أسنى نساء نبينا	وهما له بالوحى صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد	ياحبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هماهما	لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه	وبقربه فى القبر مضطجعان
كانا على الإسلام أشفق أهله	وهما لدين محمد جبلان
أصفاهما أقواهما أخشاهما	أتقاهما فى السر والإعلان
أسناهما أزكاهما أعلاهما	أوفاهما فى الوزن والرّجحان

(١) العمران: أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

صديق أحمد صاحب الغار الذى ... هو فى المغارة والنبى اثنان

أعنى: أبا بكر الذى لم يختلف ... من شرعنا فى فضله رجلان

هو شيخ أصحاب النبى وخيرهم ... وإمامهم حقًا بلا بطلان

وأبو المطهرة التى تنزيهها ... قد جاءنا فى النور والفرقان

أكرم بعائشة الرضا من حرة ... بكر مطهرة الإزار حَصَان

هى زوج خير الأنبياء وبكره ... وعروسه من جملة النسوان

هى عرسه، هى أنسه، هى إلفه ... هى حبه صدقًا بلا أدهان

أو ليس والدها يصافى بعلها ... وهما بروح الله مؤتلفان

لما قضى صدّيق أحمد نحبه ... دفع الخلافة للإمام الثانى

أعنى به: الفاروق فرّق عنوةً ... بالسيف بين الكفر والإيمان

هو أظهر الإسلام بعد خفائه ... ومحا الظلام وباح بالكتمان

ومضى وخلى الأمر شورى بينهم ... فى الأمر فاجتمعوا على عثمان

من كان يسهر ليلة فى ركعة ... وترًا فيكمل ختمة القرآن

ولى الخلافة صهر أحمد بعده ... أعنى علىَّ العالم الربانى

زوج البتول أخا الرسول وركنه ... ليث الحروب منازل الأقران

سبحان من جعل الخلافة رتبة ... وبنى الإمامة أيما بنيان

واستخلف الأصحاب كى لا يدعى ... من بعد أحمد فى النبوة ثانى

أكرم بفاطمة البتول وبعلها ... وبمن هما لمحمد سبطان

غصنان أصلهما بروضة أحمد ... لله در الأصل والغصنان

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وبعابد الرحمن

وأبى عبيدة ذى الديانة والتقى ... وامدح جماعة بيعة الرضوان

قل خير قول فى صحابة أحمد ... وامدح جميع الآل والنُّسوان

دع ما جرى بين الصحابة فى الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوى صدورهم من الأضغان
والويل للركب الذين سعوا ... إلى عثمان فاجتمعوا على العصيان
ويل لمن قتل الحسين، فإنه ... قد باء من مولاه بالخسران
لسنا نكفّر مسلمًا بكبيرة ... فالله ذو عفو وذو غفران

ويقول الشاعر:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير أن يأتينا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضرات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدًا ... كما الغنى أبدًا وصف له ذات
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له آتِ

ويقول الشاعر:

اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل!
احتفل للفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال وخَوَل
واهجر النوم وحصِّله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين

على بن أبي طالب رضي الله عنه

١- أن الله أوحى إليَّ في عليٍّ ثلاثة أشياء ليلة أسرى بي، أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٣).

٢- السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد على بن أبي طالب.

(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة رقم ٣٥٨ وضعيف الجامع، رقم (٣٣٣٤).

٣- على إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله.

(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٧) وضعيف الجامع (٣٧٩٩).

٤- لمبارزة على بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

(كذب) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٠٠).

٥- اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها (وفي رواية) اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٩٧١) للألباني.

٦- إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية سمهم لنا) قال: على منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر وسلمان والمقداد أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم.

(ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي (١٥٤٩، ٣١٢٨). وضعيف الجامع (١٥٦٦). وضعيف سنن الترمذي (٧٧١). وضعيف سنن ابن ماجة (٢٨)، والمشكاة (٦٢٤٩).

٧- أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد العلم فليأته بابه.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٢٩٥٥).

٨- أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع سنين.

(باطل) ضعيف سنن ابن ماجة، برقم (٢٣).

٩- رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار.

(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة (٢٠٩٤). وضعيف الجامع (٣٠٩٥). وضعيف سنن الترمذى (٧٦٧) والمشكاة (٦١٢٥).

١٠- على مع القرآن والقرآن مع على، لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

(ضعيف) ضعيف الجامع برقم (٣٨٠٢).

١١- على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين.

(ضعيف) ضعيف الجامع (٣٨٠٥).

١٢- ليلة أسرى بى انتهيت إلى ربى عز وجل، فأوحى إلى فى على بثلاث: أنه سيد المسلمين وولى المتقين وقائد الغر المحجلين.

(موضوع) السلسلة الضعيفة (٤٨٨٩).

١٣- يا أنس: انطلق فادع لى سيد العرب -يعنى علياً- فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا على فأحبوه بحبى وأكرموه لكرامتى، فإن جبريل أمرنى بالذى قلت لكم عن الله عز وجل.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩٠).

١٤- أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه من بعدى.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩١).

١٥- أنا المنذر وعلى الهادى بك يا على يهتدى المهتدون بعدى.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩٩).

١٦- لما أسرى بى رأيت فى ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله صفوتى من خلقى أيدته بعلى ونصرته.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٢).

١٧- من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه وإلى نوح فى فهمه وإلى إبراهيم فى حلمه وإلى يحيى فى زهده وإلى موسى فى بطشه فلينظر إلى على.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٣).

١٨- تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين: بالطرقات والنهروانات والشعفات.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٧).

١٩- نزلت هذه الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) يوم غدير خم فى على.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٢).

٢٠- لما نصب رسول الله علياً بغدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى).

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٣).

٢١- هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا يعنى: علياً.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٣٢).

٢٢- أنشدكم الله: هل فيكم أحد آخى رسول الله بينه وبينه- إذ آخى بين المسلمين- غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٤٩).

٢٣- لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على.

(مكذوب) على علىٍّ منهاج السنة (٥ / ٧٠).

٢٤- حب على حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة.

(مكذوب) على عليّ منهاج السنة (٥ / ٧٣).

٢٥- الثقلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا والآخر عترتى، وإن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فسألت ذلك لهما ربى فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم.

(ضعيف) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩١٤).

٢٦- معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

(موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩١٧).

٢٧- إن هذا اخى ووصيى وخليفتى من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا.

هذا الحديث باطل متناً وسنداً.

أما من ناحية السند فيه عبد الغفار بن القاسم: قال عنه الذهبى: أبو مريم الانصارى رافضى، ليس بثقة، قال على بن المدينى: كان يضع الحديث، ميزان الاعتدال (٢ / ٦٤٠).

٢٨- إن وصيى وموضع سرى هو على بن أبى طالب وخير من أترك بعدى وينجز عدتى ويقضى دينى على بن أبى طالب.

رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ / ١٤١) وعزاه إلى الطبرانى وقال: فيه ناصح بن عبد الله وهو متروك.

٢٩- أنا دار الحكمة وعلى بابها.

رواه الترمذى وأبو نعيم سكت عن قول الترمذى: هذا حديث غريب منكر.. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث، رقم (٣٧٢٣)، وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (٣ / ١٧٧٧) وحكم ابن الجوزى بأنه مكذوب (الموضوعات ١ / ٣٤٩).

٣٠- أنت يا علي وشيعتك (أولئك هم خير البرية).

فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي: قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين (التقريب ٢١٠١).

٣١- أوحى الله إلي في علي ثلاثاً: إنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جداً ومنقطع أيضاً، إتحاف المهرة (١ / ٣٤٤). وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في تعليقه على الحديث (المستدرك ٣ / ١٣٩) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان، بل صرح بأن الحديث موضوع.

٣٢- بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

فيه علي بن زيد بن جدعان. قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف، الشجرة في أحوال الرجال، ص (١٩٤) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١ / ٢٢٦): هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به.

ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الأستار ٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي سنن الدارقطني (١ / ١٠٣).

٣٣- رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار.

رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ٣ / ١٢٥) فيه المختار بن نافع التميمي، قال الذهبي تعقيباً على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب ٦٥٢٢).

٣٤- علي أخي في الدنيا والآخرة.

ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني (٣٨٠١).

٣٥- علي باب حطة ومن دخله كان آمناً.

موضوع: فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر (التاريخ الكبير ٢ / ٢٨٦٢) وقال عنده مناكير (التاريخ الصغير ٢ / ٣١٩) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (٣٩١٣).

٣٦- عليٌّ خير البشر فمن أبى فقط كفر.

موضوع: قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدى من طرق كلها ضعيفة (تسديد القوس (٣/ ٨٩). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بانه باطل جلي (ميزان الاعتدال ١/ ٥٢١) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٨).

٣٧- لقد علمت أن عليًا أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثًا. ضعفه الألباني (ضعيف أبي داود، ص (٤٩١).

٣٨- مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.

رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٧) والهيثمي (٩/ ١٦٨) في إسناده عبد الله بن داهر والحسن بن أبي جعفر وهما متروكان وقاله الهيثمي.

٣٩- من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل غرس قضبانها بيديه فليتول علي بن أبي طالب.

صححه الحاكم (٣/ ١٢٨) وتعقبه الذهبي فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي: قال الحافظ في التقريب (٧٦٧٧) شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال.

٤٠- ما صب الله في صدري شيئًا إلا صببته في صدر علي.

حديث موضوع (الموضوعات ١/ ١٣١) أسنى المطالب (١٢٦٢).

٤١- محبك محبي ومحبي محب الله، ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله.

قال الحافظ: (رواه ابن عدى وهو باطل) (لسان الميزان ٢/ ١٠٩).

٤٢- يا علي أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة، يا علي صليت العصر؟ قال: لا قال: اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس قال: فردها عليه فصلى علي وغابت الشمس.

أهم المصادر والمراجع

١- المهدى وفقه أشراط الساعة، الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، الدار العالمية، الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوى الضال للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلى، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣- النهج المبين للأصول العشرين، عبد الله القاسم الوشلى، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله القفارى، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ السعودية.

٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله بن على القفارى، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٦- بذل المجهود فى إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٧- السنة ومكانتها فى التشريع، د. مصطفى السباعى، المكتب الإسلامى، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٨- انتصار الحق مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية، مجدى محمد على، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٠- سنن سعيد بن منصور، دار الصميعى، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١١- مسند الدارمى، لأبى محمد عبد الله الدارمى، دار المغنى، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٢- الموسوعة الحديثية، السنن الكبرى للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٣- ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، دار الإيمان الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار الإيمان للطباعة والنشر.

١٤- المحصول فى علم الأصول، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥- فقه الإمام على بن أبى طالب، أحمد محمد طه، رسالة مقدمة لجامعة بغداد قسم الدراسات الإسلامية، لم تطبع.

١٦- أحكام القرآن لابى بكر بن العربى، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٧- تفسير القرطبى، لابى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٨-التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلى، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الاولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٩- فى ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٠- سورة الحجرات، د. ناصر العمر، دار الصديق صنعاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢١- منهج القرآن الكريم فى إصلاح النفوس، عبدو الحاج محمد الحريرى، رسالة مقدمة لجامعة بغداد.

٢٢- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبى عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٣- مع الشيعة الاثنى عشرية فى الأصول والفروع، د. على السالوس، دار التقوى، الطبعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٤- سيد الشهداء، دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٥- نساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية.

٢٦- الإمام علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنيها العلماء من غير أهلها ووارديها، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٨- خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عبد الحميد علي ناصر فقيهي، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تطبع حتى الآن أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.

٢٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٠- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣١- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، المدينة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٢- الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٣٣- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٤- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الرياض.

٣٥- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٦- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لأبى العباس أحمد بن محمد ابن على بن حجر الهيثمى، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٧- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق الرياض، ١٤١٩-١٩٩٨م.

٣٨- الخوارج فى العصر الأموى، د. نايف معروف، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة.

٣٩- شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور لأبى عمر عبد الله بن محمد الحمادى، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٠- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤١- الأدب العربى من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدى، د. حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، بيروت لبنان.

٤٢- الطبقات لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٤٣- عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام، د. ناصر على عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٤- السنة لأبى بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق د. عطية الزهرانى، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٥- بيعة على بن أبى طالب، أم مالك الخالدى، حسن فرحان المالكى، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمّان.

٤٦- تاريخ الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذهبى، دار الكتب العربى، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤٧- فتح البارى، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٤٨- المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدى، محمد محمد حسن شُرَّاب، دار القلم- بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٩- تاريخ الطبرى لأبى جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥٠- استشهاد عثمان ووقعة الجمل فى مرويات سيف بن عمر فى تاريخ الطبرى، دراسة نقدية د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥١- سنن أبى داود: الإمام أبى داود سليمان السجستانى، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١هـ سوريا.

٥٢- سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزوينى، دار الفكر.

٥٣- سنن الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

٥٤- سنن النسائى، أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ- ١٩٣٠م دار الفكر بيروت.

٥٥- الإحسان فى صحيح ابن حبان، علاء الدين على بن بلبان الفارسى، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٥٦- السلسلة الصحيحة، للألبانى، المكتب الإسلامى.

٥٧- معجم الطبرانى الكبير، لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٩٥م.

٥٨- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٩- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن على بن محمد الأذرعى، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٣٩١هـ.

٦٠- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود الطناحى، المكتبة الإسلامية.

٦١- صحيح البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٦٢- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٦٣- صحيح مسلم بشرح النووى، المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م.

٦٤- مجموعة الفتاوى، تقى الدين أحمد ابن تيمية الحرانى، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٦٥- المصنف فى الأحاديث والآثار، للحافظ أبى بكر بن أبى شيبة، طبع: الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ بومباى الهند.

٦٦- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعانى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، طبع: المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٧- العواصم من القواصم، القاضى أبو بكر بن العربى، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيِّض، دار الثقافة، قطر الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٦٨- تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة من روايات الطبرى والمحدثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٦٩- الإبانة فى أصول الديانة، لأبى الحسن الأشعرى، طبعة الجامعة الإسلامية ١٩٧٥م.

٧٠- الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبى نعيم الأصبهانى، تحقيق وتعليق د. على بن محمد بن ناصر الفقيهى، طبع مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧١- أصول الدين، لعبد القاهر البغدادى، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ.

٧٢- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، الناشر، نشاط آباد فيصل آباد، باكستان.

٧٣- الاقتصاد فى الاعتقاد، لأبى حامد الغزالى، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٧٤- المقدمة لابن خلدون.

٧٥- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٧٦- الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، نشر: قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

٧٧- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضي أبي علي محمد بن الطيب الباقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٨- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة د. عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر- صنعاء.

٧٩- الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرداوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٨٠- منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، د. سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٨١- الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، معهد الفكر العالمي.

٨٢- عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية -بيروت.

٨٣- خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٨٤- علي بن أبي طالب، خالد البيطار.

٨٥- علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٨٦- الأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف دار النفائس، بيروت لبنان.

٨٧- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٨٨- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

٩٠- تاريخ المذاهب، لأبى زهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى.

٩١- نظام الحكم فى الإسلام، عارف أبو عبيد، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٩٢- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجى، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٩٣- مشكاة المصابيح للبغوى.

٩٤- فتاوى فى التوحيد عبد الله بن جبرين.

٩٥- الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غراس للتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩٦- مسند الإمام زيد بن على، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩٧- صحيح سنن الترمذى، محمد ناصر الدين الألبانى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٩٨- صحيح سنن ابن ماجة للألبانى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩٩- صحيح النسائى للألبانى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٠٠- مشكاة المصابيح للألبانى.

١٠١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد عبد الله الأصفهانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢- فضائل الصحابة، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزى السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠-١٩٩٩م.

١٠٣- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادى، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠٤- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادى، تحقيق سعيد أوغلى، نشر دار إحياء السنة النبوية.

١٠٥- مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة دار المعارف، مصر، ١٣٦٨هـ.

١٠٦- تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم، سعد الله بن جماعة، دار الكتب العلمية.

١٠٧- تاريخ اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.

١٠٨- جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ.

١٠٩- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، محب الدين الطبرى، دار المعرفة، بيروت.

١١٠- تاريخ الخلفاء للسيوطى، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١١١- صفة الصفوة للإمام أبى الفرج بن الجوزى، دار المعرفة، بيروت.

١١٢- التاريخ الإسلامى، مواقف وعبر د. عبد العزيز عبد الله الحميدى، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١١٣- أدب الدين والدنيا للماوردى.

١١٤- المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح للدمياطى.

١١٥- الكامل فى التاريخ، أبو الحسن على بن أبى المكارم الشيبانى، المعروف بابن الأثير، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م.

١١٦- صحيح التوثيق فى سيرة على بن أبى طالب، مجدى فتحى السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١١٧- الإمام على بن أبى طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١٨- رجال الفكر والدعوة للندوى، دار ابن كثير.

١١٩- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، تصنيف نديم مرعشلى، أسامة مرعشلى، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٢٠- أخلاق النبى فى القرآن والسنة، د. أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامى، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٢١- روح المعانى، للألوسى.

١٢٢- الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

١٢٣- أصحاب الرسول، محمود المصرى، مكتبة أبى حذيفة السلفى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩.

١٢٤- نيل الأوطار، محمد بن على الشوكانى، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة.

١٢٥- تراث الخلفاء الراشدين فى الفقه والقضاء، د. صبحى محمصانى، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٢٦- مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٧- مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٨- تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

١٢٩- لطائف المعارف لابن رجب، دار ابن كثير.

١٣٠- عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.

١٣١- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرءوف المناوى، تحقيق د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار الفكر.

١٣٢- معرفة الصحابة لأبى نعيم، تحقيق محمد راضى ابن حاج عثمان، مكتبة الدار فى المدينة، ومكتبة الحرمين فى الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣٣- موسوعة فقه على بن أبى طالب، قلعجى دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٣٤- فقه التمكين فى القرآن الكريم، على محمد الصَّلاَّبىُّ، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٣٥- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغامدى، دار طيبة، الرياض.

١٣٦- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشرى، تحقيق سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، طبعة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٣٧- الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذرى فى أنساب الأشراف، تحقيق إحسان صديق العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٣٨- نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٣٩- الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى، فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٤٠- النظام السياسى فى الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

١٤١- روضة الناضر وجنة المناظر لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسى، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

١٤٢- الإدارة العسكرية فى الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجرى، د. سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى.

١٤٣- نهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، مطبعة كوتسا توماس بالقاهرة.

١٤٤- فن الحكم الإسلامى، مصطفى أبو زيد فهمى، المكتب المصرى الحديث.

١٤٥- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمى، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤٦- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبى عبد الله النيسابورى بذيله التلخيص للذهبى، طبعة ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م دار الفكر.

١٤٧- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، الطبعة الثامنة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٤٨- مسند أبى يعلى، أحمد بن على المثنى التميمى، تحقيق وتخريج حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٤٩- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، دار الريان القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت.

١٥٠- الوسطية فى القرآن الكريم، على محمد الصَّلاَّبىّ، دار النفائس، دار البيارق عمّان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

١٥١- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدى.

١٥٢- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، لابن عبد البر، لجنة إحياء التراث الإسلامى.

١٥٣- الغلو فى الدين، د. الصادق عبد الرحمن الغريانى، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٥٤- المواعظ والاعتبار، أحمد بن على عبد القادر المقريزى، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ١٩٨٧م.

١٥٥- الاعتصام للشاطبى، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ.

١٥٦- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية، لابن القيم الجوزية.

١٥٧- فى ظلال الإيمان، صلاح عبد الفتاح الخالدى، مكتبة المنار الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٥٨- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين فى القرآن الكريم، على محمد الصَّلاَّبيُّ، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٥٩- تفسير الفخر الرازى، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثانية.

١٦٠- السيرة النبوية، لابن هشام، لأبى محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

١٦١- معجم الأدباء، ياقوت الحموى، دار صادر، بيروت.

١٦٢- عيون الأخبار لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٦٣- الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبى، دار الرائد العربى، بيروت.

١٦٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.

١٦٥- الشريعة للإمام المحدث أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى، تحقيق د. عبد الله بن سليمان الدميجى، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦٦- الشرك فى القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٦٧- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسى، مكتبة البيان، دمشق ١٣٩٨هـ.

١٦٨- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٦٩- إحياء علوم الدين للغزالى.

١٧٠- معالم السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز محمد عبد اللطيف، دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٧١- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض.

١٧٢- صيد الخاطر لابن الجوزى.

١٧٣- الأخلاق والسير لابن حزم.

١٧٤- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٧٥- الرياض النضرة فى مناقب العشرة، لأبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى، المكتبة القيمة القاهرة.

١٧٦- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٧- نظام الحكومة الإسلامية للكتانى: المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبد الحى الكتانى الإدريسى الحسنى، دار الأرقم بن أبى الأرقم- بيروت.

١٧٨- الأموال، لأبى عبيد، تحقيق محمد خليل هرّاس، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٧٩- الحياة الاقتصادية فى العصور الإسلامية الأولى، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، دار الكندى الأردن.

١٨٠- الهبة فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين د. فضل إلهى، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، مؤسسة الجريسى، الرياض.

١٨١- المغنى للإمام العلامة ابن قدامة المقدسى، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٨٢- الخراج، لأبى يوسف، يعقوب بن إبراهيم، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٨٢هـ.

١٨٣- ولاية الشرطة فى الإسلام، د. نمر الحميدانى، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٨٤- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبى هبيرة الليثى، تحقيق أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

١٨٥- الإصابة فى تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٨٦- على بن أبى طالب، د. على شرفى، دار الكندى أربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٨٧- الولاية على البلدان فى عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٨٨- من أصول الفكر السياسى، محمد فتحى عثمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٨٩- النظم المالية فى الإسلام، عيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٣٩٦هـ.

١٩٠- السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

١٩١- تاريخ العرب، مطول، د. فيليب حتى، ترجمة إدوارد جرجى، د. جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٩م.

١٩٢- وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١٩٣- نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى، ظافر القاسمى، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٩٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر ابن القيم، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة ١٤٠٧هـ.

١٩٥- الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ضوابطه ومستقبله، عبد السلام السليمانى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية.

١٩٦- خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٩٧- تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.

١٩٨- تاريخ القضاء في الإسلام، د. محمد الزحيلي، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٩٩- أخبار القضاة لوكيع، وكيع محمد بن خلف بن حيان الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م.

٢٠٠- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٠١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.

٢٠٢- صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٠٣- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، طبعة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٠٤- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبعة الإمام بمصر.

٢٠٥- المبسوط لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي -دار المعرفة بيروت.

٢٠٦- المحلى بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٠٧- معجم الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد ١٣٩٨هـ.

٢٠٨- جمع الجوامع بحاشية العطار للإمام ابن السبكي مع شرح الجلال المحلي، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٠٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للعلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، الناشر زكريا علي يوسف.

٢١٠- فتح العزيز شرح الوجيز للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعي، المطبوع في هامش المجموع.

٢١١- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، مطبعة الكليات الأزهرية.

٢١٢- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ مطبعة السعادة.

٢١٣- إعلاء السنن للمحدث الناقد ظفر أحمد العثماني على ضوء ما فاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف على التهانوي بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غده- منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان.

٢١٤- الإشراف على مذاهب أهل العلم للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، بتحقيق محمد نجيب سراج الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

٢١٥- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشيخ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢١٦- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس طبعة بالأوفسيت ١٣٢٣هـ، دار صادر بيروت.

٢١٧- سبل السلام، للأمير الصنعاني.

٢١٨- مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢١٩- الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٢٠- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البارى، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٢١- عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمرى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٢٢- حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد ناصر الغامدى، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٢٣- الموافقات فى أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى، تحقيق عبد الله دراز، دار الباز، مكة المكرمة.

٢٢٤- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى، تحقيق محمد محمد سعيد الخطيب أوغلى، دار إحياء السنة النبوية.

٢٢٥- الأم للشافعى، دار المعرفة بيروت.

٢٢٦- مسائل الإمام أحمد لأبى داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر، سنة ١٣٥٣هـ.

٢٢٧- مناقب الشافعى للرازى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم، تحقيق عبد الغنى عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، عن طبعة حيدر آباد.

٢٢٩- الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى من خلاف، د. حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة المدينة الرياضية عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣٠- الاستبصار فى نسب الصحابة من الانصار، تحقيق د. على نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣١- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٣٢- الأخبار الطوال، لأبى حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبى، بغداد.

٢٣٣ - كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٣٨٨ هـ - ١٩٩٨م.

٢٣٤ - ولاة مصر، لأبى يوسف محمد بن يوسف الكندى، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

٢٣٥ - مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٣٦ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة بدون تاريخ.

٢٣٧- تيسير الكريم المنان فى سيرة عثمان بن عفان، على محمد الصَّلاَّبِى، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٣٨- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.

٢٣٩- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

٢٤٠- فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٤١- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزى، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٤٢- آثار الحرب فى الفقه الإسلامى، د. وهبة الزحيلى دراسة مقارنة، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٤٣- الجرح والتعديل، لابن أبى حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

٢٤٤- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقرى، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ.

٢٤٥- تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة د. محمد عبد الله على الخضيرى، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٤٦- فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، على محمد الصَّلاَّبىّ، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢٤٧- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم على شعوط، المكتب الإسلامى، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٤٨- الفتنة الكبرى- على وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢٤٩- الدراهم المضروبة على الطراز الساسانى للخلفاء الراشدين فى المتحف العراقى، وداد على قزاز، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة ببغداد الجزء (١) المجلد (١) ١٩٦٩م.

٢٥٠- الأنساب، لأبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى، نشر محمد أمين دمج، بيروت ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٢٥١- التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبى بكر المالقى الأندلسى، حققه د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٢٥٢- الأساس فى السنة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٥٣- الإدارة والنظام الإدارى عند الإمام على، د. محسن باقر الموسوى، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٥٤- النظم الإسلامية، صبحى الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم، للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٠.

٢٥٥- الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الكوفة فى القرن الأول الهجرى، القاهرة ١٩٧٠م، محمد حسين الزبيدى.

٢٥٦- العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان فى العهد النبوى، محمد يوسف الفاروقى، مجمع البحوث الإسلامية -الجامعة الإسلامية- إسلام آباد باكستان، ١٩٨٢م.

٢٥٧- تفسير المنير د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٥٨- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د. حكمت بن بشير بن ياسين دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٥٩- منهج القرآن الكريم فى إصلاح النفوس، د. عبدو الحريرى، رسالة ماجستير، جامعة بغداد لم تطبع.

٢٦٠- دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نشرت على الإنترنت.

٢٦١- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، بيروت، دار إحياء التراث.

٢٦٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد الحنبلى، بيروت، المكتب التجارى للطباعة والنشر.

٢٦٣- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٢٦٤- البيان والتبيين للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجى بمصر، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٢٦٥- ميزان الاعتدال للذهبى، تحقيق: على محمد البجاوى، دار المعرفة، بيروت.

٢٦٦- لسان الميزان، لابن حجر العسقلانى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

٢٦٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستى محمود إبراهيم زيد، دار المعرفة، بيروت.

٢٦٨- رجال الكشى، لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى، قدم له وعلق عليه أحمد السيد الحسينى.

٢٦٩- عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة، لمحمد على المعلم.

٢٧٠- الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.

٢٧١- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فلوتن ترجمة حسن إبراهيم حسن،

ومحمد زكى إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٢٧٢- العقيدة والشريعة الإسلامية، جولدتسهير، أجناس ترجمة د. محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

٢٧٣- تاريخ الأدب العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة صفاء خلوصى، بغداد، مطبعة المعارف ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٩م.

٢٧٤- عقائد الشيعة، رونلدسن، دوايت تعريب (ع م) القاهرة، مكتبة الخانجى ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

٢٧٥- أصول الإسماعلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، بغداد مكتبة المثنى ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م.

٢٧٦- عائشة والسياسة، سعيد الأفغانى، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٢٧٧- الدولة الأموية، يوسف العشى، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٢٧٨- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراة بفاس بالمغرب لم تطبع.

٢٧٩- المغنى فى الضعفاء للذهبى، تحقيق نور الدين عتر.

٢٨٠- التاريخ الكبير للبخارى، مؤسسة الثقافة، بيروت.

٢٨١- دور المرأة السياسى فى عهد النبى والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٨٢- الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبى، القاهرة.

٢٨٣- لمع الأدلة فى عقائد أهل السنة، للجوينى، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، بتحقيق فوقية حسين محمود الناشر الدار المصرية.

٢٨٤- غياث الأمم فى التَّياث الظُّلم لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢٨٥- التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة: لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، حققه وأخرج أحاديثه فؤاد أحمد زمرلى، دار الكتاب العربى.

٢٨٦- حقية من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية.

٢٨٧- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٨٨- إفادة الأخيار ببراءة الأبرار، محمد العربي التباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

٢٨٩- أعلام النصر المبين لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، تحقيق د. محمد أمحزون، دار الغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٩٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب.

٢٩١- تقريب التهذيب لابن حجر.

٢٩٢- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٩٣- الأنصار في العصر الراشدي، سياسيًا وعسكريًا وفكريًا، د. حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع، من صورة مصورة.

٢٩٤- العثمانية، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٩٥- خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٨م.

٢٩٦- نسب قريش: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، القاهرة.

٢٩٧- التاريخ الصغير للبخاري، محمد إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار المعرفة، بيروت.

٢٩٨- أنساب الأشراف، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.

٢٩٩- كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي.

٣٠٠- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب.

٣٠١- سير السلف لأبى القاسم الأصفهانى، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٠٢- أهل الشورى الذين اختارهم عمر، رضى الله عنه، رياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت دمشق ،مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٠٣- عمدة القارى، شرح صحيح البخارى، بدر الدين العينى.

٣٠٤- تحفة الأحوذى بشرح الترمذى، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبى، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان.

٣٠٥- دراسات تربوية فى الأحاديث النبوية، للأعظمى محمد لقمان الأعظمى الندوى، دار العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٠٦- الزهد لابن المبارك.

٣٠٧- الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب.

٣٠٨- فرسان فى عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م- اليمامة، دمشق.

٣٠٩- تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل عبد الله المصرى، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣١٠- معاوية بن أبى سفيان، صحابى كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣١١- المعرفة والتاريخ، للفسوى، لأبى يوسف الفسوى، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٣٩٤هـ.

٣١٢- الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين -بيروت لبنان- الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

٣١٣- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ نشر المكتب الإسلامى.

٣١٤- الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين د. حمدى شاهين، دار القاهرة.

٣١٥- مسند أحمد مع الفتح الربانى، للساعاتى، أحمد عبد الرحمن الساعاتى، فى ترتيب الإمام، مطبعة الفتح الربانى بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٣١٦- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى، دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان.

٣١٧- تلخيص الحبير فى أحاديث الرافعى الكبير: لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣١٨- عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د. منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣١٩- عمار بن ياسر، أسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٢٠- قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشى، دار الصميعى، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٢١- تنزيه أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان من الظلم والفسق فى مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان لأبى يعلى محمد الفراء، تحقيق دار النبلاء عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٢٢- أبو موسى الأشعرى، الصحابى العالم المجاهد، محمد طهماز، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١ دمشق.

٣٢٣- أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق.

٣٢٤- مناقب عمر لابن الجوزى.

٣٢٥- مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى، والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٢٦- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلى، دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٢٧- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمرى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.

٣٢٨- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٢٩- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للألباني، دار الصميعي السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٣٣٠- غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان، الأردن.

٣٣١- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٣٢- إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٣٣- فتوح الشام، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.

٣٣٤- القيادة العسكرية في عهد الرسول، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٣٥- سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٣٦- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٣٧- عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٣٣٨- المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٣٣٩- التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق أحمد محمد نور سيف، دار المامون للتراث.

٣٤٠- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى: محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٣هـ.

٣٤١- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٤٢- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ.

٣٤٣- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبى الفرج بن الجوزى، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٣٤٤- عقيدة الإمام ابن قتيبة، د. على بن نفيع العليانى، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م السعودية.

٣٤٥- المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر.

٣٤٦- مختصر التحفة الاثنى عشرية، للسيد محمود شكرى الألوسى، مكتبة إيشيق- استانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٤٧- السيف اليمانى فى نحر الاصفهانى، وليد الأعظمى، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، دار الوفاء، مصر.

٣٤٨- منهج كتابة التاريخ الإسلامى، محمد صامل العليانى السلمى، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٤٩- أثر التشيع على الروايات التاريخية فى القرن الأول الهجرى، د. عبد العزيز محمد نور ولى، دار الخضيرى، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٥٠- منهج المسعودى فى كتابة التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٣٥١- تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م.

٣٥٢- الشيعة والسنة، إحسان إلهى ظهير.

٣٥٣- دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، د. أحمد محمد جلى، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٥٤- الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى.

٣٥٥- الشيعة والقرآن، إحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٣٥٦- تأويل مختلف الحديث، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيى الدين الأصفر، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٥٧- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبى العباس أحمد بن عمر القرطبى، تحقيق، محيى الدين ديب مستو، يوسف بدوى، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٥٨- الكفاية، أحمد بن على الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ دار الكتاب العربى، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم.

٣٥٩- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦٠- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٣٦١- مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث لأبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦٢- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٧٠هـ.

٣٦٣- جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، دار القلم، بيروت، لبنان.

٣٦٤- تفسير السعدى، المسمى تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تحقيق: محمد زهرى النجار، المؤسسة السعدية.

٣٦٥- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.

٣٦٦- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى، تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة محمد على صبيح، مصر.

٣٦٧- أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله، للسالوس على أحمد السالوس، دار وهدان للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٦٨- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٣هـ.

٣٦٩- المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، الشيخ حسين آل عصفور البحراني، دار المشرق العربي، بيروت، البحرين.

٣٧٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، محمد على الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

٣٧١- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٣٧٢- ضحى الإسلام، أحمد أمين.

٣٧٣- النهى عن سب الأصحاب للمقدسي، محمد عبد الواحد المقدسي، تحقق: عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٣٧٤- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، د. علىّ الوردي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٩م.

٣٧٥- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشيبي مكتبة النهضة، بغداد، مطابع دار التضامن ١٣٨٦هـ.

٣٧٦- نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى، د. مصطفى حلمى، دار الدعوة، الإسكندرية.

٣٧٧- خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، تحقيق أحمد ميرين البلوشى، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٧٨- منهج ابن تيمية فى مسألة التكفير، الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبى، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٧٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبى الحسن الأشعرى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

٣٨٠- هدى السارى، مقدمة فتح البارى، الحافظ ابن حجر العسقلانى، المطبعة السلفية ومكتبتها.

٣٨١- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبى الحسين محمد بن أحمد الملطى، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٣٨٢- الخوارج، ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٨٣- الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد قويسى، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٨٤- تلبيس إبليس، لابن الجوزى، بتحقيق محمود مهدى استانبولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م.

٣٨٥- الخوارج، دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر بن عبد الله السعوى، دار المعارج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٨٦- نصب الراية، لأحاديث الهداية، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعى، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٣٨٧- ظاهرة الغلو فى الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٨٨- الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة وهبة.

٣٨٩- السياسة فى إصلاح الراعى والرعية، ابن تيميه، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٧هـ.

٣٩٠- فيض القدير فى شرح الجامع الصغير، عبد الرءوف المناوى، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.

٣٩١- قواعد فى التعامل مع العلماء، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٢م.

٣٩٢- التكفير جذوره وأسبابه، د. نعمان عبد الرزاق السامرائى -دار المنارة- جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣٩٣- ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٩٤- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوى -كتاب الأمة (٢) الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٩٥- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض.

٣٩٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٠٢هـ.

٣٩٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف، أحمد بن محمد المقرى الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣٩٨- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣٩٩- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٠٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، د. محمد ربيع مدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٠١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٢هـ.

٤٠٢- الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د. سعد الهاشمي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٤٠٣- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى ١٤٠٣هـ.

٤٠٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٠٥- الكشاف للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٤٠٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٤٠٧- آية التطهير وعلاقاتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني.

٤٠٨- تفسير البغوى، المسمى معالم التنزيل، لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت.

٤٠٩- الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمى.

٤١٠- تيسير العزيز لشرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

٤١١- الرسالة التدمرية لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامى، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

٤١٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى الأندلسى، مطبعة البابى الحلبى، الطبعة الأخيرة ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.

٤١٣- المنحة الإلهية فى تهذيب الطحاوية، عبد الآخر حماد الغنيمى، دار الصحابة، بيروت، الطبعة الثالثة، جمادى الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤١٤- الملل والنحل، لأبى الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمى محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٤١٥- مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤١٦- روايات تاريخ الصحابة فى ميزان الجرح والتعديل، د. عبد العزيز صغير دخان، طبعة أولى ١٩٩٨م، الشوكانى باليمن.

٤١٧- اليهود فى السنة المطهرة، عبد الله الشقارى، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤١٨- المروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبد العزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع.

٤١٩- خلافة على بن أبى طالب، رتبه وهذبه د. محمد بن صامل السلمى، مستخرج من البداية والنهاية.، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٢٠- وسطية أهل السنة بين الفرق د. محمد باكريم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤٢١- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٢٢- الزبير بن العوام الثروة، والثورة الدكتور عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.

٤٢٣- العزلة والخُلطة، أحكام وأحوال، سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٢٤- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد السيد يعقوب الرفاعي، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٤٢٥- السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٢٦- زاد المعاد، ابن القيم تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ دار الرسالة.

٤٢٧- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة.

٤٢٨- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٤٢٩- فصول من السيرة النبوية، عبد المنعم السيد.

٤٣٠- هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٣١- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٤٣٢- الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى، لم تطبع.

٤٣٣- مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤٣٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح العثيمين دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٣٥- التاريخ السياسي، د. علي معطي، مؤسسة المعارف ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٣٦- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، بيروت، لبنان.

٤٣٧- علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٣٨- زواج عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، حقيقة وليس افتراء، تأليف أبي معاذ الإسماعيلي.

٤٣٩- عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٤٠- مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر.

٤٤١- رياض النفوس للمالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٤٢- فتنة مقتل عثمان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، السعودية، طبعة ١٤١٩هـ.

٤٤٣- عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٤٤- ليس من الإسلام، محمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

فهرس الكتاب

المبحث الرابع: ملازمته لرسول الله ﷺ

المبحث الخامس

أهم أعمال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ما بين الهجرة والأحزاب

أولاً: المؤاخاة فى المدينة

المبحث السادس

أهم أعمال على - رضى الله عنه - ما بين الأحزاب إلى وفاة النبى ﷺ

المبحث الثالث: على - رضى الله عنه - فى عهد عثمان بن عفان

الفصل الثالث: بيعة على - رضى الله عنه - وأهم صفاته وحياته فى المجتمع

المبحث الأول: بيعة على رضى الله عنه

المبحث الثالث: حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الرابع: المؤسسة المالية والقضائية فى عهد

أمير المؤمنين على بن أبى طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الثاني: المؤسسة القضائية

الفصل الخامس: مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين

المبحث الأول: أقاليم الدولة

الفصل السادس: معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

المبحث الأول: الأحداث التي سبقت معركة الجمل

المبحث الثاني: معركة صفين

المبحث الثالث: التحكيم

الفصل السابع: موقف أمير المؤمنين على من الخوارج والشيعة

المبحث الأول: الخوارج

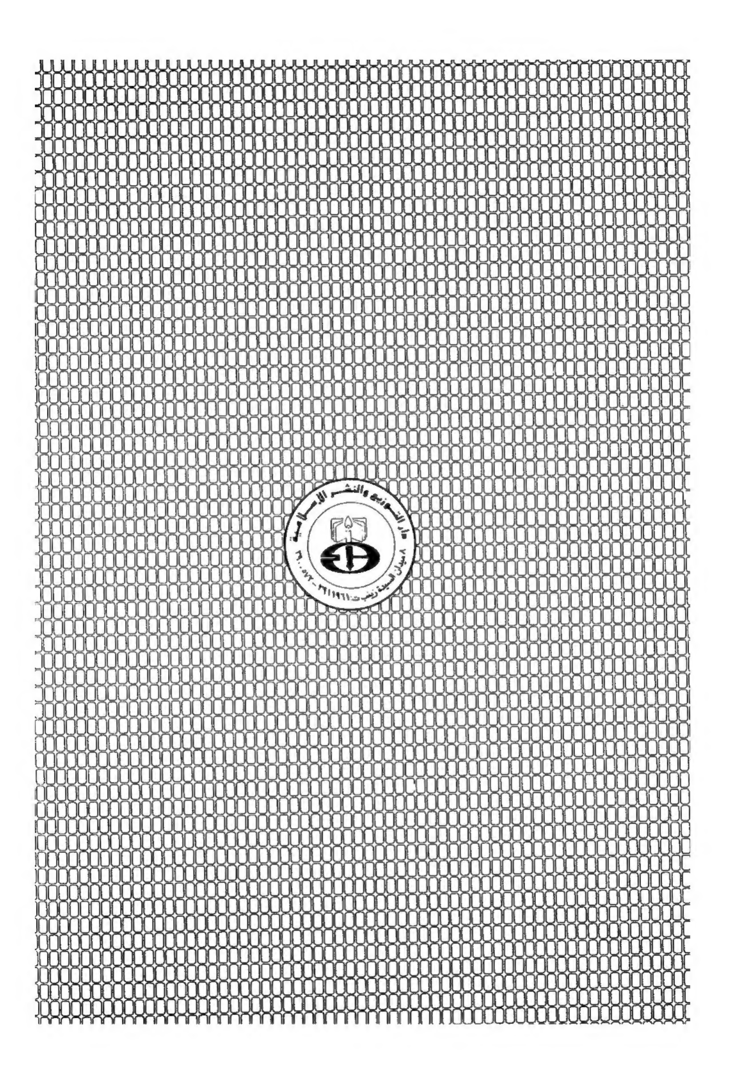
المبحث الثاني: أمير المؤمنين علي وفكر الشيعة

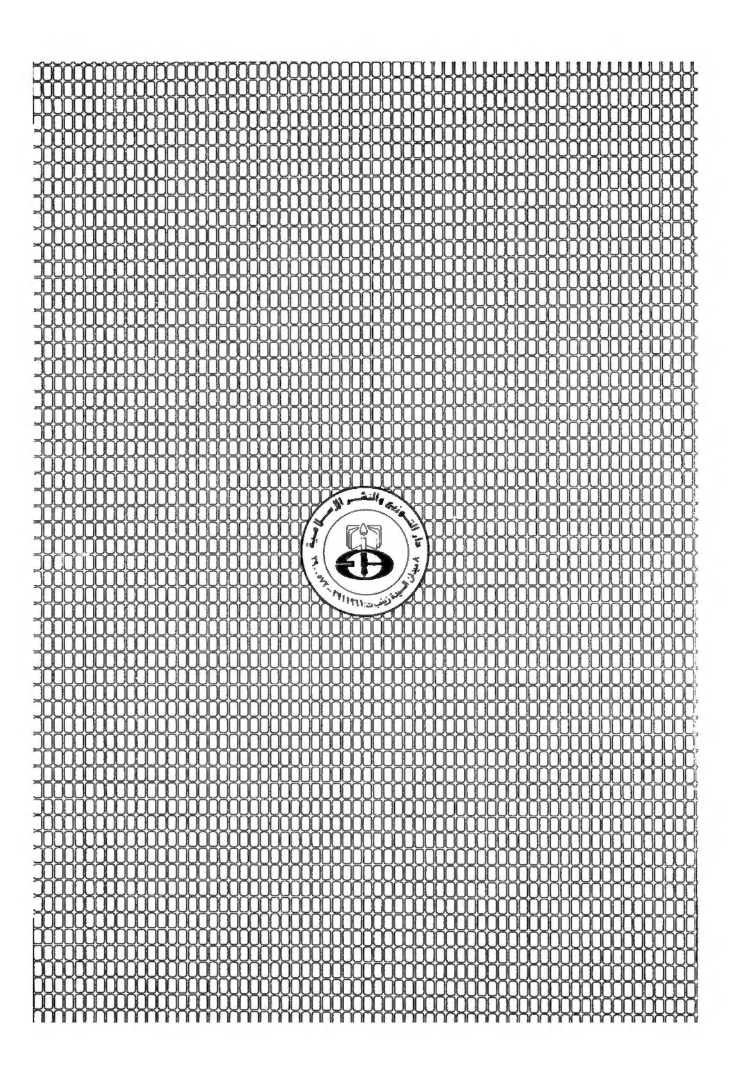
المبحث الثالث: من أهم عقائد الشيعة الرافضة (الإمامة)

المبحث الثالث: الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واستشهاده، رضي الله عنه.

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel:. 015 / 363314 - 362313


دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٦١١٩٦١ - ٣٦٠٠٥٧٢


دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

هذا الكتاب

الرابع فى سلسلة الخلفاء الراشدين بعنوان : "أسمى المطالب فى سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب" شخصيته وعصره ، ويتحدث المؤلف فيه عن الإمام :مولده، واسرته، وأهم أعماله بمكة ، وعن هجرته ، ومعايشته للقرآن وأثرها عليه فى حياته ، وعن تصوره عن الكون والحياة ، وعن الأصول والأسس التى اعتمدها فى استنباط الأحكام من القرآن وفهم معانيه، وعن ملازمته لرسول الله ﷺ منذ طفولته .

وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين فى المدينة: زواجه بالسيدة فاطمة -رضى الله عنها، وفضل الحسن والحسين ، ومواقف أمير المؤمنين علىّ فى سرايا رسول الله ﷺ وغزواته، وأقضية أمير المؤمنين ، وعن علاقته بالخلفاء الراشدين، ومكانته فى دولة الخلافة الراشدة ، ومساندته للصديق فى حروب الردة، ومساهماته فى الأمور القضائية فى عهد عمر، وبيعته لعثمان واحترامه ومودته له، وعن البيعة له بالخلافة وكيف تمت، وتوسع المؤلف فى الحديث عن صفاته وعلمه الواسع وفقهه الغزير، كما قام المؤلف بدراسة موضوع الشيعة والخوارج وأهم عقائدهم وموقف أمير المؤمنين علىّ من تلك العقائد.

فهل يمكننا أن نستلهم من الدروس والعبر من تاريخ الخلفاء الراشدين -رضى الله عنهم- ما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

نسأل الله أن ينفع بهذا العمل أبناء أمتنا الإسلامية.

والله الموفق، والهادى إلى سواء السبيل .




دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٥١ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com